



الْعَتَبَةُ الْحُسَيْنِيَّةُ الْمُقَدَّسَةُ

المصباح

مَجَلَّةٌ فِكْرِيَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُتَخَصِّصَةٌ
تُعْنَى بِالدراساتِ وَالْأبحاثِ الْقُرْآنِيَّةِ

تَصَدَّرُ عَنْ
دَارِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

طبعة ثانية منقحة

المصباح

مجلة فكرية فضلية متخصصة
تُعنى بالدراسات والأبحاث القرآنية
تصدُر عن

الأمانة العامة
للعتبة الحسينية المقدسة
دار القرآن الكريم

البريد الإلكتروني
Al_mosbah1431@hotmail.com
Al- mosbah1431@yahoo.com

هاتف رئيس التحرير
٠٠٩٦٤ - ٧٨١٠٥٣٥٥٢٤

هاتف سكرتير التحرير
٠٠٩٦٤ - ٧٧١١٦٣٤٣٤٤

هاتف العلاقات العامة
٠٠٩٦٤ - ٧٨١٥٨٦٨٦٩٠

البريد الأرضي
مجلة المصباح - دار القرآن الكريم
العتبة الحسينية المقدسة - كربلاء المقدسة - العراق

البحوث وماتضمنها من أفكار وآراء تعبر عن
آراء وأفكار كتابها

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
٢٠١٤ لسنة ٢٠١٠

الشرف العام

سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي
الأمين العام للعتبة الحسينية المقدسة

رئيس التحرير

محمد علي هدو

سكرتير التحرير

محمد نعمة ضافي

الاستشار التنفيذي

الدكتور حميد مجيد هدو

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبود جودي الحلي

أ.د. نعمة رحيم العزاوي

أ.د. محمد عبد الحسين الخطيب

أ.د. عبد الجبار ناجي

المجيد اللغوي

علي الفتال

العلاقات العامة

السيد إياد الغالي

النسب والمتابعة

أ.م.د. عمار نصار - العراق

محمود سليم العضل - سورية

طلال فخر الدين - إيران

معتدل الترجمة إلى الإنجليزية

سعد شريف طاهر

تصميم الغلاف: علي جواد سلوم

الإخراج الطباعي: نوار الحسيني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ
الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ
مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ
نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ
لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

المحتويات

٩	سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي	• كلمة المشرف العام لمجلة المصباح
١١	رئيس التحرير محمد علي هدو	• كلمة الافتتاح
١٥	أ.د. صالح مهدي عباس	• علل القراءات القرآنية في مرسوم مصحف الامصار
٥٥	سماحة السيد محمد تقي المدرسي	• بينات من فقه القرآن
٧٩	سماحة الشيخ محمد مهدي الآصفي	• بصائر من سورة العصر
١٠٥	أ.د. عبد الجبار ناجي	• دور المستشرقين ترجمة القرآن الكريم
١٣٥	أ.د. زهير غازي زاهد	• الفاصلة القرآنية - طبيعتها الإيقاعية
١٥١	أ.د. محمود البستاني	• التفسير البنائي للقرآن الكريم
١٨٥	أ.د. محمد عبد الحسين الخطيب	• ظواهر استعمال آيات القرآن في الرسائل المشرقية

١٩٧	أ.د. عبد الامير غازي زاهد	• نظرية التكليف في التصور القرآني
٢٠٩	أ.د. حسن عيسى الحكيم	• الامامة والعصمة في كتاب التبيان
٢٢١	الشيخ خالد الغفوري	• آيات الأحكام- بحث في تعريفها-
٢٣٣	أ.د. علي العلي	• العلم والمعرفة في القرآن الكريم
٢٥٩	د. انمار عبد الجبار جاسم	• الظواهر اللغوية في قراءة الامام علي للقرآن
٢٧٥	مكي قاسم البغدادي	• المفهوم الحركي للقرآن الكريم
٣٠٥	د. حميد مجيد هدو	• ملامح الرؤية التفسيرية عند السيد كمال الحيدري
٣٢٣	د. طالب عبد الحسين فرحان	• إعجاز الخطاب الإعلامي في القرآن الكريم
٣٢٥	عبد الحسين مجيد المعموري	• ملخصات البحوث

المحاور الرئيسة التي تبحث فيها المجلة

- تفسير القرآن الكريم بمنهج جديد يتماشى والتطور الفكري والاجتماعي والعلمي والاقتصادي للمجتمع.
- البحث القرآني المقارن بالكتب السماوية والقوانين الوضعية والعرف الاجتماعي والأحوال الشخصية والنفسية.
- إعجاز القرآن (في اللغة والنظم والغيبات والحقائق العلمية والتشريع... الخ).
- تاريخ القرآن (بنمط تحليلي مدعوم بالدليل العقلي من خلال فلسفة الرواية).
- أحكام القرآن أي فقه القرآن وتوجهاته التشريعية.
- المصطلح القرآني (الناسخ والمنسوخ المحكم والمتشابه المطلق والمقيد والتأويل وأسباب النزول الأحرف السبعة المكي والمدني... الخ).
- لغة القرآن ونظمه ونحوه وصرفه وطريقة استخدام اللفظ للدلالة على المعنى... الخ.
- القصة القرآنية-طريقة العرض-أهدافها ومراميها... الخ.
- المثل القرآني.
- منهج تفسير القرآن الكريم قديماً وحديثاً والنظرة المستقبلية لهذا المنهج.
- رسم المصحف بمبادئه كلها.
- تاريخ تدوين علوم القرآن وتوثيق العلماء في تلك العلوم عبر العصور.
- ترجمة آيات القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى (ضوابطها التعبد بالنص المترجم. الخ).
- فضل تعلم القرآن الكريم وأخلاق حملة القرآن وأدب تلاوته وكتابته والتحدث به.
- الرد على الشبهات التي أثرت حول القرآن من مختلف الطوائف مثل شبهة تعارض المعاني أو شبهة التحريف فيه... الخ.
- ترجمة حال مفسر أو علم من أعلام الخائضين في علومه أو مشاهير كتاب المصحف وخطاطيه (عرضاً ونقداً وتحليلاً... الخ).



●.....المحاور التي تبحث فيها المجلة

- المفاهيم الفكرية في القرآن الكريم (التصوف والعرفان-الفلسفة-الفقه-الوعد والوعيد-الغيب-حوار الأديان-الأدلة العقلية...الخ).
- قصص الأنبياء (من الوجهة التاريخية ومدى وثاققتها كحدث...الخ).
- تحقيق نصوص كتب ورسائل لم يسبق طبعها تنشر جملة واحدة أو في حلقات متعددة على أن يكون التحقيق علمياً مصحوباً بصورة فوتوغرافية لعينات من صحائفه الخطية ويقدم المحقق بمقدمته تضم دراسة منهجية عن المؤلف والكتاب بالطرق المتعارف عليها
- روايات القراءات (السبع والعشر والشاذة) وأحكام الوقف والبسملة والتكبير...الخ.
- أية موضوعات أخرى لها علاقة بالقرآن وتفسيره وعلومه وتاريخه وكتابه وتدوينه وقواعد تجويده وتلاوته ولغته ومواعظه على وفقه ووصفه وأمثاله وإعجازه ومصطلحاته وفلسفة أفكاره وحواره وقصصه...الخ.
- تلتزم المجلة بنشر البحوث التي تعنى بشؤون القرآن الكريم خاصة وفي الإطار الوارد في ميادين الأبحاث.
- أن لا يكون الموضوع نمطياً تقليدياً يعرض لموضوع مطروق أو منشور في كتاب أو مجلة إلا إذا احتوى على رأي جديد قد تراءى للكاتب أو إضافات مفيدة أو توسع في بسط الأفكار...الخ.
- أن لا يقل طول البحث عن مقادير بحوث الترقية الجامعية .(شكلاً ومضموناً) وان تراعى فيها ضوابط البحث المنهجي المحكم.
- لا علاقة لتسلسل ترتيب البحث في المجلة بأهميته أو أهمية كاتبه أو بأولية تسلمه أو أي اعتبار آخر بل إن ذلك يتعلق بدواع فنية.
- يلحق بالبحث المرسل، مختصر السيرة الذاتية للكاتب وعنوانه ورقم هاتفه وبريده الإلكتروني ليتسنى للمجلة الاتصال به عند اللزوم.
- لا تعاد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر أو أجلت إلى الأعداد القابلة.
- الأفكار التي ترد في البحوث تعبر عن آراء أصحابها خاصة.
- تقرر المكافآت على وفق الضوابط والأطر المعمول بها في المجالات المماثلة.
- يرجى من الإخوة الباحثين الاحتفاظ بنسخة من البحث بحوزتهم.



التاريخ الشعري لصدور
مجلة "المصباح" الكربلائية الغراء

((فكرية شرعية))

مجلة رائدة فصلية أبوابها عقلية نقلية
مصباحها سناؤه بهاؤه يزخر بالحقائق العلمية
تُعنى بأسباب النزول تهدي بنهج بيت العترة الزكية
رائداتها تفسر خير مُنزل مُقارن بالكتب القدسية
فيض من اللطف يعم ساحها شعاره الإيمان والروية
أصولها إلى الرسول تنمي وعن إمام صادق مروية
رعى بناها شيخها مهديها تغمُرها أنفاسه الندية
محمد يسير في ركاها لروضة سامية عليّة

يا حائراً كم فيك من جلية بعزمها تفتخر البرية
تراث بيت أرخته (تسعة) بحوثها فكرية شرعية

١٤٣١هـ

الشاعر العراقي السيد علي الحيدري

الكاظمية المقدسة

كلمة

الشيخ عبد المهدي الكربلائي
الأمين العام للعتبة العام للعتبة الحسينية المقدسة
المشرف العام على مجلة المصباح

المصباح... انطلاقة لصياغة الشخصية القرآنية الغائبة عنا
باسم الله وبالله. اشهد أن لا اله الا الله محمد عبده ورسوله بعثه بالقرآن هادياً مهدياً وصراطاً
إلى الحق سوياً، فصلى الله عليه وآله أئمة الهدى وتراجمة القرآن.
وبعد:

فقد كنت أجول بين أفكارى وخواطري عسى أن أجد ضالتي في عنوان أو اسم به باكورة
الحديث الافتتاحي لـ (المصباح) القرآني الذي تالاً بإشعاعه من أقلام وقلوب وعت وعشقت
شرف حمل القرآن. وكانت ولادة العنوان فجر ميلاد شع بنور أهل الطهر لأهل السماء وأشرق
بضياء العلم والعرفان لأهل الارض.. إنه فجر يوم ذكرى ولادة الصديقة البتول الطاهرة (عليها السلام)
وكانت المصباح انطلاقة لصياغة الشخصية القرآنية الغائبة عنا..

إن الشخصية القرآنية بجميع أبعادها المعرفية والاجتماعية والأخلاقية
والسياسية والحضارية قد أفل نجمها من سمائنا وغابت مقوماتها عن أرضنا..

فكان صوت القرآن يستنهض واعية القلوب الحاملة له ومدارك العقول المستنيرة
بمصايح ضيائه لينشروا شرف مقاصده وعلو معارفه وباسق أنواره العرفانية ليصاغ من
ذلك تلك الشخصية التي تعي القرآن منهجاً متكامللاً للحياة تعتصم بحبله وتسكن في ظل

جناحه وتهتدي بضوء صباحه وتقتدي بتبليج أسفاره وتحترس من نزغات الشيطان وخطرات الوسوس بتعوذه بآياته لكي توصل للقلوب فهم عجائب أحكامه وتعرج الروح بسلم معارفه الى محل السلامة والطهر من الدنس والعصيان. لقد شهد وعاش مجتمعنا غيابا واضحا لأهم أسس ومقومات الشخصية القرآنية بمعارفها وخلقها وحضارتها وقيمها فكان التعاضد والتآزر وانبعث الهمم من أهل العلم والفضل ضرورة قرآنية واجتماعية ملحة لتفتح نوافذ القلوب المغلقة وتشرق صفحات العقول الملبدة نحو صياغة شخصية تكون مصداقا لأشراف الأمة الذين هم حملة القرآن حقاً فكانت انطلاقة المصباح من جوار ترعة الجنان الخالدة - من جوار مصباح الهدى وسفينة النجاة من جوار القدس والطهر والثورة والإباء لكي تتجاوب وصدى تلك الحناجر التي ترنمت بآياته مع معشوقها الذي تافت إليه بهيام ووليه. حناجر أصحاب سيد الشهداء عليه السلام ليلة عاشوراء - وهكذا كانت ولادة المصباح من جوار (مصباح الهدى) عليه السلام.



كلمة الافتتاح

باسم الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي هدانا بالقرآن إلى سبيل رشد، نحمده ونشكره ونستعينه ونتوكل عليه في مسعانا الحثيث لإعلاء كلمته، والاهتداء بهداه، ونصلي ونسلم على خير خلقه، محمد المبعوث بالحق نذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وعلى آله صفوة الخلق وميزان الحق وذروة المجد صلاة كثيرة دائمة متصلة، يصعد أولها ولا ينفد آخرها ونسلم تسليماً كثيراً.. وبعد:

فقد قال الإمام علي عليه السلام: «إن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تكشف الظلمات إلا به».

وهو كلام نرد به على من يستكثر على القرآن أن يكتب فيه اليوم كاتب بعد الذي كتبه السلف الصالح. أو أن يقول فيه القائل اليوم بعد الذي قاله القائلون، كتابةً ونظاماً وتفسيراً وبسطاً، وسبراً للأغوار، وتطبيقاً على مفردات الحياة الإنسانية؟! وقد تمثلوا في ذلك قول الشاعر الذي نعى على الشعراء المتأخرين أن يتحدثوا معنىً جديداً على الكلام العربي يوم قال: هل غادر الشعراء من متردّم كلام لا يمكن أن يجد له في القرآن الكريم مثلاً بعد قوله -عز من قائل-: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] أو قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]. فليسأل أولئك المتخرسون أنفسهم أين تقع تخرصاتهم من تقريره -جل وعلا- بأن كلمات الله لا يمكن أن تحكم بالنفاد إلى يوم القيامة؟! إن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة يوم أقرت الخوض في مخاض القرآن،

إنما أرادت أن يكون لها شرف المساهمة في خدمة كتاب الله العزيز ولم تكن لها نية منافسة لجهة أو أخرى.

كما لم يكن لها هدف في إظهار المواهب على سبيل الرياء، فقد أقدمت على ما أقدمت عليه، وهي مفعمة بالإعجاب والتقدير لكل الجهود الخيرة التي تنطلق من هنا وهناك لإعلاء كلمة الله - سبحانه - فكل من خدم القرآن من الأوائل والأواخر، شريك في هذا الشرف العظيم. وقد اختارت الدار أن تكون المجلة فصلية فكرية متخصصة لكي تكون مرجعاً لطالبي علوم القرآن على اختلاف مستوياتهم العملية ومصدراً محكماً لكل من به نهم لمعرفة القرآن العظيم، هذه النزعة التي استعر أوارها في نفوس الشباب المثقف المتطلع الى الحقيقة اليوم، إنها تمثل وجبة فكرية غنية لعقول كل المستنيرين بهدى القرآن وعلى اختلاف مستوياتهم ومشاربهم ومذاهبهم.

ولقد اخترنا لها اسم (المصباح) لأنها تصدر في رحاب (مصباح الهدى وسفينة النجاة) أبي الشهداء والأحرار، ابن القرآن وقرينة الإمام (الحسين عليه السلام) ولأنها يراد لها أن تكون مصباحاً ضوؤه القرآن الكريم فهو يشتعل بنوره لكي: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦] وهكذا عقدنا العزم وتوكلنا على الله القوي العزيز اخذين بكظم الموضوع على محمل الجد وقد زادتنا عزيمة الاستجابة السريعة والمسؤولة من لدن سماحة الأمين العام للعتبة الحسينية المقدسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دام عزه) الذي رأى في صدور مثل هذا العمل الخطير تنويجاً لكل المنجزات العظيمة التي قام على إتمامها على خير وجه في هذه الروضة المقدسة التي ضمت بين صفائحها رفات ربيب القرآن والناطق باسمه الإمام الحسين عليه السلام وكذلك الاستجابة السريعة من لدن العلماء والكتاب ومن يهتمهم إعلاء كلمة الحق والصدق وهي كلمة الله - سبحانه - متمثلة في كتابه العزيز فوافونا بما تيسر لديهم وما لم يتيسر إلا بجهد جهيد لا يألون في ذلك جهداً ولا يتغون جزاءً ولا شكوراً.

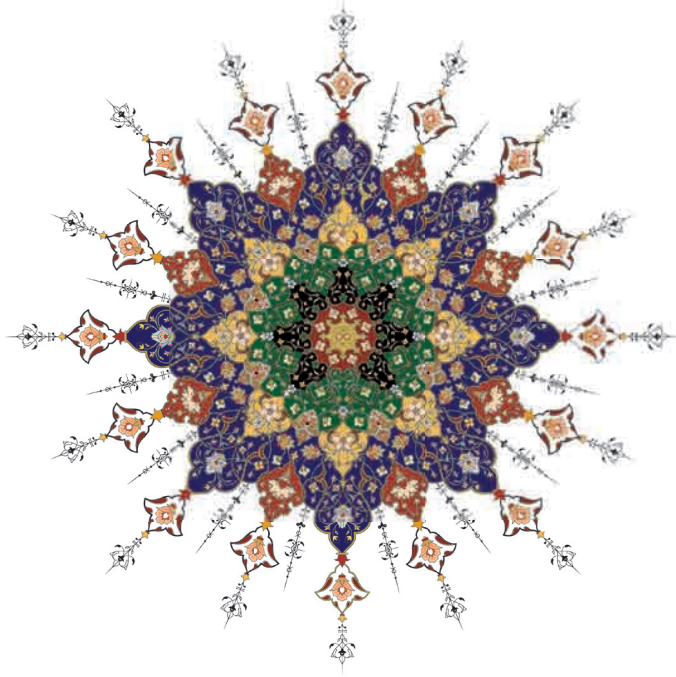
ولا أداهن إذا قلت إن عملاً كهذا قد قام على تلك الجهود الخيرة التي أرجو إثابتها عند الله، فضلاً عن ما بذلته الهيئة الاستشارية والمستشار التنفيذي وسكرتارية التحرير من عمل



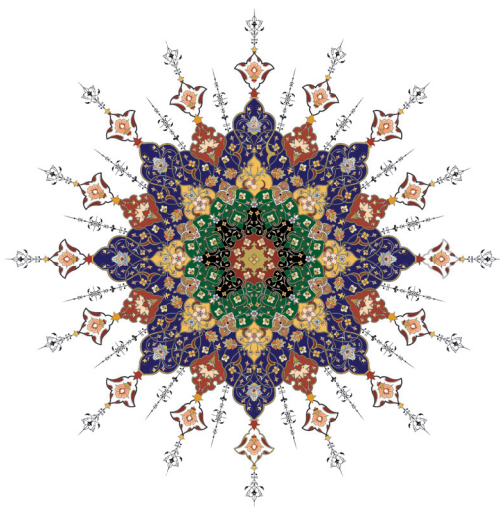
توشح بالحزم والجد الى درجة الإرهاق في سبيل إنجاح المشروع المبارك من دون أن يطلبوا جزاء إلا مثوبة الله ورضاه والانضمام الى صف خدم القرآن الكريم. وها هو العدد البكر ينزل الى ساحة الفكر القرآني مباركا ميمونا يشهد لمن أسهم فيه من كتاب وعاملين بالإخلاص للقضية التي دعانا إليها - سبحانه - يوم قال عز من قائل: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

صدق الله العلي العظيم وصدق رسوله النبي الكريم ونحن على ذلك من الشاهدين والساكرين والحمد لله رب العالمين.

رئيس التحرير



وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَالْآلِ وَسَلَّمَ



علل القراءات القرآنية في مرسوم مصاحف الأمصار

أ. د. صالح مهدي عباس

مركز إحياء التراث العلمي العربي جامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

لما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية بالفتوحات، وانتشر المسلمون في البلاد المفتوحة، وكان منهم القراء يعلمون المسلمين القرآن، وكان أهل كل إقليم يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة، فأهل الشام يقرأون بقراءة أبي بن كعب، وأهل الكوفة يقرأون بقراءة عبد الله بن مسعود، وأهل البصرة يقرؤون بقراءة أبي موسى الأشعري، فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء، ووجوه القراءة، وكان هذا مخصصاً به، والمسلمون الجدد لم يتفهموا الأمر على وجهه الصحيح، فوقع بينهم النزاع والشقاق،

وأخذ كل فريق يدعي أنه على الحق، وأن غيره على الباطل...^(١).

وعلى مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) هذا الخلاف بقوله: «وكان ذلك قد تعارف بين الصحابة على عهد النبي ﷺ فلم يكن يُنكر أحدٌ ذلك على أحدٍ، لمشاهدتهم من إباح ذلك، وهو النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أنتهى ذلك الاختلاف إلينا لم يعاين صاحب الشرع، ولا علم بما إباح من ذلك أنكر كل قوم على الآخرين قراءتهم، وأشدت الخصام بينهم»^(٢).

فقام الخليفة عثمان بن عفان إبان خلافته بتوحيد مرسوم المصحف الشريف، فجمع

(١) مناهل العرفان: ١ / ٢٤٨ باختصار.

(٢) الإبانة عن معاني القراءات: ٢٧.

هنا كانت قراءة كل اهل قطر تابعة لرسم مصحفهم^(٦).

وقد أشار أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٣هـ) إلى اختلاف مرسوم مصاحف الأمصار الإسلامية في كتابه (فضائل القرآن) وأرشد له باباً خاصاً به سماه (باب حروف القرآن)^(٧)، ذكر فيه اختلاف مصاحف أهل الحجاز وأهل العراق، وأهل الشام، وأهل الكوفة والبصرة، واحصى الحروف المختلف عليها وصدر كل اختلاف برواية مسندة عن شيوخه، موثقة لما ذكر، وقد تابعه عدد من علماء المسلمين فنقلوا عنه اختلاف مرسوم مصاحف الأمصار في مؤلفاتهم^(٨)، وقد استدرك عليه أبو عمرو الداني (عثمان بن سعيد) (ت ٤٤٤هـ) عدداً من الحروف المختلف فيها في تلك المصاحف، مما ثبت عنده بالرواية المسندة، وبالكشف عن مرسوم مصاحف الأمصار^(٩).

فقد اورد أبو عبيد^(١٠) في «باب حروف

حفظه القرآن وكتاب الوحي وقال لهم: «إني رأيت أن أكتب مصاحف على حرف زيد بن ثابت، ثم أبعث بها إلى الأمصار، قالوا: نعم ما رأيت...»^(٣)، فرأيت لجنة لهذا العمل، فلما تم نسخ المصاحف، ارسل مع كل مصحف إماماً تكون قراءته موافقة لما في هذه المصحف غالباً^(٤).

ولم تكن نسخ مصاحف الأمصار متفقة موحدة، بل فيها من الاختلاف بالحذف والإثبات مما لا تحتمله نسخة واحدة، وقد فرقته اللجنة على مجموعة المصاحف، بحيث تحتوي المصاحف مجمعة على كل ما ثبت قرآنيته في العرصة الأخيرة، ولهذا تراهم يقولون: المصحف المكي، المصحف المدني، والمصحف الشامي، والمصحف الكوفي.

وقد أكد المهدي (ت ٤٤٠هـ) هذا بقوله: «وإنما أقر عثمان ومن أجمع على رأيه من سلف الأمة هذا الاختلاف في النسخ التي أكتبت وبعثت إلى الأمصار؛ لعلمهم ان ذلك من جملة ما أنزل عليه القرآن، فأقر ليقراه كل قوم على روايتهم»^(٥)، ومن

(٣) مقدمتان في علوم القرآن: ٤٤ - ٤٥.

(٤) مناهل العرفان: ١ / ٤٠٦.

(٥) هجاء مصاحف الأمصار: ١٢١.

(٦) غيث النفع: ٢١٨.

(٧) فضائل القرآن، الورقة ٩٣ أ ٩٧.

(٨) منها كتاب: المصاحف: ٣٧ - ٤٦، وهجاء

مصاحف الأمصار: ١١٨ - ١٢٢، والمقنع:

١٠٢ - ١١٤.

(٩) المقنع: ١١٠.

(١٠) فضائل القرآن، الورقة ٩٦ أ.



القرآن التي اختلفت فيها مصاحف أهل الحجاز وأهل العراق، وهي اثنا عشر حرفاً، فقال: حدثنا بن جعفر المدني (المقري ت ١٨٠هـ): إن أهل الحجاز وأهل العراق اختلفت مصاحفهم في هذه الحروف قال: كتب أهل المدينة في سورة [البقرة / ١٣٣]: ﴿وَأَوْصَىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾ بألف، وكتب أهل العراق (ووصى) بغير الف، وفي [آل عمران / ١٣٣] كتب أهل المدينة: ﴿سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بغير واو وأهل العراق ﴿وَسَارِعُوا﴾ بالواو، وفي [المائدة / ٥٣]: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ بغير واو، وأهل العراق بالواو، وفيها / ٥٤ كتب أيضاً أهل المدينة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُم عَن دِينِهِ﴾ بدالين، وأهل العراق بدال واحدة، وفي [سورة براءة / ١٠] أهل المدينة ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضُرَّاراً﴾ بغير واو، وأهل العراق: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ بالواو، وفي [الكهف / ٣٦] أهل المدينة: ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ على آثنتين، وأهل العراق: ﴿خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ على واحدة، وفي الشعراء / ٢١٧ أهل المدينة: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ بالفاء، وأهل العراق:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ بالواو، وفي المؤمن / ٢٦ أهل المدينة: ﴿وَأَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ بغير ألف، وأهل العراق (وَأَن يُظْهِرَ) بألف، وفي عسق / ٣٠ أهل المدينة: ﴿بِمَا كَسَبَتْ إيديكم﴾ بغير فاء، وأهل العراق: ﴿فِيمَا كَسَبَتْ﴾ بالفاء.

وفي الزخرف / ٧١ أهل المدينة: ﴿تَشْتَبِهَ الْأَنفُسُ﴾ بالهاء، وأهل العراق: ﴿تَشْتَبِي الْأَنفُسُ﴾ بغير هاء.

وفي الحديد / ٢٤ أهل المدينة: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ بغير (هو)، وأهل العراق: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، وفي الشمس وضحاها / ١٥ أهل المدينة: ﴿فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ بالفاء، وأهل العراق: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ بالواو، قال أبو عبيد^(١): «حدثنا هشام بن عمار (ت ٢٤٩هـ)، عن أيوب بن تميم (ت ١٦٨هـ) عن يحيى بن الحارث الذماري (ت ١٤٠هـ) عن عبد الله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨هـ)، قال هشام: وحدثنا سُويد بن عبد العزيز (ت ١٩٤هـ) أيضاً، عن الحسن بن عمران، عن عطية بن قيس (ت ١٢١هـ)، عن أم الدرداء (٨١هـ)، عن أبي الدرداء (ت ٣٢هـ): إن هذه الحروف في

(١١) فضائل القرآن: الورقة ٩٧أ.

مصحف أهل الشام-وقد دخل حديث أحدهما في حديث الآخر-وهي ثمانية وعشرون حرفاً، في مصحف أهل الشام: في سورة البقرة/ ١١٦ ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ بغير واو، وفي آل عمران/ ١٣٣ (سارعوا) بغير واو، وفيها/ ١٨٤ ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ﴾ كلهن بالباء، وفي النساء/ ٦٦ (إلا قليلاً منهم) بالنصب، وفي المائدة/ ٥٣ ﴿يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بغير واو، وفيها/ ٥٤ ﴿مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ بدالين، وفي الأنعام/ ٣٢ ﴿وَلِدَارُ الْأَخِرَةِ﴾ بلام واحدة، وفيها/ ١٣٧ ﴿قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ بنصب (الأولاد) وخفض (الشركاء)، وفي الأعراف/ ٣ ﴿قَلِيلًا مَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ بالياء، وفيها/ ٤٣ ﴿مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ بغير واو، وفيها/ ٧٥ في قصة صالح ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ﴾ بالواو، وفيها/ ٩٠ في قصة شُعيب ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بغير واو، وفيها/ ١٤١ ﴿وَإِذْ أَنْجَاكُمْ﴾ بغير نون، وفي براءة/ ١٠٧ ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ بغير واو، وفي يونس/ ٢٢ ﴿هُوَ الَّذِي يُنْشِرُكُمْ﴾ بالنون والشين، وفيها/ ٩٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ على الجمع، وفي بني إسرائيل/ ٩٣ ﴿قَالَ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ على الخبر.

وفي الكهف/ ٣٦ ﴿خَيْرًا مِنْهَا﴾ على آتين، وفي المؤمنون/ ٨٥، ٨٧، ٨٩ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ، لِلَّهِ﴾ ثلاثتهن بغير الف، وفي الشعراء/ ٢١٧ ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ﴾ بالفاء، وفي النمل/ ٦٧ ﴿أَتَأْتِيَ الْمُخْرَجُونَ﴾ على نونين، وفي المؤمن/ ٢١ ﴿أَشَدَّ مِنْكُمْ﴾ بالكاف، وفيها/ ٢٦ ﴿وَإِنْ يُظْهَرِ فِي الْأَرْضِ﴾ بغير الف، وفي عسق/ ٣٠ ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ بغير فاء، وفي الرحمن/ ١٢ ﴿وَالْحَبْ ذَا الْعَصْفِ وَالرِّيحَانِ﴾ بالنصب، وفيها/ ٧٨ ﴿تَبَارَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ بالرفع، وفي الحديد/ ٢٤ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ بغير (هو)، وفي الشمس/ ١٥ ﴿فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ بالفاء.

وقال أبو عبيد^(١٢): «أختلفت مصاحف أهل العراق والكوفة والبصرة في خمسة أحرف: كتب الكوفيون في سورة الأنعام/ ٦٣ ﴿لَنِئْ أَنْجَنَّا﴾ بغير تاء، وفي الأنبياء/ ٤ ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ﴾ بالالف، وفي المؤمنون/ ١١٢، ١١٤: ﴿قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ و: ﴿قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ﴾ بغير ألف فيهما، وفي الأحقاف/ ١٥: ﴿بِوَالِدَيْهِ أَحْسَانًا﴾ بالالف

(١٢) المقنع: ١١١-١١٢، ورسم المصحف: ٦٩٨، ٦٩٩، وقد اختلفت به نسختنا الخطية من (فضائل القرآن).



وفي النمل / ٢١ ﴿أولياتيني﴾ بنونين، وفي القصص / ٣٧ ﴿قال موسى ربي أعلم﴾ بغير واو.

وقد تعقب أبو عمر والداني مصاحف الأمصار، فزاد على ما ذكر ستة أحرف، هي:

قال الداني^(١٥): وفي النساء ٣٦ قال الكسائي والفراء في بعض مصاحف أهل الكوفة: **(والجار ذا القربى)** بألف، ولم نجد ذلك كذلك في شيء من مصاحفهم، ولا قرأ به أحد منهم، وفي يس ٣٥ في مصاحف أهل الكوفة **(وما عملت أيديهم)** بغير هاء بعد التاء وفي سائر المصاحف **(وما عملته)** بالهاء^(١٦)، وفي الزمر ٦٤: في مصاحف أهل الشام **(تأمروني أعبد)** بنونين، وفي سائر المصاحف **(تأمروني أعبد)** بنون واحدة^(١٧). وفي الزخرف ٦٨: في مصاحف أهل المدينة والشام **(يا عبادي لا خوف عليكم)** بالياء، وفي مصاحف أهل العراق **(يا عباد)** بغير ياء^(١٨). وفي القتال (محمد) ١٨

قال خلف بن هشام البزار (ت ٢٢٩هـ) في مصاحف أهل مكة والكوفيين **(فهل**

(١٥) المقنع: ١٠٣
(١٦) المقنع: ١٠٦
(١٧) المقنع: ١٠٦
(١٨) المقنع: ١٠٦

قبل الحاء واخرى بعد السين.

وكتبها البصريون: **(لئن انجيتنا)** بالتاء، و**(قل ربي يعلم القول)** على الأمر بغير ألف، و**(قال كم لبثتم)** و**(قال إن لبثتم)** بالألف فيهما، و**(بوالديه حسنا)** بغير ألف.

وأورد أبو عمر والداني في كتابه «المقنع» الاختلاف في مرسوم المصاحف، وعقد له باباً سماه «باب ذكر ما اختلفت فيه مصاحف أهل الحجاز والعراق والشام المنتسخة من الإمام بالزيادة والنقصان»^(١٣)، وهو الباب الذي سمعه من غير واحد من شيوخه، وقد ذكر فيه ما ذكره أبو عبيد من الحروف المتقدم ذكرها، ثم تناول الاختلاف في مصاحف أهل مكة، فقال: «حدثنا محمد بن علي، قال: حدثنا ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، قال^(١٤): في مصاحف أهل مكة، في التوبة / (١٠٠) ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ عند رأس المئة، بزيادة **(من)**، وفي سبحان / ٩٣ ﴿قال سبحان ربي﴾ بالألف، وفي الكهف / ٩٥ ﴿ما مكنني فيه﴾ بنونين، وفي الأنبياء / ٣٠ ﴿ألم ير الذين كفروا﴾ بغير واو، وفي الفرقان / ٢٥ ﴿ونزل الملائكة﴾ بنونين،

(١٣) المقنع: ١٠٢
(١٤) المقنع: ١١٠

ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بالكسر مع الجزم. وقال الكسائي ذلك كذلك في مصاحف أهل مكة خاصة، قال خلف بن هشام: ولا نعلم أحداً منهم قرأ به^(١٩).

وفي الحديد ١٠: في سائر مصاحف أهل الشام (وكل وعد الله الحسنى) بالرفع، وفي سائر المصاحف (وكلأ) بالنصب^(٢٠).

عند إنعام النظر في هذه الروايات نجد عدداً من الحروف قد تكرر ذكرها، وتداخل قسم منها مع القسم الآخر لتعدد طرق الرواية فيها، فمنها ما يختص باختلاف مرسوم مصاحف الأمصار بزيادة حرف أو نقصانه - وهو موضوع البحث - أو إبدال حرف بحرف، أو بتغير حركة الحرف الإعرابية.

ونجد أيضاً أن هناك بعض أوجه المخالفة بين مرسوم المصاحف وبين أئمة القراءات، فكم إمام خالف في قراءته ما هو مرسوم في مصحف بلده، وهذه المخالفة جائزة ومقبولة، لأن القراءة سنة متبعة، وأن الرسم الثابت في المصاحف هو المتفق على إنزاله، المقطوع بصحته، وحيث لم يمكن

(١٩) المقنع: ١٠٧.

(٢٠) المقنع: ١٠٨.

الناسخ من إثبات الصورتين أو القراءتين في مصحف واحد، رُسِمَت ثابتة في بعض المصاحف كما أنزلت، وفي بعضها محذوفة كما أنزلت أيضاً.

وقد تنبه العلماء على ظاهرة اختلاف مرسوم مصاحف الأمصار، واغناها بحثاً وتعليلاً، وكشفوا عن السبب الدافع إلى هذا الاختلاف، حتى كثرت المؤلفات في هذا الاختلاف^(٢١).

ولعل فيما أورده أبو عمرو والداني خير دليل على ذلك، إذ يقول: «فإن سأل سائل عن السبب الموجب لاختلاف مرسوم هذه الحروف الزائدة في المصاحف؟ قلت: السبب في ذلك عندنا: أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان لما جمع القرآن في المصاحف ونسخها على صورة واحدة، واثري في رسمها

(٢١) منها (كتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق) لعبد الله بن عامر البحصي (ت ١١٨ هـ) و(كتاب اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة) لعلي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩ هـ)، و(كتاب اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف) ليحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ) و(كتاب اختلاف المصاحف) لخلف بن هشام البزار (ت ٢٢٩ هـ) وغيرها (الفهرست للنديم: ٣٨).



العراقية-الذي هو برواية حفص بن سليمان بن المغيرة الاسدي عن عاصم بن أبي النجود الكوفي (رحمهما الله).

- أثبتُ اختلاف مصاحف الأمصار الإسلامية، كما هو وارد في الكتب المعنية بمرسوم المصاحف.

- استشهدتُ بأبيات القصيدة الرائية للإمام القاسم بن فيره بن خلف الشاطبي (ت ٥٩٠هـ) التي نظم فيها كتاب «المقنع» لأبي عمرو الداني وسماها (عقيلة أتراب القصائد في اسنى المقاصد) زيادةً في التوثيق، ولم أتطرق إلى شرح مفردات القصيدة.

- خرجتُ قراءة هذه الحروف من كتب القراءات القرآنية المعتمدة، وأحلتُ على جملة مختارة منها في كل قراءة.

- اعتمدتُ في تحليل القراءات على الكتب المختصة بعلل القراءات والأحتجاج لها، وأجملت اقوال أصحابها في الغالب، ومنها أثبتته حرفياً، وذكرت مصادره.

- لم أترجم للأعلام المذكورين في البحث لأنهم من الشهرة والذيع بما لا يحتاجون معه إلى ترجمة أو تعريف.

لغة قريش دون غيرها مما لا يصح ولا يثبت نظراً للامة وأحتياطاً على أهل الملة، وثبت عنده أن هذه الحروف من عند الله ﷻ كذلك منزلة، ومن رسول الله ﷺ مسموعة، وعلم أن جمعها في مصحف واحد على تلك الحال غير متمكن إلا بأعادة الكلمة مرتين، وفي رسم ذلك من التخليط والتغيير للمرسوم ما لا خفاء به، ففرقها في المصاحف لذلك، فجاءت مثبتة في بعضها، ومحدوفة في بعضها؛ لكي تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله ﷻ، وعلى ما سمعت من رسول الله ﷺ، فهذا سبب اختلاف مرسومها في مصاحف أهل الأمصار» (٢٢).

منهجي في البحث

- اقتصرت في هذا البحث على اختلاف مرسوم مصاحف الأمصار بالزيادة والنقصان، دون غيره من الاختلافات التي ذكرت.

- أعتمدتُ في رسم الآيات القرآنية على المصحف الشريف الذي تشرفت بطبعه وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

بغير الف بين الواوين، وكذلك هي في مصاحفهم^(٢٦).

علة من قرأ (وأوصى) بالألف؛ فلأنه يكون للقلّة والكثرة، و(وصى) لا يكون إلا للكثرة، ويقويه قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ سورة النساء الآية ١١ وقوله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّهِ تَوْصُونَ بِهَا أَوْ دِينٍ﴾ سورة النساء الآية ١٢.

وعلة من قرأ (ووصى) بالتشديد، فلأن (وصى) أبلغ من (أوصى)؛ لأن (أوصى) يجوز أن يكون مرة، و(وصى) لا يكون إلا مرات كثيرة، ويقويه قوله تعالى: ﴿إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾ سورة الأنعام الآية ١٤٤، وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ سورة يس الآية ٥٠. (٢٧)

قال مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ):
فالقراءتان متوافقتان، غير أن التشديد فيه معنى تكرير الفعل، فكان أبلغ في المعنى، وهو الاختيار، لإجماع أكثر القراء عليه،

(٢٦) السبعة: ١٧١، والتيسير: ٧٧، والكافي: ٢١١، والأفتاح: ٦٠٤/٢، والنشر: ٢٢٢/٢.
(٢٧) ينظر: الحجة لابن خالويه: ٨٩، ومعاني القراءات: ٦٤، والحجة لأبي علي: ١٧٦/١، والموضح: ٢٨٧، وحجة القراءات: ١١٥، ومجمع البيان: ٢١٣/١.

علل القراءات القرآنية

الألف

١. (وأوصى) في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ﴾ سورة البقرة / الآية ١٣٢.
رُسمت في مصاحف أهل المدينة وأهل الشام (وأوصى بها إبراهيم) بألف بين الواوين، وفي سائر المصاحف (ووصى) بغير ألف^(٢٣).

قال الشاطبي^(٢٤): أوصى الإمام الشامي والمدني شام وقالوا بحذف الواو قبل يرى.
قال أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٣هـ):
(هي في مصاحف المصرين الكوفة والبصرة (ووصى) بغير ألف، وهي في مصاحف الحجاز والشام (وأوصى) بالألف؛ ولولا كراهة خلاف الناس لأخترتها)^(٢٥).

قرأ نافع وابوجعفر وابن عامر (وأوصى بها) بالألف، وكذلك هي في مصاحفهم، وقرأ الباقر (ووصى) مشددة الصاد

(٢٣) هجاء مصاحف الأمصار: ١١٨، والمقنع: ١٠٢، والجامع: ٨٩.
(٢٤) أتحاف البررة- عقيلة أتراب القصائد: ٣٢٠
(٢٥) المقنع: ١٠٢، وجميلة أرباب المراسد، الورقة ٦٨.



ولزيادة الفائدة التي فيه^(٢٨).

٢. (قال) في قوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ سورة الاسراء الآية ٩٣ رُسمت في مصاحف أهل مكة وأهل الشام ﴿قَالَ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ بالألف، وفي سائر المصاحف ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ بغير ألف^(٢٩).
قال الشاطبي^(٣٠):

سُبْحَانَ فَاحْفَ وخلف بعد قال

هنا وقال مكٍ وشام قبله خبراً
قرأ ابن كثير وابن عامر: ﴿قَالَ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ بفتح القاف واللام والـف بينهما، وعليه مصاحف أهل مكة والشام، وقرأ الباكون: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ بضم القاف وسكون اللام وحذف الألف، وكذلك هي في مصاحفهم^(٣١).

علة من قرأ (قال) بالألف بصيغة الماضي، فإنه جعله إخباراً عن الرسول الكريم^٨

(٢٨) الكشف: ٢٦٥/١.

(٢٩) هجاء مصاحف الأمصار: ١١٩، والمقنع: ١٠٤، والجامع: ١٠٤.

(٣٠) أتحاف البررة-عقيلة أتراب القصائد: ٣٢٣.

(٣١) المبسوط: ٢٣١، والتبصرة: ٢٤٦، والعنوان: ١٢١، والكافي: ٣٠٩، وأتحاف فضلاء

البشر: ٢٨٦.

عندما أقترح عليه المشركون تلك الاشياء التي ليست في مقدور البشر وطاقته القيام بها، فقال لهم: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الآية ٩٣].

وعله من قرأ (قل) بغير ألف، بصيغة الأمر، فقد جعله أمراً من الله تعالى لنبيه^٨، بأن يقول ذلك، كأنه قال: قل يا محمد، وهو كقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [سورة الكهف / الآية ١١٠]^(٣٢).

٣. (قال) في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ [سورة الأنبياء الآية ٤]، رُسمت في مصاحف أهل الكوفة ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ بالألف، وفي سائر المصاحف (قَالَ رَبِّي) بغير ألف^(٣٣).
قال الشاطبي^(٣٤):

وقال الأول كوفي وفي أولم

لا واوفي مصحف المكي مستطرا

قرأ حمزة والكسائي وخلف وعاصم في رواية حفص: (قال ربي) بفتح القاف واللام

(٣٢) ينظر: معاني القراءات: ٢٦٢، والحجة لإبن خالويه: ٢٢١، والموضح: ٥١٨، مجمع

البيان: ٤٣٩/٦، والبحر المحيط: ٨٠/٦.

(٣٣) هجاء مصاحف الأمصار: ١١٩، والمقنع: ١٠، وشرح تلخيص الفوائد: ٣٤.

(٣٤) أتحاف البررة-عقيلة أتراب القصائد: ٣٢٣.

والف بينهما، وكذلك هي في مصاحف أهل الكوفة، وقرأ الباقون: (قُل ربي) بضم اللام وحذف الألف إتباعاً لمصاحفهم^(٣٥).

علة من قرأ (قال) بالألف بصيغة الماضي، فإنه جعله إخباراً عن الله تعالى للنبي^٨ عن قول المشركين: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ سورة الأنبياء الآية ٣، فقال الرسول الكريم ﷺ: ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، وعله من قرأ (قل) بغير ألف بصيغة الأمر، فإنه جعله من أمر الله ﷻ لنبيه محمد^٨ أن يقول لهم: ربي يعلم القول في السماء والأرض أي: إن الله يعلم قولكم في السر والعلن، وهو السميع لجميع ذلك، والعليم بخلقه^(٣٦).

٤. (الله) في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ سورة المؤمنون الآية ٨٧، و﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّا تُسْحَرُونَ﴾ سورة المؤمنون الآية ٨٩.

رُسمت في مصاحف أهل البصرة:

(٣٥) التيسير: ١٥٦، والكافي: ٣٢٨، والإقناع: ٧٠٣/٢، والنشر: ٣٢٣/٢، وتحاف فضلاء البشر: ٣٠٩.

(٣٦) ينظر: معاني القراءات: ٣٠٥ والكشف: ١١٠/٢، وحجة القراءات: ٤٦٥ وجمع البيان: ٣٨/٧، والبحر المحيط: ٢٩٧/٦.

(سَيَقُولُونَ الله... سَيَقُولُونَ الله) بالألف في الآسمين الآخرين، ولم يختلفوا في الأسم الأول ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الآية ٨٥)، ورُسمت في سائر المصاحف: (سَيَقُولُونَ الله، سَيَقُولُونَ الله) بغير ألف فيها^(٣٧).

قال الشاطبي^(٣٨):

الله في الآخرين في الإمام وفي

البصري قل الف يزيدا الكبرا

قال ابو عبد الله محمد بن عيسى التيمي الأصبهاني (ت ٢٥٣هـ): (أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل الشام على (سَيَقُولُونَ الله، الله، الله) ثلاث بغير ألف، وإنما أهل البصرة فالأول بغير ألف، والأثنان (الله، الله) بالألف^(٣٩).

قرأ أبو عمرو ويعقوب: (سَيَقُولُونَ الله، سَيَقُولُونَ الله) بالألف فيها، وكذلك رسماً في المصاحف البصرية، وقرأ الباقون (سَيَقُولُونَ الله، سَيَقُولُونَ الله) بغير ألف فيها، وكذلك رسماً في مصاحف الحجاز

(٣٧) هجاء مصاحف الأمصار: ١٠٣ والمقنع: ١٠٤-١٠٥، وجميلة أرباب المراسد: الورقة ٩٧ب.

(٣٨) أتحاف البررة-عقيلة أتراب القصائد: ٣٢٣.

(٣٩) جميلة أرباب المراسد: الورقة ٩٧ب.



والشام والكوفة^(٤٠).
في الأرض ﴿سورة المؤمنون الآية ١١٢.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ لَبِثُكُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾
سورة المؤمنون الآية (١١٤).

رسمت في مصاحف أهل الكوفة (قل
كم لبثكم) و(قل إن لبثكم) بغير ألف فيها،
وفي سائر المصاحف (قال كم...) و(قال
إن...) بالألف فيها^(٤٣).
قال الشاطبي^(٤٤):

وسامراً وعظماً والعظام لنا

فع قل كم وقل إن كوف ابتدرا
قرأ حمزة والكسائي وابن كثير^(٤٥): (قل
كم) و(قال إن) بضم القاف وسكون اللام
وحذف الألف، وقرأ الباقون: (قال كم)
و(قال إن) بفتح القاف واللام والألف
بينهما^(٤٦).

(٤٣) المقنع: ١٠٥، وجميلة ارباب المراسد:
الورقة ٩٧، وشرح تلخيص الفوائد: ٣٥،
والرسم المصحفي لهذين الحرفين (قال كم،
وقال إن) بالألف فيها.
(٤٤) تحاف البرة-عقيلة أتراب القصائد:
٣٢٣.

(٤٥) قال أبو عبيد: «وينبغي أن يكون قوله تعالى:
(قل كم لبثكم) بغير ألف في مصاحف أهل
مكة، لأن قراءتهم كذلك» المصاحف: ٤٠.
(٤٦) التيسير: ١٦٠، والكافي: ٣٣٦، والأقناع:
٧٠٩/٢، والنشر: ٣٣٠/٢، وتحاف
فضلاء البشر: ٣٢١.

علة من قرأ (الله) بالألف فيهما، فإنه جاء
به على الأصل في جواب السؤال الذي قبلها:
﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ﴾ (الآية
٨٦) كان الجواب: (الله) فهو جواب على ما
يوجه اللفظ، وعلة من قرأ (لله) بغير الف
فيهما، فلأنه حمل الجواب على معنى الكلام
دون ظاهر لفظه؛ لأن: من رب السموات؟
و: لمن السموات؟ في معنى واحد.^(٤١)

قال الأزهري: (وهذا الذي اختاره
أبو عمرو في العربية أبين: لأنه مردود مرفوع
فجرى جوابه على مبتدا به، وأما من قرأ
الثانية والثالثة باللام، فعلته أن الجواب
خرج على المعنى لا على اللفظ، ألا ترى
أنك لو قلت لرجل: من مولاك؟ فقال: أنا
لفلان، كفاك من أن يقول: مولاي فلان،
فلما كان المعنيان واحداً جرى ذلك في
كلامهم...) (٤٢).

٥. (قال) في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثُكُمْ

(٤٠) السبعة: ٤٤٧، والمبسوط: ٢٦٢، والتبصرة:
٢٧٠، والعنوان: ١٣٧، والنشر: ٣٢٩/٢.
(٤١) ينظر الكشف: ١٣٠/٢، الموضح: ٥٦٩،
وحجة القراءات: ٤٩٠، ومجمع البيان:
١١٤/٧، وتحاف فضلاء البشر: ٣٢٠.
(٤٢) معاني القراءات: ٣٢٦-٣٢٧.



وخلف: (أوأن يظهر...) بإسكان الواو وألف قبل الواو، وكذلك هي في مصاحفهم، وقرأ الباقون: (وأن يظهر...) بفتح الواو من غير ألف قبلها، متابعة لمصاحفهم^(٥٠).

علة من قرأ: (أوأن يظهر...) بإسكان الواو وألف قبلها، فإنه جعلها (أو) التي تفيد وقوع أحد الشيئين، فعلى هذا يكون المعنى: إن فرعون قال: إني أخاف أن يُبدل دينكم أو يفسد، قال الزجاج: (فجعل طاعة الله هي الفساد، فيكون المعنى: إني أخاف أن يبطل دينكم البتة، فإن لم يبطله أوقع فيه الفساد)^(٥١).

وعلة من قرأ: (وأن) بفتح الواو من غير الف قبلها، فإنه جعلها واو عطف، فيكون المعنى: أخاف إبطال دينكم والفساد معه، أي أنه خاف الأمرين معاً ولم يخف أحدهما^(٥٢).

علة من قرأ: (قل كم) و(قل إن) بغير الف فيهما بصيغة الأمر، فإنه جعله أمراً من الله تعالى إلى أهل النار قيل لهم: قولوا كم لبثتم في الأرض عدد السنين، فأخرج الكلام على وجه الأمر به للواحد والمراد الجماعة، وعلة من قرأ: (قال كم) و(قال إن) بالألف بصيغة الماضي، فإنه جعله إخباراً عن الله تعالى لمن أحب من عباده أو ملائكته للمبعوثين يوم القيامة سائلاً لهم عن لبثهم بعد وفاتهم^(٤٧).

٧. (أوأن) في قوله تعالى: ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ﴾ سورة المؤمن الآية ٢٦. رُسمت في مصاحف أهل الكوفة (أوأن يظهر...) بألف قبل الواو، وفي سائر المصاحف (وأن يظهر...) بغير ألف^(٤٨). قال الشاطبي^(٤٩):

أشد منكم له أوأن لكوفية

والحذف في كلمات نافع نشرأ

قرأ عاصم وحمة والكسائي ويعقوب

(٥٠) المسوط: ٣٢٧، التيسرة: ٣١٦، والعنوان: ١٦٧، والكافي: ٣٧٤، والبدور الزاهرة: ٥١٣.

(٥١) معاني القرآن وأعرابه: ٣٧١/٤.

(٥٢) ينظر أعراب القرآن: ٩/٣، والكشف:

٢/٢٤٣، والموضح: ٦٣٩، وحجة

القراءات: ٦٢٩، وإملاء مامن به الرحمن:

٢/٢١٨.

(٤٧) حجة القراءات: ٤٩٣، وينظر الكشف:

٢/١٣٢، الموضح: ٥٧١، والكشاف:

١/٤٤، ومجمع البيان: ٧/١٣٠.

(٤٨) المصاحف: ٤٦، وهجاء مصاحف الأمصار:

١٢٠، والمقنع: ١٠٦.

(٤٩) تحاف البررة-عقيلة أتراب القصائد:

٣٢٤.

٨. (إحساناً) في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ سورة الاحقاف الآية ١٥.

رسمت في مصاحف أهل الكوفة (إحساناً) بزيادة ألف قبل الحاء وبعد السين، وفي سائر المصاحف (حسناً) بغير ألف^(٥٣). قال الشاطبي^(٥٤):

إحساناً اعتمد الكوفي، ونافعهم

بقدر حذفه إشارة حصراً
قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف:
(إحساناً) بالألف، وكذلك هي في مصاحفهم، وقرأ الباقر: (حسناً) بحذف الألف وضم الحاء، وإسكان السين وحذف الألف بعدها، إتباعاً لمصاحفهم^(٥٥).

علة من قرأ: (إحساناً) بالألف، فإنه جعله مصدراً من أحسن يُحسن إحساناً والتقدير: ووصينا الإنسان بوالديه أن يُحسن إليهما إحساناً، ويقويه إجماعهم على قراءة قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

(٥٣) المصاحف: ٤٠، ٤٨، والمقنع: ١٠٧، والجامع: ١٢٨.

(٥٤) تحاف البررة-عقيلة اتراب القصائد: ٣٢٥.
(٥٥) السبعة: ٥٩٦، والبديع: ٥٩٤، والكتاب الوجيز: ٥٠٥، وتحبير التيسير ١٠٨، والنشر: ٣٧٣/٢.

سورة ابراهيم الآية ٤٤، وعلة من قرأ: (حُسناً) بالحذف والضم، فقد جعله صفة لمفعول محذوف، وتقديره: ووصينا الإنسان بوالديه أمراً ذا حُسْن، فحذف الموصوف الذي هو (أمراً) وأقيمت الصفة مقامه التي هي (ذا)، ثم حذف (ذا) وأقيم المضاف إليه مقامه، هو (حُسْن)^(٥٦).

الباء

٩. (وبالزبر وبالكتاب) في قوله تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ سورة آل عمران الآية ١٨٤.

رُسمت في مصاحف أهل الشام (وبالزبر وبالكتاب) بزيادة باء في الموضعين^(٥٧). وفي بعض المصاحف الشامية رُسمت (وبالزبر والكتاب) بحذف الباء من (والكتاب)، وفي سائر المصاحف (وبالزبر والكتاب) بغير باء في الحرفين^(٥٨).

(٥٦) البيان في غريب اعراب القرآن: ٣٧٠/٢، وينظر: الكشف: ٢٧١/٢، والموضح: ٦٥٥ وحجة القراءات: ٦٦٣، وإملاء ما من به الرحمن: ٢٣٤/٢.

(٥٧) أنكر أهل الشام أن تكون الزيادة في الحرفين، وقالوا: هو غلط لا شك (المبسوط: ١٥٠) وما قالوه صحيح، يقويه قرآن ابن عامر لحرف واحد.

(٥٨) المصاحف: ٣٩، وهجاء مصاحف الأمصار: ١١٨، والمقنع: ١٠٢.



وقد اختلف في مرسوم مصاحف أهل الشام وقراءتهم لهذين الحرفين، فقد روى أبو عمرو الداني عن هارون بن موسى الأخفش (ت ٢٩٢هـ) أنه قال: (إن الباء قد زيدت في الإمام الذي وجه به إلى الشام في **(وبالزبر)** وحدها) (٥٩).

وقال مكي بن أبي طالب القيسي: (وقرأ هشام [بن عمار عن ابن عامر الدمشقي] **(وبالكتاب)** زيادة باء أعاد الحرف للتأكيد، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام) (٦٠). وقد اشار إلى هذا الخلاف الشاطبي فقال (٦١):

وسارعوا الواو مكي عراقية

وبا وبالزبر الشامي فشا خبرا
وبالكتاب وقد جاء الخلاف به

ورسم شام قليلاً منهم كثيراً
قرأ ابن عامر وحده: **(بالبينات وبالزبر والكتاب)** بزيادة باء في **(الزبر)** وحدها، وقرأ الباقر: **(بالبينات وبالزبر والكتاب)** بغير باء في الحرفين، وكذلك هما في

(٥٩) المقنع: ١٠٢، والإيضاح، الورقة ٢٤ب.

(٦٠) الكشف: ٣٧٠/١.

(٦١) إتحاف البررة: - عقيلة أتراب القصائد: ٣٢١.

مصاحفهم (٦٢).

علة من قرأ **(بالبينات وبالزبر وبالكتاب)** بزيادة حرف الجر في الحرفين، فإنه أعاد حرف الجر للتأكيد، وعلة من قرأ **(بالبينات والزبر وبالكتاب)** بغير باء في الحرفين، فلان حرف العطف **(الواو)** أغنى عن إعادة حرف الجر (٦٣).

قال الأزهري: (إذا أظهرت اسماً ثم عطفت عليه اسماً فإن شئت عطفته بالباء، وإن شئت نويت حذفها، وأما المضمرة فلا يعطف عليه إلا بإظهار الخافض) (٦٤).

وقد اشار ابن زنجلة المقرئ: إلى اختلاف النحاة في إثبات الباء وطرحها، فقال: (قال قوم: **(مررت بزيد وعمرو)** و**(مررت بزيد وبعمرو)** سواء، وكذلك: **(جاءوا بالبينات وبالزبر)** و**(وبالزبر)**، وقال الخليل: **(مررت بزيد وعمرو)** مروراً واحداً، كأنك مررت بهما في حال واحد، فكذلك: **(جاءت الرسل بالبينات وبالزبر)**

(٦٢) التبصرة: ١٧٦، والتيسير: ٩٢، والكافي: ٢٣٥، والنشر: ٢٤٥/٢، وإتحاف فضلاء البشر: ١٨٣.

(٦٣) نيل: الحجة لأبي علي: ٤٠٧/٢، والكشف: ٣٧٠/١، والموضح: ٣٥٢، وزاد المسير: ٥١٦/١، والبحر المحيط: ١٣٥/٣.

(٦٤) معاني القراءات: ١١٦.

في حال وفي وقت واحد، و(مررت بزيد وبعمر) مرورين، هذا لا يكون في وقت واحد، فكذا قول: (بالبينات) ثم جاءوا واراد بالبينات: المعجزات، ثم جاءوا بعد ذلك بالزبر: أي الكتب^(٦٥).

التاء

٥. (أنجينا) في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ﴾ سورة الانعام الآية ٦٣.

رُسمت في مصاحف أهل الكوفة (لَئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ) من غير تاء وفي سائر المصاحف (لَئِنْ أَنْجَيْنَا) بالتاء^(٦٦).

قال الشاطبي^(٦٧):

وفالقي الحب عن خلف وجاعل

الكوفي انجيتنا في تائه اختصرا

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف: (لئن أنجينا) بالالف بعد الجيم من غير ياء ولا تاء، وكذلك هي في مصاحفهم، وقرأ الباكون: (لئن أنجيتنا) بالياء والتاء من غير الف، وكذلك هي في مصاحفهم^(٦٨).

وعلة من قرأ: (أنجينا) بالالف من غير تاء، فإنه حملة على لفظ الغيبة؛ لأن ما قبله لفظ غيبة، وهو قوله تعالى: ﴿تَدْعُونَهُ تَضْرَعًا وَخُفْيَةً﴾ (الآية ٦٣)، وما بعده لفظ غيبة أيضاً وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا﴾ (الآية ٦٤)، وعلة من قرأ (أنجينا) بالياء والتاء من غير الف، فعلى الخطاب لله تعالى، أي: لئن أنجيتنا يا ربنا، ويقويه إجماعهم على قراءة حرف يونس (الآية ٢٢): (لئن أنجيتنا من هذه)^(٦٩)

الدال

٦. (يرتدد) في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ سورة المائدة الآية ٥٤.

رُسمت في مصاحف أهل المدينة وأهل الشام (من يرتدد منكم) بدالين، وفي سائر المصاحف (يرتد) بدال واحد^(٧٠).

قال الشاطبي^(٧١):

مع الإمام وشام يرتدد مدني

وقبله ويقول بالعراق يرى

(٦٩) ينظر: معاني القراءات: ١٥٦، والكشف: ٤٣٥/١، والموضح: ٣٩٤، وحجة القراءات: ٢٥٥، ومجمع البيان: ٣١٣/٤. (٧٠) المصاحف: ٣٩، ٤١، وهجاء مصاحف الأمصار: ١١٨، والمقنع: ١٠٣. (٧١) إتحاف البررة-عقيلة أتراب القصائد: ٣٢١.

(٦٥) حجة القراءات: ١٨٥. (٦٦) هجاء مصاحف الأمصار: ١١٨، والمقنع: ١٠٣، ودليل الحيران: ١٣١. (٦٧) إتحاف البررة-عقيلة أتراب القصائد: ٣٢١. (٦٨) المبسوط: ١٦٩، والكتاب الوجيز: ٢٥٩، والكافي: ٢٥٥، والأقناع: ٦٤٠/٢، والنشر: ٢٥٩/٢.

وهي لهجة تميم^(٧٤).

الفاء

٧. (بما كسبت) في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [سورة الشورى الآية ٣٠]

رُسمت في مصاحف أهل المدينة وأهل الشام (... بما كسبت أيديكم) بغير فاء، وفي مصاحف أهل مكة والعراق (... فبما كسبت) بالفاء^(٧٥)
قال الشاطبي^(٧٦):

عنه أساورة والريح والمديني

عنه بما كسبت وبالشام جرى

قرأ نافع وابو جعفر وابن عامر: (... بما كسبت) بغير فاء وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة وأهل الشام، وقرأ الباقون: (... فبما كسبت) بإثبات الفاء، متبعة لمصاحفهم^(٧٧).

(٧٤) الكشف: ١/٤١٢، وينظر: معاني القراءات: ٤١٣، والموضح: ٣٧٨، وحجة القراءات: ٢٣٠، والبحر المحيط: ٣/٥١١.

(٧٥) المصاحف: ٤٦ - ٤٧، والمقنع: ١٠٦، والجامع: ١٢٥.

(٧٦) إتحاف البررة - عقيلة اتراب القصائد - ٣٢٥.
(٧٧) السبعة: ٥٨١، والبديع: ٥٨٨ وسراج القاري: ٣٦٥، والبذور الزاهرة: ٥٢٦، والنشر: ٢/٣٦٧.

قال أبو عبيد: (قرأها أهل المدينة نافع وغيره (يرتدد) بدالين، وكذلك هي في مصاحفهم، ووافقهم عليه أهل الشام، ثم رأيت بعد في الذي يقال إنه (الإمام) مصحف عثمان بن عفان كذلك بدالين)^(٧٢).

قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر: (من يرتدد منكم) بدالين الأولى مكسورة، والثانية مجزومة، وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة وأهل الشام، وقرأ الباقون: (من يرتد) بدال واحدة مفتوحة مشددة، وكذلك هي في مصاحفهم^(٧٣).

وعلة من قرأ: (يرتدد) بدالين إنه جاء به على الأصل وهوان يدغم الحرف الأول الساكن في الثاني، ولما كانت الدال الثانية ساكنة، ولا يتم إدغام الأولى فيها حتى تحذف حركتها، كره الإدغام فيها لالتقاء الساكنين، فكان الإظهار أولى به، وهي لهجة أهل الحجاز، وعلة من قرأ بالإدغام (يرتد) لأجل التخفيف، فقد اجتمع له مثلاً، فاسكن الأول للإدغام، فاجتمع له ساكنان، فحرك الثاني ثم أدغم الأول فيه،

(٧٢) جملة أرباب المراسد، الورقة ٧٤ب، ونقله الداني بإختصار في: المقنع: ١٠٣.

(٧٣) السبعة: ٢٤٥، والتيسير: ٩٩، والعنوان: ٨٨، والنشر: ٢٥٥، وغيث النفع: ٢٠٤.



رسمت في مصاحف أهل الشام (ولدار
الأخرة) بلام واحدة، وفي سائر المصاحف
(وللدار الآخر) بلامين^(٨٠).

قال الشاطبي^(٨١):

لدار شام وقل أولادهم شركا

ثم بيا به مرسومه نصرا

قرأ ابن عامر وحده: (ولدار الأخرة)
مضافاً بلام واحدة، وكذلك هي في
مصاحفهم.

وقرأ الباكون (وللدار الآخر) بلامين
مع تشديد الدال، وكذلك هي في
مصاحفهم^(٨٢).

علة من قرأ: (ولدار الأخرة) بلام
واحدة وجر (الأخرة) فلأنه أضاف
(الدار) إلى (الأخرة) ولم يجعل (الأخرة)
صفة (لدار) فإن الشيء لا يضاف إلى
نفسه، والتقدير: ودار الساعة الأخرة
خيرٌ للذين يتقون، فاقامت الصفة مقام

(٨٠) المصاحف: ٤٤، ٤٥، وهجاء مصاحف
الامصار: ١١٨، والمقنع: ١٠٣.
(٨١) إتحاف البررة- عقيلة أتراب القصائد-:
٣٢٢.

(٨٢) السبعة: ٢٥٦، والمبسوط: ١٦٧، والتبصرة:
١٩٢، وسراج القاري: ٢٥٠، والنشر:
٢٥٧/٢.

علة من قرأ (بها كسبت) بغير فاء، فإنه
جعل (ما) في قوله تعالى (وما أصابكم...) موصولة بمعنى (الذي) وهي مبتدأ،
وقوله: (بها كسبت) خبر المبتدأ، فلا يحتاج
إلى (فاء). أو أنه جعل (ما) شرطية، ولم
تعمل في الفعل، فحذفت نحو قوله تعالى:
﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ﴾ [سورة الأنعام
الآية ١٢١].

وعلة من قرأ: (فبها كسبت) بالفاء، فإنه
جعل (ما) في قوله تعالى: (وما أصابكم...) شرطية، وجعل (الفاء) جواب الشرط،
والمعنى: ما تُصَبِّحُكم من مصيبة فبها كسبت
أيديكم^(٧٨).

وقال مكّي: (ويجوز في هذه القراءة أن
تكون (ما) معنى (الذي) وتدخل (الفاء)
في خبرها، لما فيها من الإبهام الذي يشبه
الشرط)^(٧٩).

اللام

٨. (ولدار) في قوله تعالى ﴿وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ
خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ﴾ [سورة الأنعام
الآية ٢٣].

(٧٨) ينظر: الموضح: ٦٤٣، وحجة القراءات:
٣٤٢، والبيان في غريب أعراب القرآن:
٢٨٣٤٩، ومغني اللبيب: ١٥٦/١.
(٧٩) الكشف: ٢٥١/٢.



قرأ نافع وأبوجعفر وابن كثير وابن عام: (خيراً منها) بزيادة الميم بعد الهاء على التشية، وكذلك هي في مصاحفهم، وقرأ الباقون: (خيراً منها) بغير ميم على الأفراد متابعة لمصاحفهم^(٨٦).

علة من قرأ (خيراً منها) بالميم على التشية، فلأنه رد الضمير على الجنتين في قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا لَأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ [الآية ٣٢]، علة من قرأ (خيراً منها) بغير ميم على الأفراد، فلأنه رد الضمير على الجنة المفردة وهو الأقرب إليه في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ [الآية ٣٥]^(٨٧).

قال مكي: (فكان رده على الأقرب منه أولى من رده على الأبعد منه، وايضاً: فإن الجنة تحتوي على جنتين وأكثر... والأختيار: التشية؛ لأن هلاك الجنتين بظلمه لنفسه، أبلغ من هلاك جنة واحدة في ظاهر النص)^(٨٨).

(٨٦) التبصرة: ٢٤٨، والتيسير: ١٤٣، والكافي: ٣١٣، والنشر: ٣١٠/٢، والبدور الزاهرة: ٣٤٠.
(٨٧) ينظر: معاني القراءات: ٢٦٧، والموضح: ٥٢٢، وحجة القراءات: ٤١٦، ومجمع البيان: ٤٦٧/٦، والبحر المحيط: ١٢٦/٢.
(٨٨) الكشف: ٦١/٢.

الموصوف كما قال الله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [سورة الضحى الآية ٤] والتقدير: ولدار الآخرة خير لك من الدار الأولى، وعلة من قرأ: (وللدار الآخرة) بلامين، فإنه جعل (الآخرة) صفة (للدار) يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة القصص الآية ٨٣].

الميم

٩. (خيراً منها) في قوله تعالى: ﴿وَلِئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [سورة الكهف الآية ٣٦]^(٨٣).

رُسمت في مصاحف أهل المدينة ومكة والشام (خيراً منها) بزيادة ميم بعد الهاء على التشية، وفي سائر مصاحف أهل العراق (خيراً منها) بغير الميم على التوحيد^(٨٤).

قال الشاطبي^(٨٥):

كل بلا ياء أتوني ومكنني

مك ومنها عراق بعد خيراً أرى

(٨٣) ينظر معاني القراءات: ١٥٢، والكشف: ٤٢٩/١، والموضح: ٣٨٨، وحجة القراءات: ٢٤٦، والبحر المحيط: ١٠٩/٤.
(٨٤) المصاحف: ٣٩، وهجاء مصاحف الأمصار: ١١٩، والمقنع: ١٠٤.
(٨٥) إتحاف البررة-عقيلة أتراب القصائد-: ٣٢٣.

النون

١٠. (ما مكني) في قوله تعالى: ﴿مَا مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي﴾ [سورة الكهف الآية ٩٥].

رُسمت في مصاحف أهل مكة (ما مكني فيه) بنونين، وفي سائر المصاحف (ما مكني) بنون واحدة^(٨٩).

قال الشاطبي^(٩٠):

كل بلا ياء أتوني ومكني

مك ومنها عراقٍ بعد خيراً أرى

قرأ ابن كثير وحده (ما مكني فيه) بنونين خفيفتين الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة، وقرأ الباكون (ما مكني) بنون واحدة، مشددة ومكسورة^(٩١).

علة من قرأ (مكني) بنونين... فلأنه جاء به على الأصل؛ لأن النون الأولى لا الفعل، والثانية نون الوقاية، لتسلم فتحة النون الأولى.

وعلة من قرأ (مكني) بنون واحدة

(٨٩) المقنع: ١٠٤، والجامع: ١٠٥، وجميلة أرباب المراد: الورقة ٩٣ ب.

(٩٠) إتحاف البررة- عقيلة أتراب القصائد: ٣٢٣.

(٩١) السبعة: ٤٠٠، والمبسوط: ٢٣٩، والكتاب الوجيز: ٣٦٢، والكنز: ١٩١، وإتحاف فضلاء البشر: ٢٩٥.

مشددة، فإنه أدغم النون في النون على التخفيف والإيجاز، لأجتماع مثلين متحركين في كلمة واحدة^(٩٢).

(و(ما) بمعنى الذي، وصَلَّتْهُ (مكني) و(خير) خبر الابتداء، والمعنى: الذي مكني فيه ربي خيرٌ لي مما يجمعون لي من الخراج)^(٩٣).

١١. و(ننزل) في قوله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ [سورة الفرقان الآية ٢٥].

رُسمت في مصاحف أهل مكة (وننزل الملائكة) بنونين، وفي سائر المصاحف (ونزل) بنون واحدة^(٩٤).

قال الشاطبي: ^(٩٥)

وننزل النون مكّي وحاذف فا

رهين عن جلهم مع حاذرون سري

قرأ ابن كثير وحده (وننزل) بنونين، الأولى مضمومة، والثانية ساكنة مع تخفيف

(٩٢) ينظر: الحجة لابن خالويه: ٢٣٩، ومعاني القراءات: ٢٧٦، والكشف: ٧٨/٢، والموضح: ٥٣٢، ومجمع البيان: ٤٩١/٦.

(٩٣) حجة القراءات: ٤٣٤.

(٩٤) المقنع: ١٠٦، وجميلة أرباب المراد: ٩٨، وشرح تلخيص الفوائد: ٣٦.

(٩٥) إتحاف البررة- عقيلة أتراب القصائد: ٣٢٤.



رُسمت في مصاحف أهل مكة
(أولياًتينى) بنونين وفي سائر المصاحف
(أولياًتينى) بنون واحدة^(٩٩).

قال الشاطبي^(١٠٠):

والشام قل فتوكل والمدين ويا

تينى النون مكى به جهرا

قرأ ابن كثير وحده (أولياًتينى)
بنونين، الأولى مفتوحة مشددة، والثانية
مكسورة مخففة، وكذلك هي في مصاحف
أهل مكة، وقرأ الباقون (أولياًتينى) بنون
واحدة مكسورة مشددة، وكذلك هي في
مصاحفهم^(١٠١).

علة من قرأ: (أولياًتينى) بنونين، إنه
جاء به على الاصل، لأن النون الأولى
نون التوكيد مشددة، والثانية نون الوقاية،
وعلة من قرأ (أولياًتينى) بنون واحدة
مكسورة مشددة فلأنه استقل الجمع بين
ثلاث نونات متواليات، فحذف إحداهن

الزاي ورفع اللام ونصب الملائكة، وكذلك
هي في المصحف المكي، وقرأ الباقون:
(ونزل) بنون واحدة وتشديد الزاي،
وفتح اللام ورفع الملائكة، وكذلك هي في
مصاحفهم^(٩٦).

علة من قرأ (ونزل الملائكة) بنونين، فإنه
جعله مضارع (أنزل) واجراه على الإخبار
من الله تعالى عن نفسه، أي: نُزل نحن
الملائكة، وعلة من قرأ (ونزل الملائكة) بنون
واحدة، فإنه جعله فعل ماض مبنيًا للمفعول،
و(الملائكة) أسم مالم يسم فاعله^(٩٧).

قال الأزهرى: (والقراءة المختارة
(ونزل) بالتشديد؛ لأنه قيده بقوله تعالى:
(تنزيلاً) ومن أجاز (ونزل) قال: إلا نزال
والتنزيل واحد، وهو كقوله تعالى: ﴿وتبتل
إليه تبتيلاً﴾ [سورة المزملة الآية ٨]^(٩٨).

١٢. (ليأتينى) في قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْآتَيْنِي
بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [سورة النمل الآية
٢١].

(٩٩) هجاء المصاحف الأمصار: ١٢٠، والمقنع:
١٠٦، والجامع: ١١٥.
(١٠٠) إتحاف البررة- عقيلة أتراب القصائد-:
٣٢٤.
(١٠١) المبسوط: ٢٧٨، والكافي: ٣٤٦، والكنز:
٢١٠، وسراج القاري: ٣٤١، والنشر:
٣٣٧/٢.

(٩٦) التيسير: ١٦٤، والعنوان: ١٠٤، والإقناع:
٧١٤/٢، وتحرير التيسير: ١٥٣، والنشر:
٣٣٤/٢.
(٩٧) ينظر: الحجة لابن خالويه: ٢٦٥، والكشف:
١٤٥/٢، والموضح: ٥٧٩، وتفسير النسفي:
١٦٤/٣، والبحر المحيط: ٤٩٤/٦.
(٩٨) معاني القراءات: ٣٤١.

تخفيفاً، وهي النون الثالثة التي قبل ياء المتكلم^(١٠٢).

١٣. (تأمروني) في قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ﴾ [سورة الزمر الآية ٦٤].

رُسمت في مصاحف أهل الشام (تأمروني أعبد) بنونين، وفي سائر المصاحف (تأمروني أعبد) بنون واحدة^(١٠٣). قال الشاطبي^(١٠٤):

عن نافع كاذب عباده بخلاف

تأمروني بنون الشام قد نصرا
قرأ ابن عامر (تأمروني) بنونين
خفيفتين، الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة،
والياء ساكنة، وكذلك هي في المصحف
الشامي، وقرأ نافع وابوجعفر (تأمروني)
بنون واحدة خفيفة، مفتوحة الياء، وقرأ
الباقون (تأمروني) بنون واحدة مشددة،

(١٠٢) ينظر: الحجة لابن خالويه: ٢٧٠، ومعاني
القراءات: ٣٥٣، والكشف: ١٥٤/٢،
والموضح: ٥٨٧، وإتحاف فضلاء البشر:
٣٣٥.

(١٠٣) المصاحف: ٤٦، والمقنع: ١٠٦، والدرة
الصقلية، الورقة ٤٥ ب.

(١٠٤) إتحاف البررة - عقيلة أتراب القصائد:
٣٢٤.

ساكنة الياء متابعة لمصاحفهم^(١٠٥).

علة من قرأ (تأمروني) بنونين، أنه جاء
به على الأصل ولم يدغم، فالنون الأولى
علامة الرفع، والثانية مع ياء المتكلم في
موضع نصب مفعول به.

وعلة من قرأ (تأمروني) خفيفة النون
مفتوحة الياء، فإنه حذف إحدى النونين
تخفيفاً، وهي النون الثانية المصاحبة لياء
المتكلم، ولا يجوز حذف النون الأولى، التي
هي علامة الرفع؛ لأن حذفها لحن.

وعلة من قرأ (تأمروني) بنون واحدة
مشددة، فإنه أدغم النون الأولى في الثانية
وشدد^(١٠٦).

قال الأزهري: (من شدد النون فلأنهما
نونان، إحداهما: نون الجمع، والثانية نون
الإضافة، ومن خفف فإنه يحذف إحدى
النونين أستثقلاً للجمع بينهما، ومن جمع
بين النونين فعل حق الكلام)^(١٠٧).

(١٠٥) التيسير: ١٩٠ والعنوان: ١٦٦،
والإقناع: ٧٥١/٢، والكنز: ٢٢٩،
والنشر: ٣٦٣/٢.

(١٠٦) ينظر: الكشف: ٢٤٠/٢، والموضح: ٦٣٧،
وحجة القراءات: ٦٢٤، ومغني اللبيب:

٣٤٤/٢، وإتحاف فضلاء البشر: ٣٧٦.

(١٠٧) معاني القراءات: ٤٢٤.

الهاء

١٤. (وما عملت) في قوله تعالى: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة يس الآية ٣٥].

رسمت في مصاحف أهل الكوفة (وما عملت أيديهم) بغير هاء بعد التاء، وفي سائر المصاحف (وما عملته أيديهم) بالهاء (١٠٨).
قال الشاطبي (١٠٩):

كوف وما عملت والخلف في

فكهن الكل آثارهم عن نافع أثرا
قرأ حمزة والكسائي وخلف وعاصم في رواية أبي بكر شعبة (وما عملت أيديهم) بغير هاء ضمير، وكذلك هي في مصاحف أهل الكوفة، وقرأ الباقون (وما عملته) بالهاء، وكذلك هي في مصاحفهم (١١٠).

علة من قرأ (وما عملت) بغير هاء، فلأنه قدر الهاء موجودة ثم حذفها تخفيفاً لطول الأسم، أولأنه جعل (ما) نافية،

(١٠٨) المقنع: ١٠٦، والجامع: ١٢٠، وشرح تلخيص الفوائد: ٣٨، والرسم المصحفي لهذا الحرفي (وما عملته) بالهاء.
(١٠٩) إتحاف البررة-عقيلة اتراب القصائد:- ٣٢٤.

(١١٠) السبعة: ٥٤٠، والمبسوط: ٣١٢، والتبصرة: ٣٠٧، والكافي: ٣٦٥، والنشر: ٣٥٣/٢.

والهاء عائدة على (الثمر) فلا موضع لـ (ما) ويكون المعنى: ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم، وعلة من قرأ (وما عملته) بالهاء؛ فلأنه جاء بالكلام على أصله، لأن الهاء عائدة على (ما)، و(ما) في معنى الذي، وموضعها الخفض، فيكون المعنى: ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم (١١١).

قال الزجاج: (ويقرأ (عملت) بغير هاء، وموضع (ما) خفض، والمعنى: ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم، ويجوز أن تكون (ما) نفيًا على معنى: ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم هذا على اثبات الهاء.

وإذا حذفت الهاء فالأختيار: أن تكون (ما) في موضع خفض، ويكون (ما) في معنى الذي فيحسن حذف الهاء، ويكون هذا على قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ [سورة الواقعة الأيتان: ٦٣، ٦٤] (١١٢).

١٥. (تستهي) في قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾ [سورة الزخرف الآية ٧١].

(١١١) ينظر: اعراب القرآن: ٧٢٠/٢، ومعاني القراءات: ٤٠٠، والكشف: ٢١٦/٢، والموضح: ٦٢٥، والبيان في غريب أعراب القرآن: ٢٩٥/٢.
(١١٢) معاني القرآن وأعرابه: ٢٨٦/٤.



الهاء، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة والعراق^(١١٦).

علة من قرأ (تستهي) بإثبات الهاء بعد الياء، فلأنه جاء بالهاء على الأصل، لأنها تعود على (ما) الموصولة التي بمعنى (الذي) وهي مرفوعة بالابتداء، و(تستهي) صلة (ما) والهاء عائدة إلى (ما) وهي مفعول (تستهي).

وعلة من قرأ (تستهي) بحذف الهاء، فلأنه جاء بها على الاختصار، فحذفها تخفيفاً لطول الأسم، ويقويه قوله تعالى: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [سورة الفرقان الآية ٤١]، ولم يقل: بعثه الله^(١١٧).

الواو

١٦. (وقالوا) في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [سورة البقرة الآية ١١٦].

رُسمت في مصاحف أهل الشام (قالوا) وفي اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) بغير واو قبل (قالوا) وفي

(١١٦) المبسوط: ٣٣٦، والعنوان: ١٧٢، والإقناع: ٧٦١/٢، والكنز: ٢٣٥، والنشر: ٣٧٠/٢.

(١١٧) نظر: معاني القراءات ٤٤١، والكشف: ٢٦٢/٢، وحجة القراءات: ٦٥٤، والبحر المحيط: ٢٦/٨، وإتحاف فضلاء البشر: ٣٨٧.

رُسمت في مصاحف أهل المدينة وأهل الشام (وفيها ما تستهي الأنفس) بهائين وفي سائر المصاحف (ما تستهي) من غير هاء^(١١٣).

قال الشاطبي^(١١٤):

وعنها تستهي يا عبادي لا

وهم عباد بحذف الكل قد ذكرا

قال أبو عبيد: (قرأها أهل المدينة وأهل الشام (تستهي) بالهاء وكذلك هي في مصاحفهم، وقرأ أهل العراق (تستهي) بلا هاء، وكذلك هي في مصاحفهم، ولولا كراهة الخلاف لكانت تلك أحب إلى للزيادة التي فيها، ولأنني كذلك رأيته في الذي يقال إنه الإمام بالهاء)^(١١٥).

قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر، وعاصم في رواية حفص: (ما تستهي) بإثبات الهاء بعد الياء، وقرأ الباقر (ما تستهي) بحذف

(١١٣) هجاء مصاحف الأمصار: ١٢٠، والمقنع: ١٠٧، والجامع: ١٢٦، والرسم المصحفي لهذا الحرف (تستهي) بالهاء.

(١١٤) إتحاف البررة-عقيلة أتراب القصائد- ٣٢٥.

(١١٥) المقنع: ١٠٧، ١٠٩، وجميلة أرباب المراصد، الورقة ١٠٦.



سائر المصاحف **(وقالوا)** بإثبات الواو^(١١٨).

قال الشاطبي^(١١٩):

أوصى الإمام مع الشامي والمدني

شام وقالوا بحذف الواو قبل يرى

قرأ ابن عامر وحده **(قالوا)** بغير واو، وكذلك هي في المصحف الشامي.

وقرأ الباقر **(وقالوا)** بإثبات الواو ومتابعة لمصاحفهم^(١٢٠).

علة من قرأ **(قالوا)** بغير واو، فلائنه جعلها جملة منقطعة غير معطوفة على ما قبلها.

ويجوز أن تكون غير منقطعة وحذف الواو لألتباس الجملة الثانية بالجملة الأولى، وإذا التبست الجملة الثانية بالأولى جاز حذف الواو وإثباتها، ومنه قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة البقرة الآية ٣٩]، ولوقال **(وهم فيها**

خالدون) لكان حسناً، وعلة من قرأ

(١١٨) المصاحف: ٣٩، والمقنع: ١٠٢، والدرّة الصقلية: الورقة ٢٧أ.

(١١٩) إتحاف البررة-عقيلة أتراب القصائد:- ٣٢١.

(١٢٠) التيسير: ٧٦، والعنوان: ٧١، والكافي: ٢٠٨، والكنز: ١٢٩، والنشر: ٢/٢٢٠.

(وقالوا) بالواو، فلائنه عطف جملة على

جملة، لأن الذين أخبر الله تعالى عنهم في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ [الآية ١١٤] هم الذين قالوا **(اتخذ الله ولداً)** لذلك توجب عطف آخر الكلام على أوله، لأنه إخبار عن الكفار^(١٢١).

قال الأزهري: (المعنى واحد في إثبات الواو هنا وحذفها، غير أن القراءة بالواو أعجب، لأنه زيادة حرف يستوجب به القارئ عشر حسنات، والواو تعطف بها جملة على جملة)^(١٢٢).

١٧. **(سارعوا)** في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾ [سورة آل عمران الآية ١٣٣].

رُسمت في مصاحف أهل المدينة واهل الشام **(سارعوا إلى مغفرة)** بغير واو قبل السين، وفي سائر المصاحف **(وسارعوا)** بالواو^(١٢٣).

(١٢١) ينظر: الحجة لأبي علي: ١/١٥٨، والكشف: ١/٢٦٠، والموضح: ٢٨٣، وحجة القراءات: ١١٠، والبحر المحيط: ٣٦٢/١.

(١٢٢) معاني القراءات: ٦٠، (١٢٣) هجاء مصاحف الأمصار: ١١٨، والمقنع: ١٠٢، وجميلة ارباب المراسد، الورقة ٧١ب.

قال الشاطبي^(١٢٤):

وسارعوا الواو مكي عراقية

وبا وبالزبر الشامي فشا خبرا

قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر (سارعوا) بالواو، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة والعراق^(١٢٥).

علة من قرأ (سارعوا) بغير واو، فقد جعلها جملة منقطعة غير معطوفة على ما قبلها، ومع قطعها فإنها ملتبسة بالأولى، مستغنية بالتباسها عن عطفها بالواو، وعليه قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [سورة الكهف الآية ٢٢]، وقال تعالى: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [سورة الكهف].

وعلة من قرأ (وسارعوا) بالواو، فقد عطف الجملة على جملة، والمعطوف عليها قوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وَسَارِعُوا ﴿[الأيتان ١٣٢، ١٣٣] (١٢٦).

(١٢٤) إتحاف البررة- عقيلة أتراب القصائد:- ٣٢١.

(١٢٥) السبعة: ٢١٦، والتبصرة: ١٧٤، والإقناع: ٢٦٢/٢، والنشر: ٢٤٢/٢، والمكرر: ٢٦.

(١٢٦) ينظر: الحجة لأبي علي: ٣٨٤/١، ومعاني القراءات: ١١٠، والكشف: ٣٥٦/١، والموضح: ٣٤٠، وزاد المسير: ٤٥٩/١.

١٨. (يقول) في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [سورة المائدة الآية ٥٣].

رُسمت في مصاحف أهل الشام ومكة والمدينة (يقول الذين آمنوا) بغير واو قبل (يقول). وفي مصاحف أهل العراق (ويقول) بالواو^(١٢٧).

قال الشاطبي^(١٢٨):

مع الإمام وشام يرتدد مدني

وقبله ويقول بالعراق يرى

قرأ ابن عامر وابن كثير ونافع وأبو جعفر (يقول الذين آمنوا) بغير واو، وكذلك هي في مصاحف الشام والحرمين، وقرأ الباقون (ويقول) بالواو قبل (يقول) وكذلك مصاحفهم، وكلهم رفع (يقول) إلا أبا عمرو ويعقوب فإنها نصباه^(١٢٩).

علة من قرأ (يقول) بغير واو، فإنه حذف الواو أستغناء عن حرف العطف؛ لأن في الجملة الثانية ضميراً يعود على الأولى،

(١٢٧) المقنع: ١٠٣، والجامع: ٩٢، وشرح تلخيص الفوائد: ٢٥.

(١٢٨) إتحاف البررة- عقيلة أتراب القصائد: ٣٢١.

(١٢٩) المبسوط: ١٦٢، واتبصرة: ١٨٧، والكنز: ١٥٠، وتحرير التيسير: ١٠٨، والنشر: ٢٥٤/٢.

يتذكرون ياه وانجاكم لهم زبرا

قال أبو البرهسم: (عمران بن عثمان الزبيدي الشامي صاحب القراءة الشاذة)، في إمام أهل الشام وأهل الحجاز (ما كنا لنهتدي) وفي إمام أهل العراق (وما كنا) (١٣٣).

قرأ ابن عامر وحده (ما كنا) بغير واو قبل (ما)، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام، وقرأ الباكون (وما كنا) بالواو، وكذلك هي في مصاحفهم (١٣٤).

علة من قرأ (ما كنا لنهتدي) بغير واو، فلأنه استغنى عن حرف العطف؛ لاتصال الجملة الثانية بالأولى في المعنى، وكل جملتين كان في الثانية منها ذكر يعود على الأولى، فحذف الواو وإثباتها جائز فيها، وعلة من قرأ (وما كنا) بالواو، فلأنه عطف جملة على جملة (١٣٥).

قال الأزهري: (إخراج واو وإدخالها لا

وعلة من قرأ (ويقول) بالواو والرفع، فإنه قطعه مما قبله، وعطف جملة على جملة، لا مفرداً على مفرد.

وعلة من قرأ (ويقول) بالواو والنصب، فلأنه جعل (ان يأتي) بدلاً من أسم الله تعالى، وتقديره: عسى أن يأتي الله بالفتح وأن يقول الذين.

وقد يكون (ويقول) منصوباً عطفاً على: فعسى الله أن يأتي بالفتح... وأن يقول الذين أمّنوا (١٣٠).

١٩. (ما كنا) في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ [سورة الأعراف الآية ٤٣].

رُسمت في مصاحف أهل الشام (ما كنا لنهتدي) بغير واو قبل (ما).

وفي سائر المصاحف (وما كنا لنهتدي) بالواو (١٣١).

قال الشاطبي (١٣٢):

وحذف واو وما كنا وما

(١٣٠) ينظر: اعراب القرآن: ٥٠٣/٢، والكشف: ٤١١/١، والموضح: ٣٧٧، وحجة القراءات: ٢٢٩، والبحر المحيط: ٥٠٩/٣.

(١٣١) المصاحف: ٤٤، ٤٥، وهجاء مصاحف الأمصار: ١١٩، والمقنع: ١٠٣.

(١٣٢) إتخاف البررة- عقيلة أتراب القصائد-: ٣٢٢.

(١٣٣) المصاحف: ٤٤ - ٤٥.
(١٣٤) السبعة: ٢٨٠، والعنوان: ٩٥، والكافي: ٢٦٤، والكتز: ١٥٩، والنشر: ٢٦٩/٢.
(١٣٥) ينظر: الحجة لابن خالويه: ١٥٦، والكشف: ٤٦٤/١، والموضح: ٤١٥، ومجمع البيان: ٤١٩/٤، وإتحاف فضلاء البشر: ٢٢٤.



قلت: لم تثبت قراءة أهل الحجاز لهذا الحرف بزيادة واومتوافقة لابن عامر، ولا رسماً في مصاحفهم.

قرأ ابن عامر وحده (وقال الملاء) بزيادة واوقبل (قال) وكذلك هي في مصاحف أهل الشام، وقرأ الباكون (قال الملاء) بغير واومتابعة لمصاحفهم^(١٤٠).

العلة في قراءة هذا الحرف كالعلة في قراءة (وما كنا لنهتدي) المتقدم ذكرها برقم (١٩).

٢١. (الذين) في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً﴾ [سورة التوبة الآية ١٠٧].

رُسمت في مصاحف أهل المدينة وأهل الشام (الذين أتخذوا...) بغير واوقبل (الذين) وفي سائر المصاحف (والذين) بالواو^(١٤١).

قال الشاطبي^(١٤٢):

ودون واوالذين الشام والمديني

(١٤٠) التبصرة: ٢٠٤، والكافي: ٢٦٦، والكنز: ١٦٠، والنشر: ٢/٢٧٠، والمكرر: ٤٤.
(١٤١) هجاء مصاحف الأمصار: ١١٩، والمقنع: ١٠٤، والدرة الصقيلة، الورقة ١٣٥ أ.
(١٤٢) إتحاف البررة-عقيلة أتراب القصائد-: ٣٢٢.

يغير المعنى في مثل هذا الموضع، المعنى أنهم قالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لما هدانا له، ومن حذف الواو أراد: يا رب ما كنا لنهتدي لهذا لولا هدى الله إيانا^(١٣٦).

٢٠. (وقال) في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ [سورة الأعراف الآية ٧٥].

رُسمت في مصاحف أهل الشام (وقال الملاء) بزيادة واوقبل (قال).

وفي سائر المصاحف (قال الملاء) بغير واو^(١٣٧).

قال الشاطبي^(١٣٨):

وببساطة باتفاق مفسدين وقال

الواو شامية مشهورة أثرا

روي عن أبي البرهسم: (في إمام أهل الشام وأهل الحجاز (وقال الملاء الذين استكبروا)، وفي إمام أهل العراق (قال الملاء))^(١٣٩).

(١٣٦) معاني القراءات: ١٨٠.
(١٣٧) المقنع: ١٠٣-١٠٤، والجامع: ٩٦، وجميلة ارباب المراسد، الورقة ٨٢ ب.
(١٣٨) إتحاف البررة-عقيلة أتراب القصائد-: ٣٢٢.
(١٣٩) المصاحف: ٤٤-٤٥.

وحرف ينشركم بالشام قد نشرا

قال يحيى بن آدم (بن سليمان الكوفي (ت ٢٠٣هـ) أُملى عليّ الكسائي: أهل المدينة (الذين ألتخذوا مسجداً ضراراً) بغير واو، وأهل الكوفة والبصرة بالواو (والذين)) (١٤٣).

قلت: هذه الرواية غير تامة، لأن الكسائي لم يذكر أهل الشام بحذف ولا زيادة في قراءة هذا الحرف.

قرأ نافع وابوجعفر وابن عامر (الذين...) بغير واو، وكذلك هي في مصاحفهم، وقرأ الباقر (والذين) بالواو، وكذلك هي في مصاحفهم (١٤٤).

علة من قرأ (الذين) بغير واو، فإنه جعلها جملة مستأنفة غير معطوفة على ما قبلها.

قال مكّي: (ولا يحسن أن يكون (الذين) في هذه القراءة بدلاً من (آخرين) [الآية ١٠٦]؛ لأن (آخرين) ترجى لهم التوبة، و(الذين ألتخذوا) لا ترجى لهم توبة لقوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ

(١٤٣) جملة أرباب المراسد، الورقة ٨٥. (١٤٤) المبسوط: ١٩٦، والتبصرة: ٢١٦، والإقناع: ٦٥٩/٢، وتحبير التيسير: ١٢١، والنشر: ٢٨١/٢.

﴿قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية ١١٠] (١٤٥).

وعلة من قرأ (والذين) بالواو، فلأنه عطف جملة على جملة، فهو معطوف على قوله تعالى (واخرون مرجون لأمر الله) [الآية ١٠٦] (١٤٦).

٢٢. (ألم ير) في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [سورة الأنبياء الآية ٣٠].

رُسمت في مصاحف أهل مكة (ألم ير الذين...) بغير واو في (الم) بين الهمزة واللام، وفي سائر المصاحف (أولم) بالواو (١٤٧). قال الشاطبي (١٤٨):

وقال الأول كوفي وفي أولم

لا واو في مصحف المكي مستطرا

قرأ ابن كثير وحده (ألم ير الذين) بغير واو قبل اللام، وكذلك هي في مصاحف

(١٤٥) الكشف: ٥٠٧/١. (١٤٦) ينظر: مشكل أعراب القرآن: ٣٣٦/١، والموضح: ٤٥٣، وحجة القراءات: ٣٢٣، وحجة البيان: ٧٠/٥، وإتحاف فضلاء البشر: ٢٤٤.

(١٤٧) المقنع: ١٠٤، والجامع: ١٠٧، وشرح تلخيص الفوائد: ٣٤. (١٤٨) إتحاف البررة- عقيلة أتراب القصائد: ٣٢٣.



بعلية آيت وله فصاله ظهرا

قرأ ابن كثير وحده (قال موسى) بغير واو، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة، وقرأ الباقون (وقال موسى) بالواو، وكذلك هي في مصاحفهم^(١٤٩).

العلة في قراءة هذا الحرف كالعلة في قراءة (وما كنا لنهتدي) المتقدمة برقم (٢٤).

الياء

٢٤. (يتذكرون) في قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونِهِ أُولَئِكَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الإعراف الآية ٣].

رُسمت في مصاحف أهل الشام (...) قليلاً ما يتذكرون) ياء زائدة قبل التاء، وفي سائر المصاحف (قليلاً ما تذكرون) بالتاء من غير ياء^(١٥٤).

قال الشاطبي^(١٥٥):

وحذف واووما كنا وما

يتككرون ياه وأنجاكم لهم زبرا

(١٥٣) التيسير: ١٧١، والكتاب الوجيز: ٤٣٠، والكافي: ٣٥١، والإقناع: ٧٢٤/٢، والنشر: ٣٤١/٢. (١٥٤) المصاحف: ٤٤-٤٥، والمقنع: ١٠٣، وشرح تخلص الفوائد: ٢٨. (١٥٥) إتحاف البررة- عقيلة أتراب القصائد: ٣٢٢.

مكة، وقرأ الباقون (أولم ير) بزيادة واو بين الهمزة واللام، وكذلك هي في مصاحفهم^(١٤٩).

علة من قرأ (ألم ير الذين) بغير واو، فلأنه أدخل الف الاستفهام على (لم) فانتقل الكلام من النفي إلى الإيجاب، فجعله ابتداءً كلام في معنى وعظ وتذكير، وعلة من قرأ (أولم) بالواو، فلأنه عطفه على ما قبله من الكلام، وأدخل عليه ألف الاستفهام، فتركت مفتوحة كما كانت^(١٥٠).

٢٣. (قال) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ﴾ [سورة القصص الآية ٣٧].

رُسمت في مصاحف أهل مكة (قال موسى ربي أعلم) بغير واو قبل (قال)، وفي سائر المصاحف (وقال) بالواو^(١٥١).

قال الشاطبي^(١٥٢):

مكيهم قال موسى نافع

(١٤٩) التبصرة: ٢٦٣، والكافي: ٣٢٩، والإقناع: ٧٠٣/٢، والنشر: ٣٢٣/٢، والمكرر: ٨٣. (١٥٠) ينظر: معاني القراءات: ٣٠٦، والكشف: ٢/١١٠، والموضح: ٥٥٥، وحجة القراءات: ٤٦٧، وإتحاف فضلاء البشر: ٣١٠. (١٥١) هجاء مصاحف الأمصار: ١٢٠، والمقنع: ١٠٦، والجامع: ١١٦. (١٥٢) إتحاف البررة- عقيلة أتراب القصائد: ٣٢٤.



روي عن أبي البرهسم: (في إمام أهل الشام وأهل الحجاز **قليلاً ما يتذكرون**) وفي إمام أهل العراق **قليلاً ما تذكرون**)^(١٥٦).

قلت: لم تثبت موافقة أهل الحجاز لأهل الشام في قراءة هذه الحرف، ولم يرسم في مصاحفهم أيضاً.

قرأ ابن عامر وحده **قليلاً ما يتذكرون** بياء قبل التاء مع تخفيف الذال، وكذلك هي في المصحف الشامي، وقرأ حمزة والكسائي وخلف وعاصم في رواية حفص **تذكرون** بتاء واحدة من غير ياء قبلها خفيفة الذال، وقرأ الباقر **تذكرون** بتاء واحدة من غير ياء قبلها، مشددة الذال^(١٥٧).

علة من قرأ **يتذكرون** بالياء والتاء، فلأنه إخبار عن الغائبين، أخبر الله تعالى به رسول الكريم ﷺ، والمعنى: قليلاً يا محمد ما يتذكر هؤلاء الذين بعثت إليهم، وعلة من قرأ **تذكرون** بتخفيف الذال وتاء واحدة، فجاء به على الاصل **تتذكرون** فحذف إحدى التائين، والمحذوفة هي الثانية.

(١٥٦) المصاحف: ٤٥، وجيلة أرباب المراسد: ١٧٩.

(١٥٧) السبعة: ٢٧٨، والتبصرة: ٢٠٢، والعنوان: ٩٥، والنشر: ٢٦٧/٢، والبدور الزاهرة: ٢٢٨.

• علل القراءات القرآنية

وعلة من قرأ (تذكرون بتاء واحدة مع التشديد الذال، فالأصل فيه **تتذكرون**) أيضاً، فإدغم التاء الثانية في الذال وشدد لقرب المكان بينهما^(١٥٨).

٢٥. **(يا عبادي)** في قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [سورة الزخرف الآية ٦٨].

رُسمت في مصاحف أهل المدينة والشام **(يا عبادي لا خوف عليكم...)** بالياء، وفي مصاحف أهل العراق **(يا عباد)** بغير ياء^(١٥٩). قال الشاطبي^(١٦٠):

وعنها تشتيه يا عبادي لا

وهم عباد بحذف الكل قد ذكرا

قرأ نافع وأبوجعفر وابن عامر وأبو عمرو^(١٦١) **(يا عبادي)** بالياء في الوصل

(١٥٨) ينظر: الكشف: ٤٦٠/١، والموضح: ٤١١، وحجة القراءات: ٢٧٩، ومجمع البيان: ٣٩٤/٤، والبحر المحيط: ٢٦٨/٤.

(١٥٩) هجاء مصاحف الأمصار: ١٢٠، والمقنع: ١٠٧، وجيلة أرباب المراسد: الورقة ١٠٦ ب.

(١٦٠) إتحاف البررة - عقيلة أتراب القصائد: ٣٢٥.

(١٦١) قراءة أبي عمرو بن علاء (يا عبادي) بالياء، لأنه رآها في مصاحف أهل المدينة والحجاز بالياء، ولم ترسم في مصاحف أهل البصرة إلا بإسقاط الياء، ينظر: النشر: ٣٧٠/٢.

قال الشاطبي^(١٦٥):

وحذف واووما كنا وما

يتذكرون ياه وأنجاكم له زبرا

روى عن أبي البرهسم قال: (في إمام

أهل الشام وأهل الحجاز (وإذ أنجاكم من

آل فرعون). وفي إمام أهل العراق (وإذ

أنجيناكم))^(١٦٦).

قلت: لم تثبت موافقة أهل الحجاز لقراءة

أهل الشام في هذا الحرف.

قرأ ابن عامر وحده (وإذ أنجاكم...)

بألف بعد الجيم من غير ياء ولا نون،

وكذلك هي في المصحف الشامي، وقرأ

الباقون (وإذ أنجيناكم) بياء ونون والف

بعدها، وكذلك هي في مصاحفهم^(١٦٧).

علة من قرأ (وإذ أنجاكم) بالف بعد

الجيم من غير ياء ولا نون، بلفظ الواحد،

فإنه جعله مسنداً إلى ضمير الله تعالى،

وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ أَعِزَّ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهَا

وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَإِذْ أَنْجَاكُمْ﴾

المراسد: الورقة ٧٩ ب.

(١٦٥) إتحاف البررة - عقيلة اتراب القصائد:

٣٢٢.

(١٦٦) المصاحف: ٤٥.

(١٦٧) السبعة: ٢٩٣، والتبصرة: ٢٠٧، والعنوان:

٩٧، والكثر: ١٦١، والنشر: ٢٧١/٢.

والوقف، وكذلك هي في مصاحف المدينة

والشام، وكلهم أسكن الياء، غير عاصم في

رواية أبي بكر، فإنه فتحها.

وقرأ الباقون (يا عباد) بغير ياء في

الوصل والوقف^(١٦٢).

علة من قرأ (يا عبادي) بإثبات الياء،

فلأنه جاء بها على الأصل، وهو إثبات الياء،

لأنها ضمير المتكلم المضيف إلى نفسه.

وعلة من قرأ (يا عباد) بحذف الياء،

فلأنه جاء بها على الحذف في النداء لكثرة

في الكلام^(١٦٣).

الياء والنون

٢٦. (أنجاكم) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ

أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [سورة

الأعراف الآية ١٤١]

رُسمت في مصاحف أهل الشام (وإذ

أنجاكم...) بالألف، وفي سائر المصاحف

(أنجيناكم) بياء ونون قبل الألف^(١٦٤).

(١٦٢) المبسوط: ٣٣٦، والتبصرة: ٣٢٥،

والإقناع: ٧٦٢/٢، والموضح: ٩٤٦،

وحجة القراءات: ٦٥٣، وإتحاف فضلاء

البشر: ٣٨٦.

(١٦٣) ينظر: معاني القراءات: ٤٤١، والكشف:

٢٦٣/٢، والموضح: ٦٤٩، وحجة

القراءات: ٦٥٣، وإتحاف فضلاء البشر:

٣٨٦.

(١٦٤) المقنع: ١٠٤، والجامع: ٩٦، وجميلة ارباب



[الايقان ١٤٠، ١٤١].

وعلة من قرأ (أنجيناكم) فعلى أستئناف إخبار الله عز وجل عن نفسه، عن طريق التعظيم لله، والإكبار له (١٦٨).

قال الأزهرى: (ومعنى (أنجيناكم وأنجاكم) واحد، لأن الإنجاء لله ﷻ) (١٦٩).

من

٢٧. (من تحتها) في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [سورة التوبة الآية ١٠٠].

رُسمت في مصاحف أهل مكة (تجري من تحتها الأنهار) بزيادة (من)، وفي سائر المصاحف (تجري تحتها الأنهار)، بغير (من) (١٧٠).

قال الشاطبي (١٧١):

لا اذبحن وعن خلف معاً لا إلى

من تحتها آخراً مكيمهم زبرا

(١٦٨) ينظر: الحجة لابن خالويه: ١٦٢، والكشف: ٤٧٥/١، والموضح: ٤٢٥، وحجة القراءات: ٢٩٤، وتفسير النسفي: ٧٤/٢.

(١٦٩) معاني القراءات: ١٨٩.

(١٧٠) هجاء مصاحف الامصار: ١١٩، المنع: ١٠٤، شرح تلخيص الفوائد: ٢٩.

(١٧١) إتحاف البررة-عقيلة أتراب القصائد-: ٣٢٢.

قرأ ابن كثير وحده (تجري من تحتها الأنهار) بزيادة (من) وخفض التاء، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة، وقرأ الباقون (تجري تحتها الأنهار) بغير (من) وفتح التاء، وكذلك هي في مصاحفهم (١٧٢).

علة من قرأ (تجري من تحتها الأنهار) بزيادة (من)؛ فلأنها ثابتة في مصاحفهم، وقراءته موافقة للرسم، وعلة من قرأ (تجري تحتها الأنهار) بحذف (من) وفتح التاء، فعلى المفعول فيه (١٧٣).

وزيادة (من) وحذفها سواء في المعنى، قال الأزهرى: ((من) تزداد في الكلام توكيداً، وتحذف اختصاراً، والمعنى واحد) (١٧٤).

هو

٢٨. (الغني الحميد) في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [سورة الحديد الآية ٢٤].

رُسمت في مصاحف أهل المدينة وأهل الشام (فإن الله الغني الحميد) بغير هو، وفي

(١٧٢) التيسير: ١١٩، والكافي: ٢٧٩، والإقناع:

٦٥٨، والكتز: ١٦٨، والنشر: ٢٨٠/٢.

(١٧٣) ينظر: الكشف: ٥٠٥/١، والموضح: ٤٥٢،

وحجة القراءات: ٣٢٢، ومجمع البيان:

٦٤/٥، وإتحاف فضلاء البشر: ٢٤٤.

(١٧٤) معاني القراءات: ٢١٤.

سائر المصاحف (هو الغني الحميد) (١٧٥).
قال الشاطبي (١٧٦):

تكدبان بخلف مع مواقع دع

للشام والمدني هو المنيف ذرا

قال أبو البرهسم: (في إمام أهل الشام
وأهل الحجاز (فإن الله الغني) وفي إمام أهل
العراق (هو الغني)) (١٧٧).

قلت: إن أراد بأهل الحجاز أهل المدينة
فصحيح، وإن أضاف إليها مكة، فلم يثبت
ذلك عن عبد الله بن كثير مقرر أهل مكة.

قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر (فإن
الله الغني...) بإسقاط (هو) وكذلك هي
في مصاحفهم، وقرأ الباكون (فإن الله
هو الغني...) بإثبات (هو) وكذلك هي في
مصاحفهم (١٧٨).

علة من قرأ (فإن الله الغني الحميد)
بإسقاط هو فلائنه جعل (الغني) خبر إن

(١٧٥) المقنع: ١٠٨، والجامع: ١٣٤، والدرة
الصقلية: الورقة ٤٨ ب
(١٧٦) إتخاف البررة - عقيلة أتراب القصائد:
٣٢٥.

(١٧٧) المصاحف: ٤٧.
(١٧٨) المبسوط: ٣٦٣، والعنوان: ١٨٦،
والكافي: ٣٩٦، والإقناع: ٧٨١/٢،
والنشر: ٣٨٤/٢.

(١٧٩) ينظر: معاني القراءات: ٢٨٤، والموضح:
٦٧٧، وحجة القراءات: ٧٠٢، ومجمع
البيان: ٢٣٩، وإتخاف فضلاء البشر:
٤١١.



(ت ٢٢٣هـ) نسخة مكتبة الأوقاف

العامّة بالموصل-العراق-رقم (٣٥)

مدرسة خاتون).

الرسائل الجامعية غير المنشورة:

٦. البدور الزاهرة في القراءات العشر

المتواترة -لأبي حفص عمر بن

قاسم الأنصاري المعروف بالشار

(ت ٩٠٠هـ) دراسة وتحقيق السيد

عبد الحسين عبد الله محمود، رسالة

دكتوراه-كلية الآداب -جامعة

بغداد-١٩٩٠م.

٧. البديع في القراءات الثمان -لأبي

عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه

(ت ٣٧٠هـ) تحقيق السيد جاسد

زيدان مخلف -رسالة دكتوراه- كلية

الآداب-جامعة بغداد-١٩٨٦م،

بعنوان (اتجاهات التأليف في القراءات

القرآنية مع تحقيق كتاب (البديع) لابن

خالويه.

٨. الكافي في القراءات السبع -لأبي عبد

الله محمد بن شريح الرعيني الأندلسي

(ت ٤٧٦هـ) دراسة وتحقيق الطالبة

إيمان صالح مهدي عباس -رسالة

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

المصادر المخطوطة

٢. الإيضاح في القراءات-للشيخ

أحمد بن أبي عمر الاندراي المقي،

(ت ٤٧٠هـ) نسخة مصورة في المجمع

العلمي العراقي عن نسخة دار كتب

خانسي إسلامبول تركيا، ذات الرقم

(Y.١٣٥٠)

٣. جميلة ارباب المراسد في شرح عقيلة

أتراب القصائد-لبرهان الدين

غبراهيم آبن عمر الجعبري (ت

٧٣٢هـ) مصورة للأخ الدكتور غانم

قدوري الحمد، عن نسخة دار الكتب

المصرية-رقم (٢٤٩) قراءات.

٤. الدرة الصقلية في شرح ابيات العقيلة-

لأبي بكر بن أبي محمد بن عبد الله

الليبي، مصورة للأخ الدكتور غانم

قدوري الحمد-عن نسخة مكتبة

الأزهر رقم (٤٩) قراءات.

٥. فضائل القرآن ومعالمه وآدابه-

لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي



والرسم والآي والتجويد جمع
وتصحيح الشيخ علي محمد الضباع
القاهرة مطبعة مصطفى البابي الحلبي
١٣٥٤هـ = ١٩٣٥م.

١٣. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع
عشر للشيخ أحمد بن محمد الدمياني
الشهير بالبناء (ت ١١١٧هـ) تح: علي
محمد الضباع القاهرة ١٣٥٩هـ.

١٤. إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد
النحاس (ت ٣٣٨هـ) تح: د. زهير
غازي زاهد، بغداد- منشورات وزارة
الأوقاف والشؤون الدينية ١٩٧٩
١٩٨٠م.

١٥. الأفتاح في القراءات السبع لأبي جعفر
أحمد بن علي الأنصار ابن الباذش
(ت ٥٤٠هـ) تح: عبد المجيد قطامش،
دمشق ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

١٦. ما مَنَ به الرحمن من وجوه الإعراب
والقراءات لأبي البقاء عبد الله بن
الحسين العُكبري (ت ٦١٦هـ)
بيروت دار الكتب العلمية ١٩٧٩م.

١٧. البحر المحيط لأبي حيان محمد
بن يوسف الغرناطي الأندلسي

ماجستير، كلية الآداب- جامعة
بغداد- ١٩٩٦م، بعنوان (دراسة
الظواهر اللغوية والنحوية في كتاب
(الكافي في القراءات السبع- لرعيني)
مع ملحق بتحقيق الكتاب).

٩. الكتاب الوجيز في شرح قراءات
الثمانية أئمة الأمصار الخمسة لأبي
علي الحسن ابن علي الأهوازي (ت
٤٤٦هـ) دراسة وتحقيق السيد دريد
حسن أحمد، رسالة ماجستير- كلية
الآداب جامعة بغداد ١٩٥٨م.

١٠. الموضح في تحليل وجوه القراءات
السبع لأبي العباس أحمد بن عمار
المهدوي (ت ٤٤٠هـ) دراسة وتحقيق
السيد سالم قدوري الحمد رسالة
ماجستير كلية الآداب جامعة بغداد
١٩٨٨م.

المصادر المطبوعة:

١١. الإبانة عن معاني القراءات لأبي
محمد مكّي بن أبي طالب القيسي (ت
٤٣٧هـ) تح: د. محي الدين رمضان
دمشق دار المأمون ١٩٧٩م.

١٢. إتحاف البررة بالمتون العشرة القراءات

(ت ٤٤٤هـ) تح. أوتوبرتزل إسلامبول
١٩٣٠م.

٢٣. الجامع لما يحتاج اليه من رسم المصحف
لأبي إسحاق ابراهيم بن محمد بن عبد
الرحمن بن وثيق الاندلسي (ت ٦٥٤هـ)
تح. د. غانم قدور الحمد بغداد. مطبعة
العاني ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

٢٤. الحجة لأبن خالويه الحجة في القراءات
السبع لابي عبد الله الحسين بن أحمد
بن خالويه (ت ٣٧٠هـ) تح. د. عبد
العال سالم مكرم بيروت دار الشروق
١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.

٢٥. الحجة لأبي علي الحجة في علل
القراءات السبع لأبي علي الحسن بن
أحمد الفارسي (ت ٣٧٧هـ) تح. علي
النجدي ناصف، ود. عبد الحليم
القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب
١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

٢٦. حجة القراءات لأبي زُرعة عبد الرحمن
بن محمد بن زنجلة (ت ٤٠٠هـ)
تح. الاستاذ سعيد الافغاني بيروت،
مؤسسة الرسالة ١٣٩٩هـ =

(ت ٧٤٥هـ) القاهرة مطبعة السعادة
١٣٧٨هـ.

١٨. البيان في غريب إعراب القرآن لأبي
البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري
النحوي (ت ٥٧٧هـ) تح. د. طه عبد
الحميد طه، القاهرة الهيئة المصرية
العامة للتأليف والنشر ١٣٩٠هـ =
١٩٧٠م.

١٩. التبصرة في القراءات لأبي محمد مكي
بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)
تح. د. محي الدين رمضان الكويت
معهد المخطوطات العربية ١٤٠٥هـ
= ١٩٨٥م.

٢٠. تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة
لشمس الدين محمد بن محمد بن محمد
ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) بيروت دار
الكتب العلمية ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م.

٢١. تفسير النسفي = مدارك التنزيل
وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله
أحمد بن محمود النسفي (ت ٧١٠هـ)
القاهرة المطبعة الأميرية ١٩٣٦م.

٢٢. التيسير في القراءات السبع لأبي
عمرو عثمان بن سعيد الداني



لنور الدين علي بن عثمان آبن القاصح
(ت ٨٠١هـ) القاهرة مطبعة مصطفى
البابي الحلبي ١٩٤٩م.

٣٣. عقيلة اتراب القصائد في اسنى المقاصد
لأبي القاسم القاسم بن فيره بن خلف
الشاطبي (ت ٥٩٠هـ) طبعت ضمن
(إتحاف البررة بالمتون العشرة) القاهرة
مطبعة مصطفى البابي ١٣٥٤هـ.

٣٤. العنوان في القراءات السبع لأبي طاهر
اسماعيل بن خلف الأنصاري الأندلسي
(ت ٤٥٥هـ) تح. د. زهير غازي زاهد،
ود. خليل العطية، بيروت عالم الكتب
١٩٨٥م.

٣٥. غيث النفع في القراءات السبع للشيخ
علي النوري الصفاقسي (ت ١١١٨هـ)
مصر مطبعة الأستقامة ١٣٥٢هـ =
١٩٣٤م.

٣٦. الفهرست لأبي الفرج محمد بن إسحاق
الوراق البغدادي الشهير بالنديم (ت
نحو ٤٠٠هـ) تح. د. رضا تجدد طهران
١٣٩١هـ = ١٩٧١م.

٣٧. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل
وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،

١٩٧٩م.

٢٧. دليل الحيران شرح مورد الظمان في
رسم وضبط القرآن للشيخ أحمد بن
ابراهيم بن سليمان المارغيني التونسي
تح. عبد الفتاح القاضي القاهرة دار
القرآن ١٩٧٤م.

٢٨. رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية
الدكتور غانم قدوري الحمد بيروت
مؤسسة المطبوعات العربية ١٤٠٢هـ
= ١٩٨٢م.

٢٩. زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج
عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت
٥٩٧هـ) دمشق، المكتب الإسلامي
١٩٦٤م-١٩٦٨م.

٣٠. السبعة في القراءات لأبي بكر أحمد
بن موسى بن مجاهد البغدادي
(ت ٣٢٤هـ) تح. د. شوقي ضيف،
مصر دار المعارف ١٤٠٠هـ.

٣١. سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ
المنتهي لنور الدين علي بن عثمان آبن
القاصح (ت ٨٠١هـ) القاهرة الطبعة
الثالثة ١٩٥٤م.

٣٢. شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد



تح.د.حاتم صالح الضامن، بغداد
منشورات وزارة الإعلام ١٣٩٥هـ =
١٩٧٥م.

٤٣. المصاحف لابي بكر عبد الله بن أبي
داود سليمان السجستاني (ت ٣١٦هـ)
تنقيح د. ارثر جفري القاهرة المطبعة
الرحمانية ١٩٣٦م.

٤٤. معاني القراءات لأبي منصور محمد بن
أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠هـ) تح. الشيخ
أحمد فريد المزيدي، بيروت، دار الكتب
العلمية ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

٤٥. معاني القرآن واعرابه لأبي إسحاق
إبراهيم بن السري الزجاج
(ت ٣١١هـ) تح.د. عبد الجليل عبده
شليبي، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ
١٩٨٨م.

٤٦. مغني اللبيب عن كتب الأعراب
لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن
هشام الأنصاري النحوي (ت ٧٦١هـ)
تح. محمد محيي الدين عبد الحميد،
القاهرة المكتبة التجارية الكبرى
(لا.ت).

٤٧. المقنع في معرفة مرسوم مصاحف

لجار الله محمود بن عمر الزخشري
(ت ٥٣٨هـ) القاهرة- المطبعة التجارية
الكبرى ١٣٥٤هـ.

٣٨. الكشف عن وجوه القراءات وعللها
وحججها لأبي محمد مكي بن ابي طالب
القيسي (ت ٤٣٧هـ) تح.د. محيي الدين
رمضان دمشق ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.

٣٩. الكنز في القراءات العشر للشيخ
عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه
الواسطي (ت ٧٤٠هـ) تح. هناء
الحمصي بيروت، دار الكتب العلمية
١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

٤٠. المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر
أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني
(ت ٣٨١هـ) تح. سبع حمزة حاكمي،
جدة، دار القبلة، وبيروت، مؤسسة
علوم القرآن ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

٤١. مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي
الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي
(ت ٥٤٨هـ) بيروت، دار إحياء التراث
العربي ١٣٨٣هـ = ١٩٦٤م.

٤٢. مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي
بن ابي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)



للشيخ محمد بن عبد العظيم الزرقاني،
القاهرة. مطبعة مصطفى البابي الحلبي
١٣٦١هـ.

٥١. النشر في القراءات العشر لشمس الدين
محمد بن محمد بن محمد آبن الجزري
(ت ٨٣٣هـ) تصحيح ومراجعة
الشيخ علي محمد الضباع بيروت دار
الفكر (لا.ت).

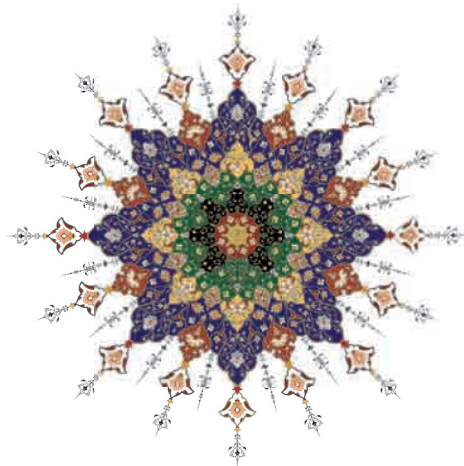
٥٢. هجاء مصاحف الأمصار لأبي العباس
أحمد بن عمار المهدي (ت ٤٤٠هـ)
تح. محيي الدين رمضان نشر في مجلة
معهد المخطوطات العربية المجلد
التاسع عشر الجزء الأول ١٩٧٣.

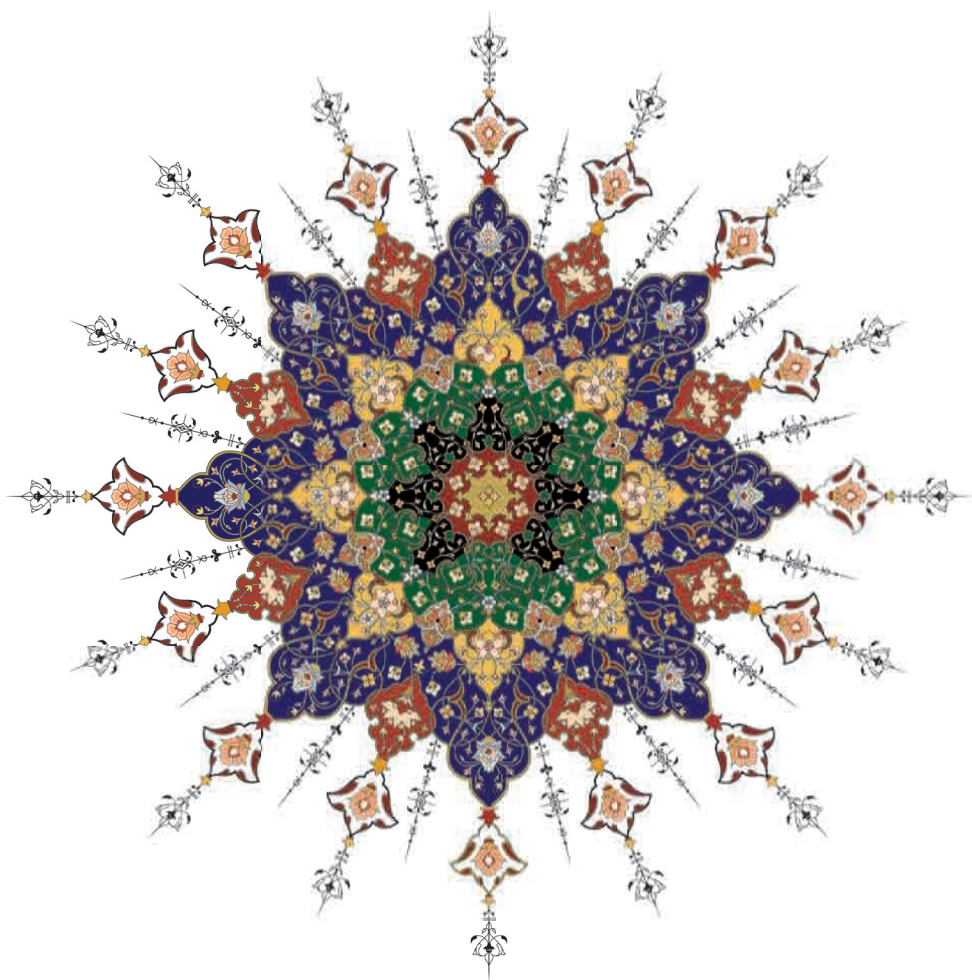
الأمصار لأبي عمرو عثمان بن سعيد
الداني (ت ٤٤٤هـ) تح. محمد أحمد
دهمان دمشق مطبعة الترقى ١٩٤٠م.

٤٨. المكرر فيما تواتر من القراءات السبع
وتحرر لأبي حفص عمر بن قاسم
النشار (ت ٩٠٠هـ) القاهرة مطبعة
مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٤هـ =
١٩٧٢م.

٤٩. مقدمتان في علوم القرآن، (مقدمة
كتاب المباني، ومقدمة تفسير ابن عطية)
بإشراف د. آرثر جفري القاهرة مكتبة
الخانجي ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.

٥٠. مناهل العرفان في علوم القرآن





بينات من فقه القرآن تفسير سورة لقمان

سماحة السيد محمد تقي المدرسي
كربلاء المقدسة - العراق

تمهيد

ليس الناس سواء في مدى استيعابهم لما في القرآن الكريم - هذه المائدة الإلهية - من نعم عظيمة، بل هم درجات، ولكلّ منهم معارج معينة لتساميهم وتكاملهم. إنهم يتمايزون بمستوى عقولهم ومدى فهمهم لسرّ الحياة، ثم مدى قدرتهم على الاستفادة من فضل الله عزّ وجلّ..

ومن هنا، فإنّ أوّل عمل ينبغي أن يقوم به الإنسان على المستوى العقائدي يتمثل في تعرفه على القرآن الكريم... هذا الكتاب الذي لو أنزل على الجبال، لخشعت وتصدّعت... هذا الكتاب الذي يحيي به الله تعالى قلوب البشر، ولو أحيّا به ربنا الموتى لما

كان ذلك عجباً... هذا الكتاب الذي يجعله الربّ يوم القيامة شافعاً مشفعاً وماحلاً مصدّقاً، فمن جعله أمامه وإمامه قاده إلى الجنّة، ومن جعله خلفه وتولى عن تعاليمه ساقه إلى النار وبئس المصير.

إن تكامل الإنسان عبر مراحل السموّ متعلّق بمعرفة حقيقة القرآن، لتتسنى له الاستفادة الكاملة..

وهذه المعرفة تتحقّق بالتدبّر في آياته المباركات أكثر من تحقّقها عبر القراءة الساذجة، رغم ما في التلاوة من خير... وكلام القرآن المجيد أعظم الكلام وأفضله... وفضله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه، ولا يمكن بحال من الأحوال

أن نقيس المسافة بين الله وبين خلقه... وكذلك لا نستطيع أن نقيس المسافة بين القرآن الحكيم وبين سائر الكلام... ولذلك، فإن معرفة مدى العظمة القرآنية والفضل القرآني تؤدي بصاحبها إلى ضمان السمو والارتقاء.

وهكذا-ينبغي قبل كل شيء- فهم القرآن ومعرفة فضله، سواء من خلال التأمل في القرآن نفسه، ومن خلال الأحاديث الواردة عن الذين خولهم الله سبحانه وتعالى تبيينه، وهم النبي وأهل بيته عليه وعليهم السلام.

ثم الواجب علينا أن نجعل القرآن ميزاناً لتقييم أنفسنا ومعرفة مصائرنا. لماذا؟ لأن الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء. وهكذا كانت الدنيا دار إبتلاء... ومن أبعاد الامتحان إن الإنسان يعجز عن معرفة ذاته إلا بصعوبة؛ فمثلاً لو أن الإنسان كان يجازي مباشرة بعد العمل، إذاً لانتفت قاعدة الفتنة ومبدأ الامتحان. فكيف تعرف مواقفنا، وهل نحن من أهل الجنة أم النار؟ بالطبع لا يجوز أن نتظر إلى حين الوفاة، حيث يقضى الأمر، فكيف نعرف أنفسنا؟ الجواب: أن نزن أنفسنا بميزان القرآن،

الذي قال عنه رسول الله ﷺ:

«القرآن هدى من الضلالة، وتبيان من العمى، واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة، وضيء من الأحداث، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيان من الفتن، وبلاغ من الدنيا والآخرة»^(١).

فإن من المؤمل بقارئ القرآن وتالي آية من آياته أن يتساءل عما إذا كان من أهل تلك الآية. فإن كانت الآية تأمر بالصلاة والعبادة والطاعة وما أشبه، فله أن يسر ويشكر الله سبحانه وتعالى إن كان ممن يعمل بها، وأن يزمع الاستقامة على ما هو ماضٍ فيه..

أمّا إذا مرّ بآية تتناول أعمال المنافقين والمشرّكين أو صفاتهم فعليه أن يتساءل عما إذا كانت تتمثل فيه. فإذا كان الأمر كذلك، تاب إلى ربّه وتوكل عليه للإقلاع مما هو عليه.

وهذا بحد ذاته ما نسّميه بمحاسبة النفس ووزنها بميزان القرآن المجيد ومقاييسه... وهو لعمرى يجسّد مسؤولية كبيرة وليست وحيدة.

وهناك مسؤولية أخرى تتمثل في الانفتاح على آيات الكتاب المجيد، لأن للقرآن أبعاداً متعدّدة، لأن فيه ظاهر

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٦٠١.



وباطن... والظاهر له علوه كما أن للباطن مستوياته... مما يستدعي مزيداً من التأمل من قبل القارئ... ولا يكفي أن يتأمل القارئ آية معينة مرة واحدة، لأن من طبيعة كتاب الله أن تفتّح أبوابه... الباب تلو الباب تبعاً لرقى القارئ المؤمن... وهذا ما يجعل القرآن كتاباً نظراً جديداً، لا تخلق آياته عبر تقادم الأيام...

إن الله سبحانه قد أمرنا بالتدبر في كتابه حين قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة محمد، آية ٢٤].

ذلك لأن التدبر يزيد من تفاعل القارئ وآيات الذكر الحكيم... ومن دون التدبر يبقى القرآن فوق مستوى القارئ له أنى كان. لماذا؟ لأنه كتاب الله وحي يعلو ابداً مستوى البشر، ولأنه الكتاب الذي يتحدث للإنسان عن أمور غيبية صادقة لا ريب فيها، وانما- عبر التحول الجدي في واقع الانسان- يقدر على بلوغ مستوى فقه كتاب الله وأنه بحاجة إلى تمهيد السبيل. ولكن بماذا؟

أولاً: مزاولة الاشتغال بالأعمال الصالحة.

ثانياً: تطهير القلب من الحجب.

ثالثاً: إحراز ملكة التقوى.

وهناك تتكسر أقفال الذات، وتتحطم حواجز الجهل والكبر... وإذ ذاك سيقراً القارئ آيات الكتاب وكأنها أنزلت عليه مباشرة، فيكون من ذوي القلوب الواعية والآذان الشاهدة.

ولا ريب أن هناك ممهّدات أخرى للوصول إلى مستوى أرقى لدى قراءة الكتاب المجيد؛ مثل إسباغ الوضوء، والقراءة في وقت السحر أو عند الفجر، أو استغلال فرصة شهر رمضان المبارك الذي أنزل فيه القرآن، أو تلاوة القرآن في الصلاة وفي البقاع المقدسة وبالذات في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف... كل ذلك يمهد السبيل لفقه القرآن. لماذا؟

لأن هذه الأوقات أو البقاع المقدسات تعرج بروح المؤمن إلى آفاق الغيب، حيث تتساقط حجب الغفلة ووساوس إبليس وأقنعة الشرك وأكنة الحميات الجاهلية وما سواها مما تحجب نور الرب عن القلب إضافة إلى ممارسة شعائر الله مثل الصيام والإعتكاف والحج والزيارة بما يهيئ القلب لاستقبال مفاهيم الآيات الكريمة أكثر فأكثر. فهو إذ ذاك، سيقراً القرآن بتوجه بالغ ويتلقى وحي الكتاب الكريم بنفس زكية



الآية الأولى، كما هي كلمات القرآن، تحتمل أكثر من تفسير، ولعلّ الآية القرآنية الواحدة تحتمل عشرات التفسيرات، وكلّها صحيحة ومنطقية... إذ القرآن كتاب نزل من عند ربّ العالمين، والله تعالى حينما يوحى، يوحى بكلّ الحقائق، ومن جميع الأبعاد.

التفسير الأول:

وهو التفسير الأبسط والظاهري الذي يتلقّاه المرء بادئ ذي بدء، هو أن الكتاب المعجز الذي تحدّى به النبي الأكرم ﷺ كلّ العالم وجميع العصور، إنما يتألف من حروف، وأن الآيات ظاهرها الأحرف ﴿الم﴾ والقرآن كلّ حروف.

التفسير الثاني:

والأكثر عمقاً، هو أن القرآن الكريم أراد لفت نظر الإنسان إلى أهميّة الحروف والإشارة إليها، وهي ثمانية وعشرون حرفاً التي تتكوّن منها اللغة العربيّة ولا تحتمل غيرها، بينما اللغات الأخرى قد تحوي أقل أو أكثر عدداً..

مما يعني ويشير إلى أن الله سبحانه وتعالى قد علم الإنسان علوم الكون بهذه الحروف القصيرة المعدودة، ومكّن مخلوقه من أن

وقلب واع. وعليه؛ يمكن القول بأنه كما أمرنا بتلاوة آيات الذكر الحكيم، كذلك أمرنا بالتدبّر فيها والتأمّل في آفاقها وكسر الأفقال التي تحيط بالقلب «ولا يكن هم أحدكم- لدى القراءة- آخر السورة»^(٢) كما ورد ذلك عن مولانا أمير المؤمنين عليه الصّلاة والسّلام..

ونحن- في نهاية المطاف- ننصح بأمرين:

الأوّل: قراءة القرآن بتلك المواصفات المثبتة والمعروفة، إضافة إلى اختيار الوقت والمكان والحالة المناسبة، وغير ذلك..

الثاني: التدبّر في الآيات، ويمكن أن يختار القارئ وقتاً للقراءة ووقتاً للتدبّر، ويمكن أن يجمع بين الأمرين في وقت ومكان واحد... علماً بأنّ للتدبّر أصوله التي ما لم تراعى ولم يتم التقيّد بالمنهاج المرسومة، فإن المتدبر قد يقع في أحوال القول بالرأي والهوى. والله المستعان.

فلسفة الحروف المقطعة

﴿الم﴾ [سورة لقمان، آية ١].

أرى أن هذه الحروف التي تضمّنتها

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٦١٤.



يركّبها، فتتحوّل إلى ملايين الكلمات. (٣)

وهناك تفسير ثالث أعمق، يتناول ما إذا كانت الحروف الأبجدية الموجودة والمعروفة ذات معانٍ أم لا؟

وهناك بعض الأقوال والآراء القديمة والحديثة تذهب إلى أن لكل حرف معنىً ونعمة ونبرة ووقعاً خاصاً به، من شأنه التأثير على أعصاب الإنسان... ومن خلال هذا التأثير تنعكس على الإنسان من حيث أن لديه معانٍ معينة ومحددة. وهذه الحقيقة تنفي نظرية العبثية في دلالة الحروف أو نظرية المواضعة وتؤكد نظرية القصدية في علم الألسنية... وهذا بدوره تتضمنه بحوث أكثر عمقاً لسنا بصددّها في هذا الحيز من القول.

وهناك تفسير آخر يرى بأن هذه الأحرف تحوي إشارات معينة إلى حوادث وقعت قبل نزول الوحي، أو حوادث ستقع بعد نزول الوحي... وأن القرآن قد بين تلك الوقائع من خلال إشارات الحروف هذه. وهي على العموم، بناء على هذا التفسير،

(٣) هذا المعنى يحوي بحثاً عديدة وعميقة تتناول كيف جعل أدوات ومسارات النطق ومكنها من إلقاء الحروف... وهذا خلق الله سبحانه وتعالى.

إشارات لحقائق خاصّة لا يفهمها إلا من خوطب بالقرآن، أعني النبيّ الأكرم والأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وبناءً على هذا التفسير يفرض سؤال نفسه، إلا وهو: إذا كانت هذه الحروف عبارة عن إشارات خاصّة بين الله والمصطفين من عباده، فلماذا ذكرت في القرآن المجيد؟ وألم يكن كافياً أن يلقيها الله تعالى إلى نبيّه المصطفى ﷺ، فيفهم ويعي حقيقتها من دون الحاجة إلى تدوينها في القرآن؟

في الحقيقة؛ هناك أكثر من سبب يجعل هذه الإشارة تذكر في الآيات القرآنية.

السبب الأول:

لكي نعرف- من خلال وجود هذه الإشارة- أننا بحاجة في معرفة الدين إلى تبين النبي وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام، ومن خلال هذه المعرفة يتوجب علينا الاعتقاد بضرورة تمحور الأمة حول إمامة النبي وإمامة الأئمة المعصومين من بعده، باعتبارهم الأوصياء على حفظ المفاهيم القرآنية وتوضيح أحكام الشريعة للناس عبر الأجيال. وهذه لعمرى فضيلة ما بعدها فضيلة..



السبب الثاني:

والأحرف البسيطة، يصوغ القرآن ويصنع آيات... فماذا تعني كلمة الآية يا ترى؟

الآية تعني علامة، والعلامة تعني الإشارة، والإشارة ليست هدفاً بذاتها، بل هي بمثابة جسر يؤدي إلى معرفة ماورائه، أو العلم الذي يأخذ بأيدينا إلى علم آخر.

فالشمس-مثلاً-آية من آيات الرب، فلماذا نسميها آية؟ لأننا إذا نظرنا إلى هذه الكرة الملتهبة، وإلى دقة حركتها ونظام سرها والمسافات الدقيقة التي تفصلها عن سائر الكرات المحيطة بها ومنها الأرض، عرفنا قدرة الله خالقها سبحانه وتعالى وعظيم علمه وتديره... كذلك ما في القرآن آيات انها من كلمات، حيث نصل من خلالها إلى حقائق الخلق ولكن من خلال تدبرنا في آياته..

وبين هذا وذاك، نجد بعض الناس يجعلون القرآن المجيد نهاية المطاف في مرحلة المعرفة، في حين أن القرآن هو المنطلق. وكونه كذلك، يعني أنك حين تدرس القرآن، عليك أن تكتشف تفاصيل الخلق الذي أبدعه الله تعالى.

كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ

أن هناك من القلوب المفتحة والآذان الواعية ما تتلقى-أوله قابلية التلقي- الإشارات القرآنية... نظراً لأن كتاب الله رفيع لا يعيه حقّ وعيه إلا من يرتفع بهمة.. وهناك أسباب أخرى، كما أن هناك تفاسير أخرى لهذه الحروف... ولكننا نكتفي هنا بهذا القدر البسيط.

بصائر واحكام

في القرآن الكريم آيات تسمو فوق مستوى فهم الناس، وهذه الظاهرة تدلنا على أمرين:

الاول: الرجوع الى كلمات النبي واهل بيته عليه وعليهم صلوات الله طلباً لمعرفة حقائق الايات.

الثاني: السعي الدائب من اجل التسامي الى مستوى القرآن بالتدبر والتفقه وبالتقوى والعرفان.

آفاق الآيات

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [سورة لقمان، آية ٢].

بعد أن بيّن القرآن حقائق عبر هذه الأحرف، يقول: ﴿تِلْكَ آيَاتُ﴾ إشارة إلى ﴿الم﴾. ومن هذه الكلمات المقطّعة



متشبع بالحكمة.

بصائر واحكام

لا يكفي التأمل في حقائق آيات الكتاب ولكن علينا الانبعث الى التأمل في حقائق الخلق لانها آيات اليها يعكس كتاب ربنا بآياته الكريمة سنن الله الثابتة في خلقه، وبوعي تلك السنن وتنظيم السلوك معها بعض افاق الحكمة.

الخلق الفاضل ميراث الحكمة

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة لقمان، آية ٣].

يبدو أن سورة لقمان هي السورة التي تبيّن الخطوط العريضة للحكمة، ليس فقط لأن لقمان كان مشهوراً بالحكمة، وإنما لأن الآية المحورية في هذه السورة المباركة - كما يبدو لي - هي الآية الثانية عشرة، حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [سورة لقمان، آية ١٢].

ومن هذه الزاوية جاءت كلمة الحكمة في بداية السورة كإشارة إلى حقائق السورة وإطارها العام، (حيث أن كل سورة تحدثنا عن حقيقة محورية، هي إطارها العام، رغم تناولها لحقائق أخرى أيضاً). ولعلّ سورة لقمان المباركة قد تمحورت حول الحكمة،

مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَاهَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [سورة المؤمنون، آية ١٢ - ١٤].

بعد ذلك قال الله سبحانه: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [سورة المؤمنون، آية ١٤]. وليس كافياً أن نحوم حول الآية، بل لابد من الاستعانة بالآية الشريفة لفهم حقائق الخلق باعتبارها مصباحاً ينير الحقائق.

الكتاب والكتابة ومختلف مشتقاتها يدل على شيء ثابت. ومعنى ذلك أن القرآن سنن إلهية ثابتة، رغم أن الكائنات في تغير مستمر، كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [سورة فاطر، آية ٤٣]. ومن أبرز ما في هذا الكتاب المجيد؛ هو الحكمة. فماذا تعني الحكمة؟

سنتحدث - إن شاء الله - عن الحكمة. ولكن على سبيل الاختصار نقول: إنّ الحكمة بدورها تعبير عن وعي سنن الله الثابتة التي على الإنسان الاتصال بها واستيعابها، ويسخرها لصالحه، فلا يصطدم بها، بل يستفيد من كلّ خيرها..

وحيث ألحق الله تعالى صفة الحكيم بالكتاب، فإنما يعني أن كلّ حرف في هذا الكتاب، وكلّ كلمة منه، وكلّ آية من آياته



ولذلك أشير إليها في البداية.

وهنا أيضاً يصف القرآن الكريم نفسه بصفتين أساسيتين:

الصفة الأولى: الهدى.

الصفة الثانية: الرحمة.

والهدى يعني أن للإنسان أن يصل - عبر القرآن الكريم - إلى معرفة ماذا ينبغي أن يفعل ليهتدي إلى الحق... والحديث عن معنى الهدى وآفاقه بشكل كافٍ يحتاج إلى مزيد من التفصيل. ولكننا مع ذلك، نجد القرآن الكريم يحدثنا عن هذه الكلمة التي تحمل في طياتها عشرات المفاهيم والأبعاد الغيبية..

إننا نجد هذه الكلمة المباركة في فاتحة القرآن، وهي سورة الحمد (أم الكتاب).

فحينما نقرأ سورة الفاتحة المباركة، نحمد الله أولاً، ثم نشني عليه ونبين صفاته، ومن صفاته الرحمة الدائمة والواسعة... وأنه مالك يوم الدين. ثم نبين حاجتنا إلى الرب المتعال، ونقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة، آية ٥]. ثم نطلب منه الهدى، حيث نقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [سورة الفاتحة، آية ٦]. كذلك

تأتي هذه الكلمة في بداية سورة البقرة، وهي السورة الكبرى في القرآن، حيث يقول ﷺ: ﴿الْمَذَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة، آية ١ - ٢].

كذلك وردت هذه الكلمة في فاتحة سورة لقمان المباركة: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾.

ويمكن التوضيح باختصار عبر القول بأن ثمة برجة يتوفر عليها مخ الإنسان تكفيه لمعرفة الحقائق، ولكن المشكلة تكمن في أن ابن آدم يحجب عن هذه البرجة بسبب الظروف القاسية التي تحيط به... ولا ريب أن من هذه الظروف ما يجد الإنسان نفسه فيها محاطاً بها رغماً عنه، ومنها ما يخلقها أو يستدعيها لنفسه.

الإنسان؛ كائن مبرمج، فمثلاً التربية الخاطئة، أو ضغوط الهوى والشهوات، أو منظومة الحميات والثقافات الباطلة أيضاً تنتهي بالإنسان إلى تعطيل برمجته العقلية وحجبه عن الحقائق، حتى لعله يرى خلاها الحق باطلاً والباطل حقاً.

وهكذا يجب على الإنسان إصلاح نفسه والعودة إلى برمجته الفطرية عبر ما آناه الله من عقل يصلحه ويبعد عنه العوامل المسيئة



والمخربة...

وقد نسأل ما هو دور الشيطان في هذا المجال؟

الجواب: أن دور الشيطان يتمثل في إثارة كوامن التربية الفاسدة والثقافة المزيفة والشهوات والعصبيات... دون أن يكون للشيطان القدرة والهيمنة الجبرية على الإنسان ومصيره... مما يعني أن بمستطاع المرء أن يبعد هذه العوامل المعطلة والمفسدة عن نفسه، والوصول إلى نور عقله، والتحرر من الأصر والأغلال الضاغطة التي أحاطت به... فتراه ينطلق، ويفهم نفسه ويعي جوهر وسر الحياة، حيث يفهم محيطه. على العكس من أولئك الذين ورطوا أنفسهم في شرقة الأباطيل والضغط، وتمسكوا بقشور الحياة ومظاهرها الخادعة... أما الوحي فانه يوفر للبشر الهدى الذي يجعل الإنسان يعود إلى فطرته ووجدانه وعقله، إلى ذلك البرنامج الذي جعله الله تعالى في قلبه ليفهم الحياة وآفاقها... خصوصاً وأن الله تعالى لم يخلق ابن آدم سدى. وحاشا لرحمته الواسعة أن يتركه يغرق في أمواج الشهوات دون أن يوفر له فرصة النجاة.

وقد جاء في الدعاء: «سبحان من لا يأخذ أهل الأرض بألوان العذاب»^(٤).
إن ربنا خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهياً له كل ما يحتاج إليه، وهده النجدين، وألهمه فجوره وتقواه، وأعطاه كل شيء...
إن الإنسان حين يتعرض لمعضلات الفتن يجد نفسه بمسيس الحاجة إلى الفطرة، وإلى من يأخذ بيده ويعيده إلى هده...
ولذلك تجد التنسيق الفذ لهذه الآيات: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ هُدًى﴾ أي أنه يهتدي بهذه الحكمة... فإذا وصل إلى الهداية تحققت له الرحمة. ﴿وَرَحْمَةً﴾ والرحمة تتمثل في الفلاح.

الإحسان الطموح الأرقى

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾

نستفيد من كلمة (المُحْسِنِينَ) هنا أن من الأبعاد الحقيقية والجوهرية للرحمة هي تطلّع الإنسان لنفع الآخرين، ومن أبرز أسباب الرحمة للإنسان هو الإحسان. إذ ينعكس الإحسان على ابن آدم حين يصبح محسناً للآخرين، كما ينعكس على وجدانه وعقله ومجمل حياته، فيكون مثله في ذلك مثل من يجلس في غرفة محاطة بجدران، ثم يقذف بكرة تعيدها الجدران عليه. وهكذا الأحسان (٤) الدعوات، قطب الدين الراوندي، ص ٩٣.



إلى الآخرين يعود إليك عاجلاً أم آجلاً.

السعادة-كلّ السعادة-إنما تكون من نصيب الإنسان المتزوّد بمنطق حكيم وخلق عظيم وسلوك سليم...

ثم القرآن المجيد يبين هذه الحقيقة مرّة أخرى ويقول: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة لقمان، آية ٥].

وهذه الميزات الثلاث قد بيّنت في الآيات الأولى، ثم إنّ الله تعالى بيّن النهاية السعيدة لأصحابها، حيث قال: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة لقمان، آية ٥].

فَمَنْ هؤلاء الذين يصلون إلى مرتبة الهدى؟ وما حقيقة الفلاح؟ وَمَنْ هؤلاء الذين يصفهم القرآن بالمفلحين؟

أمّا المنطق الحكيم، فحيث قال: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ إذ من لا يملك المنطق الحكيم، يفتقر العقيدة الصحيحة في الحياة، ويفتقد الرؤية الشمولية للكون ولنفسه... ومثل هذا لا ينفعه الخلق العظيم ولا السلوك السليم، لأن الاستراتيجية العامة لهذا الإنسان استراتيجية خاطئة، حيث الابتعاد عن الله والمثل السماوية العليا.

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة، لابدّ أن نعرف بأن كلّ إنسان يولد ومعه طموح وتطلّع، إذ يتطلّع إلى الخير والكمال والسمو والسعادة... والسعادة هي جوهر الفطرة الإنسانية، وهي الغاية المثلى. ولولا هذه الفطرة، لبقي ابن آدم كسائر المخلوقات الأرضية، لا يسمو ولا يتقدّم..

وهذه الحكمة التي يبينها ربنا سبحانه وتعالى في هذه الآيات الكريمة ينبغي أن تتجلّى في الخلق العظيم؛ يعني في الصدق والوفاء والإحسان، والعدل وإعطاء كل الناس حقوقهم... فإذا تجلّت هذه الحكمة في هذه الأمور، فسوف تنفع هذه الفضائل. أمّا إذا تجرّد المرء عن الحكمة؛ أي لم يمتلك العقيدة السليمة، لم يعرف الله،

فإذا كانت السعادة غايتك المثلى-أيها الإنسان-فلك أن تتساءل وتقول: أين هي؟ إنّ الكثير من الناس أرادوا السعادة وسعوا إليها سعياً حثيثاً، إلّا أنهم لم يصلوا إليها، بل ضلوا طريقها، إذ لم يكونوا على هدى... وواضح أن من ينطلق في طريق خاطئ، فإنه لا يزداد عن الغاية إلّا بعداً.

وهذه الآيات القرآنية المجيدة تؤكد أن



لأن هناك تفاعلاً في التأثير بين جوانب حياة الإنسان، حيث يؤثر قلبه في عمله، كما أن عمله يؤثر في قلبه... والصلاة باعتبارها عمود الدين، تعكس الخلق الفاضل، كما أن الخلق الفاضل يعكس الحكمة في مجمل حياة الإنسان.

أمّا إذا لم تنه الصلاة صاحبها عن الفحشاء والمنكر، ولم تقرن بتقديم الزكاة، فإن هذه الصلاة ليست صلاة خالصة لوجه الله تعالى؛ لأنها قد تخدعه فيتصور نفسه على الصواب بمجرد إقامة الصلاة من دون إلزام بشروطها، فيصبح ممن قال ربنا فيه: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [سورة الماعون، آية ٤].

ومن هنا؛ نقول بوجوب عرض أنفسنا على القرآن حتى تتكشف لنا خفايا ذواتنا... فتتعرف إلى حقيقة صلواتنا ووجهتها، وهل تنخرط ضمن عنوان: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾، أم هي الصلاة المنضوية تحت إعلان: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴿[سورة المؤمنون، آية ١ - ٢].

هناك صلاة وصلاة!

صلاة يتبرأ منها الله تعالى، حيث قال: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

ولم يؤمن باليوم الآخر، ولم يؤمن برسالة النبي وبمنهج الخلفاء الراشدين الحقيقيين للنبي صلوات الله عليه وآله. . سيصاب بالتية في هذه الدنيا الطافحة بالأمواج والتحوّلات..

إنّ الخلق الفاضل هو ميراث الحكمة، حيث تتجلّى في كلّ خصلة أخلاقية تبنى الحياة على أساسها.

بصائر واحكام

يجب على الانسان العودة الى فطرته التي فطره الله عليها ويتحدى العوامل المختلفة التي تبعد عنها وهو يتطلع الى الفلاح الذي يتحقق عبر منطق سليم وخلق عظيم وسلوك سليم، ومفتاحها الاحسان الى الآخرين.

حقيقة العبادة

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [سورة لقمان، آية ٤].

أمّا الصلاة والزكاة التي أرفقها الله تعالى بالهداية والحكمة والفلاح، فهي بمثابة الركيزة لامتلاك الحكمة والتزوّد بالخلق... فالذي لا يلتزم بها، فإنه سيفقد جانباً أساسياً من سعادته.



[سورة الأنفال، آية ٣٥]. فهي صلاة يستخدمها صاحبها للتعالي على الناس، أو يستأكل بها، ويغطي بها ما فسد من أفكاره وأعماله... فهو لا يؤمن بالله، لأنه من ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [سورة الماعون، آية ٦-٧]، رياءً وابتزازاً وقطيعةً بين الناس..

وصلاة مفيدة مثمرة، هي صلاة الخاشعين الذين يؤكدون طاعتهم لله وللرسول ولالإمام من خلاها.

وكذلك أمر الزكاة، حيث احتواؤها على هدف سام... إذ الأولى من غايات الزكاة استصلاح النفوس، لأن القرآن الكريم يقول: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة التوبة، آية ١٠٣].

فالفائدة الأسمى من الزكاة وقاية النفس وحفظها من الشح والبخل والجبن والكبر، حيث يقول الرب جلّ جلاله: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر، آية ٩]. ولكن من الناس من يزكي رياءً، أو مجرداً عن أن تستوعب الزكاة حياته، على أن من يتهرّب من تقديم الحقوق الشرعية يخسر من أجر الله تبارك وتعالى أكثر مما يربحه

من حطام الدنيا..

إن الزكاة شرعت لتزكية النفس أولاً، ثم لتزكية الأموال، نظراً لأن كلّ إنسان يجمع المال، لابد أن يصاب ماله بشائبة الحرام... إضافة إلى هدف ثالث يتمثل في الحيلولة دون تكديس الثروة وجعلها دولة بين الأغنياء.

أما الزكاة التي لا تتحقق هذه الغايات من خلاها، فهي ليست تلك الزكاة المطلوبة..

ولذلك، تجد الآية الشريفة صريحة في هذا المجال، حيث قالت: ﴿الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ إذ الصلاة دين وعمل، والزكاة ممارسة عملية هادفة عبر المال..

ولكن القرآن المجيد لا يكتفي بذلك، وإنما يضيف قائلاً: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي أن المصلي والمزكي الصادق يصليّ ويزكي انطلاقاً من علمه بأن هناك يوماً عسيراً سيلقاه، وهو يوم القيامة. أما الشاك في ذلك، فإنه قد لا ينتفع من صلاته وزكاته.

إذن، فإن هذه المفردات الثلاث: الحكمة في المنطق، والفضل في الخلق، والسلامة في السلوك.. إذا اجتمعن بعضهن، إلى بعض أضحي الإنسان على هدى من ربه وكان من المفلحين. أمّا إذا ترعزت العقيدة،



وساء الخلق، وفسد السلوك، فإنه لن يحظى من الحكمة والهدى والفلاح بشيءٍ مذكور.

ما هي الحكمة؟

حينما يبين القرآن الكريم الحكمة، فإنه يعني غلبة عقل الإنسان على هواه، وعلمه على جهله... كما أن الحكمة قد تنتهي به إلى أن يعرف الحقائق كما هي، بعيداً عن التصورات الباطلة. وهكذا يضبط المرء -وفق مقاييس الحكمة- حركته، كما يضبط أخلاقه ضمن القيم التي فطر الله تعالى قلبه عليها..

إن الحكمة -بصراحة بالغة- تعني كلّ خير، ولذلك نجد الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة البقرة، آية ٢٦٩].

ومن هنا؛ فإن الخلق الذي لا ينبعث من الحكمة ولا ينطلق من قواعدها ومقاييسها، وإنّ السلوك الذي لا يعتمد على الخلق الفاضل والحكيم فإنه يجسّد أزمة إنسانية كبرى.

آية صلاة وآية زكاة؟

ولنضرب لذلك مثلاً:

نعرف أن الصلاة من طبيعتها أن تؤدّي إلى كلّ الفضائل، ولذلك وصفت بأنها

عمود الدين، وأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر. فهل كل صلاة كذلك؟

كلا؛ إنما المصليّ المحرز لمواصفات الصلاة الصحيحة يجب أن ينفذ عن صلاته وهو أكثر خشوعاً وامتناعاً عن الرذائل وإقبالاً على الفضائل... ولعلّ مصلياً كان يفكر في بعض الأمور الخاطئة قبل إقامة الصلاة، ولكنه بعد ذلك، يضبط نفسه ويتغلب على ما تحوطه من وساوس نفسية أو شيطانية... ومثل هذه الصلاة هي التي تصبح قربان كلّ تقي.

وكذلك شأن الزكاة... والقرآن الحكيم يحدثنا عن قصة ابني آدم عليه السلام، إذ قدم كلّ منهما زكاةً وقرباناً، فتقبل الله من أحدهما، وهو هابيل، ولم يتقبل من الآخر، وهو قابيل. ولكن كيف كانت ردّة فعل من لم يقع قربانه موضع القبول؟

لقد كان من المفترض أن يراجع قابيل نفسه ويبحث عن أسباب رفض زكاته، ليصلح نفسه... لكنه أصرّ على نيته الخاطئة في دفع الزكاة وراح يهدّد أخاه قائلاً:

﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [سورة المائدة، آية ٢٧]،

مؤكداً عزمه على ارتكاب جريمة كبرى. مما يعني أنه لم يكن يقدم القربان من أجل الله



الزكاة؛ وسيلة تطهير

الزكاة تؤدّي إلى تطهير النفس من شحها، وتطهير المال من حرامه ووفاء لحقوق الناس... ذلك أن هناك فريضة عامّة تتمثل، في إيمان الإنسان بحق الآخرين عليه، ثم أن الشريعة السمحة حددت هذا الحق بما لا يكون إجحافاً بحق المزكي، ولا يكون تقصيراً بحق الناس، ورعاية العدل بدقّة.

ولذلك؛ لم ترد كلمة الزكاة في القرآن الكريم للتعبير عن الزكاة كما هي في الاصطلاح الفقهي فحسب، وإنما وردت أيضاً بعبارة اللغوي... والشريعة المقدسة قد وضعت الزكاة على هذه الأموال^(٥) المعروفة، وأضافت إليها الخمس، وقد قال ربنا سبحانه وتعالى في سورة الأنفال المباركة: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ [سورة الأنفال، آية ٤١]. كما أضاف إليه الصدقات، والأضحية في الحج، والذور وغير ذلك... ونحن لا نستطيع الاقتصار في الزكاة على موارد خاصّة، بحيث أن من لا يملك مفردات الزكاة التسع، يعفى من العطاء. كلا؛ إن عليه الخمس فيما يغنمه ويستفيده من

(٥) النقدان - الأنعام الثلاثة - الغلات الأربع.

تعالى، ولا من أجل تطهير نفسه وتركيتها، وإنما كان يدفع الزكاة ويقدم القربان من أجل السيطرة، ومن أجل أن يكون الأفضل، ومن هنا قال له أخوه المؤمن: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة، آية ٢٧]، وقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة المائدة، آية ٢٨].

فقابل هنا قام بممارسة فعل الزكاة، بينما مارس هابيل نوعاً آخر مناقضاً.

إذن؛ علينا - حين نصلي أو نزكي أو نصوم أو غير ذلك من الممارسات العباديّة - أن نلازم جانب الحذر بأشد ما يكون، لئلا تقع هذه الممارسات في الاتجاه الخاطئ... كما علينا أن نحرص كلّ الحرص لتتجه عبادتنا وممارساتنا الأخلاقية صوب تركية النفس وتطهيرها، لتتصل في نهاية المطاف بما يرضي الله سبحانه وتعالى، وتتحول إلى قربان خالص لوجه الله.

إنها سلسلة متصلة، بدايتها الحكمة، ووسطها الخلق الفاضل، ومنتهاها العبادة. فإذا كانت السلسلة متصلة، أثمرت الحكمة، وطاب الخلق، ونفعت العبادة. أما إذا انقطعت فهي الطامة الكبرى والمصير المشؤوم.



بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ [سورة الأعراف، آية ١٩٩].

فكلّمنا فضل عن نعمة المال، أو الجاه، أو العلم، أو القوّة الجسميّة، أو غير ذلك، ينبغي إنفاقه على ذوي القربى والمحتاجين وعموم المجتمع...

وهذا معنى الزكاة بالأفق الأوسع للكلمة. ولعلّ القرآن حين استخدم كلمة الزكاة، أراد منها هذا المعنى الأوسع لها، بدلالة أسلوب الاستخدام القرآني؛ مثل: ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

وقوله: ﴿خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ وآيات أخرى متشابهة.

ونحن نعلم أن من حكمة الدين كون الله تعالى أراد النعم لجميع الناس، بصورة عادلة... ولطالما أكّد أهل البيت عليهم الصّلاة والسّلام على أنه لم يفتقر فقير إلّا بسبب إحجام الغني عن الإنفاق من ماله... ولو أن الأغنياء جميعاً أدّوا ما فرض عليهم من الإنفاق لما بقي فقير ولردمت الفجوة بين الطبقات.

ومن ذلك قول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام):

أمواله خلال السنة بعد أن يحرز منها مؤونة سنّته وحاجاته العرفية... بل ورد في المأثور عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أنه قال: زكاة العلم نشره، زكاة الجاه بذله، زكاة الحلم الاحتمال، زكاة المال الافضال، زكاة القدرة الانصاف، زكاة الجمال العفاف، زكاة الظفر الاحسان، زكاة البدن الجهاد والصيام، زكاة اليسار برّ الجيران وصلة الأرحام، زكاة الصحة السعي في طاعة الله، زكاة الشجاعة الجهاد في سبيل الله، زكاة السلطان إغاثة الملهوف، زكاة النعم اصطناع المعروف، زكاة العلم بذله لمستحقّيه وجهاد النفس في العمل به. (٦)

والآية في سورة البقرة التي تقول: ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [سورة البقرة، آية ٣]، حيث تشير إلى ضرورة إنفاق المؤمن حقاً بما أوتي من نعمة، كنعمة القوّة ونعمة البصر والسمع والفكر وأية نعمة أخرى، وذلك في مساعدة الضعفاء والعجزة.

فالقدرة على تزكية النعمة، تستوجب المبادرة إلى الإنفاق منها، والله تعالى يقول في محكم كتابه الحكيم: ﴿خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ

(٦) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، ج ٨، ص ٣١٣.



بصائر وأحكام

علينا ان نعرض انفسنا على القران لنقيمها على اساسه فليست ممارسة الشعائر وحدها كافية بل يجب ان تكون لوجه الرب، ومؤثرة في سائر جوانب السلوك.

الحكمة تغليب العقل على الهوى، وبلوغ روح الدين واحكامه.

بين الهدى والخرافة

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة لقمان، آية ٥].

نعود إلى القرآن الكريم حيث يقول ربنا المتعال: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾، إذ الحديث عن مجموعة من الناس بلغة الجمع، فيقول: ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ و: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ و: ﴿وَهُمْ﴾ و: ﴿أُولَئِكَ﴾ و: ﴿رَبِّهِمْ﴾.

ويدوأن السبب في ذلك هوأن القرآن كتاب أمة، وكتاب يصوغ مجتمعا فاضلا. أوليس الفرد يعجز عن تطبيق كل الشرائع الإسلامية لوبقي فردا؟

قال الله سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

«إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء. فما جاع فقير إلا بما مُتّع به غني، والله تعالى سائلهم عن ذلك»^(٧).

ومن ناحية أخرى... لو فرضنا أن ظروفًا قاهرة وقاسية، كزلزال أو فيضان أو حرب وما أشبه، تسببت في حدوث فجوات مالية عميقة بين الناس. هنالك يتوجب على الحاكم الشرعي أن يبادر إلى إيجاد الآليات المناسبة لردم الفجوة الحاصلة بسبب الظروف القاهرة، ويحق له إذ ذاك أن لا يكتفي بمجرد جباية الزكاة أو استقبال الخمس. بل يفرض حسب العناوين الثانوية حقوقًا أخرى انطلاقًا من القاعدة الشرعية التي أمر بها النبي ﷺ، حيث قال: «لا ضرر ولا ضرار»^(٨)، أو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾ [سورة الحج، آية ٧٨]. إذا وصلت الأمة إلى حالة العسر والحرج، ووصل الأمر بالظروف الطارئة إلى درجة الضرر، فهنالك تتدخل الدولة وتضع القوانين الخاصة حتى اجتياز المحنة.

(٧) نهج البلاغة، حكمة رقم ٣٢٨.

(٨) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٥، ص ٢٩٤.

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ [سورة آل عمران، آية ١١٠]. وهنا سؤال: لماذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ بينما قال بعد ذلك: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ فهذه الكلمة: ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ تشير - يا ترى - إلى أية حقيقة؟

الجواب: هو أن الهداية ليست من الله سبحانه وتعالى في أولها، وهي أيضاً في استمرارها من الله تبارك اسمه... وهذا يعني أن الإنسان الذي هُدي إلى الصراط المستقيم ينبغي ألا يغتر بنفسه، إذ الهداية - في حقيقتها - فيض مستمر وعطاء دائم... ويمكن أن ينقطع ذلك الفيض في أي وقت من الأوقات. ولهذا قال الله سبحانه: ﴿رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [سورة آل عمران، آية ٨]. وورد في الدعاء المأثور عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «رَبِّ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَدًا»^(٩).

وكلمة (الرَّبِّ) الواردة هنا تعتبر ذات دلالة لطيفة جداً، لأن الرب هو الذي يربِّي، وهو يواصل نعمه على المخلوق لحظة بلحظة... وهو الذي خلقه من نطفة، ثم

(٩) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٥٨١.

جعل النطفة علقة، ثم مضغة، ثم كساه لحماً، ثم خلقه أطواراً؛ يرباه من طور إلى طور... فهو معه في كلِّ الحالات إلى أن اكتمل وأصبح رجلاً سوياً، وهو الذي منحه الهدى والنور باستمرار... مما يفرض على الإنسان أن يكون دائماً التوجه إلى ربه، لئلا ينقطع عنه الهدى، أو تحول دونه الأسباب عن الفلاح.

وقد سبق إنَّ التطلع إلى السعادة من فطرة الإنسان، فكلُّ إنسان يبحث عنها ولكن لا يعرف كيف يحصل عليها، وقد جاء القرآن الحكيم لبيان ما يحقق له هذه الأمنية الشائقة التي تداعب الوجدان..

إرادة الإنسان وهداية الله

العلاقة وطيدة بين إرادة الإنسان وحرّيته في الاختيار، وبين هداية الله تبارك وتعالى... فمن هداه الله لا يعني أن الله أجبره، ومن انقطعت عنه لا يعني أن الله قد ظلمه سبحانه، بل إنه هو الذي اشترى الضلالة بالهدى.

فالشمس تشرق بنور ربها فتضيء الأرض، ولكن من لا يمتلك العين البصيرة فلن يرى نوراً، ولا أرضاً، وجمالاً..

كذلك هدى الله تعالى يضيء، ولكن من أغلق منافذ قلبه، فقد خسر نفسه، وكانت خسارته بسوء اختياره..

إن الهداية من الله... هذا حق... ولكن ابن آدم حرّ، وله القدرة على استقبال الهداية أو رفضها... تماماً كهذه الذبذبات الإذاعية المتوفرة من حولنا، ومن يملك جهاز استقبال، كان بمقدوره الاستفادة منها عبر مذياعه مثلاً. إنما علينا أن نسعى جاهدين لكي لا تحتل أجهزة استقبالنا لهداية الله سبحانه وتعالى.

وربنا المتعال حينما يقول: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ يضيف قائلاً: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة محمد، آية ٢٤].

بمعنى أن القلب المغلق والمحيط به الشهوات، أو الذي ران عليه ما اكتسبه من الإثم... إنه يعجز عن استقبال أنوار الكتاب.

وإنما القلب الخاشع هو كالأرض الخاشعة التي تستقبل المياه العذبة التي تسوقها الرياح لتكون غيثاً وخصباً. ولكن هل كل أرض تنبت زرعاً أو تنفع ضرعاً؟ جواب ذلك نقرأه في قول الله ﷻ: ﴿وَالْبَلَدُ

الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [سورة الأعراف، آية ٥٨].

إذن؛ فالقول بحرّية الإنسان، قول بحرّيته في استقبال الهدى، وبمقدوره أيضاً أن يسد منافذ قلبه فيبقى في ضلال، فيخسر الدنيا والآخرة.

بين الهدى والخرافة

في سياق الحديث عن الحكمة، يبرز سؤال هام هو: كيف نستطيع التعرف إلى الحكمة؟ وكيف لنا أن نميّزها عن غيرها، ولا سيما عن الأساطير والخرافات والأفكار الضالة والمضلّة؟

الجواب: إن الحقائق عادة ما تعرف بأضدادها. فالنور يعرف جيّداً حين يخيم الظلام، والليل والنهار متناقضان، والصحة والمرض يعرف أحدهما الآخر..

كذلك نجد في المنطق القرآني أنه كلما بيّن لنا ربنا سبحانه جانباً من حقيقة، بيّن ما يضاده، لنزداد معرفة بذلك الجانب. فإذا حدثنا عن الحكمة، حدثنا عما هو ضد الحكمة، وإذا كانت الحكمة هي سبيل الله الذي يوصلنا إلى الجنة والرضوان... فإن



ما يضادها ويعاكسها، يوصلنا إلى كل شرّ وعذاب مهين.

وعلى الضفة الأخرى، لا يمكن للإنسان أن يصل إلى الحكمة ما لم يصل إلى معرفة ما يضادها، فيتجنبه ويواجهه؛ أي يواجه ما يضاد الحكمة مواجهة جدية. فمن لا يكفر بالطاغوت لا يؤمن بالله، ومن لا يتحدّى الآلهة المزيفة لا يعرف معنى التوحيد الخالص... بل إن كلمة التوحيد تبدأ أساساً بأداة النفي لكلّ إله مزعوم.

ومن هذه الزاوية، يكشف القرآن الكريم في سياق هذه السورة عن الجانب الآخر من الصورة؛ أي جانب لهو الحديث الذي هو مضاد للحكمة، والذي سوف نتدبر في الآية الخاصة به ان شاء الله تعالى. أما الآن فعلياً أن نعرف ما هو الفلاح وما هي السعادة.

ما هو الفلاح؟ وما هي السعادة؟

إن فريقاً من الناس يزعمون بأنهم يعرفون الخير، ولكن الحقيقة هي أن الكثير من البشر يعيشون العذاب ويعانون الهوان، وإنما حياتهم أشبه بالمات؛ فلا هي حياة حياة، ولا هي ممات..

والسبب في ذلك؛ أنهم لم يتذوّقوا طعم الكرامة ولم يتحسّسوا السعادة، ولذلك فإن أوّل مسؤولية يمكن لأيّ هادٍ ومرّب أن يؤدّيها-وهي المسؤولية التي اضطلع بها الأنبياء والأئمة والعلماء الربّانيون-هي إثارة مشاعر الإنسان السليمة، وتطلّعاته الفطرية، ومخاطبته بوصفه انساناً، وتذكيره بأنه لم يولد لكي يعذب، وأن العذاب ليس مصيره الأبدي..

ولطالما كان الأنبياء والأئمة وخلفاؤهم يبينون دور الإنسان وآفاق كرامته، وأن هذا المخلوق لم يوجد إلّا ليعيش في مملكة المحبّة والعدل والحرية والكرامة... والتأكيد لابن آدم يضروره التطلع وبجدية بالغة إلى امتلاك الجنة والجنّة فيها... وأن يسمو في تكامله إلى حيث وصفه الربّ المتعال: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [سورة القمر، آية ٥٥]. إذ يكون جليس الرحمن.

إن هذه هي الخطوة الأولى التي لا بدّ أن يخطوها الإنسان نحو الفلاح والسعادة... إذ يثير تطلّعاته المشروعة، ويعرف لم خلق.. إن هناك من الثقافات الجاهلية-القائمة على الخرافة-التي يحاول الطغاة



ومن نصوص دعاء أبي حمزة الثمالي المروي عن الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام ما جاء فيها:

«اللهم إني أسألك صبراً جميلاً، وفرجاً قريباً، وقولاً صادقاً، وأجراً عظيماً. أسألك يا رب من الخير كله؛ ما علمت منه وما لم أعلم. أسألك اللهم من خير ما سألك منه عبادك الصالحون. يا خير من سئل، وأجود من أعطى، أعطني سؤلي في نفسي وأهلي ووالدي وولدي وأهل حزنتي وإخواني فيك، وأرغد عيشي، وأظهر مروتِي، وأصلح جميع أحوالي، واجعلني ممن أطلت عمره، وحسنت عمله، وأتممت عليه نعمتك، ورضيت عنه، وأحييته حياة طيبة في أدوم السرور وأسبغ الكرامة وأتم العيش، إنك تفعل ما تشاء، ولا يفعل ما يشاء غيرك.

اللهم خصني منك بخاصة ذكرك، ولا تجعل شيئاً مما أتقرب به في آناء الليل وأطراف النهار رياءً ولا سمعة ولا شراً ولا بطراً، واجعلني لك من الخاشعين.

اللهم أعطني السعة في الرزق، والأمن في الوطن، وقرّة العين في الأهل والمال والولد، والمقام في نعمك عندي، والصحة في الجسم، والقوة في البدن، والسلامة في

وأعوانهم بثها بين الناس، لانتزاع الكرامة من الإنسان، حتى أنهم ليوحون له بأنه قد خلق ليعذب، وقد أضحي من البشر اليوم من يجرم على نفسه ممارسة أي نوع من أنواع استثمار طيبات الحياة ولذائدها... وهذا ما يعتبر عين الخرافة!

ومن الناس -عبر التاريخ- من انتزعت منه الكرامة، حتى على مستوى الإحساس، وقد قيل له من قبل: إنك خلقت عبداً، ولا بد أن تبقى عبداً... فيها الرسالات الإلهية ترفض ذلك رفضاً قاطعاً، إذ الله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم، وقد قال بعد أن خلقه: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [سورة المؤمنون، آية ١٤]، ولم يقل ذلك لدى خلقه. كل هذا الفضاء الرحب الذي قد لا يصل حتى الخيال إلى مداه..

فإذا كان من الأشخاص من لم يفهم هذه الحقيقة بعد، ويعجز عن تصوّر الآفاق التي يتكامل بها... فإن رسالة السماء -بآياتها وبأحاديث النبي وأهل بيته عليه السلام، وحتى أدعيتهم الماثورة التي هي بمثابة كنوز إلهية- لترفع من مستوى وعيهم بحقيقة الوجود الإنساني والحكمة الربانية التي تقف وراء خلقه الإنسان..



الدين، واستعملني بطاعتك وطاعة رسولك
محمد ﷺ أبداً ما استعمرتني...» (١٠)

ألا تجدون كيف أن هذه المقطوعة من
الدعاء الرائع تحتوي على أغلب التطلّعات
البشريّة الراقية؟ وكيف تثير في الإنسان كلّ
مشاعره الكامنة وتدفع به إلى تبني التطلّع
الرفيع؟

وإن ذلكم لبعد أساسي من أبعاد
الفلاح... إذ يبدأ الفلاح بالتطلّع، ثم
بالعمل الدؤوب والسعي المستمر.

ثم تحقق لنا رسالة السماء؛ ببرامجها
الحياتية وأحكامها الدينية ووصاياها الخلقية،
وبما تخلفه في المجتمع من سلام واستقرار،
وبالمنظومة المتكاملة من الثقافة الناهضة
تتحقق حياة طيبة، ملؤها الأمن ودرء البأساء
والضراء وتحسين العلاقات الاجتماعية، وكلّ
ما من شأنه التسبّب بالشقاء والتعاسة..

وأخيراً؛ يزرع الإسلام الرضا في قلب
الإنسان، ليبقى مطمئناً آمناً بعيداً عن
الأمراض النفسية والتوترات العصبية وما
ينغص الحياة من مخاوف الموت والحرص
والطمع والحسد وغيرها... والإسلام يضع

(١٠) مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، ص ٥٩٤.

الحلول الناجعة لكلّ العقد النفسيّة المعطلة
للحياة، حتى أن المؤمن ليترد عن نفسه
الخشية من الموت، وهو أكبر منغص لأكثر
الناس. أو تدري كيف؟

الإسلام يعلم البشر بأن ﴿كُلُّ نَفْسٍ
ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [سورة آل عمران، آية
١٨٥]، ويؤكد له ضرورة التوكّل على الله
تعالى وتفويض الأمر إليه، إضافة إلى أهميّة
اعتبار المؤمن؛ الدنيا برمتها جسراً إلى عالم
آخر له حساباته الخاصّة... ومن (الاستقرار
والاطمئنان إلى غفران الله) يتطلّع المؤمن إلى
الرحمة الربّانية المطلقة، وبالتالي فهو غنيّ عن
عقدة مواجهة الموت..

والمؤمن يمتاز بصفة الرضا، والرضا
نصف السعادة... وهذا الرضا يفتح أمام
عينيه أفقاً راقياً. كيف؟

إن السعادة تقضي إما بتكيف الحياة مع
الذات، أو بتكيف الذات مع الحياة... فإذا
تمكّن المؤمن من الخيار الأوّل فيها ونعمت،
وإلاّ وفق نفسه مع الحياة بما لا يسقط به في
المحاذير، ورضي بما قسم الله له..

لذا ينبغي لنا أن نطلب من الله تعالى أن
يرزقنا من اليقين ما يهون علينا مصائب





الدنيا ونرضى بما قسم لنا... وهذا الرضا جزء أساسي من السعادة، لأن السعادة قبل أن تكون في واقع الإنسان هي في قلبه.

وكلمة رائعة هذه التي يبينها ربنا المتعال في الآية الخامسة من السورة المباركة، حيث يقول: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ إذ الفلاح غير السعادة... لأن المرء قد يكون سعيداً بنفسه، ولكنه من الخطأ أن يتخيل السعادة فيما أخوه أو صديقه أوجاره يعاني الشقاء، فتلك ليست بالسعادة الحقيقية... لا سيما وأن الإنسان لا يستطيع العيش في جزيرة آمنة ومن حوله بحر من الشقاء... مما يعني لزوم سعيه لإحراز الخير له وللآخرين. وهذا هو الفرق بين كلمتي السعادة والفلاح.

ثم إنَّ السعادة الإيمانية لا تقتصر على الدنيا فحسب، وإنما هي تمتد إلى البرزخ وإلى يوم القيامة، وعند الميزان، وعند الصراط المؤدِّي إلى الجنة... وكلمة الفلاح تشمل كلَّ هذه الأبعاد لسعادة الإنسان.

والإنسان ينبغي أن ينفذ عن نفسه غبار الخمول والجمود... وينطلق إلى الحياة عبر التطلُّع والطموح... وأرقى نوع من

أنواع ترجمة هذا التطلُّع - الحقيقي والصادق والمشروع - هو الدعاء..

إنَّ أوَّل ثمرة للدعاء - في الحقيقة - هو أنه يكرس في النفس الخلق الفاضل، حيث يدعو الداعي ويطلب من الربِّ المتعال أن يأخذ بيده إلى حيث تطهير قلبه من الأمراض والعقد النفسيَّة، كالطمع والرياء والحسد والفواحش الباطنيَّة..

وبالإضافة إلى كون الدعاء يمثل مستوى سامياً من الإيحاء النفسي المطلوب، كذلك هو نوع عبادة، بل هو مخ العبادة، لأنه يختزل في طياته استيعاب الإنسان الداعي سرَّ وجوده، فضلاً عن معرفته ربَّه ومعرفته نفسه.

وقد ورد في الحديث المروي عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «خير ما يسأل الله العبد العافية»^(١١).

والعافية تعني الكمال في الأمن والصحة والسلامة الروحيَّة والجسديَّة والماليَّة... والصدق في اليقين، وعدم وجود العيب في التمسك بالدين.

ثم الدعاء يفضل أن يُشرك فيه الآخرون، كما هو الوارد في صلاة الليل، حيث يستحب

(١١) الدعوات، قطب الدين الراوندي، ص ١١٣.

بصائر وأحكام

الهدى من الله ولكن على البشر ان
يفتحوا منافذ قلوبهم على ضياء الهدى، ولن
يجبر الرب عباده على الهدى ولا يمنعهم عنه
عبثاً سبحانه.

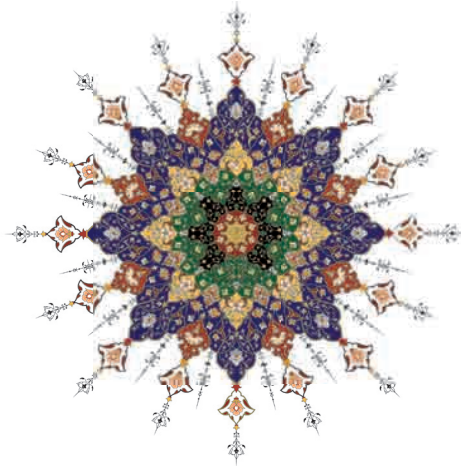
الخطوة الاولى على طريق الفلاح اثاره
فطرة الكرامة على الانسان وتطلعه الى
الاسمى، ويعلم انه انما خلق ليعبد الله
وحده فيحظى بكرامته البالغة.

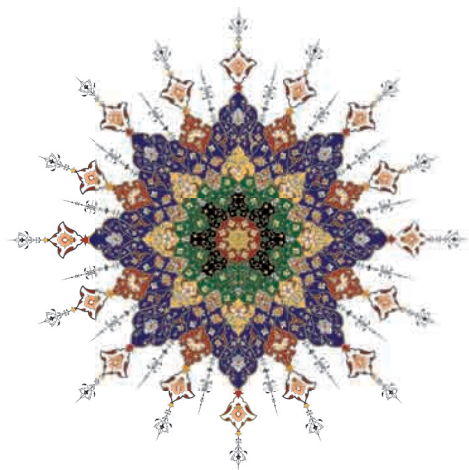
المؤمن بين حسنين اما بتكيف الحياة معه
بنعم الله السابعة او تكيفه مع الحياة بالرضا.

للحديث صلة إن شاء الله تعالى

أن يدعو المصلي في ركعة الوتر لأربعين
شخصاً من إخوانه المؤمنين... مما يعكس
تغلبه على عقدة الأنا في نفسه، وتحرره إلى
حيث إرادته الخير لغيره... ومن طبيعة هذا
الدعاء: أنه يقرب بين الداعي والمدعوله؛ أي
أنه يوجد صلة غيبية بينهما، وتتوثق عرى هذه
الصلة إذا ما دعا المدعوله للداعي الأول.
ونحن نعلم كم للصلة الوثيقة الطيبة من دور
في تحقيق السعادة الحقيقية للإنسان.

هذا إضافة إلى إيجابية الأدعية الجمعية،
حيث يتفاعل دعاء الفرد مع أدعية إخوته
المؤمنين.





بصائر في سورة العصر

سماحة الشيخ محمد مهدي الأصفي
النجف الأشرف - العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا
بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة العصر من غرر قصار السور في
القرآن الكريم، وكل آيات كتاب الله غرر
وبصائر.

وقد تضمنت السورة على اختصارها
ثلاثة محاور.

فهي تتألف من قَسَم وجواب القَسَم
والاستثناء من جواب القَسَم.

وهذه محاور ثلاثة.

كما لوقلت: والله إني أحج هذه السنة إلا
أن يعرض لي مانع.

فإن هذه الجملة تتألف من قسم
هو (والله)، وجواب للقسم هو (أحج هذه
السنة)، واستثناء من الجواب وهو (إلا أن
يعرض لي مانع).

وبنفس النظام تنقسم سورة العصر
على ثلاثة محاور: قسم، وجواب للقسم،
واستثناء من الجواب.

أما القسم: فهو ﴿وَالْعَصْرِ﴾... (والواو)
في هذه الكلمة للقسم و(العصر) المقسم به،
وهو بمعنى الزمان في أقرب التفاسير إلى

والشطر الثاني:

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾،
وهو بمعنى ان الإيمان والعمل الصالح،
إن لم يكونا على منهاج (الحق) و(الصراف
المستقيم) الذي قرره الله تعالى لعباده فلا
يخرجان صاحبهما من (الخسر) ولا يدخلانه
في النفع والفلاح...

ولأن أمر (الحق) صعب وعسير، فلا بد فيه
من (التواصي بالحق والتواصي بالصبر عليه).
وهاتان بصيرتان في جملة الاستثناء.

وإذا أضفنا اليهما بصيرتين أخريين، وهما
(القسم) و(جواب القسم)، كانت السورة
المباركة على وجازتها واختصارها تتألف
من أربعة بصائر:

القسم، وجواب القسم، والاستثناء
الاول لجواب القسم، والاستثناء الثاني
لجواب القسم... وهذه اربع بصائر تتضمنها
سورة العصر المباركة.

وسوف اتحدث إن شاء الله عن هذه
البصائر الاربعة، على سبيل الاختصار،
بصيرة بصيرة، رزقنا الله وعي بصائر كتابه،
إن شاء الله.

سياق السورة المباركة.

جواب القسم: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي
خُسْرٍ﴾... وهذه الجملة هي روح هذه
السورة وجوهرها، التي انعقدت السورة
المباركة من اجل تقريرها، وهي من غرر
بصائر كتاب الله.

والاستثناء من جواب القسم هو قوله
تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

وهذه الجملة استثناء من الحقيقة
الكبرى التي قررتها جملة جواب القسم في
هذه السورة.

إنَّ الناس كل الناس، في خسر متصل
في هذه الدنيا، إلا الذين آمنوا، وعملوا
الصالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا
بالصبر... فان هؤلاء قد مكّتهم الله، ان
يقلبوا (الخسر) إلى ربح وفلاح.

وجملة الاستثناء تتألف من شطرين،
وكل منهما بصيرة:

الشطر الأول:

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾،
وهو بمعنى شرط الايمان والعمل الصالح
في الخلاص والنجاة من الخسر.



جميعاً يعلمون أنّ الإنسان في حالة تناقص دائم، ومع كل نقص خسارة الا أن يستثمر عمره فيما أحب الله، ومع ذلك يخفى على الكثيرين.

البصيرة والبصائر

في البدء نتحدث عن البصيرة والبصائر.

القرآن بصائر من عند الله.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ [الانعام / ١٠٤].

فإذا أردنا أن نتحدث عن البصائر الاربعة في سورة العصر فلا بد أن نتساءل أولاً عن (البصيرة) و(البصائر) ما هي؟

البصائر في القرآن هي الافكار والمفاهيم والمبادئ التي تمكنا من فهم الحقائق في الكون والتاريخ والمجتمع والحياة.

ففي الكون، والتاريخ، والمجتمع، وحياة الآخرة حقائق كبيرة وهامة وواضحة، ولكنها رغم وضوحها تخفى على الكثيرين.

كما أن هناك حقائق رقيقة لا يدركها الا من آتاه الله نوراً من بصائر كتابه، ولا يمكن الوصول اليها الا من طريق الوحي.

فمن الحقائق الواضحة التي تغيب عن الكثيرين رغم وضوحها هو قوله تعالى في سورة العصر: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ فهي تغيب عن اكثر الناس رغم أنّ الناس

وهناك حقائق وقوانين في الكون والمجتمع والتاريخ، وفي الدنيا والآخرة لا يمكن الوصول اليها بالوسائل والمناهج العلمية المعروفة في الفيزياء والكيمياء والرياضيات وعلم النبات وعلم الأحياء. والمصدر الوحيد الذي نستقي منه هذه المعارف هو (الوحي) ولوحجنا عن الوحي لم يبق لنا سبيل إلى الوصول إلى هذه الحقائق. من ذلك قوله تعالى: ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم / ٧]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر / ٦٠]، فان هذه وتلك حقائق قائمة في العلاقة بين الإنسان وبين الله تعالى.

ولكن لا سبيل إلى إثباتها بصورة علمية منهجية، بالوسائل العلمية المعروفة في الرياضيات والعلوم التجريبية.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق / ٢-٣]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾



﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ
مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾
[الاعراف / ٢٠١].

وفي هذه البصيرة نتعلم كيف نطرد
الشیطان عن أنفسنا بالتقوى. فمن يتقي الله
تعالى لا يقتحم الشیطان قلبه وعقله ونفسه،
وإنما يطوف حوله ليجد ثغرة يتسلل منها إلى
نفسه، فيتذكر الإنسان فجأة وفي وقت مبكر
حضور الشیطان فيحذره، ويتعوذ منه،
وكانها التقوى تدفعه إلى الحذر والانتباه،
فيتذكر ويُبصر، فيتوارى عنه الشیطان.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
شَرًّا يَرَهُ﴾.

وهذه البصيرة القرآنية قانون بقاء العمل
وتحوّله من الدنيا إلى الآخرة، من خير او شر،
وصواب أو خطأ.

فما من عمل يُقَدِّم عليه الإنسان إلا ويلقاه
عند الله، يوم يلقي الله، ولا يتسرب الفناء
والزوال الى أعمال الإنسان... وهي حقيقة
كبرى من حقائق الشهود والغيب بين الدنيا
والآخرة وإذا عرف الإنسان هذه الحقيقة
يتحول منهج حياته وسلوكه وتفكيره إلى

[البقرة / ١٥٢]، فقد يدرك الإنسان بعض
هذه الحقائق بالتجربة، ولكنها لا تخضع
للمناهج العلمية المعروفة في الرياضيات
والعلوم التجريبية، ولا يمكن إثباتها بها.
والأداة المفردة للوصول إلى هذه الحقائق
هو الوحي.

وهذه الآيات وغيرها من بصائر القرآن
من رقائق سنن الله تعالى في الغيب والشهود
لا يعرفها الكثيرون ممن أعرضوا عن بصائر
القرآن.

وهذه البصائر كما ذكرنا تُمكن الإنسان
من فهم حقائق الكون والتاريخ والمجتمع
والحياة في الشهود والغيب.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ
الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الاعراف / ٩٦].

فهي تشير الى حقيقة كبرى في التاريخ
والمجتمع وفي حياة الافراد في علاقة التقوى
بنعم الله فإن التقوى تستنزل النعم، كما أنّ
العصيان تصدّ النعم.

وبهذه البصيرة نبصر العلاقة بين التقوى
ورحمة الله تعالى على الناس.

ومن أمثلة هذه البصائر قوله تعالى:



حالة من الوعي والحذر والحرص على لحظات العمر التي يشرب إليها الفناء..

إن بصائر القرآن على أنحاء كثيرة منها ما تبين العلاقة بين الدنيا والدنيا، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، فإن الناس لا ينالون تغييراً في دنياهم في حياتهم الاقتصادية والسياسية والعسكرية والعمرانية، من جانب الله، الا عندما يبدأون التغيير بأنفسهم فيرزقهم الله التقدم والانتعاش في حياتهم الاقتصادية والازدهار في اسواقهم، والعمران في بلادهم، والتقدم في قدراتهم العلمية. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

وهذه المعادلة من المعادلات القائمة بين الدنيا والدنيا، ومنها العلاقة بين الآخرة والآخرة، نحوقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [فصلت/ ١٠٢]، ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَدْنَى لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا/ ٧٨].

ومنها ما تبين العلاقة بين الدنيا والآخرة، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى

فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الاسراء/ ٧٢]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الانعام/ ١٦].

ومنها ما يبين العلاقة بين الشهود والشهود نحوقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾. وأبين الغيب والغيب، نحوقوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد/ ٢٨].

فان طرفي المعادلة كليهما من الغيب.

أوتعكس العلاقة بين الغيب والشهود نحوقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق/ ٣]، فإن التقوى من الغيب والرزق وانفراج الازمات من الشهود.

وقد تعكس العلاقة بين الشهود والغيب (بعكس الحالة السابقة) نحوقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ومن يعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [الزلزلة/ ٧-٨]، فان الخير والشر في الدنيا غالباً من الشهود وحضوره عند صاحبه في الآخرة من الغيب.

إذن بصائر القرآن متعددة مختلفة، منها ما يتعلق بعلاقة الدنيا بالدنيا.

ذلك يأتي الحمد والعبادة والاستعانة في
سورة الحمد:

إذا عرف الإنسان أنَّ كل رحمة ونعمة
وحول وقوة من عند الله، وأنَّ الله هورب
العالمين، وليس من حول ولا قوة ولا نعمة
ولا فضل الا من عند الله، عندئذ لا يحمدا
الإنسان أحداً غير الله، الا في امتداد الحمد
لله، ولا يستعين بأحد غير الله الا في امتداد
الاستعانة بالله، ولا يعبد أحداً غير الله.

وليس معنى ذلك أن لا يحمدا الإنسان
أحداً على جميل، ولا أن لا يستعين بأحد
اوبشيء غير الله، فإن ذلك على خلاف
سنن الله تعالى، وإنَّما معنى ذلك أن يعرف
الإنسان أنَّ الله تعالى هوأهل لكل حمد، وإنَّما
نحمدا الناس ونحمدا الأشياء بما وهبهم الله
من الجميل، فالله تعالى هوالذي يستحق كل
الحمد وأي شيء آخر غير الله فهوإنَّما يستحق
الحمد في امتداد الحمد لله وليس مع الله،
وهو معنى توحيد الحمد لله (الحمد لله).

وكذلك الاستعانة، فإن كل حول وقوة
بالله، وبالضرورة كل استعانة يكون بالله،
وما من شيء اوشخص يمكن ان نستعين به
الا ان تكون استعانتنا به في امتداد الاستعانة

ومنها ما يتعلق بعلاقة الآخرة بالآخرة.
ومنها ما يتعلق بعلاقة الدنيا بالآخرة.

ومنها ما يتعلق بالعلاقة بين الشهود
والشهود.

ومنها ما يتعلق بالعلاقة بين الغيب
والغيب.

ومنها ما يتعلق بالعلاقة بين الغيب
والشهود.

ومنها ما يتعلق بالعلاقة بين الشهود
والغيب.

وهي تجهز الإنسان برؤية صافية نقية
يرى الاشياء والامور بها بغير ما يراه
الناس، ويفرق بها بين الحق والباطل،
والصدق والكذب، والأمانة والخيانة،
والنصح والغش.

وهذه رؤية وتفريق لا يراها الا اصحاب
التقوى والذكر من عباد الله الصالحين.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا
اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال / ٢٩].

وهذه رؤية متميزة لا يلتبس على
صاحبها الحق بالباطل والصدق بالكذب.

وقد توجه فكره وعقله، وهوأمر آخر غير
الرؤية الصافية التي تحدثنا عنها، ونوضح



بالله.
فإنه يخسر هذا الموقع الشريف الرفيع،
دون أن يسلم من الابتلاء...عندئذ يصبر
الإنسان ويستقيم ويقاوم، ولا ينفد صبره.

تأملوا في هذه الآية الكريمة [من
سورة البقرة / ١٥٥]: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ
مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ
وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ
إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ
وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.

إن هذه البصيرة من بصائر كتاب الله
يوجّه بصورة مباشرة سلوك الإنسان
وموقفه في الأزمات والشدائد ويمنحه
القوة والمقاومة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة / ١٥٣].

فإن الإنسان اذا وعى معية الله للصابرين
(إن الله مع الصابرين) يزداد قوة وصموداً
ومقاومة وثباتاً.

إذن بصائر القرآن تجهّز الإنسان برؤية
ربانية صافية نقية أولاً. وتوجّه عقله وفكره
ثانياً، وتوجه سلوكه ومنطقه ومواقفه

وهذا المعنى معنى عقلي ذهني محض،
ولا دخل له في سلوك الإنسان. فالفلاح
يستعين بالبذور والسقي والتربة والحرث...
من دون أن يكون لهذا المعنى تأثير في طريقة
عمله، ولكن الفلاح الذي يحمل بصائر
التوحيد، يعلم أن كل ما يستعين به وكل
من يستعين به يأتي في امتداد الاستعانة بالله،
وهو في الحقيقة في كل تعامله المادي مع
الأشياء والأشخاص، واستعانته بها وبهم
لا يستعين بغير الله، وكلما استعان بشيء فقد
استعان بالله، وهو معنى (إياك نستعين)،
ومعنى حصر الاستعانة بالله، وهو المقصود
بتوحيد الاستعانة.

وكما توجه البصائر عقل الإنسان وفكره
كذلك توجه سلوك الإنسان ومواقفه
وحركته وعلاقاته.

فإن الإنسان اذا عرف أن الابتلاء سُنّة
إلهية مطلقة غير مشروطة، تصيب الناس
جميعاً، ولا يسلم من الابتلاء أحد، فإذا
صبر الإنسان واستقام وتحمل الابتلاء
بسعة صدر، فإنه يضع نفسه في موضع
صلوات الله ورحمته. وإذا جزع في الابتلاء



وعلاقاته ثالثاً.

والآن ننتقل الى البصائر الاربع في سورة
(العصر).

البصائر الاربع في سورة العصر

في سورة العصر تجتمع أربع بصائر في
ثلاث آيات، وتنظم هذه البصائر الاربع في
الاجزاء الثلاثة للسورة.

والاجزاء الثلاثة في هذه السورة هي
(القسم) و(جواب القسم)، و(الاستثناء
من جواب القسم) بالشرح التالي:
١- القسم وهو (والعصر).

٢- و(جواب القسم) وهو القضية التي
من أجلها يجري القسم وهو (إن الإنسان
لفي خسر).

٣- والاستثناء من جواب القسم،
وهو (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)،
وهو استثناء من القضية المتقدمة (إن الإنسان
لفي خسر).

هذه هي الأجزاء والفصول الثلاثة لهذه
السورة التي تتضمن بصائر أربع:

البصيرة الاولى في القسم، والبصيرة
الثانية في جواب القسم، والبصيرة الثالثة

والرابعة في الاستثناء من جواب القسم.

وكل بصيرة من هذه البصائر تحتاج
إلى توقف وتأمل كثير ونحن إن لم نتمكن
في هذه المقالة من هذا التوقف الطويل
فسوف نحاول إن شاء الله ان نتوقف عند
كل واحد من هذه البصائر الاربع وقفات
قصيرة، عملاً بالأصل العقلائي المعروف:
إن الميسور لا يسقط بالمعسور.

البصيرة الاولى

القَسَم

(والعصر)

كلام الله حق، لا ريب فيه، ولا حاجة
فيه للقسم.

ولكن القسم أسلوب بياني معروف
لتأكيد القضايا وتثبيتها في نفوس المخاطبين.
وجرياً على هذا الأسلوب البياني يجري
القسم في القرآن في مواقع عديدة، مثل
قوله تعالى: (ن والقلم)، (ص والقرآن)،
(والليل اذا يغشى)، (والفجر وليالٍ عشر)،
(والنهار اذا تجلى)، (والشمس وضحاها)،
(يس والقرآن الحكيم)، (والضحى والليل
اذا سجى)، (والتين والزيتون).



والدلالة الاخرى: الدلالة على اهتمام المتكلم بجواب القسم.

والقسم في هذه السورة يتضمن هذين المعنيين بالضرورة، وهما الاهتمام بالعصر، وهو بمعنى الزمان، وقيمته الكبرى في حياة الانسان وفلاحه، والاهتمام الآخر: الاهتمام بجواب القسم، وهو قوله تعالى: (إن الانسان لفي خسر)... وقد قلت قبل قليل: إن سورة العصر منعقدة لبيان هذه الحقيقة، وهوروح هذه السورة وأن كل الادوات البيانية في هذه السورة من القسم، والتصدير بكلمة (إن) المفيدة للتأكيد والتحقيق (إن الانسان لفي خسر) موجهة للدلالة على أهمية المقسم له.

والقسم بالعصر في هذه السورة يدل على أهمية العصر والزمان عند الله، وتعظيم القرآن له. وهذا التعظيم لأمر الزمان والاهتمام الكثير به هو البصيرة الاولى في هذه السورة.

فإن الزمان تاريخ تكامل الإنسان. ولم يتكامل الإنسان، ولم تتكامل حضارة الإنسان، ولم تتكامل معرفة الإنسان وعلومه إلا على عمود الزمان.

السنخية بين القسم والمقسم له

ومن رقائق القسم في القرآن: السنخية بين القسم وجواب القسم. وهذه السنخية من رقائق نكات القرآن لا يسعنا أن نفصل فيها الحديث في هذا المقال. ولكن بقدر ما يتعلق بسورة العصر، أقول: إن العلاقة بين القسم والمقسم له: (جواب القسم) واضحة، فإن العصر هو الزمان، والمقصود من الخسر في جواب القسم هو الحالة التدريجية لخسارة الإنسان لعمره، ساعة بعد ساعة، ودقيقة بعد دقيقة، وهي حالة الاستهلاك والتناقص التدريجي لعمر الإنسان، وهوزمانه الذي قدره الله له في هذه الدنيا. وبناءً عليه، فإن القسم وجواب القسم من سنخ واحد، كما هو ظاهر.

دلالتان في القسم

والقسم يحمل معنى قضائياً، ومعنى بيانياً والمقصود بالقسم في هذه السورة وفي سائر السور المعنى الثاني، بالتأكيد.

وللقسم من الناحية البيانية دلالتان:

دلالة على الاهتمام بالمقسم به والتذكير بأهميته وخطورته.



والعلم بعض ما يحققه الإنسان على عمود الزمان. فإن الإنسان يكسب مواقع القرب من الله على عمود الزمان ويرقى الإنسان في عروجه إلى الله... حتى يكون في أقرب ما يتصوره العقل من القرب من الله تعالى وذلك ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾، وناهيك بهذا الموقع الرفيع الذي لا يناله إلاّ ذو حظ عظيم من المعرفة، والقرب، واللقاء، والعروج إلى الله. ويتم ذلك كله في وعاء الزمان وعلى سلّم الزمان، ولولا الزمان لبقى الإنسان في علاقته مع الله في الموقع الأول الذي خلقه الله تعالى فيه.

صحيح ان الإنسان قد يسقط على سلّم الزمان إلى ما دون نقطة الصفر، فتكون حركته على عمود الزمان حركة عكسية، ولكن ذلك يتم بإرادته واختياره، وهو فقط يتحمل مسؤولية هذا السقوط.

ونحن نقول أن (الزمان) هو عامل الصعود والتكامل في تاريخ الإنسان وحياته، اذا كان هو يريد ذلك.

ولا نقول الزمان وعاء لتكامل الإنسان فحسب... فإن دور الزمان في تكامل الإنسان ليس شياً أكثر من الوعاء، وأبلغ تعبير

وإذا ألغينا الزمان من الحساب، فقد ألغينا التاريخ، لأنّ التاريخ هو الحركة التدريجية للزمان. وإذا ألغينا التاريخ توقف تكامل الإنسان وتوقفنا عند الإنسان في عصره الحجري الأول، يوم كان الإنسان في بدايات المعرفة، لا يعرف بعد صنعة لبوس، ولا يعرف كيف يستخرج النار من الطبيعة. ويحدثنا القرآن: إن قابيل لما قتل أخاه هابيل لم يعرف كيف يواري جثمان أخيه، حتى بعث الله إليه غراباً علّمه كيف يواريه في التراب. إنّ تكامل حركة الإنسان وحضارته ومعرفته وعلومه هو التاريخ، والتاريخ هو حركة الزمان.

ولا يختلف دور الزمان في تكامل الفرد عن دور الزمان في تكامل الشعوب والأمم. فإن الإنسان يولد من أمّه لا يعرف شيئاً كما يقول القرآن ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾ [النحل / ٧٨].

وعلى عمود الزمان يتكامل الإنسان، فيتعلّم ويَعْلَم ويُعَلِّم، ويُؤَسِّس للعلم، ويطوّر العلم، وإذا جرّدنا الإنسان من عامل الزمان بقي الإنسان كما يقول الله تعالى (لا تعلمون شيئاً).



في ذلك أن نقول: إنه (عامل لتكامل الإنسان وعروجه وله دور في تكامل الإنسان).

وإذا عرف الإنسان هذه القيمة الكبيرة للزمان في تكامله وعروجه، فلا يفترط فيه ولا يبذّر في السنين والأيام والساعات. إنه رأس ماله الذي آتاه الله في هذه الدنيا، والتفريط فيه تفريط في رأس المال.

إن التعبير النبوي عن قيمة العمر في الحديث المعروف عن رسول الله ﷺ لأبي ذر: «يا أبا ذر، اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» وهو بمعنى أن العمر والصحة والغنى والفراغ والشباب غنائم يجب أن يغتنمها الإنسان.

وفي الحديث: «يا ابن آدم إنما أنت أيامك» وهو تعبير بليغ لا أعرف أبلغ منه في قيمة الوقت، وكلمة (إنما) من أقوى أدوات الحصر في اللغة العربية... وعليه يكون معنى الحديث الشريف: «إن كل رأس مال الإنسان» في حركته الصاعدة إلى الله هو أيامه التي رزقه الله في هذه الدنيا. ففي هذه الأيام يرقى الإنسان إلى الله، وينال ما لا عين رأت ولا أذن سمعت من النعيم المقيم عند الله،

وأعظم من ذلك كله وأشرف وأرفع من كل ذلك لقاء الله وجواره ورضوانه: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾. [المائدة/ ١١٩] ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة/ ٧٢].

وهذه هي البصيرة الأولى في هذه السورة المباركة في قيمة الوقت والعمر، والتحذير من إهداره، وتعطيله وإنفاقه فيها لا يعود إلى صاحبه بعائدة جليلة في حركته التكاملية إلى الله.

البصيرة الثانية

جواب القسم

(إن الإنسان لفي خسر)

نزيف العمر:

هذه الخسارة الحتمية التي تقررها سورة العصر (إنّ الإنسان لفي خسر)، هي خسارة العمر... وكلما ينقص من عمر الإنسان ساعة يخسر صاحبها شطراً من رأس ماله الذي آتاه الله، والتعريف باللام في (الإنسان) للاستغراق، أي كل الناس.

وقد عرفنا في البصيرة الأولى في هذه السورة أن عمر الإنسان هو رأس ماله الذي قدّره الله تعالى له في الحياة الدنيا، فإذا مضت

بعد جزء، وتستهلك بصورة تدريجية مستمرة، وهذا هونزيف العمر القاتل، وهوشر أنواع النزيف في حياة الإنسان. والإنسان في غفلة من ذلك، فإذا نفذ آخر جزء من عمره يفيق عند ذلك من هذه الغفلة القاتلة.

فيتمنى أن يعود إلى الحياة الدنيا مرة أخرى، عارفاً قيمة ما فرط فيه من عمره، ليستغل هذه المرة رأس المال الذي منحه الله من العمر في طاعته، من غير غفلة، يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة، فيكون الجواب كلاً.

لحظة الندامة

ولحظة الندامة هي اللحظة الأخيرة من عمر الإنسان، تحلّ بالإنسان رغماً عليه، وهو ما كان عنه يحيد من قبل، ويحاول أن يتغافل عنه ويتناساه، فتحل به، وهي لحظة رهيبة من عمر الإنسان تشغل الإنسان عن كل شيء ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق/ ١٩].

فتحل الندامة بالمجرمين، حيث لا تنفع الندامة، وتتساقط في رهبة هذه اللحظة كل الحجب التي كانت تحجب الإنسان من قبل، فلا يحجبه الأمل، ولا الهوى ولا الغفلة، عما

من عمره ساعة، دون أن يستغلها فقد خسر شطراً من رأس ماله.

وهذه الخسارة مستمرة متصلة في حياته... في كل ساعة وكل دقيقة، بل في كل ثانية، بصورة تدريجية انسيابية.

فإنّ بالإمكان أن يحسب الإنسان كم يعيش من الثواني في هذه الدنيا اذا رزقه الله ثمانين سنة من العمر، فهي كمية محدودة من الدقائق والثواني، على كل حال... يمكن حسابها بعملية حسابية بسيطة. وعندئذ مهما انصرم من عمر الإنسان دقيقة أو ثانية يخسر شطراً من رأس ماله الذي لا يعوّض.

ومن أغلاط الواهمة عند الإنسان أنه يتصور أنّ الأيام والليالي والأشهر والفصول والسنين تتكرر في حياته... وهوليس بتكرار. إنّ كل شطر ينقص من عمر الإنسان لن يعود إليه، ولن يتكرر في حياته، واليوم ليس تكراراً لغد، وهذه السنة ليست تكراراً للعام الذي مضى، وإنما هي أجزاء من عمر الإنسان تتفتت وتتقطع وتستهلك مع الأسف، من غير أن يستغلها الإنسان، وتذهب من غير رجعة..

وتتساقط من عمره هذه الاجزاء جزءاً



فقد أفنيت بالتسويق والآمال عمري، وقد نزلت منزلة الآيسين من خيري. فمن يكون أسوأ حالاً مني، إن أنا نقلت على مثل حالي إلى قبر لم أمهده لرقدي، ولم أفرشه بالعمل الصالح لضجعتي؟ وما لي لا أبكي، ولا أدري إلى ما يكون مصيري؟ وأرى نفسي تخادعني، وأيامي تخالني. وقد خفقت عند رأسي أجنحة الموت.

فما لي لا أبكي؟ أبكي لخروج نفسي. أبكي لظلمة قбри. أبكي لضيق لحدي. أبكي لسؤال منكر ونكير إياي. أبكي لخروجي من قбри عرياناً، ذليلاً، حاملاً ثقلي على ظهري».

وهذه المخادعة من النفس التي يشير إليها الامام (عليه السلام): «وأرى نفسي تخادعني» هي هذا الوهم الذي يصيب الإنسان، فيتوهم أنّ أيامه ولياليه وأسابيع عمره وشهوره هي تكرار متصل مستمر، يذهب ويعود، وليس كذلك للأسف، إنها قطع من عمر الإنسان ورأس ماله الذي لا بد منه تقتطع من عمره، رغماً عليه من غير ان تعود إليه مرة أخرى. وهذا الوهم من آثار الغفلة.

ثم يقول الامام (عليه السلام): «وأيامي تخالني»

جنى في حياته... منذ أن وعى نفسه إلى هذه اللحظة... تتساقط عنه حجب الغفلة وطول الأمل، في لحظات سكرات الموت، مرة واحدة، وملك الموت (عليه السلام) ينتزعه من هذه الدنيا انتزاعاً قسرياً، فيتمنى لو أن الله يعيده إلى الدنيا كرامة أخرى ليعمل صالحاً، فيأتيه الجواب الصادع بالنفي.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. [المؤمنون/ ٩٩-١٠٠].

إن الإنسان لو وعى هذه البصيرة القرآنية: (إن الإنسان لفي خسر)، وعرف أنّ كل يوم وكل ساعة يمرّ من عمره، إنها يقطع جزءاً من عمره، لن يعود إليه أبداً... لو عرف الإنسان هذه البصيرة القرآنية حق المعرفة، تغير وجه حياته كلها، وتغير منهجه في الحياة.

الحسرة والندامة في كلمات علي بن الحسين (عليه السلام): وما أجمل كلمات الامام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام في دعاء الأسحار، برواية أبي حمزة الثمالي، في هذا المضمار، فاسمعوا إليه:

«وَأَعْنِي (إلهي) على البكاء على نفسي.



عن تجارته ويغفل عنها، يأخذ الثلج تحت الشمس بالذوبان الدائم المتصل، وينقص باستمرار، وصاحبه قد انشغل عنه... ولا يفيق من غفلة إلا بعد أن يذوب الثلج، فيخسر كل رأس ماله في هذه الغفلة.

إنَّ رأس مال الإنسان عندما يكون من النوع الذي يذوب وينقص من تلقاء نفسه، وليس من النوع الصعب الصلب الذي يبقى ويدوم يجب ان يتفرغ الإنسان لاستثماره واستغلاله قبل أن ينفد.

إنَّ عمر الإنسان هو رأس ماله، الذي لا يملك غيره، فإذا خسره خسر كل شيء... فيكون الإنسان عندئذ قد خسر نفسه. ومن خسر نفسه فقد خسر كل شيء، وهو الخسران المبين.

يقول تعالى: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر/ ١٥].

وذلك أن أخسر الخسران هو أن يخسر الإنسان نفسه، فإذا خسر نفسه خسر كل شيء، فهو الخسران المبين إذن في حياة الإنسان حقاً.

أي تتسرب من يدي، يوماً بعد يوم، في ختلة وغفلة، وخفية، من غير أن تكاشفني وتصارحني بأنها تذهب ولن تعود.

أقول: لو وعى الإنسان هذه البصيرة من القرآن: (إن الإنسان لفي خسر) حق الوعي، كما يعرفها حق المعرفة في آخر لحظة من حياته، لتغير وجه حياته، وتغير منهجه في الحياة، ولضحك قليلاً، وبكى كثيراً ﴿فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ [التوبة/ ٨٢].



رأس المال الذائب

إنَّ عمر الإنسان هو كل رأس ماله... ولكنه ليس من نوع رأس المال (الصعب) الذي يثبت على حالة واحدة، وإنما هو رأس مال ذائب، ينفذ بالتدريج، وفي غفلة من قبل صاحبه فلا يتنبه صاحبه الا وقد نفذ رأس ماله كله، من غير أن يتمكن أن ينتفع به، ويستبدله بالعمل الصالح.

إن حالة الخسر الدائم والتناقص المستمر في حياة الإنسان يشبه كثيراً من يشتري برأس ماله ثلجاً ليتاجر به، ويضعه تحت الشمس على قارعة الطريق ليضعه للبيع، ثم يلتهى

فهذه ثلاث مفاهيم مترابطة: الغفلة،
والخسر في الدنيا، والخسارة في الآخرة.
والغفلة سبب للخسر وإهدار العمر في
الدنيا، وهو سبب الخسارة يوم القيامة.

والغفلة تحجب عن الإنسان هذه الحالة
المتصلة من الخسر والتناقص، وتوهم
الإنسان بأن الأيام والليالي والشهور
والسنين تتكرر. فإذا حلت اللحظة الأخيرة
من عمر الإنسان، تساقطت عن الإنسان
حجب الغفلة، وتكشفت له الحقيقة
بأكملها، وتمثلت له الخسارة الكبيرة التي
لحقته بسبب الغفلة، وهو خسارة عمره
الذي لا يعود إليه البتة.

عندئذ تتباه الخسارة التي تتصل حلقاتها
إلى يوم الخسارة الكبرى.

وإلى هذه الثلاثة (الغفلة، الخسران،
الخسارة) تشير الآية ٣٩ من سورة مريم
(قضي الأمر) يعني انتهى كل شيء ونفذت
الفرص كلها، وجاءت الخسارة الكبرى...
وكل ذلك بسبب الغفلة.

وكل الناس يومئذ يشعرون بالخسارة،
على قدر الخسارة التي تحملوها في الدنيا،
وخسائر الناس في الدنيا متفاوتة وحسراتهم

فإذا عرف الإنسان هذه الحقائق من
عمره التي تلخصها سورة العصر بقوله
تعالى: (إن الإنسان لفي خسر) بادر إلى
الاستفادة من عمره واستثمار ساعاته وأيامه
في العمل الصالح، ابتغاءً لوجه الله.

يوم الخسارة

من أسماء يوم القيامة في القرآن (يوم
الخسارة).

يقول تعالى: ﴿وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْخُسْرِ إِذْ
قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
[مريم / ٣٩].

وهذه الخسارة في الآخرة لها علاقة
بغفلات الدنيا ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم / ٣٩].

وهذه الغفلة هي سبب الخسارة العظيمة
التي تنذرنا به سورة العصر (إن الإنسان لفي
خسر). ولأن الإنسان كان متنبهاً حذراً في
الدنيا لم يغفل عن هذا التناقص والخسر
الذي يصيبه في الدنيا، وتجنبه وتحذر منه،
واستخدم عمره الذي يتناقص باستمرار
في الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق
والتواصي بالصبر.





● بصائر في سورة العصر

التاريخ، وعلى وجه الارض، يخسرون أعمارهم كلها أو شطراً منها من دون مردود مكافئ من الإيمان والعمل الصالح.

الاستثناء

ولهذه الحالة العامة الغالبة من الخسران استثناء لا يدخل في دائرة الخسران التي يدخل فيها عامة الناس، وهو (الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر).

أركان الاستثناء:

ولهذا الاستثناء ركنان لا بد منهما معاً ليخرج الإنسان من دائرة الخسران إلى دائرة الفلاح.

الركن الأول: (الإيمان والعمل الصالح).

والركن الثاني: (معرفة الحق والتواصي به، والصبر على التمسك بالحق، والتواصي به).

وسوف نتحدث هنا عن الركن الأول منها (الإيمان والعمل الصالح) في هذه البصيرة، وعن الركن الثاني (التواصي بالحق والتواصي بالصبر عليه) في البصيرة الرابعة.

في الآخرة كذلك متفاوتة، فليس من خسر سنين من عمره في غير الإيمان والعمل الصالح كمن خسر عمره كله، وليس من خسر أياماً من عمره كمن خسر سنين من عمره... ولكن الناس كلهم تنتابهم الحسرة في ذلك اليوم الرهيب إلا القليل من عباد الله الصالحين الذين آتاهم الله بصيرة وحذراً وذكراً أنقذهم من غفلات الدنيا، فلم يخسروا شيئاً من أعمارهم في غير الايمان والعمل الصالح وأولئك قليل.

البصيرة الثالثة

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

وهذه هي البصيرة الثالثة في هذه السورة العجيبة العظيمة، وهي الاستثناء الأول من حتمية جواب القسم في خسران الإنسان (إن الإنسان لفي خسر).

الحالة العامة للناس

إن الحالة العامة في تاريخ الإنسان على وجه الارض هي: (إنَّ الإنسان لفي خسر).

وبناءً على ذلك فإنَّ عامة الناس في

الايان والعمل الصالح

إنّ الأصل هو الإيـان بالله، والعمل الصالح ثمرة الإيـان... والإيـان في حياة الإنسان حالة مثمرة، وليس حالة عقيمة... والعمل الصالح ثمرته، وضعف العمل وشحته أمارـة ضحالة الإيـان، وبالعكس: تدقّق العمل الصالح من الإنسان علامة عمق الإيـان وتجذره في النفس.

والإيـان هو الكلمة الطيبة في حياة الإنسان، التي ترقى إلى الله، ولكن **(العمل الصالح)** هو الذي يرفع **(الإيـان)** إلى الله، ومن دون العمل الصالح يبقى **(الإيـان)** على وجه الأرض ولا يرقى إلى الله.

يقول تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر/ ١٠].

إن الكلم الطيب هي التي تصعد إلى الله، ومنها الإيـان. ولكن العمل الصالح يرفعها.

فإذا تجرد الإيـان عن العمل الصالح فلا يرقى الإيـان إلى الله.

ويرقى الإيـان إلى الله بقدر العمل الصالح.

فمن يخلو إيمانه عن العمل لا يرقى إيمانه إلى الله.

كيف ينقلب النقصان إلى ربح

حالة التناقص في الإنسان حالة حتمية، ولا سبيل لأحد إلى إيقاف هذا التناقص. العمر في تناقص، والشباب في تناقص، والصحة في تناقص والادراك في تناقص **(ومن نعمة نكسه).**

ولكن من الممكن أن يتحول هذا التناقص إلى ربح، وذلك عندما يكسب الإنسان بالعمر النافذ المستهلك: الإيـان، والعمل الصالح، وابتغاء الحق، والتواصي به، والتواصي بالصبر على الحق...عندئذ يتحول التناقص في العمر والشباب إلى تكامل في الإنسان.

وفي غير هذه الصورة فإن التناقص في العمر والشباب والسلامة يتحول إلى **(خسر)** وهي للأسف القاعدة العامة في حالات الناس **(إن الإنسان لفي خسر).**

وأما الذين يعرفون كيف يحولون التناقص إلى التكامل بالإيـان والعمل الصالح وابتغاء الحق فأولئك قلة من الناس، في حدود الاستثناء من تلك القاعدة **(الا)** الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر).

وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أن أُمَّته ستفترق إلى اثنين وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا فرقة واحدة. ولا شك أن الفرق الهالكة تؤمن بالله، ولا تخلومن العمل الصالح... ولكن الإيمان بالله والعمل الصالح وحدهما لا يخرجانه من دائرة الخسران: (إن الإنسان لفي خسر) ما لم يتحقق في إيمانهم وعملهم شرط (الحق)، وهو سلوك (المنهج الحق)، والصراط المستقيم، في الإيمان والعمل الصالح.

إن للإيمان والعمل الصالح مسالك ومناهج كثيرة، ولكن ليس كل هذه المسالك تؤدي بصاحبها إلى الخروج عن دائرة الخسران إلى دائرة (النجاة). فإن النجاة لا يتم إلا من خلال مسلك الحق، من بين هذه المسالك والمناهج جميعاً.

لقد رفع معاوية-بتدبير من وزيره عمرو بن العاص- في معركة صفين، عندما بدأت الدوائر تنقلب عليهم في صفين... رفع معاوية المصاحف وأمر بنداء الناس من جيش علي عليه السلام بإننا وإياكم نؤمن بالله واحد، ونصلي صلاة واحدة ونتوجه فيها إلى قبلة واحدة، ونعمل بكتاب واحد، فلماذا القتال؟ وهو مغالطة واضحة.

ومن قلَّ عمله يرقى عمله إلى الله قليلاً. ومن كثر عمله يرقى عمله إلى الله كثيراً. وعلى هذه القاعدة: الإيـان الكلمة الطيبة التي ترقى (تصعد) إلى الله، ولكن العمل الصالح يرفع الإيمان إلى الله... وعلى مقدار العمل الصالح يصعد الإيمان إلى الله.

وهذه العلاقة التكاملية بين الإيمان والعمل الصالح من رقائق الثقافة القرآنية التي تشير إليها الآية العاشرة من سورة فاطر.

البصيرة الرابعة

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

شرط الحق:

ولكن لا يُخْرِجُ (الإيمان) و(العمل الصالح) الإنسان من دائرة الخسران، ولا يدخلانه في دائرة الاستثناء، إلا بشرط الحق، وما لم يتحقق هذا الشرط، فلا يخرج (الإيمان) و(العمل الصالح) صاحبهما من دائرة الخسران إلى دائرة الاستثناء والربح والفلاح. وهذا الحق هو (الصراط المستقيم) الذي طالما ندعوا الله أن يهدينا إليه وأن يجعل إيماننا وأعمالنا على نهجه وهداه (اهدنا الصراط المستقيم).



وجواب هذه المغالطة واضح، وهوان الإيمان بالله والعمل الصالح وحدهما لا يخرجان صاحبهما عن الضلال، إلا إذا استجاب صاحبهما لشرط (الحق) وقبل به... وكان علي عليه السلام في حرب صفين على الحق^(١)، ومعاوية على الباطل، بإجماع المسلمين، وما لم يخرج أصحاب معاوية من طاعة معاوية إلى طاعة علي عليه السلام لا يخرجهم الإيمان والعمل الصالح، حتى لو كان صلاةً إلى القبلة، من (دائرة الخسران) إلى دائرة الاستثناء والنجاة والفلاح.

لقد جعل الله تعالى (الحق) شرطاً للنجاة بالإيمان والعمل الصالح، وجعل للحق معالم في حياة المسلمين، لئلا يضلّوا، وكان علي عليه السلام من معالم الحق في أحاديث رسول الله ﷺ.

التواصي بمعرفة الحق، والصبر عليه:

وأمر (الحق) صعب عسير شاق.

ومشقة الحق في أمرين أحدهما أشق من الآخر.

المشقة الأولى في معرفة الحق، وتشخيص

(١) وردت النصوص الكثيرة بأن علياً عليه السلام مع الحق (الحق مع علي) في أمهات المصادر الشيعية والسنية عن رسول الله ﷺ بطرق وأسانيد مستفيضة، جملة منها صحيحة، لا يمكن التشكيك بها. راجع: كتاب (علي ميزان الحق) للعالم المحقق محمد كوزل الآمدي.

الحق من بين المسالك التي يسلكها الناس. والمشقة الثانية في الثبات على الحق والصبر عليه.

وكل منهما شاق، غير أن الثاني أشق من الأول. فلا يهتدي أحد إلى (الحق) إلا بعد جهد شاق وعسير في التحقيق والتحري والتثبت.

فإذا عرف الإنسان (الحق) فقد أحرز الشوط الأول من الطريق، وأمامه الشوط الثاني، وهو الثبات على الحق والصبر عليه، وهو أشق من الشوط الأول.

فقد اهتدى كثيرون للحق، ولم يثبتوا عليه، والثبات على الحق أصعب من معرفة الحق والاهتداء إليه.

وهذه المشقة المزدوجة في (الحق)، في معرفة الحق، وفي الثبات والصبر عليه، تتطلب من الناس أن يتواصوا بالحق، ويتواصوا بالصبر على الحق والثبات عليه.

(وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر).

ومن التواصي: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتعريف بالحق، والتوجيه، والإرشاد، والتثقيف، والتعليم، والتبليغ، والدعوة، ولولا ذلك كله لما عرف الناس





● بصائر في سورة العصر

لخروج الإنسان من حالة الخسران حتى يكون الايمان بالالوهية والرسالة والمعاد والعمل الصالح على مسلك الحق، ويتعرف الإنسان على (الحق) ويأخذ به ويصبر عليه.

والآية الأخيرة من سورة العصر واضحة في ذلك، فإنها تذكر للخروج من حالة الخسر ثلاث نقاط:

(إلا الذين آمنوا: **الإيمان**) و(عملوا الصالحات: **العمل الصالح**) و(تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر: **التعريف بالحق والإعلان عنه والصبر عليه**).

ولا نحتاج إلى مؤونة زائدة غير ظاهر الآية الكريمة لاستخراج هذا الثلاثي من هذه الآية.

الصراط المستقيم

وهو الصراط المستقيم -والله أعلم- الذي نسأل الله تعالى ان يهدينا إليه كلما نقرأ سورة الفاتحة (**إهدنا الصراط المستقيم**). ولا شك أن الصراط المستقيم في سورة الحمد شيء آخر غير الإيـمان بالله والرسالة والمعاد والعمل الصالح... وفي الناس كثيرون يؤمنون بالله ويعملون الصالحات، ولكنهم على غير الهدى ونهج الحق والصراط

الحق، ولما ثبتوا عليه ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة/ ١٢٢].

ولكيلا تزل أقدام الناس على طريق الحق والهدى، إلى مسالك الضلال، كما زلت أقدام الكثيرين من الناس، لابد أن يتواصى الناس فيما بينهم، بعضهم مع بعض، لئلا ينحرفوا عن صراط الحق، ولا يخرجهم الهوى والطاغوت إلى مسالك الباطل.

محور الحق

ولابد ان نتوقف قليلاً عند هذه البصيرة من بصائر سورة العصر.. أن قوله تعالى:

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ يعني التواصي بتعريف الحق والاعلان عنه لئلا يضيع الحق والتواصي بالصبر على الحق، لئلا يدع الناس الحق لمشقته وكلفته العالية.

إذن محور هذه البصيرة هو (**الحق**): التعريف به والصبر عليه.

وهو أمر آخر غير الايمان والعمل الصالح. وإن شئت قلت هو الضلع الثالث للايمان والعمل الصالح.

ولا يكفي الايمان والعمل الصالح

ويوجد اليوم من يدعو إلى إقرار التعددية في الدين والدعوة إلى الاعتراف بها جميعاً، بأنها من دين الله، وأنها جميعاً حق، وأن الحق مسألة نسبية، ولا نعرف حقاً مطلقاً في الأديان والمذاهب، وأن لكل دين ومذهب نصيب وحظ من الحق.

ولكن الإسلام لا يقرّ هذه الدعوة كما لا يقرّها العقل. ولا نحتاج إلى أن نتوقف طويلاً عند هذه النقطة، فهي أوضح من أن يحتاج إلى وقفة للدراسة والتفكير... سواءً كان ذلك بين الأديان الإلهية أو بين المذاهب الإسلامية.

نعم، ليس ذلك بمعنى نفي الإسلام عنها قطعاً. وكل المذاهب التي تأخذ بالكتاب والسنة وتأخذ بضرورات الإسلام من الإسلام حقاً. إلا أن اندراج هذه المذاهب جميعاً تحت هذا العنوان العريض، ليس بمعنى أنها جميعاً على الحق فيما يختلفون فيه. وهذه النقاط جميعاً من الواضحات التي لا تحتاج إلى التوضيح والشرح.

حديث افتراق الأمة

وقد صحّ عن رسول الله ﷺ: «وتفترق

المستقيم، وليس ذلك بعزيز. بل العزيز من المؤمنين العاملين بالصالحات من يجري إيمانه وعمله على نهج الحق والصواب والهدى والصراط المستقيم.

وهو معنى الصراط المستقيم الذي لا نزال ندعو الله تعالى أن يهدينا إليه في كل يوم وليلة عشرة مرات في الدعاء الواجب في فريضة الصلاة.

التعددية الدينية

وليس من شك أن التعددية المذهبية قائمة في الإسلام وليس أحد يستطيع أن ينكر ذلك في واقعنا الديني وفي تاريخنا. فقد تفرق الإسلام إلى مذاهب واجتهادات شتى، يجمعها الإيمان بالله ورسوله ويوم القيامة، ولا يخلو أصحاب هذه المذاهب من الأعمال الصالحة بالتأكيد من صلاة وصوم وزكاة وحج وأنفاق...

وهذا أمر واقع لا سبيل إلى إنكاره والتشكيك فيه. ولا يمكن أن تكون هذه المذاهب جميعاً على الحق فيما يختلفون فيه في الأصول والفروع.

فلا يتعدد الحق، ولا يمكن أن تكون هذه المذاهب جميعاً على الحق فيما يختلفون فيه.

أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»^(٢).

وعن عوف بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة واثنان وسبعون في النار، قيل: يا رسول الله ومن هم؟ قال: الجماعة»^(٣).

ولهذا الحديث طرق كثيرة، وألفاظه متقاربة، وقد رواه الفريقان بطرق كثيرة بالغة حد الاستفاضة. ولا يمكن على نحو الإجمال التشكيك في صدور هذا الحديث عن رسول الله ﷺ.

وواضح أن هذه الفرق لا يمكن أن تكون كلها على حق فيما يختلفون فيه، ولا يمكن أن يكون الرأي وخلافه كل منهما على حق.

الخلاصة

والخلاصة التي استخلصها من الشرح المتقدم:

١. أن التعددية المذهبية والدينية أمر

(٢) أخرجه الترمذي وقال عنه حديث حسن صحيح (سنن الترمذي كتاب الإيمان ١٨ باب ما جاء في افتراق الأمة رقم ٦٤٠، وأخرجه ابن ماجة في السنن ١٦/١٣٢١، كتاب الفتن، باب افتراق الامم رقم ٣٩٩١، وأخرجه ابوداود، واللفظ له ٥: ٤، ٣٤ كتاب السنة، باب شرح السنة رقم ٤٥٩٦).

(٣) أخرجه ابن ماجة ١٣٢٢/٢، ٣٦ كتاب الفتن، ١٧ باب افتراق الامم، رقم ٣٩٩٢، والحاكم في المستدرک ٦/١ كتاب الإيمان.

حاصل يقيناً مع الإيمان والعمل الصالح، ولم يمنع الإيمان والعمل الصالح من حدوث التعددية في هذا الدين.

٢. وغير صحيح إسلامياً وعقلاً أن تكون هذه الحالة من التعددية كلها على الحق فيما يختلفون فيه، ويكون الرأي وخلافه كل منهما على حق، وهما مختلفان، بل متقاطعان أحياناً.

بركات الحق في حياة الأمة

وللحق بركات عظيمة في حياة الأمة، لا يسعنا المجال الآن لشرحها وتفصيلها، وإنما نشير إلى فقرة واحدة وردت في دعاء الافتتاح المروي عن الامام المهدي ﷺ لليالي شهر رمضان... وفي هذه الفقرة إشارة إلى طائفة واسعة من بركات الحق في حياة الفرد والأمة، وإليك هذه الفقرة:

«اللَّهُمَّ مَا عَرَفْتَنَا مِنَ الْحَقِّ فَحَمِّلْنَا، وَمَا قَصَرْنَا عَنْهُ فَبَلِّغْنَا، اللَّهُمَّ أَلِّمْنَا بِشِعْنَانَا، وَأَشْعِبْنَا بِصَدْعَانَا، وَارْتُقْ بِهِ فَتَقْنَا، وَكَثِّرْ بِهِ قَلَّتْنَا، وَأَعِزِّزْ بِهِ ذَلَّتْنَا، وَأَغْنِ بِهِ عَائِلَتَنَا، وَأَقْضِ بِهِ عَنْ مَغْرَمِنَا، وَاجْبُرْ بِهِ فَقْرَنَا، وَسُدِّ بِهِ خَلَّتْنَا، وَيَسِّرْ بِهِ عُسْرَنَا، وَبَيِّضْ بِهِ وُجُوهَنَا، وَفُكِّ بِهِ

واحدة متراسة ومتواصية كانوا أقوى على الصبر على الحق والثبات عليه.

وهذا هو سر الدعوة إلى التواصي بالحق والتواصي بالصبر وأعلم ببصائر كتابه.

معالم الحق

وللحق دليل يهدي الحق، ويقطع سبيل الباطل وهو حجة على الناس جميعاً، ولا يدع الله تعالى الحق من غير دليل وحجة.

وقد أسهب علماء مدرسة أهل البيت (عليه السلام) في بيان الأدلة والحجج التي جعلها الله تعالى للناس في ظروف الفتنة الصعبة التي اكتنفت المسلمين بعد حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أسوة بسائر الأمم، كما يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقد روى محمد بن اسماعيل البخاري في الصحيح عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لتبتعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا حُجر ضب تبعتموهم».

قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «فمن ذا؟» (٤).

لقد أسهب وفصل علماء مدرسة أهل البيت (عليه السلام) في الأدلة الدالة على المذهب الحق من الكتاب والسنة. ولسنا الآن

(٤) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لتبتعن.

أَسْرَنَا، وَأَنْجَحَ بِهِ طَلَبَتَنَا، وَأَنْجِزَ بِهِ مَوَاعِيدَنَا، وَاسْتَجِبْ بِهِ دَعْوَتَنَا، وَأَعْطِنَا بِهِ سُؤْلَنَا، وَبَلِّغْنَا بِهِ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ آمَالَنَا، وَأَعْطِنَا بِهِ فَوْقَ رَغْبَتِنَا، يَا خَيْرَ الْمُسْؤُولِينَ وَأَوْسَعَ الْمُعْطِينَ، أَشْفَ بِهِ صُدُورَنَا، وَأَذْهَبَ بِهِ غَيْظَ قُلُوبِنَا، وَأَهْدِنَا بِهِ لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَأَنْصُرْنَا بِهِ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّنَا إِلَهَ الْحَقِّ آمِينَ».

هذه طائفة من بركات (الحق) في حياة الأمة والفرد ورد ذكرها في هذا الدعاء الشريف ولهذا الموضوع شرح وتفصيل لا يسعه المقام.

معرفة الحق والصبر عليه

وإنما تدعو سورة العصر إلى التواصي بالحق، لأن الحق محفوف دائماً بعوامل التضييل والتمويه، فلا بد في هذه المرحلة من التواصي والتعاون لإظهار (الحق) وإبرازه، والدفاع عنه، وإعلانه، حتى لا يضيع الحق.

ولا بد كذلك من التواصي بالصبر على الحق والتمسك به والثبات عليه، لئلا تتفرد عوامل الإغراء والإرهاب برواد الحق، ويقسروهم على الانحراف عن الحق باتجاه الباطل بالطمع والإرهاب. فإنهم إذا واجهوا عوامل الإغراء والإرهاب كتلة

بصدد هذه الأدلة. ورواه النسائي^(٦)، والبلاذري^(٧)، وأحمد بن حنبل^(٨)، وابن ماجه^(٩).

قال أبو نعيم: هذا حديث صحيح، متفق عليه، رواه الجم الغفير عن الأعمش^(١٠).

وقال ابن كثير في هذا الحديث برواية الأعمش: وهذا الذي أوردناه هو الصحيح من ذلك والله أعلم^(١١).

وقد روى أحمد بن حنبل عن أبي سعيد الخدري أنه كان يقول: «إنما كنا نعرف منافقي الأنصار ببغضهم لعلي»^(١٢).

ورواه ابن عساكر عن أبي سعيد الخدري ولفظه «ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغضهم علياً والأنصار»^(١٣).

وروى ابن المغازلي في المناقب بسنده عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه، قال كنا عند بيت النبي ﷺ في نفر من المهاجرين، والأنصار، فخرج علينا (يعني النبي ﷺ): فقال: ألا أخبركم بخياركم؟ قلنا: بلى، قال:

(٦) سنن النسائي، علامة المنافق: ١١٧/٨.

(٧) أنساب الأشراف: ٣٥٠/٢.

(٨) مسند أحمد بن حنبل: ٨٤/١.

(٩) سنن ابن ماجه: ٥٦/١ ح ١١٣.

(١٠) حلية الأولياء: ١٨٥/٤-١٨٦.

(١١) البداية والنهاية: ٣٩١/٧.

(١٢) فضائل الصحابة: ٥٧٩/٢.

(١٣) تاريخ دمشق: ٢٨٥/٤٢.

ولكننا نقول: إن الله تعالى جعل للناس مع هذه الأدلة وإلى جانبها معالم يوضح الصراط المستقيم، ويوضح منهج الحق الذي أمرنا الله تعالى باتباعه.

وهذه المعالم واضحة وبيّنة لا سبيل إلى التشكيك فيها. وليس بإمكاننا الآن أن نستعرض هنا المعالم التي وضعها الله تعالى على طريق رواد الحق. وقد ذكر طائفة منها العالم المحقق التركي (محمد كوزل الأمدي) حفظه الله في كتابه القيم: (على ميزان الحق).

ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله. وسوف اشير إلى بعض نصوص هذه المعالم التي جعلها الله تعالى للناس لتشخيص الحق والتعريف به. وسوف تقتصر في هذه الباقة من الروايات على ما ورد منها في كتب أهل السنة فقط، ونترك ما عدا ذلك للأبحاث المفصلة في هذا الباب.

روى مسلم بسنده عن علي عليه السلام قال:

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة: إنه لعهد النبي الأمي إليّ: «أنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق»^(٥).

(٥) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان: ٨٤/١.



وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق عن أحمد بن حنبل أنه قال:

لم يزل علي بن أبي طالب مع الحق والحق معه حيث كان. ^(٢١)

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «علي مع القرآن، والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

صححه الحاكم على شرط الشيخين وصححه الذهبي. ^(٢٢)

وعن أنس بن مالك:

أن النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام: «أنت تبيّن لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي»، صححه الحاكم على شرط الشيخين. ^(٢٣)

وعن عمرة بنت عبد الرحمن قالت لما سار علي عليه السلام إلى البصرة دخل على أم سلمة زوج النبي ﷺ يودّعها، فقالت ﷺ: سرّ في حفظ الله وفي كنفه، والله إنك لعلّى حق، والحق معك، ولولا أنّي أكره أن أعصي الله ورسوله، فإنّه أمرنا ﷺ أن نقر في بيوتنا لسرت معك، ولكن والله لأرسلن معك

خياركم الموفون المطيبون، إنّ الله عزّ وجلّ يحب الحفي التقي، فقال ومّر علي بن أبي طالب فقال: «الحق مع ذا، الحق مع ذا». ^(١٤)

أخرجه ابن عساكر في التاريخ من طريق أبي يعلى. ^(١٥) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال رواه أبويعلي ورجاله ثقات. ^(١٦)

روى الطبراني بسنده عن أم سلمة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي مع القرآن والقرآن معه، لا يفترقان حتى يردا علي الحوض».

وصححه الحاكم - وأقره الذهبي في ذلك. ^(١٧)

وأخرجه العاصمي في سمط النجوم ^(١٨)، والمتقي في الكنز. ^(١٩)

وقال الرازي في تفسيره:

(من اتخذ علياً إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى). ^(٢٠)

(١٤) المناقب لابن المغازلي: ٢٤٤ ح ٢٩١.

(١٥) تاريخ دمشق: ٤٤٩/٤٢.

(١٦) مجمع الزوائد للهيثمي: ٢٣٤/٧ - ٢٣٥.

(١٧) مستدرك الصحيحين: ١٢٣/٣.

(١٨) سمط النجوم: ٦٣/٣.

(١٩) كنز العمال: ٦٠٣/١١.

(٢٠) تفسير الرازي: ٢٠٥/١ - ٢٠٧.

(٢١) تاريخ دمشق: ٤١٩/٤٢.

(٢٢) لحاكم في مستدرك الصحيحين: ١٣٤/٣.

ذكر اسلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

(٢٣) الحاكم في مستدرك الصحيحين: ١٦٠/٣.



رجل لسلطان ما أشد حبك لعلّي. فقال رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحب علياً فقد أحبني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني». صححه الحاكم على شرط الشيخين، وصححه الذهبي على شرطهما. (٢٨)

الخلاصة والنتيجة

ومعنى هذه الأحاديث وأحاديث أخرى كثيرة وردت بنفس المضمون وهي إجمالاً بالغة حد الاستفاضة، وصحيحة في جملة من طرقها.

أقول: معنى هذه الأحاديث إننا مهما وجدنا الناس يتشعبون ويختلفون في المسالك والمذاهب نقف حيث يقف على بن أبي طالب عليه السلام فهو معلم الحق في فتن الضلالة.

ولابد لرواد الصراط المستقيم الذين يطلبون الحق في فتن الضلالة ان يقتفوا أثر علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثم يتواصوا به ويتواصوا بالصبر عليه، **(وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر).**

وهذه هي البصيرة الرابعة في هذه السورة المباركة.

(٢٨) مستدرک الصحيحین: ١٤١/٣.

من هو أفضل عندي وأعز علي من نفسي ابني عمر. صححه الحاكم على شرط الشيخين، وصححه على شرطهما الذهبي في الهامش. (٢٤)

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ.

من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني.

صححه الحاكم في المستدرک، وصححه الذهبي في هامش المستدرک^(٢٥)، وعن عمور بن شاور الأسلمي، قال: قال رسول الله ﷺ من آذى علياً فقد آذاني.

صححه الحاكم في المستدرک وصححه الذهبي في الهامش. (٢٦)

وعن أبي ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلّي عليه السلام: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله. من أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني». صححه الحاكم في المستدرک. (٢٧)

وعن عوف بن أبي عثمان النهدي، قال

(٢٤) الحاكم في مستدرک الصحيحين: ١٢٩/٣.

(٢٥) مستدرک الصحيحين: ١٣١/٣.

(٢٦) مستدرک الصحيحين: ١٣١/٣ - ١٣٢.

(٢٧) مستدرک الصحيحين: ١٣٩/٣.

دور المستشرقين في ترجمة القرآن الكريم

أ. د. عبد الجبار ناجي
بغداد - العراق

الوداع. عليك السلام يا سورية، سلاما لا اجتماع بعده ولا يعود إليك رومي أبدا الا خائفا حتى يولد المولود المشؤوم، وياليته لا يولد ما احلى فعله وأمر عاقبته على الروم^(١) أو كما ذكر المستشرق گبريلي في كتابه **(محمد والفتوحات الإسلامية)** إن الإمبراطور قال: (وداعا يا سوريا، أي بلد طيب وصالح سيكون خاضعا للعدو)^(٢).

(١) تاريخ الرسل والملوك (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم) جزء ٣ ص ٦٠٣.

(٢) فرانسيسكو گبريلي: محمد ﷺ والفتوحات الإسلامية (تعريب وتقديم وتعليق د. عبد الجبار ناجي) قم ٢٠٠٩، ص ٢١١ وهو كتاب الفه المستشرق باللغة الإيطالية وترجمته فرجينيا لولنغ **Luling** وروزا مند لينل **Lineu** إلى الإنجليزية بعنوان: **Muhamad and the Islamic conquests**

كان من بين أهم النتائج التي تمخضت عنها عمليات الفتوح الإسلامية في بلاد الشام ومصر على وجه الخصوص إجبار الجيوش البيزنطية والرومانية المسيطرة على بلاد الشام إلى أن تتخلى بمرارة وبفعل انتصارات المسلمين عن مناطق نفوذها في هذه المنطقة التي عدّها الإمبراطور البيزنطي والكنيسة الرومانية ملكا مسيحيا متوارثا. لهذا لا غرابة في ما نقله الطبري ومؤرخون آخرون من توديع الإمبراطور بعد انسحابه من بلاد الشام وفراره من الجيوش الإسلامية إلى السواحل الشمالية والغربية من حوض البحر المتوسط قائلا:

(السلام عليكم ارض سورية تسليم

ومنذ تلك اللحظات العسكرية الحاسمة استقبل أهالي البلاد من المسيحيين الوجود الإسلامي برحابة صدر وترحيب واحترام. وقد صرح بهذه المواقف مؤرخو الغرب أنفسهم^(٣)، إذ لم يفرض المقاتلون المسلمون الدين الإسلامي على الأهالي كبديل للديانة المسيحية بالقوة ولم يستعملوا قوة السلاح والإرهاب من أجل ذلك على اعتبار إنهم المنتصرون في المعارك. من الجانب الآخر فان الغرب (بمعنى المسيحية البيزنطية والكنيسة الكاثوليكية) ومنذ لحظات الانسحاب والتقهقر والفشل الديني أمام الدين الجديد وانتكاسة رجال الدين ورجال الكنيسة في نظر مسيحيي أوروبا من الغربيين منهم والشرقيين على حدٍ سواء قد شحنت بخزائن هائل من الحقد والكراهية والانتقام للاندفاع بأخذ الثأر أو استرداد مناطق نفوذه في الشرق إما بواسطة السلاح والحرب إن أمكن ذلك ولكن هذه السياسة قد أثبتت فشلها وهزيمتها في ساحات الوغى أمام المقاتلين المسلمين، وإما وهو الأهم بواسطة توجيه هذا الحقد اعتماداً على سلاح الفكر (القلم) لتشويه الدين الجديد والتسفيه

(٣) م.ن ص ٢١٣-٢١٥.

بالرسالة السماوية الإسلامية وبالطعن بشخصية رسول الله ﷺ وسيرته وسيرة آل بيته وبالتنقيص من عظمة الإسلام والازدراء بالمبادئ الإسلامية. والاكثر خطورة بالسعي المتواصل وبذل الجهود المضنية لتعلم اللغة العربية أو التشجيع على تعلمها وتعليمها لرجال الدين بهدف قراءة القرآن المجيد وترجمته إلى اللاتينية، ولكن أي ترجمة؟ إذ ينبغي، وبتوجيه من البابا والرهبان المتطرفين، إن تكون ترجمة القصد منها تشويه بناء القرآن وتحريف آياته الكريمة والدسّ عليه بالأباطيل بترجمة مشوهة تهدف إلى التأثير على العقلية الغربية في فهم الإسلام وكتاب الله وسيرة نبيه ﷺ فهماً خاطئاً ومُحرفاً وبذلك -حسب مشروعهم- تتهياً للغرب النتائج الآتية:

١. توفير الأمن والاطمئنان للكنيسة من (الخطر) المحقق بها جراء انتصار الإسلام.
٢. إشاعة عناصر الكره والحقد المتأججة في صدور رجال الدين بين صفوف المجتمع الغربي والتأثير على العقلية الغربية إبان عصر الكنيسة وعصور أوروبا الوسطى. وبهذه الوسيلة يحقق



محرفة ومزيفة للقران الكريم ونشرها بين صفوف الناس.

٥. إيجاد وسائل متعددة لتشجيع

المبشرين وحركات التبشير المعاكس

أي نشر المسيحية على حساب

الدين الإسلامي والعمل الدؤوب

والمضني في سبيل توحيد الجبهة

الغربية المسيحية ضد الإسلام وقد

بلغت هذه العملية الدينية-السياسية

أوجها في الحروب التي عرفت

بالغرب بالحروب الصليبية ^e

Crusades انطلاقا من نظرية

الصليب واسترجاع بيت المقدس.

وكان كتاب الله ﷻ وسيرة سيد الأنام

محمد ﷺ هما الميدانان الرئيسيان اللذان

صوبت الأقلام الغربية نحوهما، فضلا

عن مساعي الكنيسة في هذه المرحلة إلى

تشجيع القيام بهذه المسؤولية كالحالة التي

سنذكرها بعد قليل بشأن مساعي الراهب

النشط في الدعوة إلى المسيحية بطرس

الناسك وحثه روبرت الكيتوني على ترجمة

القران الكريم ولعله من غير المبالغ فيه إن

هذين الموضوعين نالا الحصة الأكبر من

توجهات الكنيسة في معركتها الرامية إلى

رجال الكنيسة بناء جدار عالٍ

وراسخ عازل ليمنع المسيحيين من

تقبل الإسلام مستقبلاً.

٣. تأجيج العقلية الغربية، الساذجة

منها والمتعلمة بحدود تلك الفترة

من العصور الوسطى المظلمة،

للأقدام والإسهام في هذه المعركة

الفكرية الضارية والجديدة ضد

من أطلق عليه الرهبان والكنسيون

(**العدو الكافر**) أوالمغتصب الذي

استولى على مناطق نفوذهم أو

بالأحرى القول على المناطق

المسيحية المقدسة بما عبروا عنه

بمصطلح استرداد الصليب

أواسترداد بيت المقدس.

٤. السعي الحثيث وبدون هوادة

نحوالتأثير على مسيحيي الشرق

في بلاد الشام ومصر لمقاومة

الدين الإسلامي ومقاومة الفتوح

الإسلامية وعلى تبني مواقف مؤيدة

أشبه مايكون دورها بما يعرف

الطابور الخامس المساعد للغرب

في إشاعة الإعلام المضاد والمعادي

للإسلام وذلك بوسيلة نشرترجمات



مقارعة الإسلام ومناهضة القرآن والإساءة إلى الرسول ﷺ.

حقاً إن عدداً من العلماء العرب والمسلمين قد التفتوا إلى أهمية هذا الباب فشرعوا يكتبون الدراسات في الدفاع عن الدين الإسلامي وحول قداسة القرآن الكريم وكونه كتاب الله تعالى وليس كما شدد عليه الكتّاب الكنسيون وعدد من المستشرقين الغربيين بأنه (قرآن محمد)، وأنه ﷺ هو مؤلفه وقد ألفه شخصياً أو بتأثير من الرهبان الذين انحرفوا أو انشقوا عن الخط الكنسي الكاثوليكي وأنه (حاشاه الله تعالى) واحد من هؤلاء الرهبان المنشقين الذين كانوا يتطلعون إلى السيادة وتولي الزعامة الكنسية ومع وجود أمثال هذه الدراسات فإن الميدان كان وما زال بحاجة ملحة إلى دراسات وتوجهات بحثية على صيغة مجلات ودوريات وكتب وندوات ومؤتمرات ورسائل جامعية وحلقات دراسية تجمع بين العلماء العرب وبين المستشرقين في هذا الميدان. فالمستشرقون أدوا دوراً كبيراً في الدراسات القرآنية من الجوانب الدينية والعلمية واللغوية والتفسيرية وفي معاني القرآن الكريم

وأسلوبه ومراحل نزوله التاريخية. فضلاً عن كل ذلك فالمستشرقون مازالوا يوجهون التهمة إلى العلماء العرب والمسلمين بافتقارهم إلى منهج بحث علمي وموضوعي لعرض آرائهم واستنتاجاتهم ولهذا السبب وأسباب أخرى ظلت الكتابات الغربية هي السائدة والمؤثرة في العقلية الغربية.

الدراسات الاستشرافية المتعلقة بالقران الكريم كانت ولا تزال شاملة ومتنوعة وكثيرة، والبحث المتواضع هذا سيقف على محور واحد من هذه الإسهامات ذلك المهتم بتاريخانية المحاولات المسيحية الغربية لترجمة النص القرآني وهي دراسة إنما تهدف إلى تشخيص التطور التاريخي واللغوي- أي ماله علاقة باللغة العربية- والعلمي في ترجمة كتاب الله تعالى، ناهيك عن توضيح التطور في العقلية الغربية في فهم الإسلام والقران الكريم بشكل أكثر من مفهومية العقلية الكنسية ولذلك ستلحظ الأتي في التسلسل التاريخي في هذا الميدان:

١. تطور الترجمات الغربية بتطور اistemولوجيا الغرب لتاريخ الشرق وحضارته وغنى اللغة



العربية في مفرداتها وإعرابها
وأساليب الكتابة فيها.

٢. كذلك فالترجمات الأوربية بدءاً
باللاتينية قد تطورت بتطور
العلاقات السياسية والاقتصادية
والفكرية بين الغرب المسيحي
والشرق العربي والإسلامي سواءً
كانت هذه العلاقات بصيغ طيبة
وايجابية أم بروح عدائية وحاكمة.

٣. إن حالات كهذه قد دفعت
بالمستشرقين الذين أعلنوا إسلامهم
على تقديم ترجمات أجنبية أكثر
إيجابية وأكثر دقة لما يحملونه من
عاطفة وإيمان بالدين الجديد الذي
اعتنقوه بإرادتهم ومن دون إجبار
أو تعسف من جانب المسلمين.

وعلى الرغم من جميع هذه الأفكار
السليمة فإن ثمة ترجمات بعينها ظلت مؤثرة
في الكتابات التاريخية الاستشراقية نظير ترجمة
المستشرق البريطاني ثم الأمريكي رود ويل
J. M. Rodwell أستاذ الدراسات الشرقية
في جامعة كامبردج بعنوان (e Quran)
المطبوع في باريس عام ١٨٤٠، وترجمه بالمر
E. H. Palmer البريطاني ثم الأمريكي

بعنوان (e Quraan) المطبوع في مطبعة
جامعة أكسفورد عام ١٨٨٠ وبالمر هو الآخر
أستاذ اللغة العربية في جامعة كامبردج
والواقع إن هاتين الترجمتين قد طبعتا عدة
مرات فترجمة رود ويل قد طبعت أولاً عام
١٨٤٠ ثم في عام ١٨٦١ وبعدها في عام
١٨٧٦ وعام ١٩٠٩ (وكثيراً ما يعاد طبعتها
حتى سنة ١٩٦٣) أما ترجمة بالمر فطبعت أولاً
عام ١٨٨٠ ثم في عام ١٩٠٠ (واستمرت
عملية إعادة طبعتها حتى عام ١٩٦٥) وعلى
الرغم من إن هاتين الترجمتين لم تكونا الأكثر
دقة في الترجمة إذ احتوتا على جملة أخطاء
في فهم كلمات وتعبيرات ومصطلحات
في النص القرآني فإنهما فضلاً عن ترجمات
سبقتها كترجمة جورج سيل البريطاني
وترجمة (المان) ULLmann الألماني وترجمة
لودوفيكو مراشي LUdovico Marraci
اللاتينية إلا أنها ظلا يحتفظان بأهميتهما
بالنسبة لتاريخية الترجمات الأوربية ولنضرب
أمثلة على ذلك اللبس والخطأ لأنها ضرورية
جدا كونها أخطاء وسوء فهم بقصد أوبدون
قد دخلت في السرد التاريخي للقران الكريم،
فقد ترجمتا الآية القرآنية الكريمة التي نزلت
على رسول الله ﷺ قبيل بيعة الغدير- غدير



المستشرق (ليس هناك أي جزء من الآية أو مما انزل على الرسول يمكن حجبه أو يحتفظ به لنفسه) وهي ترجمة لا تشير لا من قريب أو بعيد على فحوى وهدف هذا الجزء من الآية الكريمة فضلا عن إن المترجم استخدم تعبير **Apostle** للإشارة إلى الرسول ﷺ صحيح إن من بين معاني الكلمة (رسول) ولكن المقصود به (حواري السيد المسيح عليه السلام) وجاءت معاني **Apostle** باللغة الإنجليزية بالصيغ الآتية:

- 1- One sent one a mission
أي الشخص الذي يرسل في بعثته (تبشيرية) (البشر)
- 2- One of an authoritative New Testament group sent out to preach the gospel and made up especially of Christis 12 original disciples and Paul
أي الشخص الموثوق في معرفته بالعهد الجديد الذي يرسل للتبشير بالإنجيل ويشكل أو يجمع بخاصة الاثني عشر حواري وبولس.

خم قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة المائدة آية ٦٧].

أولا وقبل كل شيء فان الترجمة أشارت خطأ إلى رقم الآية الكريمة بجعلها رقم (٧١) والصحيح كما اشرنا إليه هو (٦٧) وهو خلل وضعف بين وإما بخصوص الترجمة فقد جاءت بهذه الصيغة:

«O Apostle, declare all that has been sent down to thee from thy Lord.No Part of it is to be withheld God will protect you against men for he does not quide the unbelievers»
(V, 71)

فيلاحظ القارئ إن المترجم قد ادخل الأفكار الواردة في الآية الكريمة بعضها في البعض الآخر، فضلا عن فهمه غير الصحيح لبعض التعبيرات الإلهية كترجمة مثلا (وان لم تفعل فما بلغت رسالته) بما يمكن ترجمته نصا إلى العربية حسب جملة



3- One who initiates a great moral reform or first advocates any import and belief or system⁽⁴⁾.

الشخص الذي يبدأ أو يستهل إصلاحاً أخلاقياً عظيماً أو الشخص الذي يدافع أو يدعم معتقداً أو نظاماً مهماً.

فجميع هذه المعاني للكلمة التي استخدمها المترجم لا تعبر بصدق عن رسول الله ﷺ إنما تشير إلى المبشر المسيحي العالم بالعهد الجديد، وهوفهم خاطئ ويحتمل إن يكون مقصوداً من قبل المترجم للقرآن الكريم بهدف الإساءة إلى أنه ﷺ رسول من الله تعالى ليس مبشراً.

كذلك فقد عبر المترجم عن كلمة (بَلَّغَ) بكلمة (declare) التي تعني (أعلى أو صرَّح أو اظهر)، وبين بَلَّغَ وأعلن فرق بلاغي واضح تميز به كتاب الله وتنسجم تماماً مع سبب نزول الآية الكريمة. كذلك فقد الغى المترجم فكرة أو مفهوم جزء مهم من الآية بقوله تعالى (فما بَلَّغْتَ رسالته) وهو تعبير

(٤) يراجع قاموس:

WEBSTER'S Seventh New collegiate dictionary London 1967
p 42

مهم جداً في رسالة التبليغ بالأمر الذي أنزله الوحي على رسول الله ﷺ بلزومية تبليغه للمسلمين في غدير خم. فضلاً عن ذلك فإن المستشرق المترجم قد استبدل البلاغة القرآنية في هذا الجزء بترجمة ضعيفة مفادها (لا تحجب أولاً تحتفظ به لنفسك). والأكثر مباشرة إن المستشرق يبدوانه لم يدرك أهمية وبعد التعبير الإلهي (والله يعصمك) فحولها إلى ترجمة تظهر وكأن الرسول ﷺ كان خائفاً من المسلمين الذين كانوا يصحبونه فترجم (والله يعصمك) god will protect أي والله يحميك ويصونك ضد الناس أو الرجال. ومن الواضح إن التعبير ألقراطي له علاقة وطيدة بما كان رسول الله مشمولاً إما لعصمة فهو معصوم من ارتكاب الكبائر والذنوب ولهذا فإن معنى الخوف الذي يتخلل كلمة protect لا معنى له. فضلاً عن إن المستشرق قد استعمل كلمة Guide للدلالة على ماورد في الآية (إن الله لا يهدي القوم الكافرين) فكلمة guide لا تتضمن الحُسَّ الإيماني لكلمة (يهدي) وهو اختيار ضعيف لان الهداية لا تشابه التوجيه والإرشاد. كذلك رب سائل يسأل عن السبب الذي دفع بالمستشرق إلى التعبير



(Peace and god's mercy and blessing be upon you، ye people of the House)

ويرى القارئ إن المستشرقين قد حزموا تعبيرا مهما يوضح أسباب نزول الوحي، فهو يرى (إن صوتا جاء ولا يعرف الشخص القائل أو صاحب الصوت عندما كان رسول الله مسجى) فالآية تبدأ بقوله تعالى (أتعجبين من أمر الله) فان ترجمها بالمر يكون لزاما عليه الاشارة إلى تاريخية التعبير ومن هو المقصود بكلمه (أتعجبين)، فالآية ربطت بين القول (أتعجبين) والقول (رحمت الله وبركاته) وهذه الحالة لم يوضحها بالمر. ثم انه ترجم الآية بأضافة كلمة **Peace** بمعنى الأمان والسلام وكلاهما غير مضمون في الآية. كذلك وانه حذف (انه حميد مجيد) وهذه التعبيرات مهمة إذ تسلط الضوء على ما انطوت عليه بداية الآية وفحواها الأساس وهو (أهل البيت). آخذين بنظر الاعتبار انه ترجم أهل البيت بكلمة **People** وهي ترجمة غير مباشرة، فلماذا لم يترك أهل البيت على حالها

لأن المستشرقين من أمثال جولدتسيهر 1. A. S.Tritton و Goldziher وترتون

عن (الكفار) بكلمة **unbelievers**؟ علما بان هناك تعبيرا باللغة الإنجليزية يعبر بشكل أوضح عن الكفار وهو **in dels** أو حسب ما أورده المستشرق **W. Bjorkman** في دائرة المعارف الإسلامية (مقالة **ka r**) تعني **Concealing God's blessings**⁽⁵⁾.

ومن الجانب الآخر من المهم الوقوف أيضا على ترجمة بالمر للآية الكريمة المتعلقة برحيل رسول الله ﷺ إلى جوار ربه. هنا أيضا يلاحظ إن بالمر قد اخطأ في رقم الآية الواردة في سورة هود رقم (٧٦) على وفق ترقيم بالمر بينما واقعا إن رقم الآية هو (٧٣) إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾، وكذلك نلاحظ ترجمة المستشرقين برود ويل لتعبير أهل البيت في سورة ٣٣ إيه حسب ترقيم المستشرق وهي سورة الأحزاب إيه ٣٣ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وترجمتها رودويل وبالمر على الشكل الآتي:

(5) **Ka r** in Encyclopedia of islam (new edition) volume 4 PP 407- 409 by W.Bjorkman



النبوة دون غيرهم وهم: الرسول الكريم، الإمام علي، وفاطمة الزهراء، والحسن، ثم الحسين عليه السلام وهذا متفق عليه عند المفسرين من أهل السنة والشيعة على حد سواء. فضلا عن إن المستشرق رود ويل قد جاء بترجمة للتعبير على شكل **houhshold** أي اسرة^(٨) كذلك فقد تصرف رود ويل بترجمة الآية القرآنية في سورة آل عمران أية (١٨٥) وهي عند المستشرق وردت خطأ (١٨٢) بقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾. فترجمها رود ويل على الشكل الآتي:

(Every soul shall taste of death and ye shall assuredly be tried in your possessions and in yourselves).

فلاحظ انه ترجم قوله تعالى (إنها توفون أجوركم يوم القيامة...) بما يترجم حرفيا (أنكم بالتأكيد تبطلون أو تمتحنون بالأموال)

(8) see Rodwell. j. m. the Koran (London and hertford, 1861); palmer. E. H. the qur'an (Oxford 1900).

وفان أرندونك Van Arendonk وشارون مائير Sh Meir ومقاله Ahl al-Bayt في دائره المعارف الاسلاميه^(٦) قد استخدموا نفس التعبير وأثروا باستعمالهم على المستشرقين الآخرين. لا يقصد بها جميع الناس أو الأنبياء أو الأهلالي أو كما ورد في قاموس ويبستر Webster فأن معناها:

- 1- Human beings الناس
- 2- e mass of a community المجتمع
- 3- A body of persons مجموعه من الناس
- واقرب وصف لأهل البيت هو:
- 4- the members of a family or kinship⁽⁷⁾.

فالأية تشير حصرا على أفراد بيت

(٦) ينظر:

A. A. Afyze: Ashiite creed (Bombay Meir. sh. (e umayyads (١٩٤٢ as Ahl al-Bayt) in Jerusalem studies in Arabic and islam (volum ١٤ / ١٩٩٢) pp ٥٢-١١٥. (Ahl al-Bayt) in Encyclopedia); of islam (new edition) volume .by I Goldziher, ٥٨, ٢٥, ٧. I pp Webester's seventh: ينظر قاموس:

ص ٦٢٥.



..... دور المستشرقين في ترجمة القرآن

ادخله في الآية بما يمكن ترجمته حرفيا (إن كثيرا من الأشياء المؤذية سوف تسمعونها من الذين أعطوا الكتاب) كذلك فقد ترجم (أشركوا) بتعبير (أولئك الذين ربطوا أوالحقوا آلهة أخرى مع الله) وهي ترجمة غير مسبوكة ولا توافق النص القرآني. كذلك ترجم (فان ذلك من عزم الأمور) بما يمكن ترجمته حرفيا (إن هذا حقا هو ما يحتاج إليه المرء في شؤون الحياة) وهنا أيضا قد تصرف في ترجمته للتعبير القرآني البليغ (من عزم الأمور) والنقطة الأخرى المهمة هي إن رود ويل عندما ترجم أهل البيت جعلها (e people of the house) في حين ترجم تعبير (أهل الكتاب)... THOSE... WHOM THE SCRIPTURE فلماذا لم يترجمها أيضا ب (e people of Scripture ?) فانه هنا يخص الكتاب بشكل خاص بينما لا يخص لأهل البيت مكانه خاصة ولذلك يبدو عامل الخطأ المتعمد.

ومثال آخر عن الترجمتين اللتين تم الاعتماد عليهما من المستشرقين المهتمين في الدراسات التاريخية أي ترجمه رود ويل وبالمر بما يتعلق بترجمتها قوله تعالى في سورة

أوالأموال وأنفسكم) وهي ترجمة بعيدة إلى حد غير قليل عن تعبير (توفون أجوركم)، كذلك ليس هناك علاقة بين (وما الحياة الدنيا... الخ) وبين كلمة. possessions وانه استخدم كلمة tried لترجمة توفون، والكلمة هي أما يجرب أو يبتلي أو يمتحن ويستمر في الترجمة التي حذف منها عدة تعبيرات إلهية للآية الكريمة اللاحقة برقم (١٨٦) وقد وردت خطأ عند المستشرق (١٨٣) قوله تعالى: ﴿لَتَبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ فجاءت الترجمة كالآتي:

(Many hurtful things shall ye hear from those to whom the scriptures were given before you and those who join other gods with god but if ye be steady and fear god - this verily is needed in the affairs of life).

فالترجمة قد حذفت الاستهلال في الآية الكريمة، أي (لَتَبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ...) وقد

القصص آية ٨٥: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيَّ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وجاءت الترجمة مخالفة وبعيدة عن المعنى الأساس للآية التي يرتبط معناها تاريخياً بقول النصراني على إن المسيح عليه السلام سيرجع نازلاً من السماء إلى الأرض، لهذا فقد كان المعتقد بأن الرسول ﷺ هو أعلى من المسيح، فتقول الترجمة:

(Verily he who hath given thee the Koran for a rule will certainly bring thee back home).

فيلاحظ القارئ انه:

١. ترجم (إن الذي فرض...) بتعبير واحد هو rule بمعنى (الحكم أو كقانون أو سلطة) وهذا غير صحيح ولا يتفق مع مدلول (فرض عليك القرآن...).

٢. كذلك نلاحظ انه ترجم (لرادك) إلى جملة ضعيفة وهي bring you back (أي يأتي بك أو يجلبك؟) كذلك فانه ترجم التعبير البليغ (معاد) إلى ome أي (لرادك إلى

البيت أو المنزل أو الوطن أو الملجأ) أو غير ذلك مما لا يعطي المعنى الألهي الحقيقي، والفرق واضح جداً بين المعاد من جهة وبين البيت. فضلاً عن إن المستشرق قد اغفل ترجمة بقية الآية الكريمة.

وهناك الكثير من النماذج التي تؤثر صراحة إن هاتين الترجمتين للقرآن الكريم تحتويان على أخطاء وفي حالات عديدة لجأ المستشرقان إلى حذف أو عدم ترجمة لأجزاء مهمة من الآيات الكريمة مثلما جاء في سورة القصص آية ٣ وما أورده سورة الأنعام آية ١٦٤ وسورة آل عمران آيات ٢٣، ٢٤، ٢٥ التي وردت خطأ عند رود ويل بأرقام ٢٢ و ٢٣.

الغربيون والقرآن الكريم

قبل البدء في دراسة إسهام المستشرقين في ترجمة القرآن الكريم، مع العلم بان هناك دراسات وإسهامات كثيرة بخصوص ميادين أخرى عن القرآن لكن هذا البحث سوف يركز على ميدان الترجمة فحسب، لا بد هنا من القول إن عدداً من العلماء المستشرقين قد ألفوا بحوثاً بلغات شتى حول الترجمات الأجنبية للقرآن. والملاحظ

ودرس الأستاذ محمد حميد الله خان باللغة الفرنسية الموضوع في كتاب أصدره عام ١٩٦٦ بعنوان (القرآن في جميع اللغات الأوروبية)^(١٣) ونشر عالم الفهرسة البريطاني بيرسون J. D. Pearson بحثا في تاريخ كمبردج للأدب العربي بعنوان (فهرس الترجمات للقران في اللغات الأوروبية)^(١٤). كذلك نشر المستشرق فيرنيت J. Vernet بحثا سنه ١٩٦٧^(١٥) في مجله الشرق Die

translation of the quran into Turkish) in islam Tetskikeri Ernst Dergisi (volume 4 1964) PP. 1-19

M. Hamidullah: Le coran, (١٣) traduction integre avec. Une bibliographie de toutes les traductions en langues europeennes (Paris 1966) ; idem quran in every language (Hyderabad. Deccan 1939 (revised (ed) France islam) 1967 Pearson. G.D.(Bibliography (١٤) of translation of the Koran into European Languages) in cambridge history of Arabic literature vernet. j. " traducciones (١٥) moriscas de el coran" in der orient in der forschung. fest-schri fur otto spies (Wiesbaden 1967) pp.686- 705

دور المبشرين في هذا المجال فمثلا كتب المبشر الأمريكي الذائع الصيت زويمر S. M. Zewemer بحثا نشره في المجلة ذات الصبغة التبشيرية العالم الإسلامي muslim world عام ١٩١٥ بعنوان (ترجمات القرآن)^(٩) كذلك كتب المستشرق وولورث W. Swoolworth بحثا نشره عام ١٩٢٧ في نفس المجلة بعنوان (فهرسة النصوص القرآنية وترجماته)^(١٠) ونشر المستشرق بودروليغيتي A. Bodroligeti بحثا سنة ١٩٦١ في مجلة الشرقية الهنغارية بعنوان (الترجمة ألفارسيه للقرآن بحروف لاتينية)^(١١) وقام الأستاذ التركي زكي وليدي توقان velidi Togan بدراسة الترجمات التركية للقران الكريم نشر في مجله دراسات تركية اسلامية عام ١٩٦٤^(١٢)

(٩) Zwemer. S. M. (Transtations of the Koran) in MW. volume 5/1915 pp. 244- 261

(١٠) Woolworth. W. S.(A bibliograpy of Koran texts and translations) in M. W.volun 17/1927 pp.279 -89

(١١) Bodroligeti. A. (the Persian translation of tae Koran in lalin letters) in Acta Orientali Hungarian.Volume 13 (1961) .pp. 261-76

(١٢) Zeki velidi Togan:(e earliest



Orient بعنوان (الترجمات الموركية للقرآن) فهذه الدراسات المهمة قد قدمت عوناً كبيراً في تصنيف اللوحة الخاصة بالترجمات والدراسات أَلقرآنيّة الواردة في نهاية هذا البحث.

لقد المحنا في السابق أن الغربيين قد تسارعوا إلى ترجمة ودراسة القرآن الكريم والتاريخ الإسلامي منذ حقبة الحروب الصليبية والعصر الكنسي، فتولى الراهب روبرت الكيتوني **Robert of ketton** بأول ترجمة أو بالأحرى إعادة صياغة قدم فيها المعاني بكلمات وألفاظ مختلفة هي من بنات أفكاره وسوء مصدره.

ونشرها باللغة اللاتينية عام ١١٤٣ وذلك بطلب أو أمر كنسي من قبل الراهب النشط الذي يعد العامل الأساس في تأجيج الحروب الصليبية بطرس الناسك **Peter the Venerable** وكان آنذاك يشغل منصب رئيس دير الرهبان في كلوني **Clunny** ويذكر (بيرسون) إن نسخة من سيرة وحياة روبرت الكيتوني موجودة في مكتبة الارسنت في باريس **Biblio theque de Arsent** لقد وصف المستشرقون عمل روبرت الكيتوني بأنه

حرّف في النصوص التي أعاد صياغتها وبالغ في اساءته للقرآن إلى درجة أنه قدمه بطريقة بذيئة **nasty** فيقول عنه دانيال **N. Daniel** في كتابه (الإسلام والغرب صناعة صورة أو مثال)^(١٦) (كان دائماً عرضة للمبالغة والزيادة المبالغ فيها في النصوص السليمة وغير المؤذية فيدخل وخزة من البذاءة والفسق أو عدم الالتزام بالقواعد الأخلاقية الصارمة. أوانه كان يستحسن ويفضل التفسير البغيض والبعيد الاحتمال لمعاني القرآن بدلاً من المعاني والتفسيرات الاعتيادية والشائعة والمحتشمة أو المهذبة)^(١٧).

ومع إن ترجمة روبرت الكيتوني أو إعادة صياغته الرديئة والمحرفة للقرآن الكريم كانت محدودة الانتشار غير أنها قد أثرت تأثيراً واضحاً في كتابات كتّاب العصر الكنسي، فهي بسبب قدمها تعدّ الأساس لعدة ترجمات خلال العصر الأوربي الوسيط. ويبدو أن المترجمين الأوائل للقرآن لم يطلعوا عليها كالحالة بالنسبة إلى مارك

(١٦) **N. Daniel: islam and the west. the making of an image (Edin-burgh 1960)p. 196 (ketton).**
(١٧) **Ibid.p.196.**



كيف كان تأثير تحريفات روبرت الكيتوني السيئة والحاقدة على مواقف الغربيين من القرآن الكريم. وقد انتقد المستشرق بيرسون **pearson** عمل روبرت الكيتوني مركزا على دهائه في تحوير النص وتحريفه^(٢١).

أما بخصوص ترجمة مارك الطليطي فأنها لم تنهج منهج ترجمة روبرت، فالطليطي يبدو أنه لم يكن على معرفة بها. وقد تجاوز الطليطي إلى درجة أقل أحقاد وتزييفات روبرت وهذه الترجمة هي الأخرى كان انتشارها محدودا وقد أعاد دومنيكوس جير مانوس **dominiccus germanus** نسخها في القرن السابع عشر للميلاد. ونسخة الطليطي موجودة في مكتبات مونبلييه والاسكوريال **Montpelier** **the escurial** وتم نشرها ضمن

مجموعة كلوناك **cropus chuniac** مع بعض الأعمال المسيحية الأخرى التي لها صفة إعلامية مسيحية نشرها ثيودور بيلندر **theoder bibliander** في ثلاثة تحقیقات في مدينة بازل عام ١٥٤٣ ونشر

(٢١) **Koran) in encyclopedia of islam (new edition) by j.d.pearson**

التوليدي (الطليطي) **mar of Toledo**

في الوقت ذاته فقد ظهرت عدة دراسات في أوروبا كانت فاحصة وناقدة لترجمة روبرت الكيتوني من بينها مثلاً دراسة المستشرق كريتزك **J. Kritzeck** الموسومة (ترجمة روبرت الكيتوني للقرآن) المنشورة في المجلة الإسلامية الفصلية (IQ) عام ١٩٥٥^(١٨)، فضلا عن دراسة المستشرق الفيرني **M. th. d'alverny** باللغة الفرنسية بعنوان (ترجمات لاتينيتان للقرآن من العصور الوسطى) المنشورة في أرشيف مجلة الأدب والتاريخ في العصور الوسطى سنة ١٩٤٧^(١٩). ودراسة المستشرق كوهلر **W. kohler** حول (المستشرق بيلندر **Bibliandere** والقرآن الذي ترجمه روبرت الكيتوني)^(٢٠) لهذا نلحظ

(١٨) **j. kritzeck: (Robert of ketton's translation of the quran) in IQ .volume 2 (1955) pp.309- 312**
(١٩) **m.th.d' alverny: (deaux tra- ductions latines du coran au moyen age) in archives history doctor litt moyen (volume 22- 24/ 1947-48) pp.69- 131**
(٢٠) **w. kohler: (zu biblianders' Koran-ausgabe) in bullelin of shooll of oriental and African studies (volum 2 /1921-23) .pp.117-23**



واحدة منها نرويج عام ١٥٥٠. وللتحقيق الثالث (الأخير) أهمية لكونه يحتوى على مقدمة كتبها المصلح الألماني مارتن لوثر^(٢٢) martin luther، وهو أمر في غاية الأهمية لان قراءة رائد الإصلاح الديني المسيحي في ألمانيا تعكس لنا أهمية الترجمة هذه وربما لكونها أكثر موضوعية من غيرها، فضلا عن أهميتها في إبراز هدف لوثر في الإطلاع عليها بغية التأكيد على أفكاره الإصلاحية بشأن محدودية انتشار الإنجيل واحتكار وجوده على رجال الكنيسة ثم ترجع أهمية الحدث بان لوثر أراد اعتماد القرآن وفي الآيات التي تصرح بتكذيب ادعاءات رجال الكنيسة بخصوص صكوك الغفران واحتكار تفسير الإنجيل تفسيراً يتفق وأهواءهم ومصالحهم الشخصية وبالأخص المادية منها.

فإذا ما انتقلنا من انتاجات العصر الكنسي والوسيط باتجاهات الترجمات التي تم إنجازها باللغات الأوروبية الحديثة خلال

M. d' Alverny, G.Vajda (٢٢) (Marc de Toledo traducteur d' lben Tumert) in and.(volume 16 /1951pp.99-140, 250-307 ; C.de. (La prima traduzione italiana del corane (Naples 1967).

القرن السادس عشر فصاعداً يتبين أن أول ترجمة تستحق الذكر في هذا العدد هي الترجمة الإيطالية التي نهد بها أندريه أريف أبانيه Andrea Arrivabane في سبه ١٥٤٧ م وحسبما يبدو أن أندريه قد راجع النص الذي أعاد صياغته بحقد روبرت الكيتوني السابق الذكر، ولعله اعتماداً على ما أورده المستشرق بيرسون أنه اعتمد على إعادة الصياغة في تحوير معاني القرآن التي نشرها بيلندر السابقة الذكر^(٢٣). مع أنه من المهم قوله اعتماد أول ترجمة ألمانية للقرآن الكريم التي قام بها سليمان شفيغر Schweidgger على ترجمه أندريه أريف أبانيه. وكان شفيغر هذا مبشراً للمسيحية في مدينه فراونكرجي Frauenkriche الواقعه في نورنبرغ. وشكلت هذه الترجمة الأساس لأول ترجمة للقرآن أنجزت باللغة الهولندية التي أنجزها رجل لم يذكر اسمه ولكنها نشرت عام ١٦٤١^(٢٤).

أن دور الاستشراق الفرنسي مهم وقديم وبالأخص بالنسبة إلى دراسة القرآن الكريم والسيرة النبوية، وفيما

A. Fischer: Der welt der vork- (٢٣) (anden Koran (Leipzig 1937 Pearson. op.cit.P. 431 (٢٤)



الترجمة لا سيما وهي تمثل وجهة مسيحية. والجدير بالملاحظة إن أندريه ضم إلى الترجمة مقدمة على صيغه ملخص تأريخي للإسلام في عصره، أي ما تمثله الدول العثمانية أطلق عليه عنوان (ملخص يتعلق بدين الأتراك)^(٢٦) ويقصد الدين الإسلامي متجنباً ذكر الإسلام صراحة وهو دليل على الموقف الذي سيتخذه في ترجمته كذلك ضمّن الترجمة جوانب تأريخيه أخرى إلى جانب النبذة التاريخية المشار إليها.

ويرى البروفيسور بيرسون إن ترجمة أندريه كان لها تأثير بين على الاستشراق البريطاني، وصارت العامل الأساس في توجه ألكسندر روس Alexander^(٢٧) Ross إلى ترجمه القرآن إلى اللغة الانجليزية وقد طبعت أولاً عام ١٦٤٩ ثم أعيد طبعها عام ١٦٨٨ وثالثه عام ١٧١٩

(٢٦) Zewemer ; Samuael: Trans-
lation of the Koran in muslim world. volume 5 /1915
' p.244-45 ; M.Hamidullah:
Quran in every European languages
Hyderabad. deccan 1967, p. 10- 12

(٢٧) see (kuran) in ei⁽²⁾ by pearson
وكان روس قد اختار عنوانا يظهر بوضوح موقفه
الحاقد والعنوان هو (قرآن محمد).

عدا الآراء المتطرفة والحاكمة للمستشرق
الراهب هنري لامانس^(٢٥) فأن المستشرقين
الفرنسيين الآخرين أمثال دي بولونفيه
De Boulanvillres وبلاشير وهنري
ماسيه وهنري كوربن هم أكثر موضوعية
من لامانس. مع أن في آرائهم وتفاسيرهم
مجالاً للمناقشة أوحى للتفنيد والمحااجة.
فمن الترجمات القديمة للقران الكريم
باللغة الفرنسية ترجمه أداها أندريه دوراير
Ander' du Ryer وقد عرفه زويمر
وولورث Wool wroth بأنه كان وجيها
في الماليزية الكبير Sieur La Grand
Malezais ويذكر المستشرق بيرسون أن
هذه الترجمة طبعت بطبعات كثيرة جدا بين
عامي ١٦٤٧ حتى ١٧٧٥: مما يدل على أنها
كانت مطلوبة ومقروءة، كذلك تشير إلى
الاهتمام الواسع من قبل الفرنسيين لقراءة

(٢٥) ينظر عن اراء لامانس ودراسته:

K.S.Salbi: (islam and Syria in the
writings of Henri Lammens)
in historians of the Middle East
(London ١٩٦٤) P. ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٩.

كذلك: د.عبدالجبار ناجي: تطور الاستشراق في
دراسة العربي (سلسلة الموسوعة الصغيرة
بغداد ١٩٨١) ص ٥٩، ١٠٣، ١٠٤.

١٧٢١ علما بوجود ترجمة هولندية للقران ترجمها شخص مجهول وظهرت عام ١٦٤١ أي قبل أكثر من عشر سنوات من ترجمة (غلا سميكر)، وفي اللغة الألمانية في ترجمة شغابغر **schweigger** عام ١٦١٦ ثم عام ١٦٢٣ وعام ١٦٥٩ والمستشرق لانغ **lang** في ترجمته عام ١٦٨٨. وهناك ترجمة روسية تأثرت بترجمة ألكسندر روس قام بها المستشرق بوستنيكوف **postinikov** عام ١٧١٦ وترجمة المستشرق فيروفكين **veryovkin** المطبوعة عام ١٧٩٠^(٣٠).

والترجمة التي تستحق الذكر تلك التي نالت سمعة حسنة عند المستشرقين التي قام بها لود وفيكومراتشي من النص العربي مباشرة إلى اللغة اللاتينية. ولعل المستشرق دينسون روس على حق عندما ذكر في مقدمته التي قدم بها ترجمة جورج سيل للقران بان الترجمات الأوربية للقران مدينة إلى ماحققه مراتشي **marracci** (او **marraci**). وألف دينسون أيضا بحثا مستقلا عن سيرة وعمل. لود وفيكومراتشي في ترجمة القران

See Pearson, J.D. "Biblio gra- (٣٠) phy of translations of the Ko- ran into European Languages in Cambridge History of Ara- bic literature

ورابعه عام ١٨٠٦. ان وصف بيرسون لهذه الترجمة الانجليزية والتي أعقبتها من قبل جورج سيل **G. Sale** بعنوان (الترجمات المسيحية) **versions by christians** يعكس الأثر الديني في الاندفاع نحو ترجمة القران في بريطانيا^(٢٨). وترجمة روس من الترجمات المعروفة، وهي لا تتعلق بما قام به المستشرق دينسون روس **Denison ross** الذي درس ترجمة لودوفيك ماراتشي **ludovica marraci** مثلما خلط البعض بينها، شجعت ترجمة الكسندر روس إلى ظهور طبعات كثيرة للقران الكريم باللغة الهولندية **dutch** نهض بها غلا سميكر **glazemaker** في عام ١٦٥٨ وأعيد طبعها أعوام ١٦٩٦ و ١٦٩٨ و ١٧٠٧

(٢٨) وينظر أيضاً:

the alcoran of mohamat holt. p. m (the treatment of arab history byu prideaux and sale) in his- torians p. 293

Denson Ross, (Lludovica Mar- (٢٩) raci) in Bullein of school of Oriental and Afrcan Studies (volume 2/ 1921-93) pp. 117- 123.

كذلك عبد الرحمن د. وجيه حمد (ترجمات انجليزيه لمعاني القران في ميزان الإسلام) بحث في ندوه حول عناية السعودية في القران وعلومه ص ٨-١٠.

جورج سيل **Sale**. مع انه واعتمادا على دراسة المستشرق الإيطالي نللينوالموسومة **(دراسة حول مخطوطة القرآن للمستشرق لودوفيكومراتشي)** المنشورة في سلسلة علوم اللغة سنة ١٩٣١^(٣٢) فان جورج سيل قد اعتمد على ترجمة مراتشي باللاتينية وكذلك على ترجمة المستشرق البريطاني ادورد بوكوك **pococke**. والملاحظ إن سيل قد اعتمد في ترجمته اللغة الدارجة في العالم ليسهل قراءتها باللغة الإنجليزية لقراءة القرنين من الزمان. كذلك فانه بدأ الترجمة بفصل تاريخي مسهب عن رسول الله ﷺ وسيرته. مع إن هناك مجالا واسعا لمناقشة ما أورده من آراء وتفسيرات وتفنيدها اعتمادا على المصادر الإسلامية. وجورج سيل راجع تفسيرين من التفاسير القرآنية وهما تفسير البضاوي والسيوطي. مرة أخرى نذكر ان ترجمة سيل التي كانت بعنوان **(the alcoran)** قد أثبتت

(٣٢) ينظر يعقوب افرام منصور: تطور الاستشراف الإنكليزي مجلة المعرفة ص 92-106. أيضا **A j. arberry** المستشرقون البريطانيون (لندن 1946) ص 16.

B.Lewis " British contributors to Arabic studies " in B.SOAS (1941) PP.25-26

وعنوان بحثه **(لودوفيكومراتشي)**. وطبعت ترجمة مراتشي سنة ١٦٩٨ ثم طبعت سنة ١٧٢١، وفي هذه الطبعة الحق المستشرق المعروف **رايندكيوس reinccius** بالترجمة حواشي وتعليقات **annotalion** مهمة، وهي لما يراها القارئ مفيدة للغربيين على وجه الخصوص. ونظرا لما حققته هذه الترجمة من شهرة فقد ترجمها المستشرق نيرتيرالاماني **Nerreter** الى اللغة الألمانية كما يذكر بيرسون^(٣١).

شجع منهج مراتشي الإيطالي المستشرقين إلى مواصلة عمله في الاعتماد المباشر على النص القرآني باللغة العربية وهو منهج أصبح شائعا خلال القرن الثامن عشر للميلاد لابد في هذا الصدد الإشارة إلى الترجمة الإنجليزية التي احتلت مكانة الصدارة لكثرة الاعتماد عليها تلك التي انجزها المستشرق الإنجليزي

(٣١) **Dension ross ; (lodovico mar-raci) in bulletin of soas (volume 2/ 1921-23) pp. 117-23 ; nallino, c. "le fonti arabe monoscritte dell' opera dl ludovico marracci sul corano " in rend. accad.linei. cl.sci.mor.stor. lol. ser.6 volum 7 (1931) pp 303-349**



مصادقيتها وموضوعيتها نسبيا موازنة بالترجمات السابقة. إذ تم ترجمتها إلى عدة لغات أوربية، فضلا عن إن البعثات التبشيرية البروتستانتية في مصر قد ترجمتها إلى اللغة العربية وذلك من اجل اعتمادها في التبشير. وهناك ثمة ملاحظات في هذا الجانب قد تعكس إن جورج سيل قد تعرف إلى حد غير قليل في الإضافة أو الحذف لكلمات الله تعالى مثال على ذلك: انه تصرف في ترجمة سورة الفاتحة فجعل (العالمين) على شكل **all-creatures** ربما تترجم حرفيا جميع الكائنات أوجميع الناس.

وترجم تعبير (مالك يوم الدين على صيغة **the king of the day of judgment**. والواضح في الآية المباركة ان المالك لايعني أبدا الملك **king** مع أنها من جذر ثلاثي مشترك. كذلك ترجم (ولا الضالين) بعبارة **whom thou art incensed, no** والواضح إن الكلمة الأخيرة لاتعبر عن (الضالين) تعبيرا دقيقا، في الوقت الذي توجد فيه كلمات في اللغة الإنجليزية اقرب كثيرا إلى المعنى من تلك الكلمة. كذلك فانه تصرف في أية من سورة البقرة قوله تعالى (وكذلك جعلناكم امة

وسطا لتكونوا شهداء على الناس...) فادخل كلمة^(٣٣) (**O Arabian**) دون إن تذكر في الآية الكريمة بمعنى (وكذلك جعلناكم يا أعراب) والمستشرق جورج سيل المتوفى عام ١٧٣٦ أي بعد سنتين من طبعه القرآن عام ١٧٣٤ وكان مشغوبا بالدراسات العربية والإسلامية، وقد صحح الإنجيل باللغة العربية وقد انشغل بترجمة القرآن حوالي ثماني سنوات من ١٧٢٦-١٧٣٤. وهي كما قلنا سابقا تعد من أفضل الترجمات التي ظهرت حتى ذلك الوقت في أوربا، ولاتقتصر افضليتها على كونها أوضح الترجمات الإنجليزية والأوربية المعروفة واخص بالذكر منها ترجمة الأسباني خوان السيكوني أو ترجمة روبرت الإنجليزي (أي الكيتوني) أو ترجمة الكسندر روس. وصارت ترجمة سيل هي المتداولة والواسعة الانتشار، ويذكر إن فولتير المشهور قد ذكرها في مؤلفه (القاموس الفلسفي). وعلى الرغم من التصرفات التي تكررت في ترجمته لكنها تمتاز عن الترجمات السابقة بالمقدمة التفصيلية التي تناولت مواضيع إسلامية عديدة كالدين الإسلامي وشرح أركانه

(٣٣) g. Sale. the Koran, p. 3, 142.





وأصوله. وخص أحد فصول المقدمة فترة الجاهلية وأخر عن سيرة الرسول ﷺ وكذلك عرج على موضوع مهم آخر عن المستشرقين وهو الفرق والمذاهب الإسلامية^(٣٤).

إما الترجمة الثانية التي انتشر تداولها في أوروبا بعد ترجمة (سيل) فهي تلك التي ترجمها المستشرق الفرنسي.

سفاري اوسفري - **savary** وقد اعتمد هذا المستشرق على النص العربي للقران بشكل مباشر وتم طبع ترجمة سفري عام ١٧٥١ وظلت هي الترجمة السائدة إذ أعيد طبعها عام ١٩٦٠، وترجمت إلى اللغة الألمانية ترجمها المستشرق بوسيني **Boysen** عام ١٧٧٣. علما بان هناك عدة ترجمات باللغة الألمانية قد سبقت ترجمة بوسين أمثال ترجمة شفايغر السابقة الذكر وترجمة لنغ - **Lang** وترجمة نيرتر - **nerreter** وترجمة

(٣٤) See Holt.treatment. pp.295-98. Arberr, A.j.the Cambridge school of Arabic (Cambridge 1948).

كذلك اربري المستشرقون البريطانيون ص ١٦، مكسيم رودلسن (الصوره الغربية والدراسات الغربية الاسلاميه) بحث في تراث الإسلام (تحقيق د.شاكر مصطفى، الكويت ١٩٧٨، ص ٥٤، ٦٧ ويعقوب افرام منصور: تطور ص ٩٧).

●..... دور المستشرقين في ترجمة القرآن

ميغرلين **Megerlin** عام ١٧٧٢. واعتمادا على قول المستشرق جوفين **Chauvin**^(٣٥) فان ترجمة سفري هي في الواقع ترجمة مراتشي اللغة اللاتينية، مع أنها تتميز بفارق بين هوأنها قد طبعت وحسبما تم ذكره في الصفحة الأولى بعنوان إحدى الطبعات في مكة سنة ١١٦٥ هجرية.

وفضلا عن ترجمة سفري الفرنسية للقران الكريم فقد نهض المستشرق **Kasimirski** كسمرسكي لترجمة القرآن بالفرنسية وقد تمتعت بسمعة جيدة مع إنها تشابه ترجمة سفري. وكانت هذه الترجمة أوماتزال هي الترجمة المعتمدة حتى الآن وقد تكرر طبعها عدة مرات، فظهرت أولا سنة ١٨٤٠ وأخرها سنة ١٩٧٠. وكذلك فقد اعتمدها المستشرقون في دراساتهم عن السيرة النبوية المطهرة. ويجدر الملاحظة إن كسمر سكي قد طلب من المستشرق بوثيه - **Pautheir** تنقيح وتهذيب ترجمة سفري. غير ان بوثيه فضل القيام بترجمة جديدة للقران الكريم بدلا

(٣٥) V.Chauvin: bibliographie ou- vrages arabes ou relatifs aux arabes X le coran et la tradition (liege and Leipzig 1910).

الأوربية للقران الكريم:

١ - القرن الثاني عشر للميلاد:

ترجم القران الكريم أوأعاد صياغته إعادة رديئة جدا وبذيئة بناء على أمر من الراهب بطرس الناسك عام ١١٣٤. وظلت على شكل مخطوطة إلى أن تم طبعها سنة ١٥٤٣ وطبعت الترجمة الثالثة ١٥٥٠ م.

٢ - القرن السادس عشر:

تقع المرحلة الأولى لترجمة القرآن الكريم خلال هذا القرن ومن المحتمل أن هذا التحول يرجع إلى ظهور الطباعة وانتشار استعمالها. فضلا عن كونه القرن الذي أنتج أول مطبعة في ليدن-هولندا للطباعة في اللغة العربية بحروف جميلة تعرف بالطبعة الأوربية كالحروف التي طبع فيها تاريخ الرسل والملوك للطبري ومعجم البلدان لياقوت الحموي وغيرها

أ - أول ترجمة مطبوعة بعد ترجمة روبرت الكيتوني الإنجليزي باللغة اللاتينية. في الواقع تدخل واضح من روبرت لإعادة صياغة **pharaphrase** القران بلغة مشوهة وحاقدة.

من تنقيح وتهذيب ترجمة سفري. وكانت ترجمته أيضا من النص العربي للقران مباشرة دون إن يقلل من الأهمية العلمية لترجمة مراتشي أو يهملها إنما كان يراجعها ويستشيرها في عدة حالات، وانه راجع أيضا ترجمة جورج سيل^(٣٦).

التطور المهم في ترجمة القران الكريم خلال القرنين التاسع عشر والعشرين كان مهما من عدة وجوه:

١ - اعتماد النص العربي للقران الكريم مباشرة.

٢ - ظهور ترجمات قام بها العلماء المسلمون

٣ - ظهور ترجمات المستشرقين قد اعتنقوا الدين الإسلامي أمثال مار مادوك بكثال - **Pickthell** بعنوان (معاني القرآن العظيم).

٤ - وحسب رد فعل المستشرق فشر - **a.Fischer** فإن علماء مسلمين من الدرجة العلمية الثانية والثالثة قد تجربوا في تحملهم مسؤولية هذا العمل المهم جدا.

جرد حسب التسلسل الزمني بالترجمات



● دور المستشرقين في ترجمة القرآن

- ب- الترجمة الثانية كانت باللغة الإيطالية
قام بها اريف ابانية - **Arrivabene**
عام ١٥٤٧ م وأعيد طبعها في ١٥٤٨.
- د- الترجمة باللغة الفرنسية قام
بها دورايير - **Du Ryer**
عام ١٦٤٧.

٣- ترجمات القرن السابع عشر:

- هـ- الترجمة باللغة اللاتينية بعد روبرت
الكيثوني قام بها لودوفيكومراتشي
Marracci عام ١٦٩٨.
- و- الترجمة التي أنجزت في القرن الثامن
عشر:
- أ- الترجمة في اللغة الهولندية قام بها
مؤلف مجهول عام ١٦٤١ ثم ترجمها
غلاسميكر **Glazemake** عام ١٦٥٨
وأعيد طبعها عدة مرات في القرن
السابع عشر آخرها سنة ١٦٩٨.
- ب- الترجمة في اللغة الانجليزية قام بها
الكسندر روس **Ross** عام ١٦٤٩
وأعيد طبعها مرتين خلال هذا القرن
آخرها ١٦٨٨. وعنوان الترجمة (قرآن
محمد).

- هنا أيضا نجد إن القرآن الكريم اخذ
يترجم إلى لغات أوروبية مختلفة:
- و- في اللغة الفرنسية ترجمة دوارير
- **Duryer** عام ١٧٧٥، وترجم
القرآن سفري عام ١٧٥١، ترجمة في
اللغة اللاتينية قام بها مراتشي إذ أعيد
طبع ترجمته عام ١٧٢١.
- ز- الترجمة إلى اللغة الروسية قام بها
بوستنيدكوف **Bostnikov**
عام ١٧١٦ وترجمها فيروفكين
Veryovkin - وترجمها كولماكوف
Kolmakov - عام ١٧٩٢.
- ح- الترجمة باللغة الهولندية، فقد أعيد
طبع ترجمة المستشرق غلاسميكر
لانغ - **Lang** عام ١٦٨٨.
- ج- الترجمة في اللغة الالمانية قام بها شفايغر
- **Schwweigger** عام ١٦١٦ وأعيد
طبعها مرتين عام ١٦٥٩، وترجمها
لانغ - **Lang** عام ١٦٨٨.

- Glazmeker عام ١٧٠٧ ثم ثانية عام ١٧٢١ وثالثة عام ١٧٣٤.

ط- الترجمة باللغة الإنجليزية، إذ أعيد طبع ترجمة ألكسندر روس عام ١٧١٩. وترجم جورج سيل القران عام ١٧٣٤ اعتمادا على النص العربي فضلا عن اعتماده عدداً من التفاسير.

ي- الترجمة باللغة الألمانية قام بها نيرتر - Nerreter عام ١٧٠٣، ترجمة من قبل ارنولد Arnold عام ١٧٤٦.

وترجمة وميغرلين Megerlin عام ١٧٧٢ وترجمة بويسن - Boysen عام ١٧٧٣ وأعيد طبع الترجمة عام ١٧٧٥

٦- الترجمات التي أنجزت في القرن

التاسع عشر:

وهي ترجمات كثيرة تدل دلالة واضحة على مدى اهتمام المستشرقين في أوروبا بترجمة القران الكريم. والمعروف. إن هذا القرن يوصف بقرن السياسة والتوسع والاستعمار والاستكشافات الجغرافية بحثا وراء الأسواق لتصريف المنتجات الصناعية الأوروبية بعد تطور وتوسع الثورة

الصناعية. فشملت الخارطة السياسية الأوروبية الشرق بعمومه، الشرق الأوسط والادنى، في هذه العمليات السياسية- العسكرية التي تزعمتها هولندا والبرتغال وفرنسا وبريطانيا وألمانيا وهكذا بات من اللازم الإطلاع والتعرف على تراث المنطقة الديني والاجتماعي والحضاري:

أ- الترجمة باللغة الهولندية قام بها المستشرق تولينز Tollens عام ١٨٥٩ وترجمة كيزر Keyzer عام ١٨٦٠ وأعيد طبع الترجمة عام ١٨٧٩.

ب- الترجمة باللغة الإنجليزية إذ أعيد طبع ترجمة سيل عام ١٨٩٢.

ج- الترجمة الأمريكية باللغة الإنكليزية قام بها رودويل - Rodwell عام ١٨٦١ وأعيد طبعها عام ١٨٧٦ وترجم بالمر - Palmer القران عام ١٨٨٠.

د- الترجمة باللغة الألمانية قام بها (ألمان) - Ullmann عام ١٨٤٠ وأعيد طبعها عدة مرات خلال هذا القرن.

ه- وفي اللغة الفرنسية أعيد طبع ترجمة المستشرق كاسمرسكي عام ١٨٤٠



● دور المستشرقين في ترجمة القرآن

- وأعيد طبع الترجمة عدة مرات.
- و- وترجم القرآن لأول مرة في اللغة الهنغارية قام بها سزدميجر **Szdmajer**. (ينظر عن هذه الترجمة الهنغارية دراسة سزدميجر المنشورة في مجلة عالم الإسلام **Muslim world** عام ١٩٢٧) وترجم سزوكولي **Szokolay** القرآن عام ١٨٤٧.
- ز- وترجم القرآن إلى اللغة الإيطالية قام بها غلازا **Galza** عام ١٨٤٧ وترجم لمرجم مجهول الهوية عام ١٨٨٢.
- ح- وترجم إلى اللغة البولندية **Polish** من المستشرق سوبولوفسكي **Soboloweski** عام ١٨٢٨ وترجمة لبوكزاسكي **Buczacki** عام ١٨٥٨.
- ط- الترجمة باللغة البرتغالية وظهرت أول ترجمة لمرجم مجهول عام ١٨٨٢.
- ي- الترجمة باللغة الروسية قام بها المستشرق نيكولايف **Niko lave** عام ١٨٦٤ وأعيد طبعها عدة مرات في هذا القرن وترجمه بوغوسلافسكي **Boguslavski** عام ١٨٧١ وترجمة
- سابلوكوف **Sablukov** عام ١٨٧٧ -
- ١٨٧٩، وأعيد الطبع عام ١٨٩٤ -
- ١٨٩٨.
- ك- الترجمة الصربية الكرواتية قام بها المستشرق لجوبراتك **Ljubibratic** عام ١٨٩٥.
- ل- الترجمة باللغة الأسبانية قام بها غريبر **Graber de robles** دي رويلز عام ١٨٤٤ وترجمة اورتز لا بوبلا **Ortiz de la puebla**، وترجم مورغيوندو **Murguiondo** عام ١٨٧٥ القرآن الكريم.
- م- ترجمة القرآن الكريم اللغة السويدية قام بها كروز ينستوبل **Crusenstople** عام ١٨٤٣ وترجمة المستشرق تورنبرغ **Tornberg** عام ١٨٧٤.
- ٧- الترجمات التي أنجزت في القرن العشرين وتميز هذا القرن بعدة تطورات أهمها:
- أ- الاعتماد على النص العربي للقرآن الكريم دون اللجوء إلى النصوص اللاتينية أو غيرها لذلك تطورت

١. الترجمة إلى اللغة الدانمركية قام بها المستشرق مادسن **Madsen** عام ١٩٦٧ ونشر المستشرق المعروف بهل **Buhl** مختارات قرآنية حسب التسلسل التاريخي **selections in chronological order** عام ١٩٢١ وأعيد طبعه عام ١٩٥٤.

٢. الترجمة الأمريكية باللغة الإنكليزية قام بها بالمر إذ أعيد طبع ترجمته عام ١٩٠٠ ثم تكرر طبع الترجمة حتى عام ١٩٦٥ وأعيد ترجمة رودويل عام ١٩٠٩ ثم طبع الترجمة مرارا حتى عام ١٩٦٣.

وترجم ريتشارد بيل **Bell** وكان يدرس اللغة العربية في جامعة ادنبره. وتم طبع الترجمة عام ١٩٣٧ في نيويورك وأعيد طبعها عام ١٩٣٩ وثانية عام ١٩٦٠. وقد أبدى آراء بحاجه إلى تنفيذ تخص ترتيب السور والآيات الكريمة فضلا عن انه أقحم كلمات وتعابير غير منصوص عليها أصلا في القرآن المجيد وترجم اربري **Ar berry** وهو أستاذ الدراسات الاسلامية

وسائل التقويم العلمي للترجمة في أية لغة وذلك باعتماد اللغة العربية، القواعد، والنحو، وفقه اللغة والتفسير والتاريخ والقران والحديث الشريف.
ب- لم يقتصر أمر الترجمة على المستشرقين المشهورين أو الكبار إنما أدى عدد من المستشرقين المحدثين كذلك وهو أمر يدعوننا إلى القوم بالإقبال الشديد على تعلم اللغة العربية لا بقصد القراءة فحسب إنما القراءة والتفهم والكتابة.
ج- كثرة الترجمات نوعا وكما.

د- إقدام المستشرقين الذين اعتنقوا الدين الإسلامي على ترجمة القرآن الكريم.
هـ- إقدام العلماء المسلمين على ترجمة القرآن إلى اللغات الأوربية.

و- الاندفاع إلى الاعتماد على علوم الحديث وتفسير القران لحل الإشكاليات العلمية في ترجمة الكلمات والتعابير غير الواضحة بالنسبة إلى المستشرق والإقدام على صنع ملاحق لغوية وحضارية ودينية وعقائدية وتوزع ترجمات القرآن الكريم على الشكل الآتي:



● دور المستشرقين في ترجمة القرآن

في جامعه كمبرج القرآن بعنوان **e Koran intrepeted** (القرآن مفسرا)

وطبع الترجمة عام ١٩٥٥ ثم أعيد الطبع عام ١٩٦٣، ١٩٦٤ وعام ١٩٦٩ وعام ١٩٧١.

٣. الترجمة الأنجليزية للمستشرقين

المسلمين أمثال ترجمة محمد مار

مادوك بكتال. **Mar maduk**

Pickthel بعنوان (معاني القرآن

العظيم) **e meaning of**

the glorious Koran - وطبع

في لندن ١٩٣٠. وقد ركز بكتال

ترجمته على المعنى للآيات القرآنية

من دون إن يتقيد بالجانب اللغوي.

وأعيد طبع الترجمة عام ١٩٣٨ وكذلك

١٩٦٧ وطبعات أخرى كثيرة وترجم

داوود- **N.A.Dawood** تحت عنوان

(**e Koran**) القرآن ثم الحق بالترجمة

ملاحظات وتعقيبات نص عليها في العنوان

بقوله **Translation with notes**

وطبعت الترجمة في عام ١٩٥٦. وهو أيضا

قد ركز على ترتيب السور القرآنية والآيات

معتمدا على النغمات الشعرية فادى هذا

العمل إلى تقديم وتأخير في ترتيب كتاب

الله تعالى، ويعد هذا خرقا غير مألوف لما تم

عليه الاتفاق بين المسلمين كافة ومنذ العصر

الراشدي على ترتيب السور والآيات

الكريمة. ولا يحق لأحد أن يبدي رأيا فخالفا

في ذلك النظام الإلهي وترجم يوسف علي

a.Yousuf ali القرآن الكريم عام

١٩٥٤

٤. الترجمة باللغة الألمانية قام بها

المستشرق غريغل **Grigull** عام

١٩٠١.

وترجم القرآن هيننغ- **Henning** عام

١٩٠١ وأعيد طبعه عام ١٩٦٠ وثانية عام

١٩٦٨ كما ترجم المستشرق غولد شميدت

Goldschmidt القرآن عام ١٩١٦

وترجم اوبير **Aubier** القرآن عام ١٩٥٧

وترجمة أيضا المستشرق الألماني باريت

Paret, r- عام ١٩٦٦ وأعيد طبعه عام

١٩٧٧ وعام ١٩٧٩ وعام ١٩٨٠ بعنوان

der Koran

٥. الترجمة باللغة الفنلندية قام بها

أحسن بور **Ashen bore** عام

١٩٤٢.

عام ١٩١٣ كما ترجم القرآن المجيد
فراكاشي **Fracassi** عام ١٩١٤.

وترجمه المستشرق بولي- **Bouelli** عام
١٩٢٩ وأعاد طبعه عدة مرات عام ١٩٤٠،
١٩٤٨، ١٩٥٦ كما ترجمه المستشرق
الإيطالي المعروف بوساني **Bausani**
A. عام ١٩٥٥ وأعاد طبعه عام ١٩٦١ وقد
كتب هذا المستشرق بحثاً قيماً عن (ترجمات
القرآن بعنوان:

**On some recent translations
of the quran) in numen. volume
4 (1957) pp.75- 81.**

وترجم المستشرق مورينو **Moreno**
القرآن عام ١٩٦٧ وأعاد طبعه عام ١٩٦٩
وترجم القرآن فيولانتيه دون تاريخ
violante

٨. الترجمة باللغة البرتغالية قام بها
المستشرق كاسترو **Kastro** إذ
ترجم القرآن عام ١٩٦٤.

٩. وترجم القرآن في اللغة الرومانية
اسوبي سكول **Isopescul** عام
١٩١٢.

٦. الترجمة باللغة الفرنسية قام بها
المستشرق مونتيه- **montet** في
عام ١٩٢٩.

وترجم المستشرق ليمشييه **laimeche**
القران عام ١٩٣١ وترجمة بسل وتيجاني
Pesle and Tidjani- عام ١٩٣٦
وترجم المستشرق المشهور بلاشييه
Blachere القران عام ١٩٤٩ - ١٩٥٠
وأعيد الطبع عام ١٩٥٧ ثم عام ١٩٦٦
وترجمة المستشرق الموريشي- **Mauritius**
رجب الله عام ١٩٤٩ وترجمة مارسيه
Mercier عام ١٩٥٦ وترجمة غديره
Ghedira- عام ١٩٥٧ وترجمة محمد حميد
الله عام ١٩٥٩ وأعيد طبعه عام ١٩٦٦
وترجمه المستشرق ماسون **Masson**
تحت عنوان القران والوحي عند اليهود
والمسيحيين:

**Masson: le coran et la
reve'lation judeo chretienne (z
volumes. paris 1908).**

٧. الترجمة باللغة الإيطالية قام بها مترجم
مجهول عام ١٩١٣ وأعيد الطبع



..... دور المستشرقين في ترجمة القرآن

١٢. ترجمة القرآن باللغة الأسبانية

قام بها مترجم مجهول فترجم

عام ١٩٣١. وترجم المستشرق

برغوا **Bergua** القرآن عام

١٩٣١ (وهناك تسع ترجمات لهذا

المستشرق حتى عام ١٩٧٠ وترجم

كانزينوس اسين **Cansinos**

Assens القرآن عام ١٩٥١

(وترجم خمس ترجمات حتى عام

١٩٦٣) وترجم فيرنيت جينس

- **Vernet Gines** القرآن عام

١٩٥٣ وأعاد طبعه عام ١٦٦٣

وترجم المستشرق كاردونا كاسترو

Cardona Castro القرآن عام

١٩٦٥ وترجم المستشرق هيرنناس

كاتا **Hernandez Cata** القرآن

الكريم كذلك ترجم غراشيا برافو

Garcia Bravo القرآن الكريم

دون ذكر تاريخ الطبع.

١٣. وترجم القرآن المجيد إلى اللغة

السويدية من قبل المستشرق

السويدي المعروف سيترستين

Zetterstten عام ١٩١٧

١٠. الترجمة باللغة الروسية قام

بها المستشرق نيكولا ييف

Nikolaev إذ أعاد طبع ترجمته

عام ١٩٠١ وأعيد طبع ترجمة

المستشرق سابلوكوف **Sablukov**

عام ١٩٠٧ وترجم المستشرق

كريمسكي القرآن عام ١٩٠٢

وأعاد الترجمة عام ١٩٠٥ وترجم

المستشرق المشهور كراتشكوفسكي

- **Krackovoskiy** القرآن عام

١٩٦٣.

١١. ترجمة القرآن باللغة الصربية-

الكرواتية قام بها المستشرقان بندزا

وكاوشفيك **Pandza and**

Causvic- عام ١٩٣٦ وأعيد

الطبع عام ١٩٦٩ وترجم المستشرق

كارابيج **Karabeg** القرآن عام

١٩٣٧. وقد كتب المستشرق العربي

A. popvic (بوبوفيش) بحثا

بعنوان (ترجمة جديدة للقرآن في

اللغة الصربية-الكرواتية) ونشره في

مجلة ارابيكا **Arabica** جزء ٢٠ /

١٩٣٧) ص ٨٢ / ٨٤.

ترجمات باللغة الفرنسية قام بها
كل من المستشرق أندريه خوراكي

Ander Chouraqui

والمسيوريني ويجدر الاشاره إلى
الدكتور حسن بن أدريس عزوزي
انه قد درس ترجمة (معاني القرآن)
لجاك بيرك والترجمات الفرنسية
ألمعاصره دراسة عميقة مبينا
الهفوات والأخطاء التي وقع فيها
المستشرق بيرك. وطبع عزوزي كتابه
في عام ١٩٩٩ في مدينته فاس.

كذلك ترجم المستشرق اوهماركنز
Ohlmaks القرآن عام^(٣٧) ١٩٦١.

١٤. وأحدث ترجمه للقران الكريم

باللغة الفرنسية قام بها المستشرق

المعاصر جاك بيرك **Jacques**

Berque- إذ ترجم القرآن

الكريم تحت عنوان (**Le coran**)

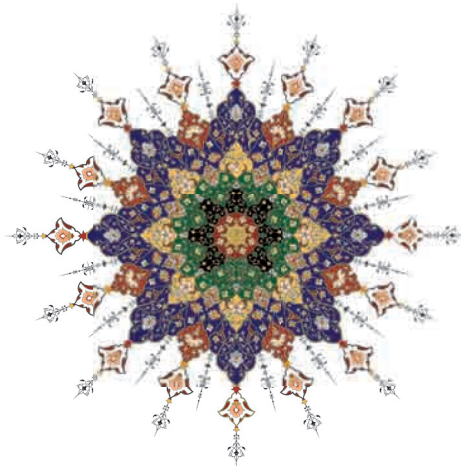
وطبعه في عام ١٩٩٠. والمستشرق

بيرك ألف كتابا بعنوان (أعادة

قراءة القرآن) وطبعه عام ١٩٩٣

بعنوان (معاني القرآن) وهناك

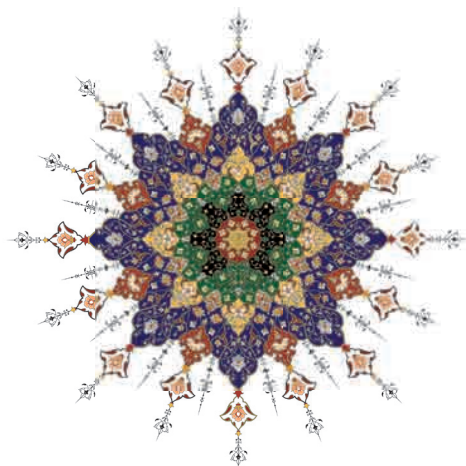
M.Hamidallah, op.cit.; pear- (٣٧)
son, op.cit



قَالَ اللَّهُ تَتَلَوْنَهَا كَمَا تُنَادُوا بِالنَّبِيِّ

بَيْنَ قُلُوبِ الْأَوَّلِينَ

إِلَّا مَنْ أَمَرَ اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ



الفاصلة القرآنية

طبيعتها الإيقاعية وأنواعها ووظيفتها

أ.د. زهير غازي زاهد
جامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد قرئ القرآن قراءات مختلفة ومنوعة منذ نزوله حتى هذا العصر. فقد قرئ نحوياً في كتب اعراب القرآن وقرئ لغوياً في كتب مجاز القرآن وغريبه وقرئ دلالياً في كتب معاني القرآن وتأويله، وقرئ قراءة شاملة في كتب التفسير على اختلاف مذاهبها وأساليبها، وقرئ صوتياً في كتب قراءات القرآن كما قرئ بلاغياً في دراسة أساليبه الفنية، ودراسة الفواصل هنا تتصل بظواهر نصه الإيقاعية والدلالية.

فالقرآن نص خالد والنص الخالد يكون مفتوحاً لقراءات متنوعة إبداعية في العصر الواحد أو على مر العصور على أن تكون

القراءة خلافية لا قراءة مضادة، وهو كما وصفه الإمام علي (عليه السلام) في قوله: «لا تنفي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد»^(١)

القرآن يرتل ترتيلاً ويجود قارئه ويترنم في قراءته و«الترتيل معرفة الوقوف وتجويد الحروف»^(٢) ففي قراءته قدرة على التأمل والتطريب لما في نظم من الإيقاع والموازن التي تظهر للقارئ المتأمل في نظم حروفه وتركيب كلماته وفواصله التي هي أواخر آياته وهي موضع الوقف عند قراءته.

(١) سنن الترمذي (كتاب ثواب القرآن - باب ما جاء في فضل القرآن)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٨٨/١.

(٢) - هذا القول للإمام علي (عليه السلام). البرهان للزركشي ٢٢٥/١، النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٠٩/١.



.....الفاصلة القرآنية، طبيعتها الإيقاعية وأنواعها

ما هي الفاصلة القرآنية؟ وما الفرق بينها وبين السجع في النثر والقافية في الشعر؟

عرف ابو الحسن الرماني (٣٨٦هـ) الفاصلة قائلاً: «حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إلهام المعاني... والفواصل بلاغة والاسجاع عيب»^(٣) فهو يرى أن السجع تتبعه المعاني فهو الذي يقصد في نفسه ثم يحمل المعنى عليه، والفواصل تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها، وقد ذهب هذا المذهب ابوبكر الباقلاني واصحابه (٤٠٣هـ)^(٤) وعرف بدر الدين الزركشي (٧٩٤هـ) الفاصلة: «هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع»^(٥).

والسجع في عرف ابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ): «تمائل الحروف في مقاطع الفصول»^(٦) وعرفه ابن الاثير (٦٣٧هـ) بأنه «تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد»^(٧).

فالتعريفات متقاربة والمفهوم مختلف بين

- (٣) النكت في إعجاز القرآن (في ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ص ٩٧
- (٤) انظر كتابه إعجاز القرآن ٥٧..
- (٥) البرهان في علوم القرآن ١/ ٨٣
- (٦) سر الفصاحة- ابن سنان ١٦٣
- (٧) المثل السائر ١/ ٢٧١

أصحاب إعجاز القرآن وبين البلاغيين. فأصحاب الإعجاز أرادوا أن يخصصوا للقرآن الكريم مصطلح الفواصل، ولما كان قسم من الفواصل القرآنية توافق السجع جعلها البلاغيون سجعا، ويصر الباقلاني على نفي السجع في القرآن قائلاً: «ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن اساليب كلامهم ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك إعجاز... والذي يقدرونه أنه سجع فهو وهم؛ لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وأن لم يكن سجعا... لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع...»^(٨) وذلك ماسبق في كلام الرماني.

فالفواصل وتشاكل مقاطعها جزء من الإيقاع في النص القرآني والإيقاع من خصائص النثر الفني وهو يختلف عن الإيقاع في النص الشعري ففي النثر يكون إيقاعاً متوازياً متوازناً غير مطرد في المقاطع اللغوية. أما النص الشعري فيكون الإيقاع فيه متتابع المقاطع مطرد الإيقاع حتى يتألف الوزن الشعري ويختتم البيت بكلمة القافية التي هي خاتمة للإيقاع الموزون في البيت،

(٨) إعجاز القرآن ٥٧، ٥٨

والحرف الملتزم المتكرر في قافية القصيدة يتوالى ويتكرر حتى نهاية ابیات القصيدة كالسجع الذي يتوالى في نهاية الجمل النثرية وكالفاصلة التي هي في نهاية الآية، لكن السجع والفاصلة قد يتكرر فيهما الحرف الملتزم وقد لا يتكرر فلكل نوع من هذه الأنواع مصطلح اختص به ولا يعدم التشابه بينهما في تشاكل المقاطع كما لا يعدم الخلاف في أشياء منها كما سيتضح^(٩).

والعرب قد عرفت الفصاحة والشعر والخطب كما عرفت السحر وسجع الكهان لكنها حين سمعت نصوصاً من القرآن يقرؤها الرسول عليه الصلاة والسلام انجذبت اليها وذهلت بها غير أنها حارت بحكمها عليها فما كان يقرؤه الرسول وتسمعه ليس شعراً لكن فيه إيقاع الشعر وما يشبه القوافي ولجاذبية بيته لسامعه فيه تأثير السحر. وفواصله فيها شبه من سجع الكهان لكنها ليست اياها وليس فيها الغموض الذي في سجع الكهان، فمن آمن

(٩) حيناً نذكر القافية في مقابل الفاصلة هنا نغني بها القافية الموحدة في الشعر العربي أما في عصرنا هذا فقد فقد الشعر وحدة القافية بل فقد وحدة الوزن وتتابعه أيضاً وقارب النثر في القصيدة الإيقاعية التي يطلق عليها مصطلح «قصيدة النثر» تأثراً بالمصطلح الغربي.

بالدعوة الجديدة آمن بأنه منزل من عند الله إلا أنّ مشركي قريش وهم أهل فصاحة وخطابة كانوا يفزعون الى شيوخهم في الفصاحة كما فزعوا الى الوليد بن المغيرة فتداولوا معه في امر النبي قرب موسم الحج وكيف يفرقون الناس عنه ويقنعونهم لينفضوا من حوله، فقالوا: نقول هو مجنون، فقال لهم: يأتونه فيكلمونه فيجدونه صحيحاً فصيحاً عادلاً فيكذبونكم. قالوا:

نقول هو شاعر، قال: هم العرب، وقد روى الشعر وفيهم الشعراء وقوله ليس يشبه الشعر فيكذبونكم. قالوا: نقول كاهن، قال: انهم لقوا الكهان فاذا سمعوا قوله لم يجوده يشبه الكهنة فيكذبونكم ثم انصرف عنهم الى منزله، فشكّوا به فقالوا: صبأ الوليد -أي أسلم- وهم يخشون أن يسلم كبير منهم فيتبعه الناس، فأتاه ابن أخيه ابو جهل بن هشام بن المغيرة فأخبره بشك قريش به فأتاهم الوليد يلومهم على شكهم به ويلومهم على اتهام محمد بما ليس فيه ولا يصدقهم الناس بتهمة بالجنون او الكهانة او الشعر، فقالوا: فكيف تقول يا أبا المغيرة؟ قال أقول هو ساحر. قالوا وأي شيء السحر؟ قال قد يكون ببابل من حذقه فرق بين الرجل



مع اخيه انيس حين عاد من مكة وقد لقي النبي وسمع شيئاً من القرآن، وسمع الناس يصفون الرسول بالساحر، قال انيس: تالله لقد وضعت قوله على أقرء^(١١) الشعر فلم يلتئم على لسان احد وقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم.

وروي عن الوليد بن عقبة اذ سمع الرسول يقرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [٩- النحل] فقال: «والله إن له حلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمعرف وإن أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر»^(١٢).

كان هذا الاحساس والتصور لما في بنية الجملة القرآنية من حلاوة النغمة في تجويده وترتيبه في قراءته^(١٣)، ولما يظهر الترتيل امكان ايجاءات اصواته وتأثيرها في نفس السامع جاءت الآية ﴿ورتل القرآن

(١١) أي طرق الشعر وقوافيه.

(١٢) الرسالة الشافعية ١٢٤ - ١٢٥، دلائل الإعجاز للجرجاني ٣٨٨ وروي هذا الوصف للوليد ابن المغيرة في سيرة ابن هشام ٢٧٠/١.

(١٣) الترتيل كما روي عن الإمام علي عليه السلام: «معرفة الوقوف وتجويد الحروف» النشر في القراءات العشر ٢٢٥/١.

وامراته والرجل وأخيه- وحديث آخر لعتبة بن ربيعة اذ جاء الى النبي يعرض عليه أموراً ليختار منها: المال أو الرياسة أو الجمال... فلما انتهى من قوله قال له رسول الله: فاسمع ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بِشِيرًا وَنَذِيرًا فَاعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [١- ٤ فصلت] ثم مضى في قراءتها وانصت عتبة له وهوباهت، فلما عاد الى اصحابه أحسوا بتغيره فلما سألوه ما وراءك؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت بمثله قط وما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة. يامعشر قريش، أطيعوني، خلويين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه..^(١٤) فما كان جوابهم الا ان قالوا: سحرك بلسانه.

لقد كان للسانه ولما قرأه تأثير في نفس سامعه دفعه الى تصديق غرابه هذا القول حتى على فصحاء العرب ما جعل قومه يتصورونه سحرًا.

وحكاية أخرى في حديث ابي ذر الغفاري

(١٠) انظر الرسالة الشافعية- عبد القاهر الجرجاني (في ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ص ١٢٢-١٢٥، وانظر سيرة ابن هشام ٢٧٠/١.



ترتيلًا ﴿آية ٤ - المزمّل﴾ وقول عبد الله بن مسعود: «جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات»^(١٤) واقوال أخرى في هذا الشأن...تظهر الإبداع فيما امتازت عبارته بهذا الإيقاع الذي يتوازن في جملة ويختتم في فواصل آياته، وفواصل الآيات هي موضع الوقف فيه أيضاً؛ ليتخذ صوت القارئ المجود مجاله في تلوين قراءته. فالفاصلة جزء من الإيقاع في الآية، ولما كان النص القرآني احتوى كل الوان الفصاحة لدى العرب ليتحداهم. فكل لون من الوان الفصاحة والابداع قد يجيده أديب واحد في الشعر أو النثر، فالشاعر قد يجيد القول في الوصف أو المديح أو الغزل أو الشكوى... وكذا الخطيب أو الكاهن يجيد نوعاً من المعاني واسلوباً من القول، فالخطيب في اجادة جملة وإيجازها والكاهن في تسجييعها وما يحيط بها من غموض... لكن القرآن الكريم احتوى كل هذه الاجادات في معانيه التي شملت الحياة وما بعدها، وفي أساليب تعبيره وألوان ما تحتويه من بعض صفات الشعر كالفواصل التي تشبه قوافيه وكالايقاع المتوازن الذي له شبه بإيقاع الشعر الموزون

أحياناً لكنها لا تطابق قوافي الشعر ثابتة في نهاية كل ابيات القصيدة وهي جزء مما سمي بعمود الشعر فاذا اختلف حرف الروي الملتزم عُدَّ عيباً في القافية لكن الفواصل ليست كذلك ثم شبه الفواصل بالسجع لكنها اختلفت عن سجع الكهان الغامض من جهة والمتكلف الممل في كثرة تكراره، وكأنه هو المقصود، أما السجع في الفواصل فقد جاء من دون تكلف لأنه تابع للمعنى مكمل له وتزيين لايقاع عبارته او هو لم يكن سجعاً لازماً بالمعنى البلاغي أي تكرار أصوات بعينها وانما يكون سجعاً في إيقاعه وموازنته أي تكون الفاصلة في وزن سابقتها الصري، كما سيأتي بيانه في انواع الفواصل.

هذا ما جعل العرب يواجهون الرسول في بداية دعوته واصفين إياه بالشاعر أو الكاهن أو الساحر فلما لم يجدوا صدقاً في وصفه بالشاعر والكاهن تمسكوا بوصفه بالساحر لما في القرآن الكريم من جاذبية في سماعه تسحر سامعه وتبهره فيروح متأملاً معانيه الجديدة وأساليبه الجديدة أيضاً، فهو قد تضمّن انواع ابداع النصوص الفنية في نصجها.

لقد نفى القرآن الكريم السحر والشعر والكهانة عن الرسول، فنفى السحر بقوله





فالقرآن الكريم نزل بلغة العرب وعلى عرفهم وعاداتهم وكان الفصيح من كلامهم لا يكون كله مسجوعاً لما في ذلك من التكلف والاستكراه والتصنع ولا سيما فيما يطول من الكلام، كما ذهب ابن سنان^(١٥).

وعلى عكس ذلك يقف الباقلاني في قوله: «والذي يقدرونه انه مسجع فهو وهم لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وان لم يكن سجعاً» وقد روى قول الرسول لمن خاطبه في شأن دية الجنين بكلام مسجوع: «أسجعاً كسجع الكهان؟» ثم قال: «وكيف والسجع مما كان يألوه الكهان من العرب ونفيه من القرآن اجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر، لأن الكهانة تنافي النبوات وليس كذلك الشعر»^(١٦) لذلك جاء قول الرماني: «الفواصل بلاغة والسجع عيب».

لكننا نرى السجع جاء في القرآن الكريم (١٥) سر الفصاحة ١٦٦ وقد ذكرت ابن سنان يعرف الاسجاع: «حروف متماثلة في مقاطع الفصول» (١٦) انظر إعجاز القرآن ٥٨. ولابن الأثير كلام لطيف في هذا المجال قال: «لوكره النبي ﷺ السجع مطلقاً لقال: أسجعاً؟ ثم سكت... نعلم أنه إنما ذم من السجع ما كان مثل سجع الكهان لا السجع على الإطلاق» [المثل السائر ١/ ٢٧٣ وانظر كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ٢٦١].

تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [١٨ - ٢٥ المذثر] ونفى صفة الشعر بقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ﴾ [٤١ - ٤٢ الحاقة] وقوله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَى أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ [٢٢٤ - ٢٢٧ الشعراء].

ونفي عنه الكهانة في الآية السابقة وفي قوله: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [٢٩ - الطور].

ان اصحاب الاعجاز ميزوا مصطلح الفاصلة في القرآن الكريم عن السجع في النثر ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعاً رغبة في تنزيه القرآن الكريم عن الوصف اللاحق بغيره من كلام الكهنة وغيرهم، والحق أن لا فرق بين مشاركة بعض القرآن لغيره من الكلام في كونه مسجوعاً ولا فرق بين الفواصل التي تماثلت حروفها في المقاطع وبين السجع اذا لم يكن كله مسجوعاً.

على كل فنون الفصاحة والنظم والتركيب للتعبير. فلماذا ننكر السجع في قسم من فواصله؟ فالبلاغيون لا يجعلون الخلاف بين مصطلحي فواصل واسجاع بل سجع بليغ وآخر متكلف. فالسجع البليغ ما يطلبه المعنى ويستدعيه ومنه فواصل القرآن كما سيأتي الحديث^(١٧).

أنواع الفواصل

تقسم الفواصل على نوعين:

أولها الموازي: وهما اتفقت كلماته في تماثل حروف المقاطع، وهذا ما يمكن تسميته سجعاً، فالفواصل في القرآن الكريم هي من النوع العالي في البيان والفصاحة سواء أكانت الموازية أم المتوازنة والمتقاربة.

فمن النوع الاول قوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ وظِّلٌّ مُّمدودٍ﴾ [٢٨-٣٠ الواقعة] وقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [١٣، ١٤ الانفطار] وقوله: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ

حتى تأتي السورة كلها مسجوعة «كسورة الرحمن» و«سورة القمر»، وكذا جاء في في كلام الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وكذا في كلام الصحابة وخطبهم.

أما قولي في الفواصل فهو أقرب إلى قول البلاغيين في أنّ قسماً منها كان سجعاً باعتبار أن السجع تماثل الحروف في مقاطع الفواصل، ولا أرى فائدة مما ذهب اليه الرماني والباقلاني واضرابهما في ان السجع عيب، وهما يؤكدان أنّ قسماً من الفواصل سجع ولكنهما ينكران هذا المصطلح فيها تنزيهاً للقرآن الكريم. أليس القرآن الكريم نزل بلغة العرب وتحدى فصحاءهم أن يأتيوا بمثله؟ ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [٨٨ الإسراء] وقوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾ [٢٣ البقرة].

كان هذا التحدي بالاتيان بمثله في تراكيبه ونظمه ومعانيه وغاياته على الرغم من أنه نزل بلغتهم وبها ألفوه من الفصاحة والبلاغة غير أنه جاء على غير ما ألفوا من نظم وتركيب؛ لأنه احتوى

(١٧)- انظر اسرار البلاغة للجرماني ص ١٠، كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ٢٦٠...، سر الفصاحة ١٦٣، ١٦٤، الاعجاز البياني للقرآن- بنت الشاطئ ص ٢٥٨...

اللَّهُ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيَةً وَلَا نَصِيرًا [٦٤،
٦٥ الأحزاب] وقوله: ﴿طه﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ
الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ تَنْزِيلًا
مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَا الرَّحْمَنُ
عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ وَإِنْ
تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ اللَّهُ لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ [١- ٨ طه].

إن ما حاء من آيات أوبعض آيات
موزونة قد انتظم إيقاع مفاصلها وتقابلت
حركة وسكوناً لم تستمر في فقرات موحدة
نغمية متتالية، تختتم كل فقرة بأصوات
متكررة منسجمة متوحدة الإيقاع والنغم
كما هو في قافية الشعر.

وقد تجيء فقرات توازنت أوازنت
مقاطعها ولكن تنظمها وحدات متساوية
الكم كأبيات الشعر ولا حرف واحد تختتم
به كما يختتم به كل بيت في الشعر فهو الإيقاع
في النثر. فإذا ختمت بكلمات ذات أصوات
متماثلة فهو السجع وإذا كانت متقاربة
أومتوازنة فهي الفاصلة.

النوع الثاني: المتوازنة المتقاربة:

عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا [١، ٢
المرسلات] وقوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ
ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا
فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا فَوْسَطُنَ بِهِ جَمْعًا [١- ٥
العاديات].

قد تساوت هنا بنيات الآيات وقرائن
الفواصل (السجع) وذلك أقرب إلى ما ألفه
العربي من مساواة أشطر الشعر ما أوهم
خيالهم أنه شعر عند سماعه خصوصاً أنهم
سمعوا بعضه موزوناً كأوزان الشعر كقوله
تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ (١٨)
[٣٦- المؤمنون].

وقد تطول إحدى قرائن الفاصلة كقوله
تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ
وَمَا غَوَىٰ [١- ٢ النجم] وقوله: ﴿خُذُوهُ
فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ
ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [٣٠- ٣٢
الحاقة].

وقد تطول الآية أوقد تأتي قرائن
الفواصل متنوعة الطول كقوله تعالى: ﴿إِنَّ

(١٨) جاءت جملة من الآيات على أشطر من وزن
الشعر وكان تعليل الباقلاني أن هذا غير
مقصود والدعر ما قصد له وزاد على البيتين.
انظر إعجاز القرآن ص ٥١ وما بعدها.



متوازنة كالنوع الثاني. وهذان القسمان من الفواصل قد يأتيان في النثر من دون تكلف فهي تابعة للمعاني، وهي الفصيحة وحسنة البيان، وقد يكونان متكلفين تتبعهما المعاني فهذه هي الضعيفة وليست حسنة البيان.

وظيفة الفواصل:

نستطيع أن نحدد ثلاث وظائف للفواصل القرآنية هي:

١. مناسبة المعنى في الآية فيها يتم معناها. فالفواصل المتمكنة هي التي يتقدم لفظها أو يتخلل لفظها ومعناها في الآية ثم تأتي الفاصلة تحتم بها الآية بحيث لولم تقرأ الفاصلة أو لوسقطت لاختل المعنى أو اضطرب فهم القارئ وهو ما يسميه أهل البديع «التمكين»، وفي الغالب تحتم الآية بعبارة أو صفة يتصل معناها بدلالة الآية اتصالاً وثيقاً كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [٤ - الحجرات].

إن عبارة (أكثرهم لا يعقلون) تناسب ما سبقها من الآية وبيان لحال من ينادون الرسول بأنهم لوعقلوا لما قاموا بهذا الفعل.

وهوما تقابلت مقاطعه وحروفه أو توازنت مقاطعه ولم تتماثل^(١٩) كقوله تعالى: ﴿وَنَهَارُكُمْ مَصْفُوفٌ﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿[١٥، ١٦ الغاشية].

وقوله: ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿[١٧، ١٨ الصافات] وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ... ﴿[١ - ٣ الفاتحة] وكقوله: ﴿ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿[٢ - ١ ق].

وقد تأتي فواصل سورة كاملة من هذا النوع المتوازن المتقارب كفواصل «سورة الحج» (عظيم، شديد، مريد، السعير، بهيج، قدير، القبور، منير، الحريق، للعبيد، البعيد، العشير، يريد، يغيط، يريد...).

إن هذه الفواصل لا تأتي قوافي للشعر. فهذه هي فواصل وليست سجعاً.

فالفاصلة القرآنية قد تكون سجعاً كالنوع الأول المذكور وقد لا تكون سجعاً إذا لم تكن حروفها متماثلة وإنما هي متقاربة

(١٩) سر الفصاحة، ابن سنان ١٦٥، البرهان للزركشي ١/ ١٠٤، ١٠٥

دون الله فصدّهم الشيطان عن الهداية. أما فاصلة الآية الأولى فهي صفة العرش ولا يمكن استبدالها بأخرى ولا حذفها.

أما فاصلة الآية الثالثة (تعلنون) فهي تتبادر إلى الذهن قبل النطق بها. من هذا النوع من الفواصل الكثير في القرآن الكريم^(٢٠) وأكثر منها هي الفواصل التي تسبق بكلمة أو إشارة توحى بها أو يتبادر الذهن إليها كالفاصلة السابقة (تعلنون) بعد عبارة (تخفون).

وكقوله تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۖ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ۖ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [٢-٤ المزمّل]. وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْأَلُونَ مَنْ أَعْصَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ۖ قُلْ إِنْ أَذْرِي أَقْرَبُ ۖ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ۗ عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [٢٤-٢٦ الجن]. وقوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۖ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ [٣١-الأنعام]. وقوله: ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [٧٠-التوبة]. وهذا كثير في القرآن ويسميه البلاغيون التصدير.

(٢٠) انظر البرهان للزركشي ١٠٨/١ وما بعدها.

وقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [٤٤-البقرة] كانت عبارة (أفلا تعقلون)

تناسب دلالة ما قبلها من الآية التي أولها استفهام تعجبي من فعل غريب أن يأمرُوا الناس بشيء لا يفعلونه هم بنسيان أنفسهم مع أنهم يقرأون الكتاب ولا يتدبرونه فالفاصلة استفهام لوم وعجب أيضًا.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [٢٧-

السجدة] فاصلة الآية عبارة (أفلا يبصرون) فهي تناسب ما سبق من الآية وتتصل بها. فسوق الماء إلى الأرض المألحة يناسبه الإبصار لذا جاء بصيغة الاستفهام التعجبي. وقوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۖ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَارَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنْ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۖ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [٢٣-٢٥ النمل].

نجد الفاصلة (لا يهتدون) متصلة بدلالة الآية اتصالاً. فهم يسجدون للشمس من



ووضح بقوله (لا يأتون بمثله) ثم ختم ما يزيد المعنى معنى إضافيا.

وقد يكون في الفاصلة زيادة تأكيد وفصل بين حالين كقوله تعالى مخاطبا رسوله الكريم في بني إسرائيل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ فتوكل على الله إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٧٨-٨١ النمل﴾.

وهكذا يتبادر إلى الذهن لفظ الفاصلة من إشارة أو عبارة أولفظ يناسبها ويلتئم معها أيوحي بها، من هذا النوع فواصل سورة الجن والمرسلات وكل السور المكية.

٢. قد تأتي الفاصلة بمعنى يضاف إلى معنى الآية ويؤكد بعد تمام معناها. كقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [٥- المائدة].

فالاستفهام الأول أنكر ما يبغيه من حكم الجاهلية ثم زاد عليها بالاستفهام الآخر (ومن أحسن من الله حكما) ثم جاءت الفاصلة (لقوم يوقنون) فحكم الله يختاره من يوقن ويؤمن به.

ويسمى البلاغيون هذا النوع (الإيغال)؛ «لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذ فيه وبلغ إلى زيادة على الحد» (٢١).

وقد يكون المعنى الإضافي يراد به زيادة التحدي وبيان منتهاه كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ جُمِعَتِ الْإِنْسُ وَالْجُنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [٨٨- الإسراء] فالفاصلة جاءت في جزء الآية بعد أن تم معناها

(٢١) السابق ١/ ١٢٦

فالفاصلة الأولى (العزیز العليم) يؤكد القوة في الحكم والقضاء بينهم وتختم بالعلم بصيغة المبالغة، لتزيد الصورة وضوحا، والفاصلة الثانية بأمره بالتوكل لأنه على الحق وختمت بـ (المبين) لوضوحه فهو حق لا يخفى عليهم إن كانوا يصدعون للحق. وفي الثالثة الآية التي أوضحت الخطاب بأنه لا يسمع الصُّمَّ إذا أداروا ظهورهم للحق وجاءت (مدبرين) فاصلة لحال ضلالتهم. والأخيرة تواسيه، فالذين أصابهم العمى في بصائرهم لا يمكن هدايتهم فلا يسمع الحق إلا من آمن بآيات الله ودلائله والحق بين فهو لاء (مسلمون).



القديم جزء من عمود القصيدة إلى جانب الإيقاع الموزون. فالقافية في الشعر حرف أو حروف وحركات يجتمع بها كل بيت من أبيات القصيدة. وقديما سميت القصيدة باسم الحرف الملتزم في نهايتها فقصيدة لامية وقصيدة ميمية وأخرى دالية... أما فواصل القرآن الكريم فهي خواتيم الإيقاع في الآيات وقد يتكرر الحرف الواحد في الفواصل وقد لا يتكرر كما مر ذكره وإنما تكون الفواصل متوازنة في إيقاعها من النوع الثاني (حميد، عزيز، منيب...) وهذا لا يكون في قصيدة الشعر إلا فيما سمي بالشعر المرسل ومع ذلك يظل فرق الإيقاع والوزن المعتمد على الكم قائما بينهما^(٢٢).

نجد معظم فواصل السور المكية خاصة ثابتة مستقرة هي جزء من الآية بنية ومعنى يجتمع إيقاع نظم الآية بها كفواصل آيات «سورة الإخلاص» و«سورة الناس» وغيرها. ولذلك توهمتها قريش قبل إسلامها شعرا مرة وسجع كهان أخرى وهي تشبه قوافي شعرهم لكنها لا

(٢٢) انظر البيان في روائع القرآن، نعام حسان ١٩٣، ١٩٢/١

كل فاصلة مستقرة في موضعها تحتم الآية بما يؤكد مضمونها ويزيده وضوحا.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [٧ النمل].

نجد الفاصلة (تصطلون) أوضحت ما يراد بالقبس من النار وهم يعيشون لحظات الحاجة إليها للتدفئة، لكن الفاصلة أضافت هذا المعنى مؤدية الغرض منها، فاستخدم موسى الفعل (آنست) ولم يقل: أبصرت، فحين رأى ما يشبه النار فرح والفعل آنس يعبر عن هذا المعنى ثم أراد أن يتعرف على خبر ما تصوره نارا ليأتي لأهله (امرأته) بقبس منها لتقيهم البرد، فالفاصلة ختمت المعنى لما يراد من القبس مؤكدة إياه.

٣. وظيفتها الإيقاعية:

فهي بمثابة القفل الإيقاعي للآية وهي موضع الوقف الذي يستريح به القارئ المرتل للقرآن وهي التي ما ثلت قوافي الشعر غير أنها اختلفت عن القوافي باعتبار أن نظام القافية في الشعر العربي



تطابقها؛ لأن الإيقاع في المقاطع اللغوية في الآية متوازنة وإيقاع بيت الشعر موزونة ووزنها مطابق لوزن الأبيات الأخرى من القصيدة. فهناك فرق في الوزن وفي نوع قافية الشعر عن الفواصل في القرآن، فمن السور ما جميع فواصل آياتها بإيقاع متوازن وموحدة الحرف في الفواصل مثل: (سورة القمر، سورة الأعلى، سورة الشمس، سورة الليل) ومنها ما أكثر فواصل حروفها موحدة «سورة النجم» وعدة آياتها ٦٢ منها ٥٦ فواصلها موحدة الحرف و٦ متوازنة. ولحفظ الإيقاع في مقاطع الآية مع قريناتها كان أسلوب النص القرآني يلائم ذلك بطرق مختلفة:

فمرة بالتقديم والتأخير لبعض الأجزاء لتختم بالفاصلة المناسبة وأخرى بالحذف وأخرى بإيراد الجملة المعطوفة بنظام آخر وأحياناً بتغيير بنية الكلمة.

أ- فمن التقديم قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [٥- الفاتحة] بتقديم الضمير (إياك) ليوافق تقديم (إياك) الأولى، ثم مجيء الفاصلة (نستعين)

مواصلة قريناتها السابقة (الرحيم) (العالمين) (الدين)...وهي أبلغ وأكثر توكيداً من نستعينك وكذا قوله تعالى: ﴿أَهْؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [٤٠- سبا] فهي أكثر توكيداً وأعظم حكماً من (يعبدونكم) أو (عبدوكم). وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذْرُ﴾ [٤١- القمر] بتأخير فاعل الفعل موافقة لقراءتها. وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [٤- الإخلاص] تأخير اسم كان وهو فاصلة الآية لموافقة قراءتها.

وقد يقدم ما هو متأخر في الزمان كقوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ [٢٥- النجم] وقد يقدم الفاضل على الأفضل كقوله تعالى: ﴿فَالْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [٧٠- طه] فقدم هارون وآخر موسى ليوافق الفواصل قبلها (الأعلى) (أتى) (وبعدها) (وأبقى) (الحياة الدنيا). وحينما يأتي الاسمان في درج الآية يكون (موسى وهارون) [١٢٢ الأعراف، ٧٥ يونس].

ومن التقديم قوله: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ



خَيْفَةُ مُوسَى ﴿٦٧ طه﴾.

ب- وقد يكون بالحذف أو الزيادة للفاصلة.

كحذف ياء المنقوص المتصل بـ(ال)

في قوله تعالى: ﴿عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

الْكَبِيرِ الْمُتَعَالَى﴾ [٩ الرعد] وقوله ﴿وَيَا

قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [٣٢

غافر] وحذف ياء الفعل غير المجزوم

نحو ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ﴾ [٤ الفجر]

وحذف ياء الإضافة نحو: ﴿فَكَيْفَ

كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ [١٦ القمر] ونحو:

﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [٣٢ الرعد].

أو بزيادة ألف في نهاية ما اتصل بـ

(ال) نحو ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونُ﴾ [١٠

الأحزاب] ونحو ﴿يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا

الرُّسُولَ﴾ [٦٦ الأحزاب] ونحو ﴿رَبَّنَا إِنَّا

أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾

[٦٧ الأحزاب].

فهذه الألف في قافية الشعر تسمى ألف

الإطلاق أما في النثر فهي تنوب عن التنوين

في النكرة عند الوقف نحو ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا

قَلِيلًا﴾ [٤٦ النساء] لكن هذه الألف لا

تأتي مع المقترن بـ(ال) التعريف فجاءت هنا

للفاصلة.

ت- باستعمال المفرد عن الجمع لموافقة قرينة

الفاصلة ولاكتفاء المعنى أيضاً نحو قوله

تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَمِهْرٍ﴾

[٢٤ القمر] أي أنهار رعاية للفواصل

قبلها وبعدها.

وقد تزاد هاء السكت للفاصلة نحو قوله:

﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِيهِ﴾ [١٩ الحاقة] ﴿إِنِّي

ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ﴾ [٢٠ الحاقة] ﴿مَا

أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ﴾ [٢٨ الحاقة] كانت زيادة

الهاء لتوازي الفواصل قريناتها في السورة

ويتصل الإيقاع وتتوازن جمل الآيات في

ذلك براعة الانسجام في نظمها.

أوالثنائية عن الأفراد كقوله: ﴿وَلَمَنْ

خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [٤٦ الرحمن]

وقد جعل الفراء هذا من قبيل ما تحتمله

القوافي من الزيادة والنقصان، ونظير ذلك

قول الفراء أيضاً- قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنْبَعَثَ

أَشْقَاهَا﴾ [١٢ الشمس] وهما رجلان قُدار

وآخر معه ولم يقل أشقيها للفاصلة^(٢٣).

في الختام أقول:

إن القرآن الكريم نزل بلغة العرب في

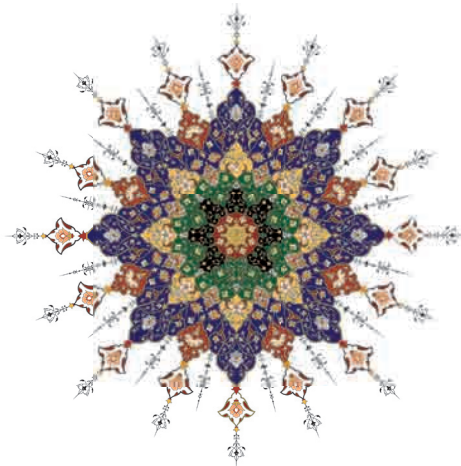
(٢٣) انظر معاني الفراء ٣/١١٨، ٢٦٨

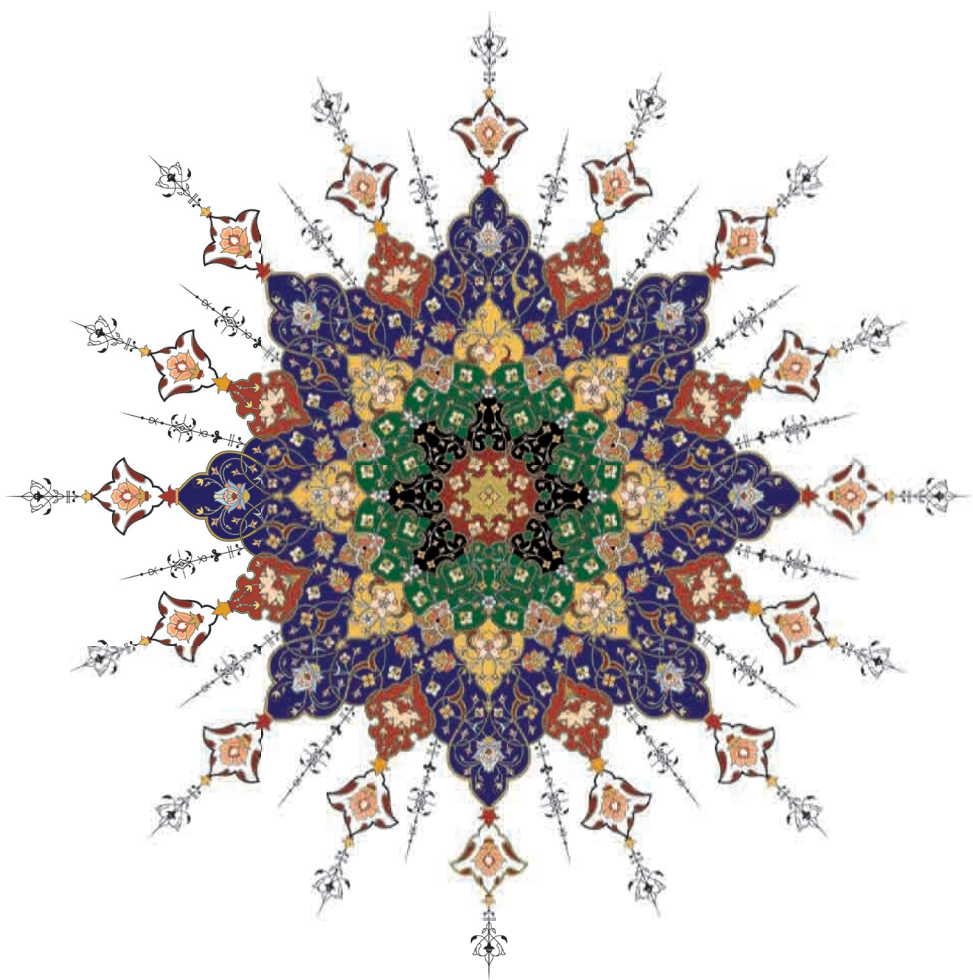


قراءته ولا تنتهي عجائبه ولا يقصر الفكر
والعقل من استنباط دلالاته ولا التأمل
لاكتشاف أشياء من عوالمه.

إن صفاء العربية وتمكن الفصاحة في
المبدع يفسح المجال له للتصرف باللغة
بما يناسب مقام القول، هذا قيل في رؤية
بن العجاج فكيف بفصاحة الوحي الذي
هو أعلى الفصاحات العربية، لذا ينبغي
أن لا نقرأ القرآن الكريم من خلال علم
النحومهما اتسعت آفاقه وإنما ينبغي أن نقرأ
النحوم من خلال النص القرآني فتبارك الله
أحسن الخالقين.

مرحلة نضجها وفيه ظواهرها وأساليبيها
التعبيرية مؤداة بأعلى نظم وانسجام بين
أصواتها وتراكيب كلماتها ومواضع فواصلها
على اختلاف أنواعها وألوان إبداعها، سواءً
أكانت متساوية القرائن في سجعها لتكون
شبيهة بقوافي الشعر إلا أنها ليست بشعر
أم غير متساوية للتعبير عما تضمن النص
من المعاني التي لا تنتهي بقراءة واحدة ولا
بقراءات، ولا تنتهي بعصر ولا بعصور ما
دام قراؤه ودارسوه على ظهر الأرض فتبقى
القراءات فيه تختلف باختلاف العقول
والثقافات، فذلك كله مقبول يدل على
خلود نصه وحيوية نظمه ومضامينه فلا تملّ





التفسير البنائي للقرآن الكريم

أ. د. محمود البستاني
قم- ايران

الحقيقة المتمثلة بأن الدراسات التفسيرية قديماً وحديثاً، سواء أكانت تفاسير عامة أو تفاسير فنية، أنها إما أن تناول السورة الكريمة من خلال الدراسات (التجزئية) للآيات بحسب تسلسلها في السورة، أو تناول الدراسة (الموضوعية) للظواهر المطروحة فيها، وكلتاهما لا تتناولان السورة بما أنها نص تترابط وتتناغم آياته ومقاطعته وموضوعاته وعناصره وأدواته فيما بينها، خلا بعض الإشارات العابرة إلى العلاقة بين بعض الآيات أو الموضوعات مع البعض الآخر، تحت مصطلحات من نحو (النظم) كما هو ملاحظ في الدراسات القديمة، وهي أشارات جزئية كما قلنا لبعض المواقع من النص.

قد يتساءل القارئ أولاً: ما المقصود بمصطلح (التفسير البنائي)؟ ثم يتساءل عن المسوغات الفكرية لهذا النمط من التفسير...

بالنسبة إلى التساؤل الأول: يمكن الذهاب إلى أن المقصود من التفسير البنائي: هو دراسة النص القرآني الكريم من خلال (السورة) بصفتها (وحدة) لغوية لها بناؤها الخاص المتمثل في نص تترابط آياته وموضوعاته وعناصره وأدواته بعضها مع الآخر على نحو ما نبدأ بتوضيحه في الفقرات اللاحقة.

وأما بالنسبة إلى المسوغات الفكرية لهذا النمط من التفسير فيمكن تلخيصه في

خيال الظواهر الاقتصادية أو السياسية أو الأخلاقية أو الكونية أو الفقهية إلخ. مما يستخلصه من مجموع السور الكريمة لكن في الآن ذاته، يظل ثمة تساؤل مهم هو:

لماذا أنتظم القرآن الكريم في (١١٤) سورة؟ ولماذا أتسمت كل سورة بطرح موضوعات محددة، قد تتكرر وقد لا تتكرر في سورة أخرى؟ ومع تكرارها في هذه السورة أو تلك، لماذا ترد في سياق يختلف عن السياق الذي وردت من خلاله في هذه السورة أو تلك؟ ولماذا كان النبي ﷺ يأمر كتاب الوحي بأن يضعوا الآية الفلانية في السورة الفلانية إلى جانب الآية الفلانية... إلخ؟ أما كان من الممكن مثلاً أن تنتشر الآيات القرآنية على شكل مقاطع متفرقة من دون أن توزع في سور مستقلة؟ وهل أن أنتظامها في سور مستقلة، إنما تم من أجل حفظها مثلاً؟ أو من أجل توظيفها في صلوات أو أذكار ونحوها.

طبعاً، لا: ومن الممكن أن يكون الأمر كذلك إذا أفترضنا إن القرآن الكريم قد أنتظم في سور قصار مثلاً، أما أن يبلغ بعضها ما يقارب (٣٠٠) آية، فأمر لا يأتلف والتصور المذكور.

وأما الدراسات الحديثة، فبالرغم من أن البعض منها قد توفر على هذا الجانب، إلا أنه في نطاق ما أطلعت عليه، لم يتناول السور جميعاً بقدر ما أقتصر على البعض منها، أو تناولها ولكن من خلال (المناخ الفكري العام) للسورة، حيث أن تناول المناخ العام إنما يضطلع بتبيين موضوعاتها والمحاور التي تركز عليها، وهو أمر يختلف تماماً عن تناول النباي أو العضوي لها، أي صلة كل آية بما قبلها وما بعدها، وصلة كل مقطع بذلك وصلة هذه جميعاً مع بعضها الآخر، وصلة النص من حيث بدايته ووسطه ونهايته مع بعضها، ثم صلة أولئك بالعناصر الصورية والأيقاعية ونحوها أو بالأدوات الفنية كالأداة القصصية وغيرها، أولئك جميعاً لم يتوفر عليها دارس موروث أو معاصر.

أن لكل من المناهج المتقدمة معطياتها... فالدراسة التجزئية تفرز عطاءها المطلوب من خلال الأنارة التي تلقيها على محتويات النص، ولعلها أوسع الدراسات التفسيرية شمولية ما دامت تتناول كل آية من السورة، والدراسة الموضوعية بدورها تفرز عطاءها من خلال تقدمها رؤية متكاملة



إذن: ثمة (أسرار) تكمن وراء انتظام القرآن الكريم في سور (مستقلة)، وهو ما يضطلع المنهج (البناي) بتوضيحها.

ويمكننا أن نقرر على عجل بعض الحقائق المتصلة بهذا الجانب، فنقول: من الحقائق الواضحة في حقل الإدراك أو الاستجابة حيال المعرفة وتمثلها، أن الذهن البشري يدرك الظواهر من خلال (الكل) وهو أمر قد أتبتهت إليه بعض الاتجاهات النفسية: كما نعرف ذلك جميعاً، يستوي في ذلك أن يتم الإدراك لـ (الكل) من خلال (جزئياته) أولاً، ثم الانتقال إليه، أو من خلاله أولاً ثم الانتقال إلى جزئياته، وفي الحالتين ثمة أدراك لا ينفصل (كله) عن (جزئه) ولا جزؤه عن كله.

يترتب على ذلك: أن النص (أياً كان نمطه) بما أنه يستهدف (توصيل) أفكاره إلى الآخرين، حينئذ فإن عملية (التلقي) أو (الاستجابة) للنص لا تحقق هدفاً إلا من خلال استثارته عقلياً وعاطفياً، وهو ما يتطلب معرفة بطرق الاستجابة وما يواكبها من العمليات النفسية التي تفضي إلى تحقيق الإثارة المطلوبة كأفتاح النص بظاهرة ما، أو أجمالها أو تفصيلها أو حذفها أو اختزالها،

أو التدرج أو التصاعد بها، أو توشيحها بعناصر تخيلية أو عاطفية: كالصورة أو الرمز وكالأيقاع، أو رفدها بأدوات قصة أو حوارية... إلخ. أولئك جميعاً يعتمدون النص لتحقيق الإثارة المطلوبة كما قلنا.

وفي ضوء هذه الحقائق المألوفة، يمكننا أن نتبين أهمية الدراسة للنص...

فما دام المتلقي يستجيب للنص من خلال (الكل)، حينئذ فإن الانتهاء من تلاوة السورة الكريمة سوف تفضي بالمتلقي إلى أن يظفر بالحصيلة النهائية التي أستهدهتها السورة، أي تترك لديه أنطباعاً أو تأملاً أو (معرفة أجمالية) حتى لو كانت غائمة أو مضببة بحيث تعكس أثرها عليه بنحو أو بآخر بحسب درجة (وعيه بالقراءة)، فعندما نتلو سورة ما عندئذ قد نركز عليها جميعاً أو على بعض مقاطعها دون البعض الآخر، لكن مع التركيز الشامل عليها نتحسس دون أن نعي أسرار ذلك أن (أثراً ما) قد تركته في ذاكرتنا، قد يكون الأثر في نبذ زينة الحياة الدنيا، أو الأنبهار بأبداع الله تعالى، أو التخوف من المصير الآخروي، أو التشجيع على الأنفاق، أو الحرص على تزكية النفس... إلخ، بحسب المحور الذي تحوم السورة عليه، أو محاورها





المتنوعة، ولكن في الحالات جميعاً نحس بأثر أجمالي (**مركب**) من أفكارها الرئيسية والثانوية والعرضية والطارئة قد نسجها (**التداعي الذهني**) أو (**التضاد**) أو (**التماثل**) أو الآليات الذهنية والنفسية الأخرى التي تتشابه لتصوغ الأثر المشار إليه، وبهذا يفترق التناول للسورة من خلال عمارتها العامة عن التناول لبعض آياتها أو يفترق التناول للسورة من خلال عمارتها العامة عن التناول لبعض آياتها أو مقاطعها، حيث تنحصر معطيات ذلك في البعض المذكور، كما لو كانت تتناول ظاهرة الانفاق أو الصلاة أو الأبداع الكوني، أو غيرها، فيما ينسحب أثرها الجزئي على المتلقي.

هنا يثار تساؤل وهو أن السورة القرآنية لا تتناول الظواهر جميعاً، بل تقتصر على البعض منها مما يعني ذلك أن عمومية أثرها لا تتحقق إلا من خلال دراسة السور جميعاً من خلال علاقة بعضها بالآخر، وهذا ما لا يحققه التناول البنائي للسورة الواحدة، فهل ينسحب عليها نفس الأثر الجزئي الذي نلاحظه في الدراسة التجزيئية والموضوعية؟ من الواضح أن القرآن لم يستهدف أحداث الأثر في المتلقي من خلال قراءته

للنص القرآني جميعاً في مفصل زماني واحد، جعل السورة هي (**الوحدة**) المقروءة بما تركه من الأثر الذي أشرنا إليه، وهذا الأثر يختلف عن الأثر الجزئي الذي تركه الآية أو المقطع. أنه يتناول الظواهر الجزئية ولكن من خلال (**الكل**) الذي يتجانس بينها، وهذا يختلف بطبيعة الحال عن الأثر المنفصل عن الكل، فمثلاً لو قرأنا سورة مريم عليها السلام لوجدنا (١٢) ظاهرة مشتركة بين جزئياتها، وهي ظواهر تتناغم فيما بينها لتشكل (**معرفة**) خاصة بعظمة الله تعالى. فثمة محور يتحدث عن (**الرحمة**) ﴿ذِكْرَ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ بالنسبة إلى عيسى عليه السلام، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُم لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ بالنسبة إلى إبراهيم وأسحاق ويعقوب عليهم السلام، ويلاحظ إن عبارة (**الرحمن**) تتردد مراراً في نهاية السورة بنحو ملحوظ بدلاً من أسم (**الله**) تعالى مثلاً، ولنقرأ:

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ قول مريم عليها السلام.

﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ قول مريم عليها السلام.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ قول إبراهيم عليه السلام.

﴿إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ﴾
﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ﴾
﴿..أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾.
﴿...فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾
﴿أَطْلَعَ الْغَيْبِ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا...﴾

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾
﴿إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا...﴾
﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا...﴾
﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا...﴾
﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾

فالملاحظ أن محوراً من بين (١٢) سمة مشتركة بين الشخصيات التي رسمتها السورة، قد اكتسب طابعاً عضوياً في النص هو سمة (الرحمة) حيث رسمتها مكررة حيال كل من زكريا، عيسى، إبراهيم، إسحاق، يعقوب، موسى، هارون... كما

أنتخب النص أسم (الرحمن) ليتجانس مع صفة (الرحمة)، وكررها بنحو ملفت للنظر: كما لاحظنا، وذلك جميعاً سوف يحضر في ذاكرة المتلقي مفهوم (الرحمة) وواهبها (الرحمن الله) تعالى، فاذا أضفنا إلى ذلك سمات أخرى (عاجلناها مفصلاً في دراستنا عن عمارة السورة القرآنية الكريمة) كالحنان والسلام والإنعام والمباركة والحفاوة والتقرب... إلخ، نجد أنها تتناغم أو تندرج (مع أو ضمن) سمة (الرحمة) بحيث ترك أثراً إضافياً لدى المتلقي (الواعي في قراءته) سواء أتبته على ذلك أم تمثلها بنحو لا واع.

وهناك محاور أخرى في السورة المشار إليها مثل: الأنجاب المعجز، والظواهر الاعجازية التي واكبتها... إلخ، فيما تتكرر بدورها، وتتناغم مع صفات الله تعالى بخاصة: صفة (القدرة) و(الرحمة) حيث نعرف جميعاً أنها لا ينفصلان عن فاعلية الله تعالى حيال الظاهرة الكونية.

إذن: عندما تتناول السورة من حيث (الكل) الذي تركه عند المتلقي، سترك أثراً (وعاء المتلقي أم لم يعه) لا تحققه القراءة الجزئية للنص، كما لا تحققه الدراسة الموضوعية طالما لم يتناول التفسير





الموضوعي ما هو خارج عن إطار الظاهرة المبحوث عنها، بينما يتناولها التفسير البنائي ما دامت ترتبط بالظاهرة المبحوث عنها برابط (التجانس) و(الأشراك) و(التضاد) أيضاً.

ويمكننا أن نستشهد مثلاً بسورة (الكهف) من حيث الأثر الكلي الذي يتركه النص من خلال (التضاد)، فالسورة الكريمة تطرح ظاهرة (زينة الحياة الدنيا) عبر جملة آيات، وتتوكل على العنصر القصصي في تجلية الظاهرة المذكورة، أنها تطرح قصة أهل الكهف بعد أن تمهد لها أولنقل: عقيب الآية القائلة ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾... الخ، وتطرح قصة صاحب الجنتين، وتطرح قصة ذي القرنين، في مواقع مختلفة من النص، وتطرح أيضاً قصة موسى ﷺ وصاحبه (موسى: المشهور جداً، وصاحبه: المجهول جداً)، أن المتلقي وهو ينتهي من قراءة النص سيزدحم في خاطره أكثر من موقف (يضاد) الآخر، وأكثر من شخص (يضاد) الآخر... فأهل الكهف قد أنزروا تماماً ونبدوا زينة الحياة الدنيا (مع أنهم يحتلون مراكز القوى في السلطة)، إلا أن صاحب الجنتين

..... التفسير البنائي

(تشبث)، بزينة الحياة الدنيا، حتى أنه يشكل بقيام الساعة، وهذا يعني (التضاد) بين بطلي القصتين، و(التضاد) نلاحظه أيضاً من زاوية أخرى بين (صاحب الجنتين المزرعتين) وبين صاحب (شرق الأرض وغربها) ذي القرنين، فمع أن الآخر ملك الأرض شرقها وغربها فإنه هتف قائلاً هذا من رحمة الله تعالى بينما صاحب المزرعتين وهما عديا القيمة بالقياس إلى صاحب شرق الأرض وغربها كفر بنعم الله تعالى، وهذا يعني عنصر (التضاد) بين بطلي القصتين.

وقد نتساءل: ماذا يعني مثل هذا التضاد بين أبطال متفاوتين في المراكز والأدوار؟ ونجيب أن قارئ النص سوف تحتفظ ذاكرته بالأثر (الكلي) الذي تتركه هذه القصص المتضادة، بحيث يخلص منها إلى ضرورة نبذ زينة الحياة الدنيا، ولكن من خلال التمييز بين مختلف المواقف أو المنبهات التي يستجيب حيالها، فثمة موقف يتطلب (العزلة الاجتماعية)، لتحقيق عملية (النبذ للزينة)، وثمة موقف يتطلب (الحضور الاجتماعي) وتحقيق العملية ذاتها، وثمة منه عادي ويقابله منه قوي ينبغي أن تصدر الشخصية عن كليهما باستجابة واحدة هي

والموضوعات مع بعضها. ومنها: ما يتصل بخطوط العمارة طويلاً أو أفقياً أو توازياً، أي: الرحلة التي يقطعها النص الرسو على الشاطئ، ومنها: ما يتصل بالعناصر والأدوات الثانية التي يوظفها النص لإثارة هدفه.

ويجدر بنا أن نلم بشيء من التفصيل بمستويات البناء المذكور، مع دعمها بنماذج من التناول... وليكن ذلك في البدء ما يتصل بالخط الأول من البناء وهو: معالجة النص من خلال آياته أو مقاطعة أو موضوعاته الملتحمة عضوياً.

من الحقائق التي ينبغي لفت النظر إليها أن علاقة الآيات بعضها مع الآخر لا تعني بالضرورة أن كل آية تجسد سبباً أو مسبباً لما قبلها وما بعدها بقدر ما تعني: أن ثمة شبكة من الخطوط تتواصل فيما بينها بنحو أو بآخر مباشرة أو بنحو غير مباشر، ولكنها تفضي في النهاية إلى (استجابة معرفية كلية) بالنحو الذي أوضحناه في فقرة سابقة... مثلاً: عندما نواجه إحدى السور المباركة (سورة الملك) نجد أن الآية الأولى تتحدث عن (المباركة) و(الملك) و(القدرة) الإلهية ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ونجد الآية التي تليها تتحدث عن خلق الموت

(النبد للزينة). هذه الهواجس والأخطار وتداعياتها سوف يحياها المتلقي بعد أن ينتهي من قراءة النص لنترك أثرها (الكلي) على تحديد موقفه من زينة الحياة الدنيا، بينما لو اقتصر على جزئية من النص: سوف تترك أثرها الجزئي أيضاً (كما لوحصلت لديه قناعة بالعزلة الاجتماعية عند قراءته لقصة أهل الكهف) دون أن يردفها بالقناعة المضادة، وهي إمكانية نبذ الزينة حتى في الدخول إلى قلب الحياة الاجتماعية.

على أية حال، تظل القراءة الكلية للنص ذات أثر أشد سعة من القراءة (التجزئي) و(الموضوعية) أيضاً، ما دامت الأخيرة تحصر المسألة في نطاقها المحدود دون أن يتجاوزها إلى الأجزاء المتساندة والمتمة والمعمقة للظاهرة المبحوث عنها.

وهذه السمة التي تطبع المنهج المذكور تتمثل ليس في نطاق الموضوعات أو العناصر التي تم الاستشهاد بها، بل أن العناصر والأدوات الدلالية واللغوية والشكلية وطرائق صياغتها سوف تسهم في تعميق الاستجابة المطلوبة التي يستهدفها النص.

أن ثمة خطوطاً متنوعة لبناء النص، منها: ما يتصل بعلاقات الآيات والمقاطع





والحياة بهدف الممارسة العبادية أو الخلافة
﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ ونجد
الآية الثالثة وما بعدها تتحدث عن خلق
السموات السبع، وإحكامها، ومنها: السماء
الدنيا وتزينها جمالياً بالمصابيح، وجعلها في
الآن ذاته (أداة) لرجم الشياطين، وإعداد
العذاب لهم، ثم إعداد العذاب للكافرين.

والآن: كيف ترتبط هذه الشبكة من
الخطوط التي تتحدث عن الموت والحياة
وهدفها، والسموات السبع وجماليتها
ومهمة أحدهما (السماء الدنيا)، وتتحدث
عن العقاب الآخروي للشياطين والكفار،
والأهم من ذلك هو: كيفية استجابتنا للأثر
(الكلي) الذي يتركه النص في هذا الصدد...
مما لا شك فيه، أن الآية الثانية ثم الثالثة
وما بعدها هي تجسيد أو امتداد للآية الأولى
(المباركة، الملك، القدرة) حيث يرتبط
القسمان بشبكة الخلق (خلق الموت...) (خلق
سبع سموات...) لكن: ما العلاقة بين الموت
والحياة وبين خلق السموات السبع؟ صحيح
إنهما (تتشاركان) في (الخلق)، لكن ثمة مئات
من الظواهر تخضع لعملية (الخلق) أيضاً،
فلماذا (السموات السبع) مثلاً مع التركيز

التفسير البنائي

على السماء الدنيا؟... أن النص عندما يرتبط
بين الوظيفة الجمالية للمصابيح (الكواكب)
وبين الوظيفة التأديبية (رجوماً للشياطين)،
ثم إعداد العذاب لها، ثم إعداد العذاب
للمنحرفين، إنما يصل بين الخيط الذي ربط
عملية خلق الموت والحياة بالممارسة العبادية،
وبين الخيط الذي ربط ابداع المصابيح من
خلال رجما للشياطين وبين التمرد على
الممارسة العبادية بما هو أحسن من العمل،
حيث التقيا في شبكة واحدة هي: (العقاب
الآخروي) فيما ذكر النص ان الله تعالى أعد
للشياطين عذاب السعير (واعتدنا لهم عذاب
السعير) وفيما ذكر النص ان الله تعالى جعل
الكفار من أصحاب السعير ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا
نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾
(فأعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب
السعير).

إذن: (السعير) هو الشبكة التي التقتها
خطوط الآيات التي جمعت بين متمردي
الشياطين والبشر... وبهذا النمط من
خطوط التواصل بين الآيات التي تأخذ
سمتها الاستقلالية من جانب، وأنصباها في
أكثر من شبكة أو في شبكة واحدة من جانب
آخر، نتيين مدى علاقة بعضها مع الآخر.

إن النموذج المتقدم يوضح واحدة من آليات الربط بين آيات النص أو موضوعاته، ترى: ما هي الآليات المتنوعة التي يسلكها النص في بناء الموضوعات وأنعكاساته على استجابه المتلقي حيال ذلك؟

ثمة طرائق متنوعة لربط الأجزاء التي تنظم السور، بعضها يتم من خلال التدايعات الذهنية، أو نمو مفهوماتها، أو تجانسها، أو التمهيد لها... الخ، فإذا أخذنا إحدى هذه الآيات وهي (التمهيد) مثلاً لموضوع ما، نجد أن هذا التمهيد قد يتصدر السورة، وقد يتخللها، وفي الحالة لأولى يكون التمهيد (مقدمة) أو (بداية) للنص، فيعكس أثره على (الوسط) و(النهاية أو الختام)... وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى سمة بنائية مهمة هي: أن الكثير أو الغالبية من السور الكريمة يمكن التنبؤ بموضوعاتها من خلال المقدمة التي تستهل بها السورة حيث تطرح المقدمة بنحو مجمل موضوعاً أو أكثر، يأخذ تفصيلاته فيما بعد، أو يتكرر في مواقع متقاربة أو متباعدة من النص، حيث نجد بعض السور تحوم بأكملها على ما طرحته (المقدمة) من أفكار، ونجد بعضاً تحوم غالبيتها لا جميعاً على ذلك، ونجد

بعضها ثالثاً (يكرر) موضوع المقدمة في مواقع متنوعة من النص... وهكذا. ولعل الكثير من السور القرآنية الكريمة تخضع لهذا النمط الآخر من البناء، أي طرح (موضوع) في المقدمة، ثم طرح عشرات الموضوعات المستقلة خلال النص، إلا أن موضوع المقدمة يتسلل بين حين وآخر، إلى هذا الموقع أوداك من النص، ليسل بين أجزائه المتباعدة مثلاً...

ويمكننا أن نستشهد بنموذج في هذا الصدد وهو: المقدمة أو القسم الأول من سورة (المائدة) حيث عرضت لظاهرة (الأكل) وما يواكبها من الحلية أو الحرمة، والتذكية أو عدمها بالنسبة للأنعام، وبالنسبة إلى طعام أهل الكتاب، وبالنسبة إلى الصيد والهدي... الخ، أولئك جميعاً طرحتها المقدمة بشيء من الأسهاب (أحلت لكم بهيمة الأنعام) (غير محلي الصيد) ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ..﴾ (أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح) (وأذكروا اسم الله عليه) (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام



الذين أوتوا الكتاب حل لكم...).

كما هو واضح. ولكن ماذا يعني ذلك أولاً، وما هو موقعها من عمارة السورة؟ ومن ثم: ما هي انعكاسات ذلك على المتلقي، من حيث أستجابته للنص، ومن حيث كونه (كلاً) وليس آيات متفرقة تتحدث عن

الطعام؟

مما لا شك أن أستهلال النص أساساً بموضوع ما يعني من حيث الأستجابة أن المتلقي يتحسس بأهمية الموضوع، بأهمية حلية الطعام وأثره في تزكية وتطهير البدن والنفس، أي: الشخصية، بنحو عام... المهم أن المتلقي ستحتفظ ذاكرته بهذا الجانب ما دام النص قد أستفتح الحديث به، خلال ذلك، سيواجه المتلقي موضوعات أخرى تتداعى بذهنه إلى مفهوم (التزكية) أو (التطهير)، مثل: الوضوء والغسل والتميم بصفتها تطهيراً، بخاصة أن النص يلفت نظره مباشرة إلى هذا الجانب، ويقول له: (ولكن يريد الله ليظهركم).... وتتوالى الموضوعات واحداً بعد الآخر، ليواجه المتلقي عبارة تقول (لم يرد الله أن يطهر قلوبهم)، كما يواجه عبارات تكرر مرات متعددة عن (واكلهم السحت) وصلة ذلك بعدم التطهير، كما يواجه عبارة (إنما الخمر

ومن الطبيعي أن يستخلص المتلقي من هذه المقدمة أن النص يستهدف من وراء ذلك (تزكية النفس) من خلال ظاهرة (الطعام).

بعد ذلك يقطع النص رحلة طويلة يطرح خلالها عشرات الموضوعات، بعضها يتصل بالوضوء والتميم، وبعضها يتصل بسلوك المكذبين واليهود والنصارى، وبعضها يتصل بابني آدم عليه السلام وقتل أحدهما للآخر، إلى موضوعات متنوعة أخرى: لكن مع التركيز على الكتابيين وأنحرفاتهم، خلال ذلك، يتسلل صدى (المقدمة) إلى هذا الموقع أوداك، مثل: (لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم)، ومثل (وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً) ومثل (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) ومثل (ليبلونكم الله بشيء من الصيد)، ومثل (لا تقتلوا الصيد...) ومثل (أحل لكم صيد البحر...) ومثل (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام)... هذه النصوص وردت في مواقع متفرقة من السورة الكريمة، وهي ذات صلة بمقدمتها



والميسر والأنصاب والأزلام رجس...) وصلة الرجس بعدم التطهير من الوضوح بمكان... ويواجه عبارة (قل لا يستوي الخبيث والطيب...) وهذا من الوضوح بمكان أيضاً من حيث التزكية وعدمها، وهذا يعني أن النص قد أستخدم التركيز على (تزكية النفس) من خلال الطعام بخاصة، مضافاً إلى ممارسات أخرى تصب في المفهوم المشار إليه.

أما كيفية انتقال النص من موضوع إلى آخر، وصلة ذلك بمقدمة السورة ووسطها ونهايتها، فأمر لا يمكن الاستشهاد به الآن، حيث فصلنا الحديث عن ذلك في الدراسات الخاصة بعمارة النص.

ومع ذلك يمكننا انتقال النص من موضوع إلى آخر.

ومع ذلك يمكننا أن نستشهد بنص قصير، لتوضح الصورة؟

يمكننا الاستشهاد بذلك خلال عرضنا للاشكال البنائية الأخرى، ومنها: الشكل الذي تنعكس (مقدمته) على غالبية السورة، وهذا من نحو (سورة الأحزاب) مثلاً، حيث طرحت مقدمتها موضوعين، أحدهما: (يا أيها النبي أتق الله

ولا تطع الكافرين والمنافقين...) والآخر (ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم...) والموضوعان مترابطان، حيث طالب الأول منهما بعدم إطاعة المنافق والكافر، والآخر عرض لبعض الوحدات الاجتماعية متمثلة في (الأسرة) ونطاقاتها، والرابط بينهما هو: أنكار العلاقة المزوجة بين الحب والكراهية في آن واحد (ما جعل الله لرجل من قلوبين) يجب بأحدهما قوماً وبالأخر أعداءهم (كما ورد ذلك من الإمام الصادق عليه السلام... كذلك: ما جعل الله تعالى الزوجة التي يظهر الرجل منها (أماً) في آن واحد، وكذلك ما جعل الله تعالى (المتبني) (ابناً) للرجل في الآن ذاته... أذن: وصل النص بين موضوعي المقدمة من خلال نفي (الأزدواجية) في الحب والكراهية، ونفي الأزدواجية في الزوجة والأم، والدعي والابن. هذان الموضوعان المجسدان لمقدمة السورة، سوف ينعكسان على غالبيتها، حيث يتجه النص إلى عرض معركة الخندق، فيها (تحزب) الكافرون والمنافقون حيال الإسلاميين، وفيما عرض النص لمواقفهم المنحرفة، ثم يتجه إلى





آخر، وهما الموضوعان اللذان طرحتها (المقدمة)... خال ذلك، يطرح النص جملة موضوعات سريعة لا تتجاوز آيات معدودة كالإشارة إلى اليوم الآخر وجزاءاته، وإلى ذكر الله تعالى وتسبيحه، وعرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال... إلخ، وبهذا نستكشف أن غالبية السورة قد حامت على ما طرحته (المقدمة)، وأن (الوصل) بين الموضوعات الثابتة والطارئة قد أحكم بناؤه على النحو الذي أوضحناه، والمهم أن المتلقي وهويته من قراءة السورة ستحتفظ ذاكرته بأفكار وأحكام الأسرة والجهاد من حيث (العلاقات) التي تطبع أولاهما بسمه (الحب) والأخرى بسمه (الكرهية).

هذا فيما يرتبط ببناء النص من حيث أنعكاس (مقدمته) على غالبية الموضوعات المطروحة في النص. وأما من حيث أنعكاسها على النص بأكمله، فيمكن ملاحظة ذلك على سبيل المثال في سورة الطلاق، حيث أستهلّت السورة بآية تتضمن محورين بتفرع أحدهما من الآخر، وهما التقوى وما يترتب عليها من تيسير الأمر (وأتقوا الله) (لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً)... طبيعياً، تتحدث الآية عن الطلاق (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء

النبي ﷺ ليعرض إلى (الأسرة) ونطاقاتها، متمثلة في علاقته ﷺ مع أزواجه، كما يعرض بعد ذلك (الطلاق)، وعلاقة ذلك بمن لم يسم لها المهر، ثم مخاطبة النبي بإحلال الزوجات له ممن أعطاهن المهر، وما ملكت يمينه، وباقربائه من بنات العم والعمت والخالة والخالات... إلخ، كما يعرض آداب الدخول إلى بيوته ﷺ، ثم أحكام الحajib لزوجاته... ومن البين أن الموضوعات المشار إليها تدخل جميعاً ضمن (الأسرة ونطاقاتها وأحكامها) أي: مع أحد موضوعي (المقدمة)، بعد أن كان العرض لمعركة الأحزاب، يجسد الموضوع الآخر من (المقدمة)، (أي: الحديث عن الكفار والمنافقين)، وها هو يتجه الآن إلى الحديث عن المنافقين فيقول (لئن لم ينته المنافقون...)، وكان قبل ذلك (أي قبل أن يتحدث عن الطلاق) يخاطب (ولا تطع الكافرين والمنافقين)، كما أنه في آخر آية من النص يقول: (ليعذب الله المنافقين...) إلخ. من خلال هذا العرض السريع لمحتويات سورة الأحزاب، نجد أن غالبية السورة تتحدث عن موضوعي (الكفار والمنافقين) من جانب، و(الأسرة) ونطاقاتها من جانب

فطلقوهن لعدتهن...)...بعد ذلك نواجه آيتين تطالبان بالإشهاد، وتعقبان (ومن يتق الله يجعل له مخرجا)، أي: نفس المحورين (التقوى وتيسر الأمر)، بعد ذلك تحيء آية جديدة لتطرح عدة اليأس وغير البالغ والحامل، وتعقب (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) أي: نفس المحورين (التقوى والتيسر)، ثم تحيء آية تطالب بالالتزام بأحكام الله، وتعقب: (ومن يتق الله، يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) وهو محور (التقوى)، لكن: من خلال المرور بقنوات تتصل بسكنى المطلقة والأنفاق عليها في العدة، ويعقب (سيجعل الله بعد عسر يسرا) وهو المحور المتفرع من التقوى. أخيراً يتقدم النص بحكاية أو أقصوصة تتحدث عن مجتمع منحرف بائد، ولكن تخاطب مجتمع الرسالة (فاتقوا الله...) ثم تحتم السورة بالمعطيات التي أغدقها الله تعالى على مجتمع الرسالة من خلال الإشارة إلى القرآن الكريم ونزوله على النبي ﷺ وعطاءاته الأبداعية، فالملاحظ، أن (المقدمة) عكست أثرها على النص بأكمله: مع اختلاف الموضوعات، بالنحو الذي عرضنا له.

وحينئذ، فإن الحصييلة النهائية للنص (أي: أثرها الكلي على المستجيب) تظل تفرع ذاكرة المتلقي بمفهوم التقوى وما

يترتب عليها من تيسر الأمر.

وقد ذكرنا أن (التمهيد) للموضوعات، قد يتصدر السورة وقد يتخللها، والأمثلة التي عرضت لها تمثل تصديراً للموضوعات أي (مقدمة) لها، أما التمهيد الداخلي للموضوعات فلا تزال الموضوعات بحاجة إلى تقديم نموذج لها، يرتبط بالمستويات أو الطرائق التي يسلكها النص في هذا الصدد.

هنا، لا بد من لفت النظر إلى أن (التمهيد) للموضوعات، يظل أحد طرائق (الوصل) بين أجزاء النص، والا فثمة طرائق متنوعة لأيجاد (الوصلة الفنية) المشار إليها، مثل (التداعيات الذهنية) (النمو) (التجانس)... إلخ، لذلك نجد أن النص الوارد قد يسلك مجموعة الطرائق المتقدمة لإيجاد الرابطة العضوية، بخاصة في السور الطوال. ففي القسم الأول من سورة البقرة نواجه جملة مقاطع مثلاً، تم الربط بينها من خلال التجانس والنمو والتداعي، وأيضاً من خلال التمهيد، فقد ختم المقطع الرابع من القسم المذكور بالآية الآتية: (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً، ثم أستوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات





وهو بكل شيء عليم). أن الفقرة الأخيرة من الآية (وهو بكل شيء عليم) تمثل نموذجاً واضحاً لظاهرة (التمهيد)، حيث مهدت للمقطع الجديد من النص وهو المقطع الذي يتحدث عن تجربة (الميلاد البشري) حيث يبدأ بهذا النحو، (وإذا قال ربك للملائكة أني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال أني أعلم ما لا تعلمون. وعلم آدم الأسماء كلها... قالوا سبحانك لا علم لنا ألا ما علمتنا أنك أنت العليم الحكيم. قال يا آدم أنبئهم... قال: ألم أقل لكم أني أعلم غيب السماوات والأرض، وأعلم ما تبدون...)

فالملاحظ في هذا المقطع القصصي (المحاورة بين الله تعالى وبين الملائكة) أن العصب الفكري لهذه المحاورة هو (العلم)، حيث مهد له المقطع الأسبق بفقرة (والله بكل شيء عليم)، فجاء المقطع الجديد بأكمله يحوم على (علم) الله تعالى، متمثلاً في عبارات: أعلم، لا تعلمون، علم، ما علمتنا، أعلم، وأعلم... ومن الطبيعي جداً، أن المتلقي وهو ينتهي من قراءة المقطع الأسبق (والله بكل شيء عليم) ويواجه

التفسير البنائي

بمقطع يحوم على علم الله تعالى من خلال تجربة المولد البشري، بذلك النحو المدهش من المحاورة، أنها يدعو النص متمثلاً (ولو بنحو لا واع) لعملية الربط بين إبداع الله تعالى للأرض وللسماوات وبين إبداعه للجنس البشري، حيث كانت الآية الأخيرة من المقطع الأسبق تقرر أنه خلق السماوات والأرض، وها هو تعالى يخلق الإنسان، ولكن: من خلال الأخذ بنظر الاعتبار أنه تعالى (بكل شيء عليم) وأنه يعلم غيب السماوات والأرض. ألخ، وهنا، نتذكر أن النص في المقطع الأسبق عرض لخلق السموات والأرض، وها هو في المقطع الجديد يتحدث عن (علمه) غيب السماوات والأرض... أذن: الإشارة إلى عملية (الخلق) وعملية (السماوات والأرض) وعملية (العلم) تظل صدى يتناغم بين مقطعي السورة من خلال تمهيد الأول للمقطع الجديد... والمهم هو، وهذا ما لا نمل تكراره ما ينعكس أثره على المتلقي من حيث أستجابته للموضوعات (المتراصة) من خلال التمهيد المذكور وأمثله.

ما تقدم يجسد نماذج متنوعة لبناء النص من خلال التمهيد وأنعكاساته أوصلاته

العضوية بالنص، حيث أشرنا إلى أن التمهيد هو أحد طرائق الوصل، وأن ثمة طرائق كالتداعي والنمو والتجانس تشكل أدوات الربط أيضاً، ولا بأس بأن نقدم نماذج لهذه الأنماط من أدوات الوصل.

أن الأدوات المشار إليها تتداخل وتستقل في نص ما، والمهم هو أحداث أثرها المطلوب في استجابة القارئ (كلية) النص، ويمكننا على سبيل المثال أن نستشهد بأحدى السور القصار وهي سورة (الصف) حيث أستهلكت بإشارتها إلى من لم يقرن قوله بالعمل، ثم أنتقلت إلى موضوع هو (القتال) صفّاً كالبنيان المرصوص، وأنتقلت إلى حكاية عن موسى عليه السلام مكتفية بالإشارة إلى أذى قومه، ومعاقبتهم، ثم أنتقلت إلى حكاية عن عيسى عليه السلام مكتفية بالإشارة إلى تبشيره بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وختمت النص بفقرة (فلما جاءهم بالبينات، قالوا: هذا سحر مبين). ثم أنتقلت إلى الحديث عن مجتمع محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ومن أظلم ممن أفترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام، والله لا يهدي القوم الظالمين)... هنا قبل أن نتابع موضوعات السورة المتبقية يمكننا أن نلاحظ كلا من "التمهيد" "التداعي" "التجانس" "النمو"

تتداخل جميعاً في (النقطة) من مجتمع عيسى عليه السلام إلى مجتمع محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فمجتمع عيسى وقد بشر بمحمد أيضاً، أتهم عيسى بالسحر، ومجتمع محمد صلى الله عليه وآله وسلم أتهم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالأفتراء، كلاهما سلوك (متجانس)، وفي الآن ذاته فإن الآية المبشرة بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم هي (تمهيد) للحديث عن المبرر محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنسبة إلى قومه الذين أتهموه بالأفتراء على الله تعالى، وفي الآن ذاته (يتداعى بالذهن) من مجتمع سابق إلى مجتمع لاحق، وأيضاً فإن عملية الأفتراء هي (نمو) لفكرة سابقة هي الاتهام بالسحر بالنسبة لمجتمع عيسى عليه السلام.

وهذا نموذج بين لتداخل الأدوات الرابطة بين الموضوعات. ويمكننا أن نلاحظ في النص ذاته (أجزاء) تستقل في أدوات ربطها مع الأجزاء الأخرى، وفيها عملية (النمو) للموضوعات، فالنص تابع حديثه عن مجتمع محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقال ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ

ثم يتابع حديثه عن المجتمع المذكور، فيبشر إلى الإيمان بالله ورسوله، وممارسة





الجهاد، والأثابة على ذلك دنيوياً وأخروياً، ثم يختم حديثه بالدعاء إلى المؤمنين بأن يصبحوا كحواريي عيسى عليه السلام، ويختم ذلك بفقرة (فأيدنا الذي آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين)... فالملاحظ أن الأجزاء الأخيرة تتحدث عن (أظهار) الدين (وهو الأسلام) (ليظهره على الدين كله) وتختتم حديثها بإظهار المؤمنين في زمن عيسى على عدوهم (فأصبحوا ظاهرين)... فالفقرة التي ختم بها النص (ظاهرين) والفقرة التي توسط بها النص (ليظهره)، يعد الأولى منها (نمواً) لفكرة الآخر لكن من خلال الارتداد إلى حدث سابق.

وأما النموذج التي تمثل (النمو) بحسب تسلسله الزمني، يمكننا أن نستشهد باحد النماذج من السور الطوال، ففي سورة الأعراف عبر قصة عيسى عليه السلام مع قومه ومع فرعون، خاطب قومه الذين تحملوا شدائد فرعون قائلاً (عسى ربكم أن يهلك عدوكم، ويستخلفكم في الأرض، فينظر كيف تعملون)... فهذا الخطاب يتضمن ثلاث ظواهر: التنبؤ بهلاك فرعون، التنبؤ باستخلافهم في الأرض، الا أن الظاهرة الثالثة (فينظر كيف تعملون)

..... التفسير البنائي

لم يتنبأ لها موسى عليه السلام بل تركها مفتوحة تتوقف على ما سيعمله القوم بعد هلاك فرعون واستخلافهم وسنين سر ذلك فيما بعد وهذا بطبيعة الحال أحد مستويات (النمو الفني) للأحداث.

بعد ذلك تتابع السورة حديثها عن موسى عليه السلام وتعامله مع فرعون ومجتمعه، حتى تصل إلى القول (فأنتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم... وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها...)... أذن: الفقرة السابقة على هذين الحديثين (إغراق مجتمع فرعون، واستخلاف قوم موسى) وهما الفقرة القائلة (عسى ربكم أن يهلك عدوكم، ويستخلفكم) هذه الفقرة (تنامت) أي أنتقلت من طور (الكلام) إلى طور (الحدث) الذي تحقق بالفعل، أولنقل: جاءت فقرة (فأغرقناهم في اليم) تنامياً لعبارة (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها) تنامياً لعبارة (ويستخلفكم في الأرض...) لكن: بالنسبة إلى عبارة موسى الأخيرة وهي (فينظر كيف تعملون) نجدها لا تنبأ بالبشارة التي لاحظناها بالنسبة إلى هلاك

بعضها مع الآخر، ويبقى الخطان الآخران، وهما: البناء القائم على (هيكلية) النص، والأدوات الموظفة لأتارة هدفه.

بالنسبة إلى (هيكلية النص)، فإن مادته المعرفية قد تطبعها (وحدة الموضوع) وهونادر بالقياس على (تعددية الموضوعات) ولكن في الحالتين ثمة بناء عام يخضع بطبيعة الحال للوحدة العضوية، الا أن الفارق بينهما (من حيث الشكل أو الهيكلية)، أن الأول منهما يأخذ في الغالب تسلسله الزمني أو الموضوعي، وحيناً آخر يأخذ تسلسله النفسي، وفي الحالتين فإن المرحلة التي يقطعها النص لا تتجاوز (بدايتها ووسطها وختمها) تخوم الموضوع المحدد، بعكس الآخر منها (أي: أن نص متعدد الموضوعات) فيها يخضع بناؤه للزمان النفسي في الغالب، ومن ثم فإن الرحلة التي يقطعها النص تتقاطع أو تتوازي (بدايتها ووسطها ونهايتها) بحسب متطلبات الاستجابة الكلية التي يستهدفها النص في هيكلية.

ويمكننا أن نستشهد أولاً ببعض النماذج من النمط الأول (أي: النص المتوحد الموضوع) مع الإشارة إلى أن الوحدة الموضوعية لا تعني أنحصارها في

العدو وأستخلاف مجتمعه، بل جعلت القضية (معلقة) أو (مفتوحة) تتوقف على ما سيفعله القوم، نظراً لمجهولية سلوكهم، وبالفعل، ما أن جاوز قومه البحر حتى شاهدوا قوماً يعبدون الأصنام، فقالوا: (يا موسى: إجعل لنا الهاً كما لهم آلهة...) أذن: قد أنحرف قومه... وهذا الحدث (حدث الانحراف وسواه من الأحداث التي سردها القصة) بجسد جواباً لفقرة (فينظر كيف تعملون) حيث تعني هذه الفقرة أن الله تعالى سوف يرتب الأثر إيجابياً أو سلبياً على نمط السلوك الذي سيصدر عنه الأسرائيليون، وهذا هو أحد مصاديق عملية (النمو) العضوي للموضوعات، مضافاً إلى مصداقية الآخرين: هلاك العدو، والأستخلاف.

المهم، هذه الأداة (النمو) قد أستقلت في النص الذي عرضنا له الآن، بينما تداخلت مع الأدوات الأخرى (التداعي) (التجانس) (التمهيد) في النص الأسبق، وكذلك سائر الأدوات الأخرى مما لا حاجة إلى الأستشهاد بنماذج لها.

أتضح حتى الآن أحد الخطوط الثلاثة التي تنظم عمارة السورة القرآنية، وهو: البناء القائم على صلة (أجزاء النص)

أوفي جزئية منه... مثل سورة نوح، فيما أخذت تسلسلها الزمني الموضوعي منذ الأنداز، وحتى عملية الغرق (بما خطيئاتهم أغرقوا، فأدخلوا ناراً...) إلا أن النص نقل نموذجاً لنوح ﷺ بعد عملية الغرق (وقال نوح: رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً...)، فهذا الموقف هو أرتداد إلى (الوسط) كما هو واضح، أي: أن دعاءه كان قبل حدث الغرق، ولكن النص رسمه بعد الحادثة، وهو أثر له مسوغاته في عملية الاستجابة... فمن الواضح ان كلاً من (مقدمة) النص و(نهايته) يحمل أثراً أكثر فاعلية لدى المستجيب حيث تحتفظ ذاكرته بهما، وهذا ما تجسد في السورة التي نحن في صدددها، فيما أن حادثة الطوفان تتفاوت عن سواها بالأبادة الشاملة للمنحرفين (من الناحية الجغرافية) بالقياس إلى الأبادة الأقليمية التي تعرضت المجتمعات المنحرفة الأخرى إليها، وبما أنها من جانب آخر قد أقرنت بأنقاذ الثلة القليلة من المؤمنين حيث كانت النواة لميلاد وأستمرارية الوجود البشري، وبما انها من جانب ثالث، قد أقرنت بظاهرة متسمة بخطورة كبيرة هي: أن دعاء نوح ﷺ قد حمل مسوغه المهم جداً، وهو: أن مجتمعه لوترك شأنه

سياج مقفل، بل قد تتصدرها أو تختتم بها موضوعات أخرى، خاصة في السور التي تتمحض للعنصر القصصي: مثل سورة يوسف فيما تتصدرها وتتعبها جملة من الأفكار المستهدفة في النص. كما أنها قد تبدأ بعرض مجمل للموضوع، ثم تأخذ بتفصيلاته، ومثاله من السور القصصار جداً: سورة الفيل حيث عرضت أولاً أجمال الموضوع.

(الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم...)، ثم فصلت الحدث بحسب تسلسله الزمني (وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم...)... ومن الطبيعي، أن تصدير الحدث أو الموقف بما هو مجمل له مسوغاته النفسية في عملية الاستجابة، حيث يدع المتلقي متشوقاً إلى معرفة تفصيلاته.

وقد لا ينطوي النص على المقدمة الأجمالية، ومثاله من النصوص التي تتضمن (الحدث) سورة القدر، ومثاله من النصوص التي تتضمن (الموقف) سورة (الكافرون)، وفي الحالين، فإن الحدث أو الموقف يأخذان في الغالب كما أشرنا تسلسلها الزمني أو الموضوعي، إلا نادراً



دون أنزال العقوبة المبيدة سيترتب عليه:
إضلال العباد وأستيلاء الفجار الكفرة (أن
تذرهم يضلوا عبادك، ولا يلدوا إلا فاجراً
كفاراً)... لذلك جميعاً، فإن أختتام النص
بموقف يرتد إلى وسط القصة، سيترك
أثره الإيجابي على المتلقي بحيث يتمثل هذه
الدلالات التي توضح له المسوغات التي
دفعت (نوحاً) عليه السلام إلى دعائه المشار
إليه وما يترتب على ذلك من النتائج.

وبغض النظر عن ذلك فإن النص
في وحدة موضوعه يظل بدوره خاضعاً
للوحدة العضوية من حيث أنتخاب
(جزئياته) وتنظيمها وأخضاعها لأهداف
النص. ففي سورة (الناس) مثلاً وهي
تتحدث عن موضوع الأتعاذة بالله تعالى
من شياطين الإنس والجن... نجد أن النص
على سبيل المثال يتحدث عن الأستعاذة
بالله تعالى عبر صفات ثلاث (رب الناس)
(ملك الناس) (آله الناس)، مع أنه من
الممكن أن يكتفي بعبارة (الله) تعالى وحدها
كما يلاحظ ذلك متمثلاً في موقع آخر من
النص القرآني الكريم (فإذا قرأت القرآن
فأستعذ بالله...) وحينئذ عندما ينتخب هنا
ثلاث صفات، فهذا يعني أن ثمة سراً وراء

ذلك، وهو كما نحتمل ذلك أن النص في
صدد عملية الأستعاذة بالله تعالى في مطلق
السلوك، من مطلق الوسواس، وعندها:
فإن أنتخاب الرب والملك والأله أنما
تستوعب مستويات الأستعانة أو الأستعاذة
جميعاً، فصفة (الرب) مثلاً ترتبط بظواهر
التدبير والتربية ونحوهما، وصفة (الملك)
ترتبط بظواهر القدرة والسلطة ونحوهما،
وصفة (الأله) ترتبط بصفات العبودية.
وسلوك الإنسان بدوره يفتقر حيناً إلى من
يسنده تدبيراً، وحيناً إلى من يسنده سلطة،
وحيناً إلى من يتجه إليه عبادة... وعندها:
فإن الأستعاذة بالرب والملك والأله تحقق
هدف المستعيز على شتى مستوياته. وهذا
النمط من بناء النص يجسد جزئية منه،
وكلك إذا أتعجنا إلى سائر الجزئيات كصفتي
الوسواس والخناس، وظاهرة التكرار
لعبرة (الناس) في آيات السورة جميعاً،
أولئك بدورها تخضع لعمليات (بنائية)
تنظم هيكل النص في نهاية المطاف.

أما إذا أنتقلنا إلى هيكلية النص في
نمطه الآخر وهو الغالب كما أشرنا في
السور القرآنية الكريمة، ونعني به: (تعدد
الموضوعات)، فإن عملية البناء تأخذ





التفسير البنائي

وأما الوسط فقد تناول موضوعات أخرى كما هو واضح، ومنها:

- ما يمكن تسميته بالمرحلة الطولية، وهي أن تبدأ السورة بموضوع وتنتهي بموضوع آخر... وهو ما يطبع غالبية السور القرآنية الكريمة، حيث تتشابه وتتنامى وتتلاقى خطوط البداية والوسط والنهاية وفق هيكل محكم البناء، سواء أكانت السورة تتضمن عشرات بل مئات الموضوعات الرئيسية والثانوية والفرعية والطارئة والمعتضة (كسورة البقرة حيث أوضحنا مفصلاً هيكلها)، أو كانت ذات موضوعين فحسب، مثل سورة (المطففين) حيث كانت (بدايتها) تتحدث عن التطفيف، و(نهايتها) تتحدث عن الموقع الآخروي للمؤمنين، إلا أن النص ربط بينهما من خلال محور مشترك هو (اليوم الآخر وجزاءاته) حيث تحدث عن المطففين (الايظن أولئك أنهم مبعوثون) ثم تحدث عن المكذبين وجزاءاتهم، والمؤمنين وجزاءاتهم.

بطبيعة الحال مسارب متشابكة ألمحنا إلى جانب منها في فقرات سابقة، والأمر كذلك بالنسبة إلى (هيكلية بنائها) أي: المرحلة التي يقطعها النص، والمحطات التي يقف عندها، والجهة التي يسير إليها، والمحطة الأخيرة أو الشاطئ الذي يرسو عليه وبنحوعام، يمكننا أن نشير إلى جملة (هياكل) في هذا الصدد، منها:

- ما يمكن تسميته بالمرحلة الأفقية للنص، أي أن السورة تبدأ بموضوع ما وتختتم بالموضوع نفسه، وأما الوسط فيتناول موضوعات متنوعة ترتبط بطبيعة الحال مع بعضها الآخر وفق ما ألمحنا إليه في فقرات سابقة. والمهم، أن المرحلة الأفقية للنص هي ما تبدأ بموضوع وتختتم بالموضوع ذاته، وهذا من نحو سورة (المزمل) مثلاً حيث تبدأ (يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا، نصفه أو أنقص منه قليلاً، أوزد عليه...)

وتختتم بالموضوع ذاته (أن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه...) فقيام الليل بمستوياته الثلاثة هو الموضوع الذي بدأ به النص وختم به،

ومنها:

ما يمكن تسميته بالمرحلة أو البناء المقطعي، أي أن السورة تطرح جملة من الموضوعات، وتصل بينها عبر محطة مشتركة تجتمع عندها الموضوعات، وأمثله كثيرة في النصوص القرآنية، بعضها يسم الهيكمل العام للنص مثل سورة المرسلات، حيث تجتمع موضوعاتها عند الآية الكريمة (ويل يومئذ للمكذبين)، متكررة طوال السورة، عدا مقدمتها التي تطبع كثيراً من السور القرآنية الكريمة: كالقسم بالظواهر الأبداعية ونحو ذلك، فيما لا تعد (بداية) للنص بل (مقدمة) لبدايتها. وكذلك سورة الرحمن التي تجتمع موضوعاتها (عدا المقدمة) عند فقرة (فبأي آلاء ربكما تكذبان).

وأما صياغة هذا النمط من البناء المقطعي في ثنایا النص، أي ما يطبع جزءاً من النص (لا النص بأكمله) فيمكننا ملاحظته في كثير من السور القرآنية الكريمة: مثل (المؤمنون) (الشعراء) (الصافات) (القمر)... الخ وفي هذا السياق فإن المحطة المشتركة التي تلتقي عندها الموضوعات من التنوع بحيث لا يمكننا أن نلم بمستوياتها في هذه الفقرة التي نتحدث عنها، بل نحيل القارئ إلى

دراستنا المفصلة في هذا الحقل.

وقد أشرنا إلى نمطين أو خطين من أشكال البناء العضوي للنص، أحدها ما يرتبط بصلة أجزاء النص بعضها مع الآخر، والآخر ما يرتبط بـ (هيكلية النص).

يبقى أن نتحدث عن النمط الثالث منها، وهو العناصر أو الأدوات التي تشكل (إضاءات) لأهداف النص، كالعناصر أو الأدوات القصصية والصورية والأيقاعية ونحوها.

ثمة أدوات وعناصر متنوعة (يوظفها) النص كما ذكرت لأتارة أهدافه وفي مقدمة ذلك الأداة القصصية، فبالرغم من أن القصة تشكل جنساً أدبياً مستقلاً، إلا أن الموروث المكتوب باللغة العربية لم يألف الشكل المذكور إلا في بعض نماذج النادرة أو المترجمة أو المكتوبة في فترات خاصة دون غيرها، إلا أنها جميعاً إذا أستثنينا الفترة المعاصرة تظل نماذج هزيلة لا تتوفر فيها خصائص الصياغة القصصية، لذلك فإن النص القرآني الكريم حينما أستخدم العنصر المذكور إنما جسد أحد وجوه أعجازه بحيث لم تستطع الكتب البلاغية التي ألفت خلال القرون الماضية أن تعرض ولو لقاعدة أو خصيصة





قصصية واحدة بل جهلت ذلك تماماً، والمهم أن النص القرآني قد وظف هذا العنصر (بصفته أشد الأدوات استثارة وتشويقاً للمتلقي) وأستخدمه بنحو ملحوظ، حتى أنه خصص سوراً كاملة أحياناً لهذا الهدف، مثل سورة يوسف، نوح، وغيرها كما (غلب) هذا العنصر على النثر غير القصص في نصوص أخرى، فضلاً عن استخدامه في كثير من النصوص بحسب السياقات التي تتطلب ذلك، وقد كتبنا دراسات كاملة عن النصوص القصصية في السور جميعاً، من حيث خصائصها على شتى المستويات، ومنها: كيفية توظيفها للأفكار الرئيسة أو الثانوية التي تحوم السورة عليها، وهي ما تعيننا الآن في هذه الفقرة من الأجابة.

ويمكننا بنحو سريع أن نعرض لبعض أشكال (التوظيف) لهذا العنصر من حيث صلته ببناء السورة الكريمة أو بناء جزئياتها، منها:

- ما يشكل بذاته بناء عاماً تستقل به السورة كما أشرنا، ومن نماذجه سورة نوح، حيث اعتمدت (الهيكلي الطولي) في بناء الحدث والموقف، واعتمدت (الحوار) عدا المقدمة

أداة لتجسيد ذلك، كما تنوع الحوار في أنماط ثلاثة الحوار المستقل (مثل محاورته مع قومه قال يا قوم أي لكم نذير... ألخ) والحوار المتداخل مثل محاورته مع الله تعالى من جانب ونقله إليه، ثم محاورته مع قومه (قال رب: أي دعوت قومي ليلاً ونهاراً...) والحوار المتكرر، حيث تكررت المحاوراة المتداخلة مثل:

(قال رب أي دعوت قومي...).

(قال نوح: رب أنهم عصوني).

(وقال نوح: رب لا تذر على

الأرض...).

ولا يمكننا الآن أن نعرض لمستويات الحوار المشار إليها، بقدر ما نعزم لفت النظر إلى البعض منها، من حيث علاقته بالمرحلة الطولية للنص، وعلاقته بطور الزمن المستغرق قرابة ألف سنة، حيث يفسر لنا أحداث الوارد وهو (الحوار المتكرر) الذي لاحظناه في النصوص الثلاثة أعلاه، فيما يمكن الذهاب إلى أن طول المدة تستتبع مثلاً أن يتجه نوح إلى الله تعالى لينقل تجربته مع قومه بين حين وآخر من الدهر، أو يمكن الذهاب إلى أن نمط تعامله مع قومه

السورة الكريمة من حيث نمط الأفكار المطروحة فيها، وهو أمر لا يسعنا أن نعرض له الآن (ونحيل القارئ إلى دراستنا المفصلة عن قصص القرآن دراسات فنية في قصص القرآن)... ومنها:

- ما يشكل توظيفاً لبعض جزئيات النص ومحاوره الفكرية، أو عنصراً جزئياً لمحور وفكرة النص، ويمكننا الإشارة إلى نماذج كثيرة في هذا الصدد، ففي سورة (القلم) مثلاً تشكل ظاهرة (الحلق) إحدى محاور النص (ولا تطع كل حلاف مهين) لذلك ما أن أنهى من سرد الصفات الرديئة لهذا الحلاف المهين حتى أردف ذلك بقصة (أصحاب الجنة أذ قسموا ليصر منها مصبحين...).

وفي سورة الكهف ما أن أنتهى النص من الآيتين (أنا جعلنا ما على الأرض زينة لنبلوهم أيهم أحسن عملاً وأنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً) حتى أعقبها مباشرة بقصة أهل الكهف الذين نبذوا زينة الحياة الدنيا (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا).

وتعاملهم يستتبع تكرار المحاور، حيث أن الأولى تحدثت عن أسلوب أنذاره (ليلاً ونهاراً، جهاراً، إسراراً) أسلوب تمردهم (جعلوا أصابعهم في آذانهم...)، وحيث تحت الأخرى عن أسلوب آخر من تمردهم (وأتبعوا من لم يزد... (ومكروا... (وقالوا: لا تذرنا المهتك...))، وحيث تحدثت المحاور الثالثة عن الطلب إلى الله تعالى بأن يبيدهم.

المهم أن هذا أحد أشكال المحاور المرتبطة بهيكلي النص من حيث انطوائه على طول المدة التي قضاها نوح مع قومه، أو من حيث نمط دعوته ونمط تمرد قومه... الخ، بينما نجد في النصوص الأخرى، مستويات أخرى من العرض لقصة نوح تتناسب بطبيعة الحال مع الأفكار المطروحة في هذه السورة أو تلك، والأمر نفسه بالنسبة إلى قصص موسى عليه السلام مثلاً، حيث يوظف العنصر القصصي لمتطلبات النص ذاته، فترى حيناً أن قصص موسى تبدأ من منتصف الأحداث (كالبحت عن الله تعالى)، وحيناً تبدأ من المواجهة مع فرعون، وحيناً مع هلاك فرعون...، كما يذكر من مواقف القصة وأحداثها ما يتناسب ومناخ



وأما القصص التي توظف بنموغير مباشر للمحاور الرئيسة للنص، مثل سورة البقرة التي يتضمنها محور (هو: التقوى)، ومحور آخر (هو: الأمانة والأحياء)، وعرض لسلوك الأسرييلين يستغرق ثلث السورة تقريباً، نجد أن عملية التوظيف للعنصر القصصي تلعب دوراً مهماً في بناء السورة الكريمة من خلال بعض المحاور المشار إليها. ففي محور (الأمانة والأحياء) نواجه جملة قصص بعضها متجاور، وبعضها متباعد بين مواقع متنوعة من السورة، فهناك قصة البقرة التي ذبحت وأحيى بذيلها المقتول، وهناك قصة الطيور الأربعة التي قطعت وأحييت، وهناك قصة المار على القرية التي فيها أماتة الله تعالى مائة سنة وأحياءه، وهناك قصة الألوف الذين قال لهم موتوا ثم أحياهم... ألخ، فضلاً عن قصة إبراهيم مع الكافر الذي زعم أنه يحيي ويميت... ألخ. هذه القصص وظفتها السورة المباركة لتجلية الفكرة الذاهبة إلى أنه تعالى قادر على الأحياء والأمانة، حيث عقت إحدى الآيات على العملية المشار إليها (كذلك يحيي الله الموتى...)، قالتها الآية الكريمة بعد قصة البقرة، والأهمية

وفي سورة (ياسين) ما أن أنتهى النص من مقدمتها التي قالت: (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون...) حتى أعقبها بقصة (أصحاب القرية) حيث أرسل إليهم رسولان فكذبوهما، فعززا بثالث، فكذبوه، وسانداهم الرجل من أقصى القرية، ومع ذلك لم يؤمنوا فجاءت القصة (مواظفة) لتعزيز الآية القائلة بأن الكفار أنذروا ولم يندروا لا يؤمنون.

ما تقدم يجسد نماذج لجزئيات النص معززة بالأداة القصصية... وثمة نماذج كثيرة تجسد توظيفاً مباشراً لفكرة أو الفكرة التي تحوم السورة عليها مثل سورة (القمر) في عرضها لجملة قصص توظف لظاهرة (التكذيب) التي طرقتها المقدمة (وأن يروا آية يعرضوا...) (وكذبوا...) (فما تغن النذر). فجاءت قصص قوم نوح وعاد وشمود ولوط وفرعون تحوم جميعاً على عرض ظاهرة (التكذيب) حيث أستفتحت كل قصة بعبارة (كذب) مثل:

كذبت قبلهم قوم نوح، فكذبوا عبدنا... كذبت عاد... كذبت ثمود بالنذر... كذبت قوم لوط بالنذر... كذبوا بآياتنا (أي: قوم فرعون)...



البالغة لمثل هذا التكثيف للعنصر القصصي، أن القارئ من حيث أستجابته الكلية للسورة ومحاورها، يظل عصبه محفوراً بقبصص الفكرة المذكورة.

وفي هذه السياقات، يلعب بناء القصص ذاتها دوره المهم في تجلية المحاور المشار إليها، فمثلاً نجد قصة طالوت من حيث الموقع العضوي لها من السورة، ومن حيث بناء القصة ذاتها وموقعها العضوي من البناء المذكور، يجسدان نموذجاً واضحاً لما أشرنا إليها، حيث سبق القول أن السورة الكريمة (وهي أكبر السور القرآنية حجماً) يتمحصر ثلثها تقريباً للحديث عن السلوك الأسرائيلي، من خلال البرهنة على أنحرافاتهم وتمردهم وجبنهم وتشكيكهم... إلخ، حيث جاءت قصة طالوت موظفة للبرهنة على سلوكهم المذكور، وفيما قالوا النبي لهم أن يرسل إليهم قائداً ينقذهم ممن استذلّوهم وأخرجوهم من دارهم، إلا أنهم شككوا أولاً بالفائدة وأنه لا ينتسب إلى الأسرة المالكة ولم يؤت سعة من المال، وثانياً: لم يلتزموا بعدم الشرب إلا القليل منهم وثالثاً: جبنوا عن القتال وقالوا لا طاقة لنا بجنود عدوهم،

فالقصة بدأت من وسط الحدث (وهو: الطلب إلى نبيهم بأرسال قائد)، ثم أرتدت إلى بدايته وهو أخرجهم من ديارهم وبنائهم... إلخ، وهذا الاستهلال للقصة من وسط أحداثها يظل على صلة واضحة يكذبهم الذي عرض له النص في مواقع متنوعة من السورة الكريمة، وها هو يقدم قصة لتعميق الظاهرة المذكورة في ذهن المتلقي، فيعرض لعملية القتال في سبيل الله على لسانهم، لتركز هذه الدلالة في ذهن المتلقي ويقتنع أخيراً بأدعائهم ما لا يفعلون، وذلك من خلال الاستهلال المذكور، والا كان من الممكن أن تعرض السورة هذه القصة بحسب تسلسلها الزمني، أي: الاستهلال بحدث استذلالهم، ثم طلب قائد لهم للقتال من أجل الله تعالى. هذا، إلى أننا سبق أن ذكرنا جملة أدوات يوظفها النص في أنارة أهدافه، منها: العنصر الأيقاعي، من حيث مساهمته العضوية في بناء النص، وفيما يلي يمكننا أن نقدم نموذجاً في هذا الميدان.

من الواضح، أن العنصر الأيقاعي يتمثل في نطاق المنفردة والمركبة والقطع والنص بعامة... وهو نمطان، أحدهما: الأيقاع الخارجي، ويتمثل في: القرار أو الفاصلة





(وهو نهاية الآية)، وتقابلها القافية من الشعر، ويتمثل في (تجانس) الاصوات، سواء أكان ذلك في نطاق المفردة أو المركبة أو الفقرة، ويتمثل في (توازن) العبارات بعضها مع الآخر. والنص القرآني يعتمد هذه المستويات جميعاً، ومما لا شك أن تنظيم الأيقاع وفق صياغات تتألف مع الموضوعات: كتوحد القرارات للموضوع الواحد، وتبدلها لموضوع آخر ونحو ذلك، يسهم في بلورة وتعميق وتوهج الدلالات مضافاً بطبيعة الحال إلى أمتاعها الصوتي الصرف.

وأما الأيقاع الداخلي فيعني كما هو واضح أيضاً تجانس صوت العبارة أو المقطع أو النص بعمامة مع دلالاتها، والنص القرآني الكريم يعتمد هذا الخط من الأيقاع بدوره. ونكتفي بتقديم نموذج سريع لجزئية من النص من حيث التلاحم العام بين أصوات المقطع ودلالاته، وهو المقطع الأخير من سورة القمر، فالسورة كما لاحظنا عند أشارتنا إلى الأداة القصصية وأسهامها في هيكلية وأهداف النص وظفت العنصر القصصي المتمثل في مجموعة حكايات عن مجتمعات نوح وعاد وثمود ولوط وفرعون من حيث الجزاءات الدنيوية

التفسير البنائي

التي لحقت المجتمعات المذكورة، وظفتها لأرادة النتائج المترتبة على التكذيب، وها هو النص وهو يختم حديثه عن ذلك، يردفه برسم الجزاءات الآخروية، موظفاً العنصر الأيقاعي في بلورة ذلك.

فالملاحظ أن النص وصل بين القسم السابق وبين الختام بالآيات الآتية: ﴿بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَىٰ وَأَمْرُهُ إِنََّّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ...﴾ لقد اعتمد النص من حيث (تجانس) العبارات حرف أو صوت (السين) (الساعة، الساعة، سحر، يسحبون، مس، سقر).

هذه الأصوات بالقياس إلى سواها تغطي بوضوح، والاسهام العضوي الذي يحققه صوت السين يتمثل في جملة خطوط، منها: أن النص قد أُنْتُخِبَ عبارة (الساعة) دون غيرها من العبارات التي يستخدمها القرآن الكريم متنوعة للتعبير عن اليوم الآخر وأحواله وجزاءاته، فهي تتضمن بعدين، أحدهما: اشتغالها على حرف (السين) والسين حرف أستقبالي (ومثله الأداة: سوف)، والآخر هو دلالتها الأستقبالية أساساً، بصفة أن (الساعة) حدث أستقبالي،

والموضوعية، الا يعني ذلك (نسبية) الحقيقة التي بشيء بها النص المقدس، بل نفيها، ومن ثم تغدو عملية تفسير النص وأستجلاء مدلوله غير ممكنة؟

أن الاتجاهات المشار إليها، تظل منتسبة إلى تيار فلسفي يشكك بيقينية المعرفة، حيث سحب أثره على تيار نقدي ظهر في سنواتنا المعاصرة فيما يطلق عليه مصطلح (التفكيك) بعد أن أنحسر ما يسمى بـ (البنوية)، وهي تيار يعتمد البنية اللغوية في أنساقها ومرجعيتها الثابتة، مما شكلت لدى التفكيكين رد فعل مضاد، هو التشكيك بمرجعية اللغة والتشكيك بإمكانية تحقق سائر الظواهر الموضوعية.

ولحسن الحظ أن الاتجاهات الأرضية ذاتها (أي: **الاتجاهات العلمانية المنعزلة عن السماء**) قد أنكرت الاتجاه المذكور، فقد تعرض إلى نقود مكثفة تتركز في فوضوية هذا الاتجاه، وجنوحه إلى لا نهائية الدلالة، فيما تعني أن التعامل مع النص لا يفضي الى دلالة ثابتة بقدر ما يبقى (مفتوحاً) لقراءات متعددة لا ترسو على شاطئ، بل تشكل كل قراءة (إساءة قراءة) كما يصطلح على ذلك في اللغة التفكيكية، وهي بدورها تظل

وقد أنتخب النص (عبارات) خاصة بأهوال الساعة وجزائها، من حيث أشتهاها على حرف السين مثل (سعر) (سقر)، ومثل (مس) و(يسحبون)، ونحن نعرف جميعاً أن لجهنم أسماء متنوعة، وأن للساعة أسماء متنوعة، وأن للأهوال المصاحبة لها أسماء متنوعة، بينما أنتخب النص هنا: لليوم الآخر، وجزائاته، وملابساته: عبارات تتضمن صوت (السين) ليتسق هذا الصوت مع الدلالات التي أشرنا إليها، فالذي ينتظر المكذبين هو (الساعة)، والذي ينتظرهم من العذاب هو (سقر، سعر)، والذي يصاحبه من التعامل هو (يسحبون) و(مس) و(وسقر)، وهكذا، أي: تتجانس صوت المقطع مع دلالته الاستقبالية بالنحو الذي أوضحناه... هنا، من المناسب أن نطرح السؤال الآتي:

تذهب بعض الاتجاهات الحديثة في تأويل النصوص المقدسة إلى أن أية محاولة لأستخلاص حقيقة من النص تنفتح على (تعدد القراءات) بزعمها أنه لا حقيقة كلية يمكن القبض عليها من النص، بل حتى مجالات تشريح وتحليل النصوص تغدو مخاتلة ومخادعة مهما أدعت النزاهة





عرضة لأساءة قراءة أخرى، وهكذا.

ومما يجدر ذكره، أن المعنيين بالشأن الثقافي قد أكتشفوا مؤخراً أن قادة الاتجاه المذكور هم شخصيات (يهودية)، مما لا تحتاج فيه إلى التعقيب على أنحرافية الاتجاه المذكور، ومحاولة تدميره الثوابت المعرفية وسواها، وحتى مع فرضية براءة هذا الاتجاه من الانحرافات المذكورة، فأن انبثاقه في المناخ الأوروبي الأرضي (العلماني) الذي يحيا بعيداً عن مبادئ السماء، يحملنا على أن نتحفظ حياله الا في حالة كونه مجسداً لمبادئ علمية أوفنية (محايدة) يمكن الاستفادة منها (مثل سار الروافد الأنسانية المشتركة) التي يكتشفها العقل البشري من خلال إلهامية المعرفة التي ركبها الله تعالى في البشرية في النطاق المعرفي المحدود بطبيعة الحال، وإلا بصفتنا أسلاميين فأن النطاق المعرفي الذي نرتكن إليه ينحصر في مبادئ السماء، كما هو واضح.

وفي ضوء هذه الحقائق، فإنه من المؤسف جداً، أن نجد كتاباً عرباً، وأسلاميين بعض الأحيان قد تأثروا بهذا الاتجاه أنسياحاً مع (الموضوعة) الجديدة، حيث تحولوا آلياً من نقاد ينتسبون إلى تيارات سابقة على (البنوية) التي

التفسير البنائي

أنبثقت مع أواخر الستينات من هذا القرن، تحولوا إلى التيار البنيوي الذي دام عقدين من الزمن، ثم تحولوا آلياً إلى التيار التفكيكي، وهو أمر يكشف عن التبعية الذليلة لهؤلاء الكتاب دون أن يأخذوا بنظر الاعتبار مناخهم الثقافي والحضاري وتبينه عن المناخ الأوربي، فضلاً عن مناخهم الأسلامي.

وأياً ما كان الأمر، فأن تعاملنا بصفتنا أسلاميين مع النصوص سواء أكانت مقدسة أم عادية، ينبغي كما هو واضح أن ينطلق من التصور الإسلامي للسلوك.

أننا ينبغي أن نتساءل أولاً: لماذا نتعامل مع النص، سواء أكنّا قراء عاديين أم نقاداً؟ وقبل ذلك ينبغي أن نتساءل: ما هو الهدف من وجود النص اساساً؟ هل يستهدف النص (سواء أكان مقدساً كالقرآن الكريم مثلاً أم عادياً كالقصيدة أو الرواية أو البحث المعرفي بعامة) هل يستهدف النص توصيل مبادئه إلينا، أم أنه عمل مفتوح يستهدف تنشيطاً ذهنياً فحسب، بحيث يدع كل متلق يستخلص من النص دلالة تتوافق مع مرجعيته الثقافية، فيصاغ النص بنحو يخضع لتعدد التأويلات، أم أنه عمل عابث فحسب؟

الأجابة عن التساؤلات المذكورة (من

التصور الإسلامي للسلوك) تنفي بطبيعة الحال عبثية السلوك، مما يعني أن التساؤل الثالث (وهو: عبثية النص) لا يتسق مع (هدفية) السلوك وأما التساؤل الثاني وهو: صياغة النص المفتوح من حيث أستبعابه (تعدد القراءات) فأمر مقبول: لكن في مواقع خاصة من النص (كما هو ملاحظ في النصوص القرآنية الكريمة، وفي نصوص للنبي ﷺ وأهل بيته ﷺ، حيث يدع النص مناطق خاصة للمتلقي يسهم من خلالها في أستخلاص الدلالة، ليس من حيث كونه (مبدعاً) للنص بدوره من خلال قراءته للنص ما يزعم التفكيكيون)، بل من حيث كونه (يستخلص) دلالة قد جعلها النص (مفتوحة) لتذوقه الخاص حتى يحقق له متعة القراءة، أو من حيث كونه يملأ الفراغات التي تركها النص للمتلقي، من حيث الأختزال أو الأقتصاد اللغوي للنص. ومن أمثلة النمط الأول من الأستخلاص ما نلاحظه من كثافة الصور والرموز الفنية التي يستخدمها القرآن الكريم، مثل رمزي (النور والظلمات) حيث تتعدد دلالاته الرامزة إلى الإسلام أو الأيمان أو الطاعة أو القيم الأخلاقية، من عفو وتسامح وأحسان

وتعاون... الخ، أو القيم السياسية، كالتحرر من الأستعباد، أو القيم المعرفية، تلقي العلم، وأستكناه للحقائق... الخ مما يستخلصه المتلقي من رمز (النور) أو عكس ذلك مما يستخلص من رمز (الظلمات)، بل نجد من الصور أو الرموز ما يتركها النص تماماً إلى المتلقي بحيث يستخدم ذائقته الخاصة به، أي يفسر النص وفق خلفيته أو مرجعيته الثقافية الخاصة، وهذا من نحو الصور التشبيهية التي رسمهم القرآن الكريم بالنسبة إلى (المنافقين) حيث رسمهم على النحو الآتي: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۖ صُمُّ بُكْمٌ عُمًى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۚ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۚ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ﴾ الخ.

أن الصور المتقدمة تظل ذات ضبابية شفافة يستطيع كل متلق أن يفسرها في ضوء خبراته بالعمليات النفسية التي تطبع سلوك المنافقين بصفاتهم يظهرن شيئاً





ويستبطنون شيئاً آخر في أعمالهم، حتى يحققوا لهم مكاسب اقتصادية واجتماعية وأمنية في المجتمع الاسلامي، فهم من جانب يحرصون على تحقيق المكاسب المشار إليها، ومن جانب آخر يخشون الفضيحة، وهذا يستتبع صراعاً داخلياً بطبيعة الحال، أنهم يستوقدون ناراً لتضيء لهم طريق (المكاسب)، لكن ما أن داعبهم الأمل في تحقيق ذلك، حتى ذهبت الأضياء من خلال الأفتضاح الذي يخشونه، أو أنهم يواجهون مطراً يتيح لهم أمل (المكاسب)، إلا أن المطر يصاحبه رعد وظلمة وبرق وكل من هذه الظواهر مصحوبة بعملية صراع: خيبة وأمل، ظلمة وبرق، ثم توجس مصحوب بالخوف (الرعد)، ثم ما أن برق لهم الأمل (كلما أضياء لهم مشوا فيه) إذن ثمة علامات نفسية متشابكة تدعهم يحيون الصراع في أشد مستوياته تمزقاً وتوتراً وأنشطاراً... الخ.

هذه القراءة العجلى للنص المتقدم، تظل بطبيعة الحال تأويلاً لأحدى الدلالات التي يستخلصها هذا المتلقي أو ذاك، بينما يمكن لقراء متفاوتين أن يستخلصوا دلالات متعددة بتعدد مرجعيتهم الثقافية.

التفسير البنائي

إذن: ثمة مواقع من النص قد أخضعها القرآن الكريم لتعدد التأويلات (كالنص المتقدم)، وثمة مواقع من النص قد أخضعها القرآن الكريم لتنوع المصاديق (كالنص الأسبق، أي رمزي النور والظلمات). وهذا بالنسبة إلى عمليتي (التعدد والتنوع) في أستخلاص الدلالة.

أما بالنسبة إلى ملء الفراغات، فأن النصوص القصصية بخاصة تحفل بعشرات المواقع التي أختزلها النص القرآني (من حيث الأحداث والمواقف) تاركاً للقارئ أن يستحضرها بنفسه، فيما لا حاجة إلى الاستشهاد بها.

إذن: من حيث الأجابة عن التساؤل الثاني وهو: هل هدف النص هو تنشيط الذهن وجعل المتلقي مساهماً في أستخلاص دلالاته المتعددة أو المتنوعة، فأمر قد أتضح بأنه (محدود) في مواقع خاصة من النص... خارجاً عن ذلك فإن النص لا يسمح لنا بتأويل دلالاته: لبداهة أنه يستهدف (توصيل) مبادئ خاصة للمتلقي.

وهذا ما يقتادنا الى الأجابة عن التساؤل الأول وهو: ما هو الهدف من وجود النص

أساساً؟ الهدف من الوضوح بمكان كبير، أن النص يستهدف توصيل مبادئه إلينا: نحن المتلقين، وحينئذ: فإن تعاملنا مع النص ينحصر في الكشف عن دلالاته وتقريبها إلى المتلقي، وفي حالة النص الفني، فإن الكشف عن الخصائص الفنية يأخذ طريقه إلى التعامل مع النص من حيث النظر إلى كيفية توظيفها في إنارة النص.

وأما التعامل مع النص العادي: (القصيدة، المسرحية، البحث... الخ) فإن التعامل (من خلال تصورنا الإسلامي في التعامل) يكتسب نفس المسا: أي الأخذ بنظر الاعتبار (ما يقوله النص) أي (هدفه) أو (القصدية) التي يستبطنها: إيجابياً أو سلبياً من حيث الحكم بمشروعيتها أو عدمها، مضافاً إلى توظيفها فنياً.

تقرر هذا انطلاقاً من المهمة العبادية التي أوكلتها السماء إلينا، ألا وهي: إيصال مبادئها إلى الآخرين من خلال كتابة النص أو نقده، بحيث ينحصر تعاملنا مع النص من خلال وجهة النظر الإسلامية، وعندها لا تعيننا الاتجاهات المنعزلة عن السماء في نمط تعاملها مع النص، ما دمنا

أساساً نمارس سلوكاً ثقافياً لا ينقسم عن السلوك العبادي العام الموكل إلينا. وبهذا يتحدد موقفنا من الاتجاهات (التفكيكية) ونحوها من التيارات التي تتحدث عن (نسبية) الحقيقة التي يستبطنها النص، أو (نفيتها)، وما يترتب على ذلك من (تعدد) القراءات أو (لانهايتها)، حيث تبقى أمثلة هذه التيارات عديمة المعنى أي لا معنى لها بالنسبة إلى مهمة الكاتب الإسلامي، بالنحو الذي تمت الإشارة إليه.

من الواضح، أن التيار المتقدم يمثل أحد محاور التعامل مع النص، وهو: التعامل من خلال القارئ، وهناك تيارات تتعامل مع محاور أخرى، وهي محاور (النص المبدع) (النص البيئية) (النص النص)، ما هي وجهة النظر حيال المحاور المذكورة من خلال الدراسات البنائية للصور القرآنية الكريمة؟ قلت: أن التصور الإسلامي لقضية التعامل مع النص، ينحصر في عملية الكشف لخصائصه، وتقريبها إلى المتلقي، وعندئذ فإن أية أضواء خارجية على النص تتكفل بتجلية عملية الكشف، سوف تفرض مسوغاتها دون أدنى شك، يستوي





في ذلك أن تكون الاضاءة مرتبطة بمبدع النص، أو مرتبطة بالبنية الاجتماعية التي ولد في نطاقها النص، أو تنتفي الحاجة أساساً إلى أية سلطة خارجية من الأضواء، بحيث يتم التعامل مع النص وفق قوانينه الداخلية بصفته بناء مكتفياً بذاته، والمهم هو أن السياق هو الذي يحدد الحاجة إلى الأضواء أو عدمها، لكن ينبغي أن نضع في الاعتبار أن محور (النص المبدع) بالنسبة إلى التعامل مع النص المقدس كالقرآن الكريم أو السنة الشريفة، يكون (مغلي) بطبيعة الحال، وينحصر ذلك في النصوص العادية فحسب، والسر هو كما نعرف ذلك جميعاً أن الله تعالى (منزه) عن الحدوث وأن النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ تحجزنا (عصمتهم) من عملية الربط بين النصوص الصادرة عنهم وبين التركيبة النفسية الكامنة وراء ذلك، ما داموا يصدر عن قنوات مقدسة وليس عن وجهة نظر شخصية، وهذا بعكس التعامل مع النصوص العادية، حيث يمكننا أن نصل بين النص وبين الحالة النفسية لمبدعه، لكن مع تحفظ بالغ المدى بالنسبة إلى عملية الربط، فالملاحظ كما نعرف أيضاً ذلك جميعاً

التفسير البنائي

أن غالبية التعامل القائم على (السيرة) أو (التحليل النفسي) ينطلق من وجهة نظر ترى أن الفن أو النشاط الثقافي هو (إعلاء) لغرائز خاصة تتسلل لا شعورياً إلى ثنايا النص، وأن (العصاب) وليس (الاستواء) هو (القدر) الذي يطارد الشخصية، مما يترتب على ذلك، أن يكرس الناقد جهوده في اقتناص ذلك الخيط المتسلل إلى النص ودمغه بالسّمات السلبية بطبيعة الحال.

طبيعياً لا يعني هذا عدم وجود نصوص نقدية تصل بين الحالة السوية لدى المبدع وبين انعكاساتها على نتاجه، أو تصل بين الحالة العادلة لديه وبين الانعكاسات الموضوعية على النص، وهذا يعني أن الناقد الإسلامي يتعين عليه في الحالة الأولى أن يلتزم بالمبادئ الأخلاقية التي تحظر عليه كشف المعائب، وضرورة التستر عليها من زاوية السمات النفسية بطبيعة الحال وليس من زاوية السمات الدلالية والجمالية، حيث يتعين عليه في الحالة الأخيرة أن (يبصر) بالسمات المذكورة ما دام هدف التعامل مع النص هو: كشف خصائصه الإيجابية والتبصير بسمات ذلك حتى يفيد المبدع والمتلقي من ذلك في

تعديل سلوكه العبادي والثقافي.

هنا ينبغي الانتباه على أن حظر الكشف للمعائب النفسية لا يطال النصوص المنحرفة، بل يتعين على الممارس الإسلامي أن يصل بين النص المنحرف وبين الانحراف النفسي لكاتبه. كما ينبغي لفت النظر إلى أن عملية الوصل بين النص ومبدعه (من الزاوية النفسية) تقترن بأكثر من محذور، منها: أن النص من الممكن أن يفصل عن كاتبه، بصفة أن الكتابة عمل مصطنع (في نماذج كثيرة منه) يخضع لتقاليد فنية ومنهجية وعملية لا علاقة له بنفسية الكاتب، فالبكاء على الطلل مثلاً لا يعني أن مبدع النص ينطلق من تجربة نفسية تنعكس على أستهلاله للنص بقدر ما يشكل تقليداً فنياً دأب عليه الشعراء الموروثون. وهذا ما يرتبط بالأضواء النفسية.

لكن: كيف تتجلى البيئة في النص، فيكون النص مرآة ترسم فيها القيم الاجتماعية والظواهر الثقافية والأزمات والوقائع السياسية وغيرها من ظروف وأحوال متغيرة؟

فيما يرتبط بـ (النص البيئة)، فإن السياق كما المحنا هو الذي يحدد مسوغات الوصل

بين النص والبيئة الاجتماعية التي ولد في نطاقها، أو عدم ذلك، يستدعي في ذلك أن يكون التعامل: مع النص المقدس أو النص العادي، ففي نطاق النص القرآني مثلاً، يمكن للممارس بأن يصل بينه وبين البيئة المواكبة له: كالأشارة الى أسباب النزول، أو الإشارة الى الحياة الاجتماعية بعامه، فمثلاً عندما نتحدث عن الصور الفنية التي سبقت الإشارة إليها بالنسبة الى علاقتها بسلوك المنافقين، ونعني بها الآيات البائدة بقوله تعالى (مثلهم كمثل الذي أستوقد.... الخ). من الممكن للممارس أن يصل بينها وبين الحياة السياسية والاقتصادية للمجتمع الإسلامي، وصلة ذلك بالشرائح المناققة والأدوار أو المراكز الاجتماعية التي تحتلها الشرائح المشار إليها، والأمر كذلك بالنسبة إلى رسم الشخصيات أو الحوادث أو المواقف أو البيئات التي يعرض لها القرآن الكريم.

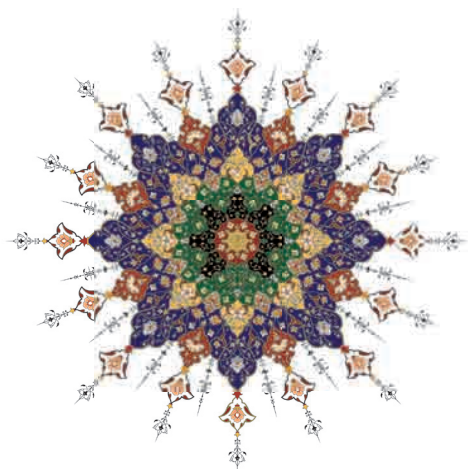
فمع أن النص القرآني يتناول في جزئية معينة من السورة: كالقصة مثلاً شريحة خاصة ينتخبها من حياة الأبطال (نوح، إبراهيم، موسى، سليمان الخ).

لأسباب تتصل ببناء السورة الكريمة،



الالتزام بالمبادئ الأخلاقية أسامياً.
وهذا الحرص على الالتزام المذكور لا
ينحصر في التصور الإسلامي فحسب،
بل أن الممارسين الأرضيين (أي: العلمانيين
المعزلين عن مبادئ السوء) يحرصون على
ذلك من خلال ذهابهم إلى أن السلطة
الخارجية على النص ينبغي أن تتحدد بقدر
الاضاءة التي يتحملها النص، والا تتحول
الممارسة الى بحث اجتماعي أوتاريخي.

حيث يوظفها أي الشريحة المتخبة من حياة
أحدى الشخصيات المشار إليها لأضاءة
الهدف أوالمحور العام للسورة، إلا أن وصل
ذلك بالبيئة الاجتماعية المواكبة للقصة،
تعمق من دون أدنى شك من (تذوقنا)
للنص، وأدراكنا لدلالته التي يستهدف
توصيلها اليها، لكن مع ملاحظة أن الأضاءة
الاجتماعية ينبغي أن تسلط بقدر الحاجة
حتى نتجنب فضول الكلام من زاوية



ظواهر استعمال آيات القرآن الكريم في رسائل القرن السادس الهجري المشرقية

أ. د. محمد عبد الحسين الخطيب
جامعة كربلاء - العراق

وليس أدل على أهمية القرآن الكريم في علوم العربية، من حفاظه على مباني اللغة العربية ومعانيها، وإثراء خيالها الخصب^(٣)، ومن كونه ضمن متطلبات إنشاء الرسائل أو تأليفها، وذلك بإكثار المتدرب الناشيء في حفظ نصوص منه، والأستشهاد بها في الأغراض الأدبية، والفنون البيانية^(٤)، كل

في / ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني.
(٣) - ينظر الحديث عن ذلك - مثلاً - في / أثر القرآن الكريم في اللغة العربية / ١٩، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٤١، ٥٣، ٦٠، ٦٣، ٦٧، ٧٨، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٦، ١١٨، ١٢٤.

(٤) ينظر في أمر حفظ نصوص من القرآن الكريم، والأستشهاد بها - مثلاً - / رأي ضياء الدين بن الأثير في / المثل سائر في أدب الكاتب، والشاعر / ٣٥ / ١، ٦١، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥.

يُعدُّ القرآن الكريم منذ عصر النبوة، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، دستوراً للمجتمعات، تقتبس منه المعارف المتنوعة، والأصول الفقهية^(١)، ومنازاً للأفراد في طريق الحق، والخير، والصالح لهم، ومضرباً للقياس في كل جوانب الحياة، وفلسفة عميقة في الكون والإنسان، وقاعدة عريضة صلبة في توعية الألباب، وتوسيع المدارك، ومنبعاً ساحراً في الهام الأدباء ببدائع الحكم، وسمو المشاعر، وقمة في الهرم البلاغي يستحيل الوصول إليها^(٢)...

(١) ينظر مثلاً بيان اثر القرآن الكريم في تطور النقد الأدبي، في / أثر القرآن الكريم في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري / ٩ / وينظر كذلك الأنموذج في أصول الفقه / ١٠.
(٢) ينظر جانب من إعجاز هذا الكتاب الخالد،

وتعني اصطلاحاً: المخاطبة الكتابية، أوالمحاورة الإنشائية بالخط بين طرفين أوأكثر، في موضوع واحد، أوموضوعات متقاربة^(٧)، كأغراض التهئة، أوالتعزية، أوالمدح أوالذم، أوالوصف، أوالسياسة، أوالحرب، أوغيرها.

وفي القرن السادس الهجري، بلغ الأهتمام بالنثر عموماً، وبالرسائل خصوصاً، شأواً بعيداً، ولا سيما في المشرق العربي الإسلامي، إذ زاحمت الكتابات الشعرَ على منزلته السامقة، بل تغلبت عليه أحياناً، بمقدرة عددٍ من الكتاب المشاركة على تخير الألفاظ، وإبراز المعاني، وسبك الأساليب الإنشائية والخبرية، بما يوائمها من الصور، والأخيلة، والعواطف، وفنون البيان، ومحسنات البديع المتنوعة، ليناسب كلّ اسلوب وغرض، المقام المبتغى، حتى غدت الرسائل الديوانية، والإخوانية، والتأليفية العلمية، قطعاً فنية تزخر بألوان شتى من الوشي التعبيري، وضروب من الجمل المتناسقة في الإيقاع، وفقرات من المعاني الخاصة المتفرعة عن المضامين

(٧) لم يتضح على وجه الدقة، من تعريف التهانوي للرسالة، في كتابه/ كشف اصطلاحات الفنون/ ٣/ ٧٣، ٧٤، ٧٥/ حد جامع، مانع، واضح لها.

ذلك بعد أن خبر العلماء فيه والأدباء، دقة العبارة، وبراعة المجاز، وصواب المضامين، بل لقد أخذهم الأنبهار بالقرآن الكريم أخذاً، وتأملوا فيه بإعجاب، سبكه المعجز، ومعانيه العظيمة، فوجدوا فيه «مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظه ومواقعها، وفي مَضْرِبِ كُلِّ مَثَلٍ، وَمَسَاقِ كُلِّ خَبَرٍ، وصورة كل عظمة، وتنبیه، وإعلام وتذكير، وترهيب وترغيب ومع كل حجة وبرهان، وصفة وتبيان، وَبَهْرُهُمْ أَنَّهُمْ تَأْمَلُوهُ سُورَةً سُورَةً...وآية آية، فلم يجدوا في الجميع لفظة ينومكانها، أَوْيَنْكُرُ شَأْنَهَا، أَوْيُرَى أَنْ غَيْرَهَا أَصْلَحَ هُنَاكَ...بل وجدوا أتساقاً بهر العقول، ونظماً أعجزَ الجمهور...لم يدع في نَفْسٍ بليغ منهم...موضع طمع...»^(٥).

وأما (الرسالة) (لغة)، فمن أشهر معانيها: الإطلاق، والتوجيه، ومن جذرها اللغوي تتركب ألفاظ (الإرسال)، و(الرَّسَل)، و(الرَّسَل)، و(الرسول)، وغيرها من مشتقات الكلمة، وَجَمْعُهَا^(٦).

(٥) اثر القرآن الكريم في اللغة العربية/ ١٢.

(٦)-ينظر القاموس المحيط/ مادة (رسل)/

-٩٢٥



العامة... للدلالة كَلِّهَا، على براعة الأديب المنشئ، وأمتلاكه نصيباً وافراً من معارف أبواب اللغة العربية، وتوجيه المقاصد المفترضة أتى شاء... وهذا ما كان في توظيف الكاتب المشرقي إبان القرن السادس الهجري، نصوصاً من القرآن الكريم، لغايات سياسية، أو اجتماعية، أو أدبية، وفي الصفحات القليلة القادمة، سَتَبَّتْ ظواهر عدة، تمخضت عن إفادة الكتاب المشاركة في ذلك القرن ضمن رسائلهم المتنوعة الأغراض من القرآن الكريم اقتباساً، أو تضميناً، ومن هذه الظواهر المهمة:

أولاً: ظاهرة الدليل:

وهو أن يؤتى في الرسالة بآية قرآنية أو أكثر، بالنص، أو بالمضمون، دليلاً يُبَيِّنُ صحة ما ذهبَ إليه الفقرة السابقة من فكرة، أو ما خلصت إليه من نتائج، سواء كانت تلك النتائج إثباتاً للموضوع، أو نفياً له. مثال ذلك من الرسائل الديوانية (السياسية، الرسمية).

كتاب رشيد الوطواط (ت ٥٧٣ هـ) أحد كتاب الدولة الخوارزمية في تقليد أحد الأعيان، قضاء بلدة، إذ عَزَزَتْ مصداقية وجوب حفظ أموال اليتامى من الغاصبين

الذي تَجِبُ معاقبتهم، بآية قرآنية كريمة، جاءت ضمن سياق قوله: (لَمَّا وَجَدْنَا فُلَانًا أَدَامَ اللَّهُ فَضْلَهُ أَهْلًا لِلصَّنِيعَةِ، ومستحقاً للمنزلة الرفيعة... لَمَّا آتَيْنَا فِيهِ... دلائل النجاة والرُّشد، وتفرَّسْنَا فِيهِ... مخاليل الدراية والزهد، وَتَحَقَّقْنَا مِنْ اشْتَغَالِهِ بِالْعِلْمِ النافع، وإقباله على العمل الرافع...

قَلَدْنَاهُ قَضَاءَ بِلْدَةِ كَذَا، وما يليها من أطرافها ونواحيها... وأمرناه أَنْ يَجْعَلَ الْهَدْيَ شِعَارَهُ، وَالتَّقَى دِتَارَهُ، وَالْوَرَعَ زَادَهُ، وَالْعِفَّةَ عِتَادَهُ، وَأَنْ يَحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ... وَأَنْ يَحْفَظَ أَمْوَالَ يَتَامَى مِنَ الْأَيْدِي الْغَاصِبَةِ، وَالْأَلْفِ النَّاهِبَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [سورة النساء/ الآية ١٠]...^(٨).

ولم يختلف كمال الدين عبد الرحمن بن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ)، عن غيره من النحاة، في البرهنة على صحة آرائه اللغوية والنحوية، بالآيات القرآنية الكريمة، المثبوتة ضمن رسائله التأليفية اللغوية، من مثله قوله: (والشمس مؤنثة، قال الله تعالى:

(٨) مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط / ٧٩/١.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [سورة ياسين/ الآية ٣٨]^(٩).

ثانياً: ظاهرة التأكيد:

التأكيد يُرادُّ به في هذا الموضوع من الدراسة، تكرارُ مضمونِ الفقرة، أو الفقرات السابقة، في الرسالة المشرقية، بآية، أو بآيات قرآنية كريمة، بالنص أو بشبهه، تأتي عقب تلك الفقرات، توكيداً لوجه الشبه بينهما.

ومن الشواهد الأدبية على هذه الظاهرة: نختار ما يأتي من الرسائل الديوانية والإخوانية: نَشَبَ صراعٌ داخلي في مصر والشام، على أحقية تولي مقاليد الحكم، بين الخلفاء الفاطميين، وابناء عمومته من ولدِ نزار، فهاجمَ (ابنُ الصيرفي) (ت ٥٤٢ هـ) وكان يومذاك أحد كتاب الدولة الفاطمية بقلمه، ورسائله، الفرقة الموالية لنزار وأولاده، وَشَبَّهَ خروجَهُم على الخليفة الشرعي (الأمر بأحكام الله ت ٥٢٤ هـ) يومئذ بحال اليهود في كتمان الحق الذي نزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وذلك بآية قرآنية كريمة، وَصَفَتْ موقفَ اليهود، وأكدت وجهَ الشبه في كتمان الحق في رأي ابن الصيرفي الذي عرضها في رسالته (٩) البلغة في الفرق بين المذكر، والمؤنث/ ٦٤.

الديوانية الموسومة (الهداية الأمرية في إبطال الدعوة النزارية)، وقد جاء في هذه الرسالة قوله: (يا معشرَ المؤمنين! أصغوا بأذان واعية إلى ما أوضَّحه لكم في سبيل الله، وتفهموا بقلوب صافية ما أعرضه عليكم من حجج الله... أما تعجبون لطائفة حالها الشيطان، فخالفت القرآن، وكسبت في دين الله عظيمًا، وأباحَت منه معصوماً، فأشبهت اليهود... في كتمان الحق بعد عرفانه، وأجتناب الصدق بعد وضوحه وبيانه) ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة/ الآية ٨٩]، وهؤلاء قومٌ قالوا بإمامة نزار دون دليل واضح هداهم، ولا نصٍّ جليٍّ قادهم إلى ذلك وأداهم...^(١٠).

وكان من إفرازات الحروب في القرن السادس الهجري، أن أرتفعت الأسعار كثيراً في البيئات المشرقية الإسلامية، وحملت الرعية على كاهلها ثقلَ المكوس الكثير، وغير المنصفة، لكن ليفاً من الحكم، حاول

(١٠) النصُّ مُحَقَّقٌ في/ مجموعة الوثائق الفاطمية، وثائق الخلافة، وولاية العهد، والوزارة/ ٢٠٨/١.



التخفيف من وطأة هذا الظرف، بإسقاط مكوس كانت قد فُرِضَتْ على العامة في وقت سابق، ومن هؤلاء الحكام: نور الدين محمود زنكي (ت ٥٦٩ هـ)، الذي أمر بإسقاط الجبايات المجحفة بحق الرعية، في منشور ديواني كتبه (موفق الدين بن القيسراني) (ت ٥٨٨ هـ) أحد كتّاب الدولة الأيوبية وأكد فيه بنص آية قرآنية كريمة، ضعف تحمّل الرعية للأعباء، وذلك في قوله: (قد عَلِمْتُمْ معاشِرَ الرعايا وَفَقَّكُمْ اللهُ ورعاكم ما كان مرتباً من المظالم المجحفة بأحوالكم، والمكوس المستولية على شَطْرِ من أموالكم، والرسوم المطبقة عليكم في أرزاقكم، والمؤن التي تساهمكم في منافع أملاككم، وأستمرار ذلك عليكم، إلى أن فَوَّضَ اللهُ عزَّوَجَلَّ إلينا تدبيرَ أموالكم، وأسترعانا على صغيركم وكبيركم، فأمرنا بإزالة ذلك عنكم... رأفةً ولُطفًا، وتخفيفاً عليكم وعُطفًا، ﴿الآن خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [سورة الأنفال / الآية ٦٦] (١١).

وحتى يُؤكِّدَ (العماد الكاتب) (ت ٥٩٧ هـ)، أَنَّ مَدْحَهُ لدمشق والشام، كان من محله، عَزَزَ رسالته الإخوانية المرسلة

(١١) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب / ٩٥، ٩٤ / ٢.

إلى القاضي (زين الدين بن نجية)، بنص آية قرآنية تفيد المضمون ذاته، وقد ذُكِرَتْ في جواب العماد الآتي: (وردت مكتبة الشيخ الإمام زين الدين... أطال الله بقاءه عرفنا طيب الديار المصرية، ورقة هواها وتزخرف الآئها، وضحك أرضها من بكاء سمائها... إلى مباحج في الحسن لائحة، ومناهج في الحسنى واضحة...

ونحن نسلم المسألة في طيها، وتوفّر نصيبها، ورقة نسيما... ولكن... الشام أفضل... وأن القلوب إليها أميل، وأن الزلال البارد بها أعلّ وأنهل، وأن الهواء في صيفه وشتائه أعدل، وأن الزهر به أشبّ والنبت به أكهل، وأن الجمال أكمل، والكمال فيه أجمل... ودمشق عقيلته... وحديقته الناضرة، وَحَدَقَتْهُ الناضرة، هي عين إنسانه، بل إنسان عينه، وصيرفي نقوده في عين نضاره ولجينه... شادياتها على الأعواد تُطري وتُطرب، وساجعاتها بالأوزان تُعجّم وتُعرب... كم من سواق جاريات، وجوار ساقيات... أقسم الله تعالى بدمشق في قوله: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [سورة التين / الآية ١] (١٢).

(١٢) رسائل للعماد والقاضي الفاضل، بمدح دمشق / ٦٨، ٦٩، ٧٠.



ثالثاً: ظاهرة المعنى الخاص التام:

وهو أن تعبر الآية القرآنية الكريمة، عن معنى خاص جديد، غير مرتبط بالمعنى الخاص للفقرة السابقة، إلا في وحدة موضوع الرسالة، أي: في المعنى المشتمل الرابط للتفصيلات الجزئية في المكاتب... ومن الأمثلة النثرية في هذا الضرب من التأثر بالنص المقدس في الرسائل، ما يأتي:

أفادت آية قرآنية كريمة، وجوب صون أمانة الموائيق، والنهي عن نقضها، وقد دُوِّنَت الآية في تقليدٍ للوزارة التفويضية مُرْسَلٍ من الخليفة العاضد لدين الله الفاطمي (ت ٥٦٧هـ) إلى أسد الدين شيركوه، جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله، ووليّه، عبد الله أبي محمد العاضد لدين الله، أمير المؤمنين، إلى السيد الأجل، والملك المنصور، سلطان الجيوش، ولي الائمة، مجير الأمة، أسد الدين... سلام عليكم، فإنه يحمد إليك الله، الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي على محمد خاتم النبيّن، وسيد المرسلين صلى الله عليه وعلى

..... ظواهر استعمال آيات القرآن الكريم

آله الطاهرين، والأئمة المهديين وسلّم تسليمًا كثيراً... هذا عهدٌ لم يُعهد بوزير مثله، فتقلّد أمانة رآك أمير المؤمنين أهلاً لحملها. فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة... ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [سورة النحل / الآية ٩١]... (١٣).

ونقل لنا الوطواط (ت ٥٧٣ هـ)، في رسالة ديوانية حربية بعثها عن ملك خوارزم، إلى الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله، آيتين من القرآن الكريم، الأولى، تصوّر شدة الاشتباك والألتحام، والثانية تجسّد الفرع المصحوب بالحذر والغضب، وكل آية لها معنى خاص في النص، لا يماثل معنى الفقرة التي تسبقها إلا في الفكرة العامة، والنص في قوله: (فَلَمَّا خَفَّتِ الْخَوَافِقُ، وَبَرَقَتِ الْبَوَارِقُ... وَأَشْتَدَّ الْهَيَاجُ، وَأَمْتَدَّ الْعَجَاجُ، وَأَشْتَعَلَ الضُّرَامُ، وَتَطَايَرَتِ السَّهَامُ، وَتَكَثَّرَتِ الْجَرَاحُ، وَتَكَسَّرَتِ الرِّمَاحُ... وَحَمَى الْوَطِيسُ، وَدَمَى الْمَرْوُوسُ وَالرَّئِيسُ) ﴿وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ [سورة القيامة / الآية ٢٩]، وتلاعبت الأسياف

(١٣) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب / ١٦٥، ١٦٤/١.

بالأعناق، وخَضَبَتِ الدماء الخناجر
﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [سورة
الأحزاب / الآية ١٠] (١٤).

وَبَعَثَ القاضي الفاضل (ت ٥٩٦هـ)
رسالة إخوانية إلى صديق، أخبره فيها عن
هبوب رياح هوجاء، عصفت بمديتهم،
وقد أظلمت فيها السماء، وأبرقت، وخاف
الناس بسببها من عذاب وشيك، فلاذوا
بالجوامع، يستغفرون الله، ويصلُّون،
ويرجون النجاة، وقد أَسْتَعَانَ الكاتب في
وَصَفِ بعض ما حَصَلَ، بآية قرآنية جاءت
ضمن قوله: "في ليلة الجمعة التاسع من
جمادى الآخرة، أتى عارض فيه ظلماتٌ
متكاثفة، وبروقٌ خاطفة، ورياح عاصفة،
فقويَّ الجُوءِ بها، وأشدَّ هبُوبها، فرجفت لها
الجدران وأصطفقت، وتلاقَت على بُعدها
وأعتنقت، وثارَت السماء والأرض عجاجاً
حتى قيل: (إن هذه على هذه قد أَنْطَبَقَتْ)
فكُنَّا كما قال الله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ
فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ [سورة البقرة/
الآية ١٩]، ويردون أيديهم على أعينهم من

(١٤) مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط/
١١/١.

البوارق، لا عاصِمَ لِحُطْفِ الأبصار، ولا
ملجأ من الخطب إلا معاقل الأستغفار،
وفرَّ الناس... فأعصموا بالمساجد الجامعة،
وأذعنوا للنزلة بأعناق خاضعة... ينظرون
من طَرَفٍ خفيٍّ، ويتوقعون أي خطبٍ
جليٍّ... والحمدُ لله الذي مِن فضله قد جعلنا
نُخْبِرُ عنها ولا يُخْبِرُ عَنَّا..." (١٥).

رابعاً: ظاهرة تتممة المعنى الخاص:

وهو أن تدمج الآية القرآنية الكريمة
مع ألفاظٍ سَبَقَتْها، ليكملاً معاً: (الآية مع
الألفاظ الأخر المتقدمة)، فكرة واحدة،
بفقرة عبارة واحدة، والشواهد من الرسائل
الفنية على هذا الأسلوب كثيرة، ومنها:

وصف القاضي الفاضل (ت ٥٩٦ هـ)
في رسالة أدبية رسمية، جيران المسلمين من
الإفرنج، بالإجرام، والجهل، والغرور، وقد
تَمَّ التعبير عن هذه الخصال السيئة المذكورة
بحد ذاتها في آيتين قرآنتين منفصلتين، برع
الفاضل في دمج بعض الفاظ كل آية، من
ألفاظ آخر، ليكون موضع الشاهد في رسالة
القاضي الفاضل ما نصُّه: (ولنا من الجيران

(١٥) البداية والنهاية / ١٣ / ١٥، ١٦.

خامساً: ظاهرة التفسير:

وهي أن يكون النص القرآني نفسه، خاضعاً للتفسير^(٢٠)، وللتأويل الديني^(٢١)، وأحكامه الشرعية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية، وما قد يواكب التفسير والتأويل، من تبيان لمترادفات، ابنية، أو دلالات، أو أضداد، أو مشكل، أو غريب، أو نحو، أو لغة، أو جرس، أو دفق عاطفي، أو أساليب إملاء، أو أماكن نزول، أو أسباب نزول، بمعنى آخر، أن تكون الآية المقدسة، موضوع الرسالة، أو جزءاً مهماً منه.

(٢٠) وضع المفسرون فروقاً بين التفسير والتأويل، فرأت طائفة منهم، أن التفسير يختص بالألفاظ، وأن التأويل يخص المعاني والجمال، ورأت طائفة ثانية، أن التفسير للرواية، وأن التأويل للدراية، أو للبيان، أو للكشف، أو للإيضاح، في حين اتفق جمع من المفسرين، على أن التفسير مرادف للتأويل، تدل على هذا الترادف أدلة كثيرة منها: عنوانات بعض كتب التفسير، كتفسير (الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجه التأويل) ينظر علوم التفسير / ١٤.

(٢١) للاستزادة عند متابعة موضوعات التفسير القرآني، وللتفريق بين مصطلحي التفسير والتأويل، تراجع المصادر، والمراجع، الآتية،/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن / والكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجه التأويل / و التفسير الكبير / و منهاج المفسرين -.

مَنْ يَجُورُ، وَيُظَنُّ أَنَّهُ إِلَى اللَّهِ لَنْ يَجُورَ...
وتصدر عنه كل عزيمة ويجهل أن الله عليهم
بذات الصدور^(١٦)، ويظنُّ أَنَّهُ يَرِثُ الْأَرْضَ
وينسى ما كَتَبَ اللَّهُ فِي الزُّبُورِ^(١٧)...^(١٨).

وأكثر الشيخ عبد القادر الكيلاني (ت ٥٦١هـ) في رسائله الفقهية الصوفية، من آيات الوعد والوعيد القرآني، بالنص تارة، وبشبه النص تارة أخرى، لتصب هذه الآيات مع مفردات جاورتها في ملتقى يعجُّ بالمقاصد الجديدة، وهو مطلب الشيخ الكيلاني عند الوعظ والإرشاد، من نحو قوله:- خَفَ مِنْ يَوْمٍ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [٢٨- سورة عبس / الآيات ٣٤-٣٦]، ويفكر في محاسب ﴿وإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [سورة البقرة / الآية ٢٨٤]، ولا تشتغل بحفظ ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ [سورة الأعراف / الآية ١٧٩]...^(١٩).

(١٦) الآية: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ / سورة غافر / الآية ١٩ -
(١٧) الآية هي: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ / سورة الأنبياء / الآية ١٠٥.

(١٨) أنوار الربيع في أنواع البديع / ٢١٢.

(١٩) الفتح المبين فيما يتعلق بترياق المحيّن.



ومن الرسائل الدالة على هذه الظاهرة:
رسالة لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)
مُرْسَلَةٌ إِلَى سَنَجَرِ السَّلْجُوقِي، وَقَدْ جَابَهُ فِيهَا
بَعْضُ الْمَدَّعِينَ عَلَيْهِ: (كَيْفَ يَسْتَحَقُّ الْجَوَابَ
أَعْتَاضُ الَّذِينَ لَمْ يَخُوضُوا فِي عِلْمٍ أَبَدًا؟!!
وقصة موسى والخضر عليهما السلام في
القرآن^(٢٢)، تنبيه على هذه الدقيقة؟! فَإِنَّهُ
لَوْ خَرَقَ السَّفِينَةَ أَحَدٌ مِنَ الْعَوَامِ لَأَسْتَوْجَبَ
الْأَعْتَاضُ، وَأَمَّا إِذَا خَرَقَهَا الْعَالَمُ الْكَامِلُ،
فَلَا يُمْكِنُ الْأَعْتَاضُ عَلَيْهِ^(٢٣).

ونقل لنا (رشيد الدين الوطواط)
(ت ٥٧٣هـ) في رسالة علمية لغوية، بعثها
إلى فقيه لغوي يعرفه، جانباً من مناقشاته
مع الزمخشري، في عدد من المسائل اللغوية،
والنحوية، والأدبية، ضمن محاورات،
ومكاتبات، جرت بينهما، منها: مكاتبة
جرى فيها تعليق الوطواط على أقوال
الزمخشري في وجه نصب (شهر رمضان)،

(٢٢) قَصَدَ قَوْلُهُ-تَعَالَى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا
فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا
لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا، قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ
تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ سورة الكهف/ الآيتان
٧١-٧٢.

(٢٣) فضائل الأنام من رسائل حجة الإسلام/
٤٨.

من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ
عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ
كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ
أُخَرٍ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ
فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا
خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، شَهْرُ رَمَضَانَ
الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ
مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [سورة البقرة/
الآيات ١٨٣-١٨٥].

قال الوطواط في تعليقه النحوي:
(قوله: (شهر رمضان) بالنصب على
تقدير (صوموا)، أوعلى الإبدال من
(أياماً معدودات)، أوعلى أنه مفعول
(أن تصوموا)...)، أقول: قولاه الأولان
صحيحان، لا مطعن فيهما، وأما الثالث،
فموضع بحث، إذ لا يجوز مثله البتة، لأنه
لو كان كما زعم، لكان (شهر رمضان)، تنمة
لـ(أن تصوموا)، ولكان مجموعها في حكم
مبتدأ واحد، وصار تقديره: صوم رمضان
خير لكم...) (٢٤).

ويمكن تلخيص ما خرجت به هذه
(٢٤) رسائل البلغاء/ ٣٨٠، ٣٨١.

الصفحات القليلة بالآتي:

الكريم في الرسائل الديوانية السياسية المتطلعة إلى الدليل، أو التأكيد، أو زرع معنى جديد ينتفع به قارئ النص، ويكثر الاستشهاد كذلك في الرسائل الصوفية، والشرعية، المحتاجة إلى التفسير، وتوضيح الأغراب، بل قد يحصل الاستشهاد فيها بأكثر من آية في الرسالة الواحدة وكذا الأمر في الرسائل النحوية، واللغوية، في حين يضعف داعي الاستشهاد بالنصوص المقدسة في الرسائل الإخوانية ذات الصفات الوجدانية، كالغزل، والشوق، وفي الرسائل الفلسفية، والطبيعية، البعيدة في موضوعاتها عن حيز التشريع الإسلامي.

ث- كثيراً ما يعبر النص القرآني الكريم، عن أكثر من ظاهرة في الرسالة، وإن كان يُعرف من سياق المكاتب، ترجيح تطبيق النص القرآني الكريم، لظاهرة بعينها، لكن هذا لا يمنع أن تكون للنصوص الشريفة، إيجاءات، أو آثار، أو جوانب، أو ظواهر، أو معان أخرى في الرسالة، كأن يؤكد النص القرآني وجه الشبه في الفقرة السابقة، مثلما يُثبت صحة

أ- قد يكون في أحيان عدة، الاستشهاد الواسع بالآيات من القرآن الكريم، في الرسائل الديوانية والإخوانية، على وجه الخصوص، ضرباً من ضروب الصنعة^(٢٥) السائدة عند المشاركة في القرن السادس الهجري، ولكن من المؤكد، أن ذلك الاستشهاد، ما حصل إلا لغايات، أما تعليمية تهتم الناشئة، أو توضيحية تخص المعنى^(٢٦)، أو شخصية تتعلق بإثبات الكفاءة الأدبية، أو لكل هذه الدوافع وغيرها متضافرة.

ب- لقد أثبت أقتباس الكتاب الوارد ذكرهم في البحث لآيات من القرآن الكريم في الرسائل، وحسن استخدامهم لها في السياق، أنهم أي الكتاب قد تسلحوا بعقلية منهجية، وبيان قوي، ورأي حسن، وبصيرة نافذة، وحجة دامغة.

ت- يكثر الاستشهاد بآيات من القرآن

(٢٥)- يُنظر حديث الدكتور زكي مبارك عن الصور الفنية في نشر الكتب، في / النشر الفني في القرن الرابع الهجري / ٦/١ ...

(٢٦) يُنظر -على سبيل المثال لا الحصر- بناء النص -التراثي/ دراسات في الأدب والتراجم / ٨، ١٢، ٢١، ٢٢.



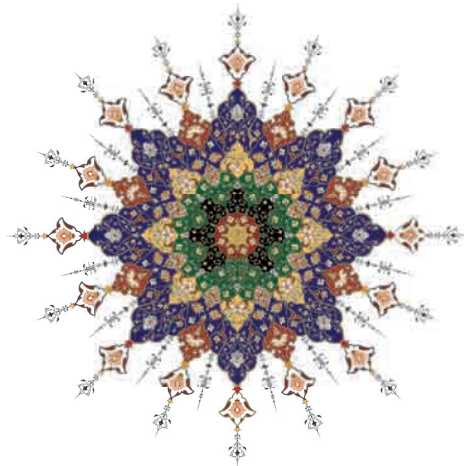
خط الدولة الأيوبية، ووقفنا على مذهب عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي.

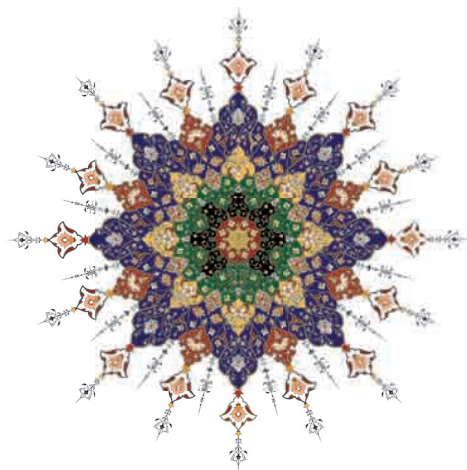
ح- في ذلك العصر، كان القاضي الفاضل كاتباً متفوقاً في استعمال آيات من الذكر الحكيم في رسائله الديوانية والإخوانية، غير أنه لم يكن مخترع هذا الفن، ولا المتفرد الأول فيه مثلما يعتقد ذلك الدكتور عبد اللطيف حمزة^(٢٧) بل سبق القاضي الفاضل، أدباء من القرآن الرابع الهجري، لا يبخل حقهم في هذا الميدان، من أمثال (أبي الفضل بن العميد) (ت ٣٦٠هـ)، و(كافي الكفاة؛ صاحب بن عباد) (ت ٣٨٥هـ)^(٢٨).

(٢٧) ينظر: أدب الحروب الصليبية/ ١٨٥.
(٢٨) تُنظر- على سبيل المثل لا الحصر- رسائل صاحب بن عباد.

فحواها، ويكشف أيضاً عن غامضها.
ج- يلاحظ إن أغلب الاستشهادات بآيات من القرآن الحكيم في الرسائل، كانت تكتب نصّاً بالفاظها، ومردّد ذلك، المحافظة وبما يتيسر على اعجازها اللغوي، والبلاغي، والشرعي، وكذلك تعليم المنشئين الأسلوب الأمثل لتوظيف آيات القرآن في نصوص الرسائل المختلفة.

ومن الممكن الظفر بعقيدة الكاتب الدينية، أو توجهه السياسي، أو معتقده الفقهي، من خلال دراسة تحليلية للآيات الواردة في الرسائل الشرعية، والسياسية، من قبيل معرفتنا بعقيدة (ابن الصيرفي) الفاطمية، والتزام (القاضي الفاضل)، و(العماد الكاتب)





مفاهيم ونظريات قرآنية نظرية التكليف في التصور القرآني قراءة في قصدية النص

أ. د. عبد الأمير كاظم زاهد
جامعة كربلاء - العراق

العقائدي والفلسفي للتكليف ثم انه تبارك وتعالى أعطى للإنسان دورا أساسيا في بناء الحياة وعمارة الأرض بان استخلفه في الأرض، وجعله المتصرف في معطياتها على لائحة الأهداف الإلهية فقد قال ﷺ: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [سورة هود/ ١١]

قال المفسرون:

أي أمركم بعمارته، لان الإلف المزيده والسين والتاء (صيغته تدل على الطلب)^(١). وذكر في كتابه الكريم: ﴿لَيْسَتْ خَلْفَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [سورة النور / ٢٤]

(١)- الطبرسي: مجمع البيان.

قدم التصور الفلسفي القرآني مشروعا حضاريا للإنسانيه كان ابرز ما فيه قضية التكليف، التي اعتبرت الإنسان قوة هائلة ومحركة للمعطيات الكونية، وطاقه قادرة على صنع التقدم والسعادة للنوع فلم تتركه بلا منظومة واجبات، وحزمه حقوق... وقيم ضامنة أن أساس نظرية التكليف هي (فلسفة الاستخلاف الاسلاميه) التي يعد التوحيد الركن الأول فيها بما يتضمنه من توحيد للإلهية والخالقية والربوبية وقد دلت على ذلك آيات كريمات تجاوزت المئات توحد مضمونها في (أن الله ملك السموات والأرض) وان (بيده مقاليد كل شيء)، فالوحدانية هي المنطلق، والمحور

مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً... ﴿ [سورة لقمان / ٢٠].

ثم قال ﷺ: ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾.

فلم تكن الانابة الربانية للإنسان أنابه على (ما لا يطيقه)، إنما على الكون الذي طوعه الله تعالى لخدمة أغراضه وأهدافه فكانت معادلة التقدم في الأرض كما تفهم من آيات الكتاب المجيد مكونه من العناصر الاتيه:

١. التكليف الرباني للإنسان بالنص المنزل.

٢. القوة العاقلة والقوة الجسدية للإنسان + الموارد الطبيعية للكون، والوقت المتاح ووجوب العمل.

٣. وضع المثوبة والجزاءات الحسنة على الفعل الحسن ونظام المسؤولية.

وبالجمع بين هذه العناصر وجد الإنسان نفسه كائناً عاقلاً مريداً يفكر ويعمل ولم يجد نفسه كائناً عبثياً انما وجد محملاً بأعباء رسالة إنسانية عالمية ذات افاق زمنية ممتدة الى قيام الساعة اي انتهاء الزمن المخصص للتكليف.

وقال في كتابه المجيد: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الأنعام / ١٦٥]

وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة يونس / ١٠].

وقال في سورة فاطر: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ [سورة فاطر / ٣٩].

والمستفاد من هذا الجمع المقدس من كلام الباري تعالى انه منح الإنسان تخويلاً بالافادة من معطيات الطاقات البشرية والموارد الطبيعية الكونية، وأمره بإقامة حياة كريمة للإنسان، بعد أن خلق له الكون كله مسخراً لخدمته فجاءت أيضاً آيات التسخير لتفصح عن تلك النعم الجليلة التي تشجع الإنسان على الأقدام لاستثمار طواعيتها وإمكان الإفادة منها، فقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ..﴾ [سورة الحج / ٦٥] وقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ



بعد ذلك يلحظ المتتبع ان هذا التكليف لم يرد في القرآن الكريم تكليفاً اجبارياً قهرياً تحكمه قوانين سالبة للأرادة والاختيار انما يعد التكليف صحيحاً متى نتج عن تأمل حر واختيار محض.

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقر / ٢٢٠].

وقال تعالى: ﴿بَايَةَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة الأنعام / ٣٥].

وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظاً﴾ [سورة الأنعام / ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً﴾ [سورة يونس / ٩٩].

ما يستفاد من هذه النصوص المجيدة ان الإيمان على سموه وعلو مرتبته - حينما يفرض بالقسر يكون مدعاة للعت، وان الله تعالى لم يعنت الإنسان حتى بقصد حمله على الايمان، انما اراده ايماناً حراً برهانياً ليكون الأساس الفلسفي للتكليف قائماً

على مركب الحرية و(العقلانية والاختيار).
فالحرية: التعامل مع كل البدائل والخيارات.

والعقلانية: استقرار العقل على الأيمان من خلال البرهان.

والاختيار تبني الموضوع بعيداً عن كل ما يمت بصلة إلى القسر والإكراه والإجبار، المباشر وغير المباشر.

ويعتقد الشيعة الأمامية - لاسيما الشيخ الطوسي رحمته إن الله تعالى عامل الناس باللطف فأرسل لهم إضافة على ما تقتضيه عقولهم من الإيثار وفطرة خلقهم من الاعتقاد بالتوحيد أنبياء ورسول فكانوا حججاً ظاهره وبينما العقل والفطرة حجج باطنه^(٢)، ولعل ذلك مستسقى من روايات الأئمة عليهم السلام كما نقلها الكليني^(٣) فلقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة آل عمران / ١٦٤].

فبالعقل والفطرة ولطف الله بإرسال الأنبياء مزودين بالمعجزات والأدلة الجلية

(٢) محمد رضا المظفر، آراء صريحة، رسالة غير مشورة.

(٣) الكليني: الكافي (الاصول) كتاب البعثة. ج ١ - ص ١١٨.

انه ناتج عن ادراك عميق للمهمة، التي يجب على الإنسان إن يؤديها، ليكون شاهداً على الناس (ليضاف إلى عموم التصور القرآني مفهوم الشهود المركب)، فلقد ربطت هذه الرسالة المهمة الربانية بالشهود المركب على مرحلتين الأولى شهادة الرسول على الأمة، والثانية شهادة الأمة المسلمة على أمم الأرض الأخرى.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة البقرة/ ١٤٣]، فالمسلمون ليسوا أمة مشهودة فقط إنما أمة شاهدة من جهة وظيفتها التاريخية، ومشهودة من جهة إتباعها التكليف الرباني التبليغي بوصفها الممثل الأول للتكليف والمكلفة بحمل الرسالة إلى الناس كافة.

ويلاحظ إن بعض آيات القرآن الكريم جعلت وظيفة الأمة كلها البلاغ فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة آل عمران/ ١١٠].

بينما قال في أخرى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة آل عمران/ ١٠٤] ففي الأولى عبر عن (الأمة) كلها بوصفها مكلفة تكليفاً

على صدقهم، وبإكمال الدين وإتمام النعمة وذلك باستمرار السفارة الإلهية بعد النبي الخاتم ﷺ بالأئمة الطاهرين المعصومين الذين يشكلون (الحجج الباهرة) على أرجحية الايمان بالاسلام على القناعات فقد دعمت إرادة الله البالغة بتكليف الإنسان بالمهام الإلهية التي سماها القرآن (الأمانة الكبرى) التي عرضت على الجبال فأبينها وحملها الإنسان.

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [سورة الأحزاب/ ٧٢].

ان (قبول الأمانة) يعني تحمل مسؤوليتها، وهو مفهوم اختياري عقلائي قصدي يخرج هذا التحمل من كل الأشكال التي تتحقق بدون القناعة الذاتية، الكاملة، فلم يكن الإيمان وليد تناقض طبقي، أو من صنع المستغلين.

كذلك ليس ناتجاً عن المخاوف من الطبيعة أو الشعور بالرعب من الكوارث^(٤).

(٤) محمد باقر الصدر: الفتاوى الواضحة (ص ٢٠) مقدمة الرسالة والرسول ﷺ.

عاما كلها تامر بالمعروف، بينما اسند الى طائفة من هذه الأمة الكبيرة، تكليفاً خاصاً وهو الدعوة الى الخير بممارسة الثقيف على رسالة التكليف بمعناه الانساني كما هو منطوق الآية الثانية.

ان الإنسان المسلم- في المدخل القرآني- للتكليف تحكمه حزمتان من السنن الكونية. **الأولى:** السنن المنظمة للوجود كله فهو كبقية المخلوقات.

والثانية: سنن خاصة له بوصفه قد منح حق الاختيار وتعيين الهدف من وجود الذي سيكون الباعث له على رسم الخطط وتنفيذها والتقييم والمراجعة وإعادة النظر والتعديل وممارسة الاجتهاد الدائم من اجل الحياة الأرقى، لذلك جعل التكليف بناءً فوقياً على الترابط الجدلي بين مواقفه العملية والأهداف التي خطها لنفسه وهذا هو القانون الذي سينظم ظاهرة الاختيار^(٥).

أما أهدافه: فتحددها **(مصلحة)** الإنسان النوع، فأهداف التكليف ليست طبقاً **(لمصلحة جماعة ما)**، إنما المصالح العليا لنوع الإنسان ودوره في الحياة، وكرامته

(٥) محمد باقر الصدر: مقدمة الفتاوى الواضحة ص ٢١.

وتكريمه، وبناء السلام الطوعي بين البشر، والتقدم من خلال مدخل العبادة لله الذي لا يعني إلا تحرير الإنسان من عبادة القوى المخلوقة إلى عبادة القوة الخالقة الوحيدة المطلقة، فحركة التكليف ستكون للقيمة الايجابية التي يشتمل عليها الهدف، إما معطيات تلك القيمة فإنها تعود على عموم الناس بصوره تلقائية.

إن التكليف- يخلق الظروف الموضوعية لضمان حركة الإنسان على وفق مصالح الإنسان النوع، في التأكيد القرآني المتكرر بقصديه عاليه وواضحة على مفهوم العمل الصالح الذي غالباً ما نجده قد اقترن في الآيات الكريمة بالإيمان.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [سورة النحل / ٩٧].

وارتبط مفهوم العمل الصالح بأنموذج ما بعد التوبة، فصار شرطاً لقبولها، بل المصدق لحصولها التحول إلى فضاء العمل الصالح.

قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [سورة طه / ٨٢].

إن عشرات بل مئات التكرارات



صوره وانتهى من اقامة البرهان، وتوافق مع الفطرة. فعندئذ نودي بأداء المهمة. وتحمل الامانه، والتشرف بالاستجابة للتكليف ولنلاحظ ان ظروف ارسال النبي محمد ﷺ كانت في اشد بقاع الارض تخلفا، فلم تعرف جزيرة العرب شيئا من حضارات عصره، ولم تمارس تجربته حضارية.

لقد كانت غارقة في الشرك والوثنية، تحكمها قيم بدائية وتعيش على الصراع الذي يفتقد الى قضية حقيقه^(٧)، وتاكل من غزوها لبعضها لقد ارسل محمد ﷺ الى مجتمع لم يعرف الدولة، ولا الحقوق، اما القوى المنتجة فيه فقد كانت متجهة الى الحروب الداخلية، ومعروف ان تلك البقاع لم تتعامل مع الحرف ولم تعرف الكتابة ولا الفلسفة ولا النزعة الى الافادة من تجارب الغير واطن انما ارسل الدين الخاتم لمثل هذا المجتمع حتى تكون نظريه التكليف تشرع اول مرة في اصعب الظروف، لتحول ذلك المجتمع وبذلك المواصفات الى مجتمع رسالي يحمل للعالم اطروحة القيم الناهضة ويشر بالعدل والسلام ويحقق التقدم والرقى في اقل من

(٧) محمد باقر الصدر: مقدمة الفتاوى الواضحة ص ٢٢.

القرآنية المؤكدة على ضرورة اعتماد المسلم على قيم العمل الصالح وتبنيه لها، فقد جعل الله العمل الصالح مقدمة لقبول المغفرة وأساسا للتوبة، ومعياراً للمؤمن الأفضل، وقريناً غير منفك للإيمان بالله وباليوم الآخر، والعمل الصالح هو القانون الطبيعي للحضارة، فلا حضارة في طول التاريخ ألا من خلال ثقافة العمل الصالح، ثم سلوكيات العمل الصالح.

التجسيد النبوي للتصور القرآني

يظهر للمتابع أن سيرة النبي المصطفى ﷺ تتطابق تماما بوصفها التجسيد العملي للنظرية القرآنية للتكليف..

فالنبي الأكرم أولا قد بدأ رحلة الإيمان بالتفكر والتأمل الحر بالوجود، ونزع نفسه من كل مؤثرات عصره، فتفرد عن عينه في مقدمات البرهنة للإجابة على سؤال الوجود والموجود والغاية والنهاية، ثم ارتقى لكي يجد في ذاته نزعة الاستجابة للتكليف^(٦) وتبني قيم العمل الصالح فلما جاءه الناموس وجده قد وصل الى الاختيار الحر بتعمق

(٦) ظ بحار الأنوار: ج ٨١ ص ١٢، ابن هشام السيرة النبوية ج ١/ ص ٩١.



ربع قرن وفي ذلك حكمه ربانية جوهرها.

(ان نجاح المسلمين في الظروف الاكثر تعقيدا فأنهم سيكونون اكثر نجاحا في مجتمعات المعرفة والتحضر).

ان انتقال المجتمع العربي من نظام القبيلة الى مجتمع يحمل رسالة.

(وحدة بني البشر كافة)، يحتاج الى تصور ذهني فاعل وناقل للانسان عبر حلقات في غاية التعقيد ان انتقال ابن البيئة التي مارست التمييز على اساس الجنس، او العرق او النسب او الوضع الاجتماعي الى وضع يرفع فيه شعار.

(الناس سواسية كاسنان المشط) ويجعل من ذلك قاعدة دستورية يسري مقتضاها في القضاء والادارة والتشريعات واللوائح والنظم امر عجيب، واعجب منه حين ينتقل، من الممارسة الغاشمة للقوة على الضعفاء والفقراء والمستضعفين الى وضع يحمل فيه لواء تحرير العالم وانقاذ المظلومين من الاستبداد.

ان قداسه تلك المهمة، تكشف لك ان: قيم التكليف قد حولته من الانموذج المحبط الى انموذج اخر، وعلمته ان يكون

ذلك الإنسان الذي يخلق التحولات الاجتماعية الكبرى طالما يكدح الإنسان لأجلها في أجيال متعددة، يقدم التضحيات لأجل أن يحقق بعضها، فلقد حققها كاملة وأشاع تجربة حضارية لاتزال حية

وساعد القرآن الكريم على بلورة نظرية التكليف في جانب الوضوح في بيان أركانها وأجزائها وشروطها ومعطياتها، ودعمها بتوجهات ذهنية مساعدة لها ومنها القصص القرآني فقد كانت مهمتها الكشف عن عناصر القوة في الأمم الناهضة وأسباب النهضة، وعوامل تطورها؛ كذلك الأمم العاجزة عن أحداث النهوض وعوامل ذلك.

ان استقراء القصص يوصلك الى انها تركز على:

١. ان الفكر الملائم للفطرة الانسانية؛ هو الفكر الموهل لقيام الحضارات.
٢. وان العقل المستنير دائما قرين النص؛ واساس الاجتهاد.
٣. وان الرؤية الدينية السليمة هي الوسطية المعتدلة البعيدة عن الغلو والاكراه.

ومن العناصر المؤازرة للتكليف ايضا





● مفاهيم ونظريات قرآنية: نظرية التكليف

على كثير من الدارسين مثل الباحث المصري نصر حامد ابوزيد، فقد اوضحها الامام الشهيد الصدر^(١) موضحا اللبس الذي وقع فيه الدارسون: ان الرسالة كمحتوى حقيقية ربانية فوق الشروط والظروف المادية لكنها بعد ان تحولت الى حركة والى عمل متواصل في سبيل التغير يصبح (امكان ربطها بظروفها وما تكتنفها من ملابسات وأحاسيس)، فلا مجال للاستفادة من التطبيق الاول للنص على الواقع الزمني ان يتحول النص ذاته الى (فعل تاريخي) كما لا مجال للفصل التعسفي بين النص وبين تطبيقاته المتعددة والتي يحكمها جوهر واحد.

إن المحتوى العقائدي في المضمون القرآني يحدد الإجابة عن الأسئلة الأزلية عن الوجود، الزمن، والنهاية، والمسؤولية، وهي مقدمات التكليف ويهيئ العقل المتلقي للنص القرآني أن ينتهي من مقدمات البرهان على ممارسة (الدور الرسالي العالمي، والتاريخي)^(٩).

أما المحتوى التشريعي فهو الذي يحدد

الزول (ص ٧٢).

(٩) للتفاصيل د. عبد الأمير زاهد: مقدمات منهجية - في تفسير النص القرآني / ١١٠.

ذلك السحر البياني في هذا النص الذي يلهب المشاعر ويعمق الشعور باهمية (المخاطب) فوجود الظروف والمؤثرات لاستحداث تيار يتعمق فكريا وروحيا فتنضج في داخلهم قيادات كفوءة تمارس مهمات التكليف الحضاري العبادي ممارسة متميزة، صحيح: ان محمد^(ص) لم يكن جزءاً من وعي (جيل النزول) انما هو (لطف) منحه الله للبشر لكنه^(ص) كان المؤسس لتيار ايجابي، لبناء حضارة الكون والحياة، حضارة هدفها الانسان الذي تتعمق في داخله وتتجذر ارادة التغير الايجابي، وتتوقد مسؤوليته عن احداث ذلك التغير لصالح الانسان.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الشورى / ٥٢] ان هذه الاية تعبر عن جدلية في نظرية التكليف هي:

(جدلية الافكار المطلقة والامثال ضمن

ظروف زمانية)^(٨) الذي استعصى فهمهما

(٨) ظ- نصر حامد أبو زيد مفهوم النص ظ- سبب

المتاح والممكن والممنوع من سلوكيات العمل التغيري، أفعاليات التحولات الحضارية اجتماعياً واقتصادياً ليمارس جزئيات التكليف على بيئة من أمره.

أما المحتوى ألقيمي: فهو الضامن لكي ينحاز العقل الإسلامي دائماً للجانب ألقيمي، لاسيما إذا اصطدم بالمصالح (الذاتية) أو (الفئوية) فالتكليف يحول الانتماء إلى عقيدة مامن انتماء رسمي، إلى تفاعل شمولي مع محتوى الرسالة وأهدافها يقول الإمام الشهيد السيد الصدر رحمته الله: (إن هذه الرسالة بنزولها إلى مرحلة التطبيق دخلت التاريخ وساهمت في صنعه إن هذه الرسالة لم يقتصر أثرها على بناء هذه الأمة بل امتد من خلالها ليكون قوة مؤثرة وفاعلة في العالم كله على مسار التاريخ، ولا يزال المنصفون يعترفون بأن الدفعة الحضارية للإسلام هي التي حركت شعوب الأرض كافة نحو بناء حضارة راقية للإنسان المعاصر)^(١٠).

في نهاية المطاف أريد أن أسجل أن حضارات العالم المعاصر وتوجهاته يمكن

تقسيمها إلى حضارات رسالية وأخرى ذاتية منكفئة على ذاتها والمعياري في ذلك مدى شعور إتباع التجربة الحضارية بمسؤوليتهم عن حقوق الإنسان الطبيعي والمدنيه والسياسيه والعقائديه في العالم وضرورة تحرير الإنسان من الاستبداد والاستغلال والمشاركة الصادقة في تنمية الشعوب الأخرى، ونزع السلاح وإيقاف النزاعات، وتسخير التكنولوجيا لصالح الإنسان، والمسؤولية المشتركة في الحفاظ على البيئة في عموم الأرض.

إن أمريكا والغرب: على تفاوت بينهما يزعمان أنهما يسعيان إلى نشر الأنموذج الأخير للإنسان في بناء حياة كريمه، وتقدم انساني، وسيطره على الطبيعة لصالح الانسان على وفق نهاية اطروحة التاريخ (فوكوياما) ويشران بالديمقراطية والليبرالية بوصفهما علاج شرور السلطة المتأصل^(١١) لكن ذلك عمليا لا يرقى الى التوصيف النظري الايديولوجي.

أقول: على المفكرين المسلمين ان

(١١) للتفاصيل ظ-فوكوياما: نهاية التاريخ، الإنسان الأخير ص ٩٢.

(١٠) محمد باقر الصدر: مقدمة الفتاوى الواضحة-ص ٧٥.

احكامه كلها بالمصالح العليا للإنسان وهي غير مقطوعة عن الأفق الإنساني.

٣. إن ربط التكليف العبادية، وتعليل الأحكام الفقهية في العقود والمعاملات، وربط عقوبات النظام الجنائي، بالمغزى الاجتماعي كما أوضح بعض علماء الإمامية مثل كتاب (علل الشرائع) يجعل المسلم على بينه من هدفية العبادة وفلسفة التشريع، وحكمة التكليف أثناء ممارسته الجانب العبادي.

٤. لا تزال الحرية والعقلانية والاختيار الحر والقصدي اسساً قوية للإيمان، وعلى هذه الأسس يقوم الاعتدال والانفتاح على الثقافات الانسانية من دون اغتراب عن الجذر الحضاري والمنظومة العقائدية للإسلام، ومن معطيات ذلك تلاشي مظاهر الغلو والتطرف وإهدار الحقوق الإنسانية تحت مدعيات دينية.

٥. إن المدخل الفلسفي لنظرية التكليف يسانده التصور القرآني بل يخدمه بالتوافق والتطابق والاتفاق لذلك لا

يعرضوا رسالية حضارتهم على العالم المعاصر للمطالبة بالحكم الرشيد الذي تبناه الإسلام قبل كل الأمم، وتحقيق التكافل والضمان بين جميع بني البشر، وابرار مسؤولية المسلم عن الضرر الذي يصاب به ابناء البشر ليقدم كل العون لكل المحتاجين، بل يمنع حصول الضرر فقد جاء في حديث الرسول الأكرم ﷺ قوله: «لا ضرر ولا ضرار».

مما تقدم يظهر:

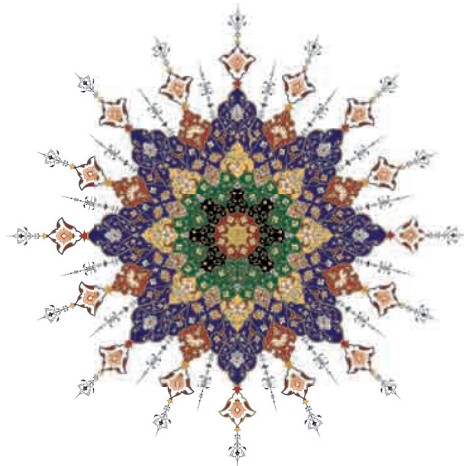
١. إن رسالية القرآن الكريم الواضحة في عالميتها وقيمها انعكست على تصوره عن نظرية التكليف التي تضمنتها نصوصه المجيدة.

٢. إن التكليف لا يقتصر على العبادات بمعناها الأخص بل يتعداها إلى نصره الإنسان مطلقاً ومنع الكوارث عنه، وتحقيق السلام المجتمعي الإقليمي والعالمي وحماية حق الحياة للإنسان مطلقاً لقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، فلا يقتصر التكليف في الاسلام على أداء الفروض العبادية انما ترتبط



على (الرشد الفكري والعقلي والنفسي)
وتتجاوز النطاق الشخصي والاسري
والمجتمعي الى النطاق الانساني. ويتخطى
جوانب العبادات بالمعنى الاخص الى جانب
الامثال للاوامر الربانية المقرون بمعرفة
المغزى الانساني والمعطيات الايجابية للفعل
العبادي والاثر الذي يظهر في ترقيه الحياة
وتنمية القيم وتطوير الصلة بين الانسان
وبين الله.

مجال للافتراض بأن المدخل الفلسفي
العقلاني يتعارض مع المدخل الإيماني،
بل هما يعبران عن حقيقة واحدة فلا
يتصور فيهما التقاطع والتضاد.
٦. ان مفهوم الرشد الذي جعلت مفردة
واحدة منه اساساً وشرطاً للتعرف
بالأحوال الشخصية..
يدعونا الى نقل مفهوم الراشد وتوسيعه
الى عموم التكاليف فالتكاليف تؤسس



الإمامة والعصمة

في كتاب (التبيان في تفسير القرآن) للشيخ الطوسي

أ.د. حسن عيسى الحكيم
النجف الأشرف - العراق

المقدمة

تصدى الامام الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى عام ٤٦٠هـ في كتابه (التبيان في تفسير القرآن) لقضايا عقائدية وكلامية وفكرية، كانت مثار جدل في الاوساط العلمية في مدينة بغداد وبخاصة في القرن الخامس الهجري الموافق للقرن الحادي عشر الميلادي، فقد كانت المجالس ودور العلم تحتضن رجال الفكر من مذاهب المسلمين كافة، وتدور فيها المناظرات الكلامية والفكرية وكان موضوع (الامامة والعصمة) في مركز الصدارة من هذه المناظرات، وقد عايشها علماء الامامية الكبار من أمثال: الشيخ المفيد، والشريف

المرتضى، والشيخ الطوسي.

وقد استطاع هؤلاء الأعلام فرض شخصياتهم العلمية على المتناظرين، في الوقت الذي كانت الحرية الفكرية سائدة على المجتمع البغدادي في المدة-الواقعة بين ٣٣٤هـ-٤٤٧هـ ولم تكن السلطة الحاكمة تفرض أوامرها على هذا الرأي أو ذاك، ويقول الأستاذ الدكتور مصطفى جواد:

(أخذت العلوم تزدهر ازدهاراً سريعاً، حتى صارت أيامها من أزهر العصور العلمية الاسلامية، وذلك لتوفر الحرية الفكرية والحرية العلمية وكانت هذه الحريات مزومة مكومة)^(١).

(١) مصطفى جواد (الدكتور)، مجلة المجمع

السابورية على غرار بيت الحكمة الذي شاده هارون الرشيد، وغذاه من بعده ولده المأمون، فكان يتردد عليها العلماء والادباء والفلاسفة والباحثون على اختلاف اجناسهم^(٥)، وقد تولى الاشراف على دار العلم الشريف أبو عبد الله محمد بن احمد الحسيني، والقاضي أبو عبد الله الحسين بن هارون الضبي، وكلف الشيخ أبا بكر محمد بن موسى الخوارزمي فضل عناية بها^(٦)، ومن الجدير بالذكر ان دار العلم السابورية قد تأسست في مدينة بغداد عام ٣٨١هـ وقد سبقت المدرسة النظامية التي افتتحت عام ٤٥٩هـ بمدة طويلة، وعند وصول الشيخ الطوسي الى بغداد عام ٤٠٨هـ كان يقصدها للاستفادة من كتبها المخزونة ولكن المكتبة وتراثها أصبحت طعاماً ليران طغربك السلجوقي عام ٤٥١هـ، ويقول ياقوت الحموي: وقد احترقت فيها أحرق من محال بغداد^(٧). وكانت المدة الواقعة بين ٤٤٧- ٤٥١هـ من أخطر الأوقات على رجال العلم والفكر في مدينة بغداد، وعلى المؤسسات

(٥) مصطفى جواد واحمد سوسة: دليل خارطة بغداد ص ١٤٦.

(٦) ابن الجوزي: المنتظم ١٧٢/٧.

(٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢٥٥/٤.

وقد هيأت هذه الحرية لرجال العلم والفكر والأدب فرصة التأليف والمناظرة وعقد المجالس وتشديد المؤسسات العلمية، وكانت (دور العلم) البغدادية قد أسهمت في انعاش الحركة العلمية والفكرية والثقافية، وكان روادها يقصدون بغداد من أماكن بعيدة، ويقيمون فيها مدة طويلة وان القائمين على هذه الدور العلمية يسهمون بنفقات أولئك الرواد^(٢). ومنها مؤسسة (دار العلم) التي أسسها الوزير أبو نصر سابور بن اردشير، المتوفى عام ٤١٦هـ، فقد كانت بابه محط الشعراء والأدباء^(٣)، وقد حمل الى مؤسسته كتب العلم من كل فن، وكانت فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد، ووقف عليها الوقوف، وقد ضمت مئة مصحف بخطوط بني مقله، ولم تكن في الدنيا أحسن كتباً منها كلها بخطوط الأئمة المعتمدة، واصولها المحررة^(٤). وقد كانت (دار العلم)

العلمي العراقي، المجلد الرابع، الجزء الثاني، ص ٥٠٩ (الثقافة العقلية والحالة الاجتماعية في عصر الرئيس ابي علي بن سينا).

(٢) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية، ص ٨٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/١٠. ابن خلكان: وفيات الأعيان ٩٩/٢.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم ٢٢/٨، ياقوت الحموي: معجم البلدان ٧٩٩/١.



الأصالة في كتاب التبيان

أشار كثير من الباحثين والمتخصصين بعلم الحديث والرجال على ان كتاب (التبيان) للشيخ الطوسي عديم النضير في التفاسير^(١١). وقد أوضح العلامة الشيخ الطبرسي هذه الحقيقة بقوله: (ان أصحابنا رضي الله عنهم لم يدونوا في ذلك غير مختصرات نقلوا فيها ما وصل اليهم في ذلك من الأخبار، ولم يعنوا ببسط المعاني وكشف الأسرار الا ما جمعه الشيخ الأجل السعيد أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه من كتاب التبيان، فانه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق ويلوح عليه رواء الصدق قد تضمن من المعاني والأسرار البديعة واقتضى من الألفاظ اللغة الوسيعة ولم يقنع بتدوينها دون تبينها ولا بتنميقها دون تحقيقها، وهو القوة استضي بأنواره وأطأ مواقع آثاره)^(١٢)، وقد أوضح هذا القول اصالة كتاب (التبيان) وانفراد محتوياته وبصفته أول كتاب في التفسير عند الامامية من حيث شموليته لمعاني التفسير

(١١) بحر العلوم: الرجال ٢٢٨/٣، القمي:

الكنى والألقاب ٣٦٣/٢.

(١٢)- الطبرسي: مجمع البيان ١٠/١.

العلمية والثقافية، وقد تعرض الشيخ الطوسي للأذى، فكبست داره وأحرقت كتبه^(٨)، ويقول الأستاذ الدكتور عبد الله فياض: ان حملة السلاجقة كانت عنيفة ضد المؤسسات الفكرية عند الامامية بحيث تناولت معظم مؤسساتهم الدينية والتعليمية بما فيها أوقاف التعليم^(٩). وبذلك أصبحت الكتب والنفائس الأخرى هدفاً لأطماع الموظفين وأصحاب الغنائم الخاصة^(١٠). وقد أرغمت هذه الأحوال المضطربة الشيخ الطوسي على الهجرة الى مدينة النجف الأشرف عام ٤٤٨ هـ فوجد فيها حركة علمية فسعى في انمائها وتطويرها، وقد استطاع خلال سنوات قليلة أن يجعل من مدينة أمير المؤمنين عليه السلام مركزاً متخصصاً في الفقه والأصول وغيرهما من العلوم الاسلامية وأصبح كتاب (التبيان) من أهم كتب التفسير عند الامامية ومصدراً أصيلاً من مصادر التراث الاسلامي وقد اجمع الباحثون على أهميته العلمية والفكرية.

(٨) ابن الجوزي: المنتظم ١٧٣/٨، ابن كثير: البداية والنهاية ٧١/١٢.

(٩) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية، ص ٢٦١.

(١٠) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/١٠.

ويقول الشيخ الخضير (واذا نظرنا في مؤلفاته -ويقصد الشيخ الطوسي- في التفسير لم يسعنا الا الاعجاب بغزارة انتاجه اذا تأملنا فيما وصلنا من الأخبار الخاصة بكتابه الكبير التبيان في تفسير القرآن^(١٣)، ويعد كتاب (التبيان) في عموميه صفحة مضيئة في الفكر الاسلامي، تعبر عن مقدرة الشيخ الطوسي العلمية والفكرية واليه أشار الشيخ الشرباصي بقوله: برز في القرن الخامس الهجري عدة رجال في التفسير منهم شيخ الطائفة الامامية وفقهها الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي^(١٤). وقد أشارت المصادر اليه ووصفته بالقول: التفسير الكبير، والتفسير المشهور، والتفسير الكثير^(١٥)، وقد اعتمده العلامة الكبير الشيخ المجلسي في كتابه (بحار الأنوار)^(١٦). وقد اختصره الشيخ المحقق محمد بن ادریس الحلي والفقيه أبو عبد الله محمد بن هارون

(١٣) الخضير: محمود محمد (الدكتور). مجلة رسالة الاسلام، العدد الأول، السنة السابعة، ص ٤٦ (الشيخ الطوسي مؤسس المركز العلمي بالنجف).

(١٤) الشرباصي: قصة التفسير ص ٩٠.

(١٥) بن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٨٢/٥،

السيوطي: طبقات المفسرين، ص ٢٩،

العاني: مقدمة كتاب (دمية القصر) ٢٥/١.

(١٦) المجلسي: بحار الأنوار ٥/١.

المعروف والده بالكال^(١٧). ومن المعروف ان الشيخ محمد بن ادریس الحلي المتوفى عام ٥٩٨ هـ، مع كثرة وقائعه مع الشيخ الطوسي فانه يقف عند كتاب (التبيان) موقف احترام واجلال ويعترف بعظم شأنه واستخدام بنيانه^(١٨)، لأنه يمثل شخصية الشيخ الطوسي وسعة ثقافته واستيعابه للتيارات الفكرية والعقائدية والافصاح عن اتجاهاتها ومضامينها ونقد مصادرها ففيه نتعرف على الشيخ الطوسي: الفقيه والأصولي والأديب واللغوي والمحدث والكلامي والمفسر والمؤرخ في استقلال تام وشخصية متميزة وملامح معينة يمكن التعرف عليها وتحديد سماتها وتشخيص مميزاتها بالمقارنة بينه وبين من سبقه من المفسرين ويمكننا القول: ان ثقافة الشيخ الطوسي العربية قد تجلت في كتابه (التبيان) الذي يعد بحق دائرة معارف شاملة للعلوم العربية من نحو ولغة وبلاغة وغير ذلك من العلوم ويعد مرجعاً مهماً لمعرفة اشعار العرب وتاريخهم.

اعتمد الشيخ الطوسي في تفسيره (التبيان)

على الاحاديث النبوية الشريفة، وأقوال

(١٧) الحر العاملي: امل الامل ٣١١/٢، الطهراني:

الذريعة ١٨٤/٢٠.

(١٨) بحر العلوم: الرجال ٢٢٨/٣-٢٢٩.



أئمة آل البيت عليهم السلام الذين أقوالهم سنة يجب الأخذ بها^(١٩)، وقد رفض تقليد من سبقه من المفسرين، وقد استخدم العقل والمنطق والرجوع إلى الأدلة الشرعية الصحيحة وعند حديثه عن أسباب نزول الآيات الكريمة كان يعطي سلسلة من الآراء، ومن ثم يقدم أقربها إلى الصحة وهذا مما أعطى لكتاب التبيان أهمية كبيرة في التفسير، وأنه في الوقت نفسه يقف بوجه المطاعن التي يرددها القائلون بوجود زيادة أو نقصان في القرآن الكريم بقوله (وأما الكلام في زيادته ونقصانه مما لا يليق به أيضاً لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها والنقصان فيه)^(٢٠)، بدليل أن الروايات التي رويت في هذا المضمار هي من باب الاحاد التي لا توجب علماً ولا عملاً، والأولى الاعراض عنها، وترك التشاغل بها^(٢١)، وقد افترى بعض المستشرقين على الامامية كذباً وبهتاناً، وحمل عليهم القول بحصول نقصان في القرآن الكريم وقد تابعهم بعض المسلمين الذين امتلأت قلوبهم حقداً على انصار آل بيت النبوة عليهم السلام فيقول المستشرق (جولدتسهر)

(ويسود الميل عند الشيعة على وجه العموم، إلى أن القرآن الكامل الذي أنزله الله سبحانه كان أطول بكثير من القرآن المتداول في جميع الأيدي ومن قرآنهم أيضاً)^(٢٢)، وهذا القول يفتقر كلياً إلى الموضوعية والتجرد والنزاهة ودقة الحكم، كما أنه تجاهل متعمد لتفسير الشيخ الطوسي في (التبيان) وقد اعتمد المستشرق (جولدتسهر) على مصادر ذات طابع العداء للامامية، وإذا وقف على رأي الشيخ الطوسي فلعله يتراجع عن مزاعمه هذه وقد أورده في التبيان بقوله (وسمعت جماعة من أصحابنا قديماً وحديثاً يرغبون في كتاب مقتصد يجمع على جميع فنون علم القرآن من القراءة والمعاني والاعراب والكلام على المتشابه والجواب على مطاعن الملحدين فيه، وأنواع المبطلين كالمجبرة والمشبهة والمجسمة وغيرهم وذكر ما يختص أصحابنا من الاستدلال بمواضع كثيرة منه على صحة مذاهبهم في أصول الديانات وفروعها)^(٢٣).

(١٩) الطوسي: التبيان ٤/١.

(٢٠) المصدر نفسه ٣/١.

(٢١) المصدر نفسه ٣/١.

(٢٢) جولدتسهر: مذاهب التفسير ص ٢٩٤.

(٢٣) الطوسي: التبيان ١/١-٢.

الإمامة والعصمة في تفسير التبيان

عن فعل الذنوب والقبائح عند اللطف الذي يحصل من الله تعالى في حقه، ويقصد باللطف هو مقربة من الطاعة ومبعدة عن المعصية^(٢٧)، ويقول الشيخ المفيد: ان العصمة من الله لحججه هي التوفيق واللطف والاعتصام من الحجج بهما عن الذنوب والغلط في دين الله تعالى، والعصمة تفضل من الله تعالى على من علم انه يتمسك بعصمته والاعتصام فعل المعتصم وليست العصمة مانعة من القدرة على القبيح ولا مضطرة للمعصوم الى الحسن ولا ملجئة له اليه، بل هي الشئ الذي يعلم الله تعالى انه اذا فعله بعبد من عبيده لم يؤثر معه معصية له^(٢٨)، وقد استدلل الشيخ الطوسي بالآية الكريمة ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة/ ١٢٤]، فيقول (واستدل أصحابنا بهذه الآية على ان الامام لا يكون الا معصوماً من القبائح، لأن الله تعالى نفى أن ينال عهده -الذي هو الامامة- ظالم، ومن ليس بمعصوم فهو ظالم اما لنفسه أو

تحدث الشيخ الطوسي عن الامامة والعصمة في مواضع عديدة من كتابه (التبيان) وناقش اراء الفرق الاسلامية في هاتين المسألتين، فالامامة منصب الهي سنه الله للبشر كما سن النبوة واختار من عباده أصلحهم واتقاهم سوى ان الامام لا يوحى اليه كالنبي، وانما يتلقى الأحكام منه مع تسديد الهي فالنبي مبلغ عن الله والامام مبلغ عن النبي^(٢٩)، ويقول الشيخ محمد حسن المظفر: ان الامامة بمثابة رئاسة دينية، وزعامة الهية ونيابة عن الرسول في اداء وظائفه^(٣٠). ويجب ان تتوافر في الامام شروط تؤهله لتسليم منصب الامامة كالعصمة والنص والأعلمية، والى هذه الشروط أشار الامام الصادق عليه السلام بقوله: «انا أهل بيت عندنا -معادل العلم وآثار النبوة وعلم الكتاب، وفصل ما بين الناس» وقال عليه السلام: «والله لقد أعطينا علم الأولين والآخرين»^(٣١).

أما العصمة فهي الامتناع بالاختيار

(٢٤) كاشف الغطاء: أصل الشيعة وأصولها ص ١٠٢.

(٢٥) المظفر: دلائل الصدوق ١٧/٢.

(٢٦) المفيد: الاختصاص ص ٣٠٣، ابن شهر

اشوب: مناقب آل أبي طالب ٣/٣٧٤.

(٢٧) العلامة الحلي: الاقلين ص ١١-١٤، كشف

المراد ص ١٨١.

(٢٨) المفيد: تصحيح الاعتقاد، ص ٦٠-٦١.



لغيره^(٢٩)، وقد ناقش الشيخ الطوسي اراء المعتزلة وغيرهم من أصحاب المذاهب والفرق في حالة الامامة والعصمة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَفْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف / ١٨٧] وناقش رأي الجبائي (شيخ المعتزلة في عصره) حول الامامة والعصمة بقوله: (وهذا الذي ذكره

باطل)^(٣٠)، وأعطى أدلة تعزز رأي الامامية في تعاقب الأئمة^{عليهم السلام}. الواحد بعد الآخر، ولذا أصبحت طاعتهم واجبة وفق منطوق الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء / ٥٩] وقد أكد الامام الباقر والامام الصادق^{عليهما السلام} على ان المقصود بالآية الكريمة الأئمة من آل محمد^{عليهم السلام}، ولذا أوجب الله تعالى طاعتهم بالاطلاق كما أوجب طاعة رسوله وطاعة

(٢٩) لطوسي: التبيان ١/ ٤٤٩.

(٣٠) الطوسي: التبيان ٥/ ٥٧.

نفسه كذلك، ولا يجوز ايجاب طاعة احد مطلقاً الا من كان معصوماً ماموناً منه السهو والغلط^(٣١)، ويرى الشيخ الطوسي ان الأئمة^{عليهم السلام} هم أولوا الأمر بعد النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء / ٨٣].

وقد أكد الامام الباقر^{عليه السلام} على المقصود بأولي الأمر هم الأئمة^{عليهم السلام} الذين خصوا بالعصمة^(٣٢).

وتأتي العلمية للأئمة^{عليهم السلام} مضافة للامامة والعصمة على كون الامام أعلم رعيته وأفضلهم في خصال الفضل، لأن الله تعالى علل تقديمه عليهم بكونه أعلم وأقوى فلولا انه شرط والا لم يكن له معنى^(٣٣)، وقد أورد الشيخ الكليني عن الامام الصادق^{عليه السلام} قوله: «نحن ولادة أمر الله وخزنة علم الله وعيبة علم الله»^(٣٤)، ويورد الشيخ

(٣١) الطوسي: التبيان ٣/ ٢٣٦.

(٣٢) الطوسي: التبيان ٣/ ٢٧٣.

(٣٣) المصدر نفسه ٢/ ٢٩٢.

(٣٤) الكليني: الكافي ٥/ ٢٠١.

بأن المراد بقوله تعالى (صالح المؤمنين) هو الامام علي بن أبي طالب عليه السلام وأشار الى الآيات الكريمة التي نزلت فيه ومنها قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة/ ٢٠٧]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة/ ٦٧] وكان الشيخ الطوسي عند تفسيره لهذه الآيات الكريمة يستقي من الامام محمد الباقر عليه السلام معانيها الدقيقة، وابعادها التاريخية وعند وقوف الشيخ الطوسي على قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب/ ٣٣]. يستند على عدد من الصحابة على نزول الآية الكريمة بأهل بيت النبوة: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام فيقول: (واستدل أصحابنا بهذه الآية على ان في جملة أهل البيت معصوماً لا يجوز عليه الغلط وان اجماعهم لا يكون الا صواباً بان قالوا ليس يخلو ارادة الله لإذهاب الرجس عن أهل البيت من أن يكون هو ما أراد منهم من فعل الطاعات واجتناب المعاصي، أو يكون

الطوسي الدلائل على امامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله عند تفسيره للآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة/ ٥٥] فيقول: (واعلم ان هذه الآية من الدلالة الواضحة على امامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي بلا فصل ووجه الدلالة فيها انه قد ثبت ان الولي في الآية بمعنى الأولى والاحق وثبت أيضاً ان المعنى بقوله تعالى (والذين آمنوا) أمير المؤمنين عليه السلام فاذا ثبت هذان الأصلان دل على امامته) (٣٥)، وقد ذهب الشيخ الصدوق في كتابه (عيون اخبار الرضا) والشيخ المفيد في كتابه (اوائل المقالات) الى الأدلة القاطعة على امامة أمير المؤمنين عليه السلام، ومناقشة الفرق والمذاهب التي تخالف ذلك، دون الايمان بالنص، وانما انعقاد رأي الأمة على الاختيار، وقد استدلل الشيخ الطوسي على أفضلية الامام علي عليه السلام عند تفسيره للآية الكريمة: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم/ ٤] واكد الشيخ الطوسي على اجماع المسلمين

(٣٥) الطوسي: التبيان ٥٤٩/٣.



العلوم، مطبعة الآداب/ النجف الأشرف
١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن
يوسف الاتابكي (ت ٨٧٤هـ)

٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر
والقاهرة، مطابع كوستاتسوماس وشركاه.
جولدتسهر، اجنتس.

٤- مذاهب التفسير الاسلامي، تحقيق
الدكتور عبد الحليم النجار مطبعة السنة
المحمدية/ القاهرة ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م.

ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد
الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)

٥- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،
مطبعة دائرة المعارف العثمانية/ حيدر اباد
الدكن، الطبعة الأولى ١٣٥٩هـ.

الحر العاملي: محمد بن الحسن
(ت ١١٠٤هـ).

٦- امل الآمل، تحقيق السيد احمد
الحسيني، مطبعة الآداب/ النجف الأشرف،
الطبعة الأولى المحققة ١٣٨٥هـ.

الخضيرى: محمود محمد (الدكتور)

٧- الشيخ الطوسي مؤسس المركز
العلمي في النجف مجلة رسالة الاسلام/
القاهرة، العدد الأول، السنة السابعة.

عبارة عن انه اذهب عنهم الرجس بأن
فصل لهم لطفاً اختاروا عنده الامتناع عن
القبائح^(٣٦).

وختاماً يمكننا القول: ان الدارس
المتفحص لاراء الشيخ الطوسي في كتابه
(**التيان في تفسير القرآن**) في موضوع
الامامة والعصمة وغيرهما من العقائد،
فانه يقف على الفكر المقارن الذي ذهب
اليه المسلمون، فانه قد ناقش الاراء بحياد
تام وبموضوعية بعيدة عن التعصب
والانحياز، وهذا مما يعطي لكتاب التبيان
الأصالة والابداع.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن
أبي الكرم محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ).

١- الكامل في التاريخ، المطبعة الأزهرية
المصرية، الطبعة الأولى ١٣٠١هـ

بحر العلوم: محمد مهدي الطباطبائي
(ت ١٢١٢هـ).

٢- الرجال أو الفوائد الرجالية، تحقيق
السيد محمد صادق والسيد حسين بحر
(٣٦)- الطوسي: التبيان ٨/ ٣٤٠.



١٣- الذريعة الى تصانيف الشيعة مطابع
الغري والاداب/ النجف الأشرف ومجلس
الشورى ودولتي والاسلامية/ طهران.

الطوسي: ابو جعفر محمد بن الحسن
(ت ٤٦٠هـ).

١٤- التبيان في تفسير القرآن، المطبعة
العلمية ومطبعة النعمان/ النجف الأشرف
١٣٧٦-١٣٨٣هـ.

العاني: سامي مكّي (الدكتور)
١٥- مقدمة كتاب (دمية القصر وعصرة
أهل العصر) للباخرزي، مطبعة المعارف/
بغداد، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

عبد الله فياض (الدكتور)
١٦- تاريخ التربية عند الامامية مطبعة
اسعد/ بغداد ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

القمي: عباس (ت ١٣٥٩هـ)
١٧- الكنى والألقاب، المطبعة
الحيدرية/ النجف الأشرف ١٣٧٦هـ
/ ١٩٥٦م.

كاشف الغطاء: محمد الحسين
(ت ١٣٧٣هـ).

١٨- أصل الشيعة وأصولها مطبعة
العباد/ بيروت الطبعة التاسعة.

ابن كثير: عماد الدين ابو الفداء اسماعيل

ابن خلكان: شمس الدين أبو العباس
احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ)

٨- وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان،
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،
مطبعة السعادة/ مصر، الطبعة الأولى
١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن
أبي بكر (ت ٩١١هـ)

٩- طبقات المفسرين، اوفست/ طهران
١٩٦٠م.

الشرباصي: احمد.
١٠- قصة التفسير، مطابع دار القلم/
القاهرة ١٩٦٢م.

ابن شهر اشوب: رشيد الدين ابو جعفر
محمد بن علي السروي (ت ٥٨٨هـ)

١١- مناقب آل أبي طالب،
المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف
١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.

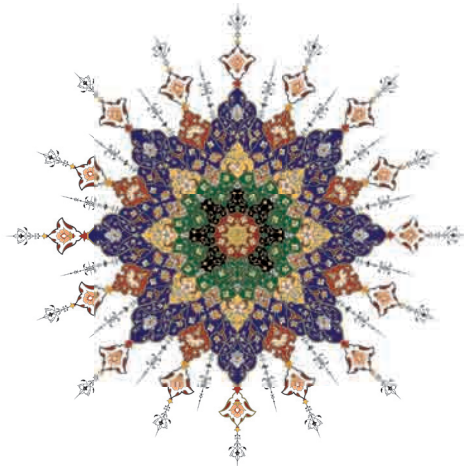
الطبرسي: أمين الدين الفضل بن الحسن
(ت ٥٤٨هـ).

١٢- مجمع البيان في تفسير القرآن، شركة
المعارف الاسلامية/ طهران ١٣٧٩هـ.

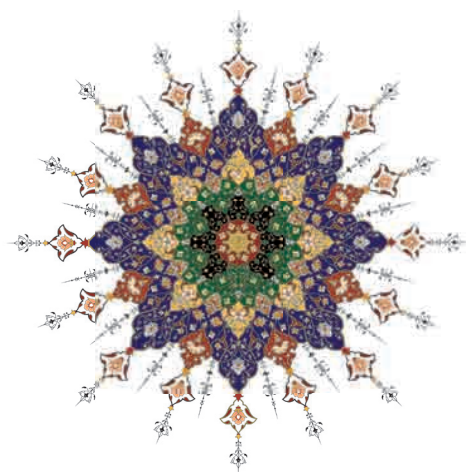
الطهراني: محمد محسن (اغا بزرك)
(ت ١٣٨٩هـ).



- بن عمر القرشي (ت ٤٧٧هـ)
١٩- البداية والنهاية في التاريخ،
مطبعة السعادة/ مصر الطبعة الأولى
١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.
- ٢٣- دليل خارطة بغداد بالاشتراك مع
الدكتور احمد سوسة.
المظفر: محمد حسن.
- ٢٤- دلائل الصدق، المطبعة الحيدرية/
النجف الأشرف ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.
- الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب
(ت ٣٢٩هـ).
- ٢٥- الاختصاص، المطبعة الحيدرية/
النجف الأشرف ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.
- المجلسي: محمد باقر (ت ١١١١هـ)
- ٢٦- تصحيح الاعتقاد أو شرح عقائد
الصدق، مطبعة رضائي/ تبريز الطبعة
الثانية ١٣٧١هـ.
- ٢١- بحار الأنوار، الطبعة الحجرية
١٣١٥هـ.
- مصطفى جواد (الدكتور)
- ٢٢- الثقافة العقلية والحالة الاجتماعية
في عصر الرئيس ابي علي بن سينا، مجلة
المجمع العلمي العراقي، المجلد الرابع،
الجزء الثاني.
- ٢٧- معجم البلدان، اوفست/ طهران
١٩٦٥م.
- ياقوت الحموي: شهاب الدين ابو
عبدالله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ)



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
رَبَّنَا مُحَمَّدٌ وَآلِهِ
الطَّيِّبِينَ
سنة ١٣٤٧



آيات الأحكام

بحث في تعريفها لغة واصطلاحاً

سماحة الشيخ خالد الغفوري

قم - إيران

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ لفظة (آيات الأحكام) من الألفاظ المتداولة في الأوساط العلمية، وقد حملت بعض المؤلفات هذا العنوان، وخُصِّصت لبحثها عدّة مصنّفات أعدت من قِبل علماء الإسلام من مختلف المذاهب الإسلامية منذ المراحل الأولى وحتى عصرنا الراهن. وقد صار البحث في آيات الأحكام فناً وعلماً عُرف باسم (علم آيات الأحكام) أو باسم (فقه القرآن).

إلا أنَّ تلك المؤلفات تصدّت لبحث نفس الآيات ومصاديقها، ولم تهتمّ ببيان

تعريف لها وما هو المراد بها وما هي الضابطة الكلية للتمييز بين آيات الأحكام وبين غيرها، ممّا يترك فراغاً منهجياً ومدرسياً. من هنا انطلقنا في دراستنا لبيان تعريف (آيات الأحكام) من الناحية اللغوية والاصطلاحية.

ويتجلى مدى أهمية هذا البحث ودرجة ضرورته من خلال لحاظ أمرين:

الأمر الأوّل: الضرورة المنهجية، حيث إنّه ثمة فراغات منهجية في عملية تدوين علم لا بدّ من ملئها.

الأمر الثاني: أهمية ذات البحث في آيات الأحكام وفقه القرآن؛ باعتباره أحد علوم الشريعة المهمّة، وتتجلى هذه الأهمية في

ناحيتين:

الظاهرة^(١).

٢. آيات الله عجائبه، وتأتي بمعنى العرة^(٢).

وقيل: تأتي بمعنى المعجزة^(٣).

وقد تكرر استعمالها في هذه المعاني في

القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ

(١) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن

زكريا، مجمل اللغة، دار الفكر-بيروت/

١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م: ٦١. ابن عباد،

كافي الكفاة الصاحب إسماعيل، المحيط في

اللغة، عالم الكتب بيروت، ط ١ / ١٤١٤

هـ = ١٩٩٤ م، ١٠: ٤٧٢. بيات، بيت الله،

معجم الفروق اللغوية (الحاوي لكتاب أبي

هلال العسكري وجزء من كتاب السيد نور

الدين الجزائري)، مؤسسة النشر الاسلامي

التابعة لجامعة المدرسين قيم، ط ٢ / ١٤٢١

هـ: ٣٦٨. البستاني، المعلم بطرس، محيط

المحيط، مكتبة لبنان بيروت/ ١٩٨٧ م:

٢٠. الراغب الإصفهاني، مفردات ألفاظ

القرآن، دار القلم دمشق، ط ١ / ١٤١٢ هـ

= ١٩٩٢ م: ١٠١.

(٢) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ،

المصباح المنير، دار الفكر - بيروت: ٣٢. ابن

منظور الأفريقي، محمد بن مكرم، لسان

العرب، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة

التاريخ العربي - بيروت، ط ١ / ١٤١٦ هـ

= ١٩٩٩ م، ١: ٢٨٢. الفيروزآبادي، مجد

الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط،

دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط ١ /

١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م، ٤: ٤٣٦-الزبيدي،

محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر

القاموس، دار مكتبة الحياة-بيروت/

١٣٠٦ هـ. ش، ١٠: ٢٧.

(٣) فتح الله، أحمد، معجم ألفاظ الفقه الجعفري،

مطابع المدخل-الدمام (السعودية)، ط ١ /

١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م: ٢٢.

الناحية الأولى: كون البحث يقع عن

آيات الكتاب وتحديد دلالاتها، فيدخل في

دائرة معارف القرآن وعلومه. ولا تخفى

مدى أهمية البحوث القرآنية؛ لأنها تدور

حول كتاب الله العزيز.

الناحية الثانية: كون البحث يدور عن

الآيات التي تتضمن أحكاماً شرعية بشكل

خاص وكيفية استخراج تلك الأحكام

واستنباطها، فيقع في دائرة علم الاستنباط

وما يرتبط به من سائر المعارف الاجتهادية

والشرعية كعلم أصول الفقه.

وحيث إنّ لفظ (آيات الأحكام) من

الألفاظ المركبة لكونه يتركب من مفردتين،

وهما: آيات وأحكام، فينبغي البحث عن

كلّ منهما على حدة، فوقع البحث في ثلاث

نقاط:

النقطة الأولى: تعريف الآية لغةً

واصطلاحاً.

تعريف الآية لغة

إنّ آيات: جمع آية، ولها عدّة معانٍ بعضها

أصلي:

١. الآية في معناها اللغوي الأصلي:

العلامة أو العلامة الثابتة أو العلامة



تعريف الآية اصطلاحاً:

الآية في العلوم القرآنية يُراد بها المقطع المحدّد من كتاب الله: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧] وقال أيضاً: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨] - وقد تعورف في المصاحف حصر الآيات وتحديدتها بوضع علامة ورقم خاص في آخرها، والشائع بين المسلمين قديماً وحديثاً هو انصراف لفظ الآية الى ذلك.

وهذا الإطلاق مأخوذ من المعنى اللغوي، فهو:

إمّا مأخوذ من المعنى الأول، وهو العلامة، وقد صرح به كثير من اللغويين^(٧).

وإمّا مأخوذ من المعنى الثاني، فقد قيل: سميت آية؛ لأنها عجب يُتَعَجَّب من إعجازه، كما يُقال: فلان آية من الآيات^(٨).

(٧) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، جهمرة اللغة، دار العلم للملايين-بيروت، ط ١ / ١٩٨٧ م، ١: ٢٥٠-٢٥١. ابن منظور الأفريقي، محمد بن مكرم، لسان العرب، ١: ٢٨٢. ابن عبّاد، كافي الكفاة الصاحب إسماعيل، المحيط في اللغة، ١٠: ٤٧٢. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ١: ٣٢.

(٨) ابن عبّاد، كافي الكفاة الصاحب إسماعيل،

يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٦]، وقوله: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢]، وقوله: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]، وقوله: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤].

٣. كما أنّها تأتي بمعنى الجماعة، كما في قولهم: خرج القوم بأيّتهم؛ أي بجماعتهم، لم يدعوا وراءهم شيئاً^(٤).

٤. وقيل: تأتي بمعنى الكلام المفيد القليل أو الواحد كما في الخبر: «بلغوا عني ولو آية»^(٥)، أي بلغوا عني أحاديث ولو قليلة^(٦)، كذا قيل.

(٤) الجواهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، بيروت - ط ٤ / ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م، ٦: ٢٢٧٦. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية - قم/ بدون تاريخ، ١: ١٦٨.

(٥) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي - بيروت / ١٣٧٥ هـ = ١٩٣٨ م، ٥: ٤٠، ح ٢٦٦٩.

(٦) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، المكتبة المرتضوية-طهران، ط ٢ / ١٣٦٥ هـ. ش، ١٠٥: ١.

الحكيم، نظير الآيات المتقدمة
كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ
عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾
[آل عمران: ٧] وقوله: ﴿ذَلِكَ
نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ...﴾ [آل
عمران: ٥٨].

٢. إنَّ بين هذا المعنى الأخير وبين
المعنى الشائع العموم والخصوص
من وجه، فإنَّ الأوَّل يصدق على
جميع الآية وعلى جزئها وعلى أكثر
من آية واحدة.

٣. إنَّ هذا المعنى الأخير متناسب جدًّا
مع طبيعة البحث في فقه القرآن
وأهدافه؛ إذ أننا كثيراً ما نجد البحث
يدور حول جزء الآية لا جميعها،
وأيضاً ثمة بحوث تتعلّق بمقطع
قرآني يتشكّل من عدّة آيات، وإن
كان أحياناً يتعلّق البحث بتمام الآية.

النقطة الثانية: تعريف الأحكام لغةً

واصطلاحاً

تعريف الحكم لغةً:

إنَّ الأحكام جمع حكم، والحكم أصله
المنع، وأوّل ذلك الحكم، وهو المنع من

وإمّا مأخوذ من المعنى الثالث، وهو
الجماعة؛ لأنّها جماعة حروف من القرآن
وطائفة منه^(٩).

وإمّا مأخوذ من المعنى الأخير، قال
الفيومي: «الآية من القرآن: ما يحسن
السكوت عليه»^(١٠).

ولكن قال الراغب بأنّ الآية هي: «كلّ
جملة من القرآن دالّة على حكم آية، سورة
كانت أو فصلاً أو فصلاً من سورة»^(١١).

أقول:

١. لا يبعد كون هذا المعنى الأخير
هو المراد بآيات الكتاب في الذكر

المحيط في اللغة، ١٠: ٤٧٢. وانظر:
الألوسي، محمود شكري، روح المعاني في
تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار
إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٤ /
١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م، ١: ٢٤٠.

(٩) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا،
مجمّل اللغة: ٦١. ابن فارس، أبو الحسين أحمد
بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة،
١: ١٦٩. الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج
اللغة وصحاح العربية، ٦: ٢٢٧٦. ابن الأثير
الجزري، مجد الدين محمد، النهاية في غريب
الحديث والأثر، المكتبة الإسلامية/ بدون
تاريخ، ١: ٨٧.

(١٠) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ،
المصباح المنير، ١: ٣٢.

(١١) الراغب الإصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن:
١٠٢.

٥. إنّه الاعتبار الشرعي المتعلّق بأفعال العباد تعلّقاً مباشراً أو غير مباشر^(١٧).

٦. إنّه التشريع الصادر من قبل الله سبحانه لتنظيم حياة الإنسان^(١٨).

أقول:

١. إنّ هذه التعاريف المذكورة تتفاوت

فيما بينها من حيث السعة والضيق وأيضاً من حيث طبيعة الرؤية حول ماهية الحكم الشرعي، والخوض في تنقيح هذه التعاريف وتحليلها وتقييمها والموازنة بينها خارج عن مسؤولية هذه الدراسة، والبتّ فيها متروك للبحث الأصولي.

٢. والذي هو محطّ نظرنا التعاريف الجامعة التي شملت الحكم الشرعي بكلّ أنواعه التكوينية والوضعية، في

الظلم والحكم بالشيء: أن تقضي بأنّه كذا أو ليس بكذا سواء أكان مع إلزام للغير أو لا^(١٢).

تعريف الحكم اصطلاحاً:

المراد هنا الحكم الشرعي، وقد قدّم الأصوليون للحكم الشرعي عدّة تعريفات، منها:

١. إنّه خطاب الشارع المتعلّق بأفعال المكلفين^(١٣).

٢. إنّه خطاب الشارع المتعلّق بأفعال العباد^(١٤).

٣. إنّه خطاب الشارع المتعلّق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير^(١٥).

٤. إنّه خطاب الشارع المتعلّق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع^(١٦).

(١٢) الراغب الإصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن: ٣٤٨. معجم مقاييس اللغة (ابن فارس) ٢: ٩١.

(١٣) الأمدي، علي بن محمّد، الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م، ١: ١٣٥.

(١٤) الأمدي، علي بن محمّد، الإحكام في أصول الأحكام، ١: ١٣٥.

(١٥) الأمدي، علي بن محمّد، الإحكام في أصول الأحكام، ١: ١٣٥.

(١٦) الأمدي، علي بن محمّد، الإحكام في أصول

الأحكام، ١: ١٣٥-١٣٧. وانظر: الحكيم، محمّد تقي، الأصول العامّة للفقّه المقارن، مؤسسة آل البيت، ط ١٩٧٩ م، ٥٥. (١٧) الحكيم، محمّد تقي، الأصول العامّة للفقّه المقارن: ٥٥.

(١٨) الصدر، محمّد باقر، الإسلام يقود الحياة (المطبوع ضمن المجموعة الكاملة للشهيد الصدر)، دار التعارف للمطبوعات - بيروت / ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م، ١: ٥٢.



آيات الأحكام

الإنسان كالزوجة والأبوة أو تحدّد علاقته بالطبيعة كالملكية والإباحة.

كما أنّ بعضها تأسيسية أحدثها الشارع كالوضوء والتميم، وبعضها إمضائية كانت متعارفة قبل مجيء الشرع لكنّه أمضاها ولم ينه عنها كالباع والإجارة... إلى غير ذلك من الأنواع المختلفة للأحكام الشرعية.

وهذه البيانات تساعد في إعطاء رؤية محيطية حول سعة دائرة آيات الأحكام، فإنّها واسعة بسعة الحكم الشرعي وامتداداته.

النقطة الثالثة: تعريف آيات الأحكام.

لم نعر على تعريف لآيات الأحكام في كلمات العلماء السابقين حسب تتبعنا المتواضع لمظان ذلك، ولعلّهم تعرّضوا له ضمناً في غرضون بحوثهم وفي طيات كلماتهم ولم نوفّق للعثور عليه أو لعلّهم لم يتعرّضوا لتعريفها لوضوحها. وعلى كل حال فقد وجدنا لها عدّة تعاريف في كتب المتأخّرين وبعض من قارب عصرنا:

أ- فقد عرّفت بأنّها الآيات التي تضمّنت تشريعات كلّية^(١٩).

(١٩) سلقيني، إبراهيم محمد، الميسر في أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر-بيروت ودار الفكر-دمشق، ط ١ / ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م: ٣٧٧.

قيل توهم حصر الحكم الشرعي في المقام بالتكليفي فقط، فإنّ هذا التفاوت يترتب عليه أثر مهمّ، وهو سعة دائرة موضوع علم فقه القرآن ومسائله على الأوّل وضيقها على الثاني، ولعلّ من صرح بالثاني أراد الإشارة لتعريف الحكم بالجملة ولم يُرد حصر الحكم في التكليفي فحسب.

وانتخبنا للدائرة الواسعة للحكم لم يتمّ بصورة عشوائية، بل تمّ في ضوء مراجعة دراسات واهتمامات ومدونات علم فقه القرآن التي توفّرت على معالجة نصوص مختلفة بعضها دلّ على الأحكام التكليفية وبعضها دلّ على الأحكام الوضعية.

ثمّ إنّ الأحكام الشرعية متنوّعة، فبعضها: أحكام تكليفية، وهي التشريعات الموجهة لتنظيم سلوك الإنسان مباشرة- أمراً ونهيّاً- وهي الأحكام الخمسة المعروفة: الوجوب والحرمة والاستحباب والكراهة والإباحة، وبعضها أحكام وضعية، وهي التي توجّه سلوك الإنسان بشكل غير مباشر كالأحكام التي تحدّد علاقات الإنسان بأخيه

ب- وقيل: إنها الآيات التي تتضمن الأحكام الفقهية التي تتعلق بمصالح العباد في دنياهم وأخراهم^(٢٠).

ج- وقيل: إنها الآيات التي تتعلق بغرض الفقيه؛ لاستنباطه منها حكماً شرعياً^(٢١).

ومن الواضح عدم جامعية التعريف الأول، وعدم مانعية التعريف الثاني، وأفضلها ثالثها وإن كان التعبير بـ (التي تتعلق بغرض الفقيه) قد يوهم عدم المانعية أيضاً؛ لدخول الآيات التي يُرجع إليها في تحديد المفادات اللغوية.

وربما لا نكون مصيبين إذا أردنا الخوض في تقويم هذه التعاريف ومحاكمتها على ضوء الضوابط المنطقية المثبتة للتعريف؛ لأن الظاهر أنه لا يقصد من هذه التعاريف معنى اصطلاحى خاص؛ لعدم توفرها على الشروط المنطقية للتعريف، وعدم تصدي الأوائل من مؤسسي هذا العلم لبيانه، بل الظاهر إن هدف المتأخرين من ذكره هو

(٢٠) الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة - بغداد، ط ٢ / ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م، ٤٣٢:٢.

(٢١) أنظر: الموسوي البجنوردي، كاظم، دائرة المعارف الإسلامية الكبرى - طهران / ١٣٧٠ هـ. ش = ١٩٩١ م، ٧٢٢:١.

الإشارة إلى معناها في الجملة.

ومن هنا كان المنهج الأفضل في التعريف هو لحاظ الأمور التالية:

الأمر الأول: المدلول اللغوي لها وما يوحيه لفظ (آيات الأحكام) لغةً ولدى العرف العام من مفهوم.

الأمر الثاني: الحثيات التي بحثها المصنفون في هذا العلم وحدود دائرة بحثهم.

الأمر الثالث: المدى البحثي الذي يمكن أن يبلغه هذا العلم في حدّ نفسه؛ وذلك بلحاظ رسالة القرآن الكريم الخطيرة وأهدافه التشريعية الكبيرة.

وانطلاقاً من هذه الملاحظات يصحّ القول: إن آيات الأحكام هي الآيات التي يمكن للفقيه أن يستنبط منها في الجملة حكماً أو جعلاً شرعياً سواء أكان تكليفاً أم وضعياً.

إيضاحات حول تعريف آيات الأحكام:

إنّ التعريف المتقدم يمتاز بسعته وشموليته، وسوف نشير الى أبعاد هذا التعريف بالنقاط التالية:



١. إنَّ هذا التعريف مطلق بلحاظ الحكم بكلِّ أنواعه، فهو يشمل الآيات المتضمَّنة للأحكام التكليفية والوضعية، والتأسيسية والإمضائية، والمولوية والإرشادية، والكلِّية والجزئية.

٢. إمكانية دخول الآيات التي تتضمَّن بيان الأحكام الخاصَّة بالنبي ﷺ، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ١-٤]، فقد وُجِّه الأمر في هذه الآية إلى النبي ﷺ بالقيام في الليل مخيراً بين النصف أو أقلَّ من النصف بقليل أو أكثر منه بقليل (٢٢).

والوجه في اعتبار هذه الآية وشبهها من آيات الأحكام -رغم اختصاصها بالنبي ﷺ- وهو تضمَّنُها لحكم شرعيٍّ، وربما

(٢٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط ٣ / ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م، ٦١: ٢٠. وانظر: الكاظمي، أبو عبد الله شمس الدين محمد، المعروف بالفاضل الجواد، مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام، طهران المكتبة المرتضوية - طهران، ط ٢ / ١٣٦٥ هـ. ش، ١: ٢١٨.

آيات الأحكام

تتعلَّق بغرض الفقيه من جهة البحث في اختصاصها وعدم اختصاصها به ﷺ وأدلة ذلك، بل يمكن أن يقع الكلام والبحث في دلالتها على الوجوب أو الاستحباب.

٣. إمكانية دخول الآيات التي تشتمل على أحكام غير نافذة المفعول الآن لانتفاء الحكم فيها ككونه منسوخاً ونحو ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَاتُوهُمْ نَصِيَّهُمْ﴾ [النساء: ٣٣] بناءً على أنَّها منسوخة بآية أولى الأرحام، وهو قوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]. الأحزاب: ٦ [لكونها غير خارجة عن غرض الفقيه، لأنَّ أصل النسخ يحتاج إلى إثبات وبحث، وأيضاً تحديد النسخ والمنسوخ، وكذا تحديد دائرة النسخ وتعلُّقه بأصل الحكم أو ببعض حالاته ونحو ذلك من الجهات.

٤. إمكانية دخول الآيات التي تتضمَّن بيان القواعد الفقهية؛ لأنَّها ترتبط بغرض الفقيه، بل هي نفسها تمثِّل جعلاً شرعية.

٥. إمكانية دخول الآيات التي تتضمن بيان القواعد الأصولية؛ لأنها في الواقع تمثل أحكاماً وضعية وأيضاً ترتبط بغرض الفقيه، وربما يعتبرها البعض خارجة لكونها من مبادئ الحكم الشرعي والفقه.

٦. إن بعض الآيات قد ذكرت فيها تشريعات تتعلق بالأمم السابقة، وهي على نوعين:

النوع الأول: يختص بتلك الأمم ولا يشملنا، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨]، فقد ذكرت الآية جانباً من أخبار بني إسرائيل حينما أمرهم الله سبحانه بدخول بيت المقدس وبدخول الباب - على اختلاف في المراد بها خاضعين مرددين عبارة الاستغفار (٢٣).

ومن الواضح أن هذا الحكم خاص ببني إسرائيل، ولا يجري على أمة محمد ﷺ، فمثل

(٢٣) أنظر: الطبرسي، الإمام السعيد أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة ط ١ / ١٣٦٥ هـ، ١: ١١٨-١١٩.

هذه الآيات ليست في مقام الجعل والتشريع وإنشاء الحكم، وإنما هي تتضمن الإخبار عن وجود تشريعات لمن كان قبلنا، ومن هنا كان هذا النوع خارجاً عن آيات الأحكام؛ لأنها لا تتعلق بغرض الفقيه، إذ أن هدف الفقيه وغرضه إنما يتعلق ببحث الآيات ذات البعد التشريعي بالنسبة لنا.

النوع الثاني: الآيات الواردة في بيان أحكام للأمم السابقة إلا أنها عامة لا تختص بها، بل تشمل أمتنا أيضاً، أو ربما يقع البحث في شمولها وعدمه، أو إنها تكون بناءً على بعض المباني الأصولية عامة لنا ولمن كان قبلنا من الأمم وبناءً على مباني أخرى تكون خاصة بتلك الأمم دوننا، من قبيل: قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَاجَ فَإِنْ أَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمُوتَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّتَا الْأَجْلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ فلما قضى موسى الأجل [القصص: ٢٥-٢٩]، فمثل هذه الآيات تكون داخلية في دائرة البحث.





آيات الأحكام

فلا بدّ من اختيار أحد أمرين على سبيل المنفصلة الحقيقية:

إمّا الإبقاء على ما في تعريف آيات الأحكام من سعة، ومقتضاه التسليم بدخول النوع الأوّل في دائرة موضوع العلم.

وإمّا الإصرار على إخراج هذا النوع عن دائرة البحث، ومقتضاه تضيق التعريف.

الجواب: إنّ التعريف الذي تبيناه لآيات الأحكام لم يكن بتلك السعة منذ الأوّل؛ إذ من الواضح أنّ غرض الفقيه استنباط حكم المكلف المعاصر لا الغابر. وإنّ أبيت فنختار الشقّ الثاني، وهو تضيق التعريف، فيقال: هو علم أو فنّ استنباط الأحكام الشرعية للمعاصرين من القرآن الكريم.

٧. ثمّة آيات قرآنية إنّما تتمّ دلالتها على الحكم بضميمة السنّة الشريفة، وهي على أنواع:

النوع الأوّل: وهي الآيات التي يكون فيها انعقاد أصل دلالتها على الحكم الشرعي متوقّفاً على الرواية، حيث إنّها بالنظر الأوّلي لا دلالة فيها على الحكم الشرعي ظاهراً وبحسب القواعد المعروفة

ومن المناسب أن نشير الى أنّ مسألة حجية شرع من قبلنا بالنسبة إلينا من المسائل المبحوثة في علم اصول الفقه، وقد طُرحت بشأنها ثلاث نظريات، وهي إجمالاً:

النظرية الأولى: إنّ الشرائع السابقة التي أنزلها الله تعالى شرع لنا مطلقاً إلا ما ثبت نسخه في شريعتنا.

النظرية الثانية: إنّها ليست بشرع لنا مطلقاً؛ فإنّها منسوخة جملة وتفصيلاً.

النظرية الثالثة: التفصيل بين ما قصّه الله ورسوله علينا من أحكام الشرائع السابقة ولم يرد في شرعنا دليل يبيّن لنا الوظيفة يكون شرعاً لنا وعلينا اتباعه، وبين ما لم يذكر في الكتاب والسنّة فلا يكون كذلك^(٢٤).

ولا يخفى على الخبير أنّ هذا البحث لا يتأتّى في النوع الأوّل من الآيات، فيكون خارجاً عن دائرة هذا العلم؛ لأنّ ما ورد فيها من أحكام لوحظت من حيث هي قضية تاريخية لا من حيث هي تشريعية.

إشكال ورد:

قد يُقال: بأنّ التعريف المختار لا يأبى عن شمول النوع الأوّل من الآيات، وعليه (٢٤) أنظر: الحكيم، محمّد تقي، الأصول العامة للفقه المقارن: ٤١٥-٤٢١.

في استنباط الأحكام، لكن وقع الاستدلال بها من قبل مَنْ خُصَّوا ببعض المعارف الإلهية كأهل البيت المعصومين (عليه السلام)، من قبيل:

ما يروى عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فيمن أوصى بعق كل عبد قديم في ملكه ومات، ولم يعرف الوصي ما يصنع من الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩] على عتق كل مملوك له أتى عليه سنة أشهر؛ لصدق لفظ «القديم» عليه، لأنّ العرجون - وهو أصل العذق الذي يعوج وتقطع منه الشماريح إنّما ينتهي إلى الشبه بالهلل في تقوُّسه وضالته بعد سنة أشهر من أخذ الثمرة منه (٢٥).

وكذا ما يروى عن الإمام محمد بن علي الجواد (عليه السلام) في جوابه لسؤال المعتصم العباسي عن حدّ القطع في السرقة من الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] على أنّ المساجد هي الأعضاء السبعة التي يسجد عليها، وما كان لله لم يقطع، فيجب أن يكون القطع من

(٢٥) أنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت (إحياء التراث)، ط ١ / ١٤١٢ هـ، ٥٧: ٢٣، ب ٣٠ من العتق، ح ٢.

مفصل أصول الأصابع ويترك الكف (٢٦).

وهذا النوع من الآيات بلحاظ ما ورد في شأنها من الروايات المفسّرة فيه احتمالان: الاحتمال الأول: كون دلالة أمثال هذه الآيات على الحكم الشرعي مستندة إلى العلوم الخاصة بالنبي وأهل بيته (عليهم السلام)، وحينئذ يتجّه دخولها في آيات الأحكام تعبداً بناءً على تماميتها سنداً ودلالة.

الاحتمال الثاني: كون المراد بهذه الروايات الاستدلال بناءً على المباني المسلّمة لدى بعض المذاهب الفقهية من التعويل على الظنّ وإن كانت غير تامّة بحسب أصول الاستنباط لدى مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

وعلى كلا الاحتمالين يتجه عد هذه الآيات من ضمن آيات الأحكام، كما هو واضح.

النوع الثاني: وهي الآيات التي تكون لها نحو دلالة على الحكم الشرعي، فأصل انعقاد الدلالة حاصل لكن تمامية الدلالة تتوقّف على السنّة، كالروايات المخصّصة للآيات العامّة أو المقيدة للآيات المطلقة أو

(٢٦) الحرّ العاملي، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، (مصدر سابق) ٢٨: ٢٥٢-٢٥٣، ب ٤ من السرقة، ح ٥.



ومن هنا يتضح أنّ قيد (في الجملة) الذي ذكرناه في التعريف إنّما هو لأجل استيعاب هذه الحالات وأمثالها.

٨. ومن الجدير بالذكر أنّه لا يشترط في آيات الأحكام كونها دالة بكلّ فقراتها على حكم تشريعي، بل يكفي دلالة جزء منها عليه، وأيضاً لا يتوهم أنّ المراد دلالة الآية على حكم شرعي واحد، بل ربّما يستفاد من آية واحدة أو من بعضها أحكام عديدة، كما سيأتي ذكره في دراسة مقارنة حول عدد آيات الأحكام في حديث لاحق ان شاء الله تعالى.

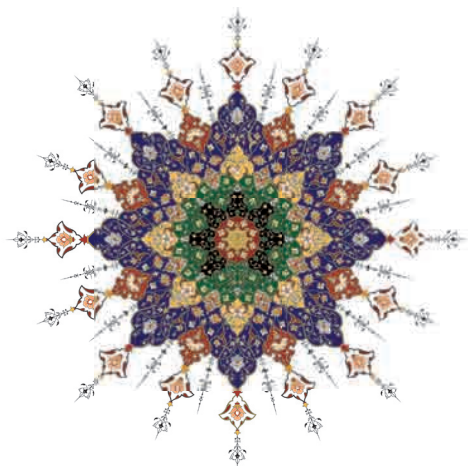
(للبحث صلة)

المبيّنة للآيات المجملة ونحو ذلك.

وهذا النوع بأقسامه يكون داخلاً أيضاً ضمن آيات الأحكام.

تنبيه: ومن هنا يتضح أنّه ليس المقصود من دلالة الآية على الحكم وإمكانية استنباطه منها: الاعتماد على الآية فقط ولفظ، بل المراد دلالة الآية ولو كان بضميمة سائر الأدلة المعتمدة الأخرى كالروايات والإجماع أو بضميمة آيات أخرى.

وبعبارة أخرى: لا يشترط دلالتها على الحكم بصورة مستقلة، بل حتى لو كانت دالة على حكم بضمّ دال آخر معتبر فتعدّ من آيات الأحكام حيثنّذ.



العلم والمعرفة في القرآن الكريم

أ. د. الشيخ علي العلي
الكويت

تمثلت بالنص القرآني الكريم والتي تكشف عن أثر ذلك في البناء الإنساني والحضاري لهذا الإنسان، عندما تم بناءه معرفياً وعلمياً بصورة مستمدة من الباري عز وجل وسبله الداعية والهادية إلى الكمال والخير المطلق.

لذا فان ما تذهب إليه أهم الدراسات العقلية والمنطقية في إرجاع العلوم الحسولية للعلوم الحضورية قد يتجانس ويتمشى مع هذه الرؤية لكن عبر تحليل وتعميق فلسفي لادراك ذلك.

ان دراسة الألفاظ القرآنية المتعلقة بالعلم والمعرفة تشكل لنا هيكلاً أساسياً لبناء منهج في المعرفة والعلم عبر الألفاظ

الوقوف على الفكر الإنساني هو البحث عن المعرفة والسعي نحوها عبر التعلم وعند النظر إلى القرآن الكريم نجد أن المصادر التي تتناول مناسبة النزول تذكر أن أول ما نزل من القرآن الكريم كان مرتبطاً بالعلم والمعرفة.

قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥].

فهذه الدعوة الإلهية من لدن الحكيم العليم الرحمن الرحيم هي دعوة صريحة للعلم والمعرفة مما يعني أننا أمام هداية إرائية وإيصالية إلهية نحو العلم والمعرفة

الواردة في القرآن الكريم^(١).

و لكي يتسنى لنا الوقوف على ذلك لا بد ان نسبر أغوار الألفاظ دلاليًا ودراستها بشكل معمق عبر مثلث تتشكل منه الدلالة بصورتها المتكاملة.

الدلالة

الافرازية، الاستعمالية، التأويلية.

الدلالة

في القرآن الكريم

ان تناولنا للدلالة في القرآن الكريم يتمحور عبر مثلث الدلالة ان صح التعبير:

التأويلية

الافرازية

الاستعمالية

مجموعة ألفاظ العلم والمعرفة في المعجمات العربية
مجموعة: الاظهار والاطلاع ٥٣ لفظاً.
مجموعة: النشاط والحدة- ٣٨ لفظاً.
مجموعة: الضم والجمع ٢٧ لفظاً.
مجموعة: الحذف والمهارة ٢٥ لفظاً.
مجموعة: الإحكام والضبط ٢٣ لفظاً.
مجموعة: الضخامة والكثرة والقوة ٢٣ لفظاً.
مجموعة الاثر من الشيء ٢١ لفظاً.
مجموعة الاستقرار والثبات ١٨ لفظاً.
مجموعة الغور في الشيء ١٧ لفظاً.
مجموعة الدرك والانتهاة ١٧ لفظاً.
مجموعة الامساك والمنع ١٣ لفظاً.
مجموعة الاستقصاء والاحاطة ١٢ لفظاً.
مجموعة البحث والفحص والطلب ٩ ألفاظ.
المجموع:- ٢٩٦ لفظاً.

(١) لعل البحث في المعرفة والعلم من خلال القرآن الكريم يدعونا للتخاطب مع مفردات القرآن الكريم الدالة على العلم والمعرفة عبر تحليل مادة كل منها ومتابعة أصولها في تراثنا اللغوي والمتوفر بغزارة في المعجمات عبر شرح دلالتها. وهذا البحث بطبيعة الحال يستمد مادته من خلال الاستقراء في تلك المصادر التي تناولت اللغة بصورة مباشرة وغير مباشرة ومن ثم يتم تضيق دائرة البحث من خلال استقصاء المادة ذات الصلة بموضوع البحث. ولا يتم ذلك إلا من خلال استنباط العلاقة الدلالية بالعلم والمعرفة دلالة أو لفظاً أو سبباً أو مسبباً أو الافرازات التي تنتج عن جميع ما تقدم. ولكي تفرز هذه المواد بشكل أدق نظراً لسعة الدائرة والتي ضمنت فئة كبيرة جداً من المفردات بطبيعة المادة اللغوية المتوفرة في المعجمات والتي تضم اللفظ أو الدلالة الحقيقية أو التي تحمل بعداً مجازياً أو المتداخلة بين هذا وذاك منها كانت المحاولة لتبويب الأسلم من حيث السبك العلمي وهذا ما نجده في الدراسات التي تناولت ذلك عبر تبويب هذه الألفاظ وذلك [لكثرة هذه الألفاظ-لذا-وضعت في مجموعات بلغ عددها ثلاث عشرة مجموعة تستوعب عنواناتها مدلولات هذه الألفاظ وتبين المسوغ لوضعها بضمن كل مجموعة مع الإشارة إلى أن هناك كثيراً من الألفاظ يصلح لأن يدرس في أكثر من مجموعة لتعدد دلالاته ولا سيما لفظتي العلم والمعرفة] (بتصرف عن معجم ألفاظ العلم والمعرفة في اللغة العربية) وهي تشكل مجموع ما تم رصده في اللغة التي دونت مادتها والتي وضع الاعلام مداليلها وما يتعلق بها ونعرضها اجمالاً في المخطط التالي:



يتناوله البعض عبر عدة معطيات نستطيع أن نوجزها بما يلي:

١ - النص القرآني قطعي الدلالة:

وهذا ما نرجعه في حالة تعارض النص الظاهر مع المبنى العقلي عندها يقدم العقل على النقل فيعطي للنص هذه القطعية عبر الاستدلال العقلي مما يعبر عنه النص الصريح.

٢ - النص القرآني ظني الدلالة:

والذي يتم التعامل معه عبر عدة أبعاد لتوجيه هذا الظن وإرسائه على المعنى الذي يعطيه البعد الأساسي الذي لا يخلق بطبيعة الحال تعارضاً بين العقل والنقل وإلاّ يتم الرجوع لما تقدم.

ان التعامل مع الدلالة الظنية له عدة مستويات:

أ. الظاهر (ظاهر النص).

ب. القرائن المحفوفة بالنص (القرينة

الصارفة عن الظهور) والتي تتفرع

إلى عدة مستويات تذكر بالتفصيل

في مباحث ودراسات أصول الفقه

وفقه اللغة كبحوث حجية الظهور.

إن النصوص في المجال الدلالي لألفاظ

والذي سنقف عنده بشكل أوضح عند تناولنا لذلك أثناء هذه الدراسة إلاّ أن الإطار العام للدلالة في القرآن الكريم يتمحور عبر عدة معطيات تعد أصولاً أساسية في البحث في النص القرآني:

أولاً: القرآن الكريم قطعي الصدور.

من الثابت بلا جدال أن الحضارة الإسلامية تتعاطى مع القرآن الكريم عبر هذا البعد الأساسي، والذي بنيت عليه أسس المعرفة والعلم بكافة تشعبات العلوم، وقد وضعت الدراسات العلمية والجادة والرصينة التي تناولت ذلك واستخلصت هذه النتيجة التي تعد الركن الأساسي في البناء المعرفي والعلمي وعند الوقوف عليها سواء المعاصرة منها كالدراسات التي تناولت مناقشات المستشرقين، وكذلك معالجة النصوص التي وردت في التراث الإسلامي عبر تنوع عصوره كالبحوث المتعلقة بالرد على تحريف القرآن الكريم ندرك هذه المحصلة.

ثانياً: النص القرآني قطعي الصدور ظني الدلالة.

بعد الفراغ من الأصل الأول نجد أن هناك مجالاً واسعاً للبحث الدلالي قد

وتتحرك تحت أفق النص واجوائه ودلالته الزمانية والمكانية وما هو أبعد من ذلك.

عندها لنا أن نضع موازين دقيقة عند دراستنا للمفردة اللغوية وادراك أنها مفردة أم لفظ ومن ثم الانتقال إلى الأبعاد الدلالية لهذا اللفظ مع ادراك أن اللفظ يتحرك عبر هيئته ومادته اللغوية والتي شكلها اللفظ.

ثالثاً

بناء النص القرآني

يتميز القرآن الكريم بانتقاء دقيق للمفردات بحيث تجدد كل كلمة تشغل الحيز الدقيق لها في الآليات القرآنية بحيث لا يمكن بل يستحيل أبعاد مفردة تشغل هذا الحيز في حال فراغه ومن هنا تبرز هذه النقطة كدليل قطعي على ما ورد في البند أولاً آنف الذكر.

وقد أكد أعلام اللغة ذلك حيث جاء في الصحابي [لكل لفظة دلالة خاصة وإيجاء خاص وانسجاماً في التركيب] (٢).

رابعاً

المعنى الافرادي والتركيبى للكلمة القرآنية

محتوى الدراسة يدور حول اللغة

(٢) الصحابي في فقه اللغة ابن فارس ص ٣ تحقيق مصطفى الشويمي مؤسسة بدران بيروت ١٩٦٣ م.

القرآن الكريم، هي حالة تقترب من وضع الألفاظ تحت سقف تنضح من خلاله علاقة الألفاظ فيما بينها والتي تفرز لنا المشترك منها والمترادف والمتضاد والتي تنوعت النظريات العلمية في ذلك فوضعت خطوطاً فاصلة بين هذه الألفاظ وذلك لعدم وجود مطابقة متكاملة تنعكس على علاقة اللفظ بمعناه وعلاقة المفهوم ودلالته.

من هنا تبرز أهمية الدخول في البحث الدلالي خصوصاً ما يتعلق باللفظ.

فاللفظ يستدعي تصوراً وهذا التصور قد يكون مجرداً عن أجوائه الزمانية والمكانية، مما يعني أننا أمام لفظ مجرد عن أبعاده وأجوائه ومناسباته، لذا جاءت الدعوة من خلال أرباب المعاجم لفرز الكلمة في وجودها المعجمي عن وجودها اللفظي إن صح التعبير، من هنا عبّر عن الكلمة هناك بالمفردة وهذا يفسح المجال بشكل واضح أمام آليات التعاطي مع المفردات لاسيما في مجال الترجمة اللغوية للغات أخرى أو الترجمة لذات اللغة.

ان الكلمة إذا كانت خارجة عن إطارها كمفردة في المعجم فهي تعيش حالة النص



العربية، والقرآن الكريم هو الحافظ لها والمقوم والمقيّم والمطور لها ولأساليب استخدامها، كما أن خاصية الكلمة في اللغة العربية، تعطيها التوظيف المتنوع [إن اللغة في استطاعتها أن تعبر عن الفكر المعددة بواسطة تلك الطريقة الحصيفة القادرة التي تتمثل في تطويع الكلمات وتأهيلها للقيام بعدد من الوظائف المختلفة وبفضل هذه الوسيلة تكتسب الكلمات نفسها نوعاً من المرونة والطواعية] (٣) لكن هذه المرونة والطواعية تحتاج لانصاف في التعاطي وأمانة وإلاّ تستخدم استخداماً في مدركات معينة لاسيما ما نجده في المباحث الكلامية والتفسيرية وقد عبّر عنه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) عند وصيته لعبد الله بن عباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج حيث قال: «لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون» (٤).

من هنا يبرز دور أساسي لإيجاد ضمان واقعي لدعم فهم المدلول واعطاء اللفظ

(٣) المعاني الثانية في الأسلوب القرآني فتحي أحمد عامر ص ٦٥ لجنة الشؤون الإسلامية مصر ١٩٧٥.

(٤) نهج البلاغة- الرسائل والوصايا الوصية رقم ٧٧ جمعه الشريف الرضي.

مدلوله الحقيقي أو ما ينسجم معه مبتعداً عن المزالق، لذا لا بد أن يتم ادراك ذلك بدقة واستيعاب فرزه حيث ان الكلمة كلفظ لها معنى خاصاً لكنها عند دمجها لاسيما في الأسلوب والتوظيف تحمل معناً آخر وهذا ما تناولته الدراسات الخاصة بالـ (الوجوه والنظائر) أو (الاشباه والنظائر) والتي عرفها الإمام الزركشي ان الوجوه، اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معانٍ كلفظ الزبر والهدى والنظائر كالألفاظ المتواطئة وقيل النظائر هي اللفظ والوجوه في المعاني (٥) وهذا ما يشيع استخدامه حالياً بين افراط عند البعض وتفريط عند الآخر فيما يتعلق بالمقاصد لاسيما المقاصد الشرعية.

لكي يتسنى لنا فرز الألفاظ التي تحمل دلالة لمفهوم المعرفة والعلم عبر استعراض الآليات القرآنية التي وردت فيها الألفاظ الدالة على ذلك عبر فرزها من خلال دلالتها.

أولاً: الإفرادية.

ثانياً: الاستعمالية.

ثالثاً: التأويلية.

(٥) البرهان في علوم القرآن الزركشي ج ١ ص ١٠٢.

الآيات التي ترد فيها:

١- الأثر.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ اتَّخُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

٢- الأذان.

﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

٣- الإيناس.

﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾.

﴿وَبَدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَغْفِرْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾.

٤- الأواه.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾.

وقد توفر هذه المادة عرضاً وتحليلاً من خلال الأسفار التي تناولت تفسير القرآن الكريم وعلماء اللغة^(٦).

الدلالة الافرادية

لعل لبحث الدلالة الافرادية يتضح من خلال ما ذكر عنها في علم الدلالة حيث (إن المعنى المعجمي الافرادي هو مدلول التركيب أو اللفظ أو هو محصلة علاقات الكلمة بالكلمات الأخرى في نفس المجال الدلالي)^(٧).

نستطيع أن نرصد تحت هذه الدلالة ١٠٢ لفظاً نستعرضها تباعاً من خلال

(٦) وضعت في رسالة علمية لنيل درجة الماجستير في علوم اللغة العربية تناولت مشروعا علمياً جدير بالاهتمام تحت عنوان معجم ألفاظ العلم والمعرفة في اللغة العربية للباحث عادل عبد الجبار زاير يسهم بشكل أساسي لبناء ملامح المعجم الدلالي التاريخي لألفاظ العلم والمعرفة في العربية وهي محاولة جادة لدراسة ومعرفة التفكير العلمي للحضارة الإسلامية.

(٧) راجع علم الدلالة أحمد مختار عمر ص ١٤ طبعة دار العروبة- الكويت- ١٩٨٢ وكذلك معجم ألفاظ العلم والمعرفة في اللغة العربية عادل عبد الجبار زاير ص ٦٣ طبعة مكتبة لبنان ناشرون- بيروت- ١٩٩٧ م عن رسالة ماجستير في علوم اللغة العربية.

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾

٥- البدو.

﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُجْنَهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾
﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ﴾

٦- البصير.

﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾
﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾

٧- البعثة.

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾
﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾

٨- البلاغ.

﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾
﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾

﴿وَأَخْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾

٩- البلو.

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾
﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

١٠- البيان.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَن أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنَدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

١١- الثبات.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾

١٢- تَقَفَ.

﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ
وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ
أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ
فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ.﴾

١٣- الْجُلُوءُ.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَاهَا﴾

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ
رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ
انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ
تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ
مُوسَى سَاجِدًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ
إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

١٥- الْحَجَرُ.

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا لَا
يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَّشَاءَ بَزْعِمُهُمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ
ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا
افْتِرَاءَ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتُرُونَ.﴾

﴿يَوْمَ يَرُونَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا.﴾

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا
الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ
اللَّهُ حَدِيثًا﴾

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ
فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا
هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا
هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا
هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ فِي يَوْمٍ
الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ
حَدِيثًا﴾

١٦- الْحَدِيثُ.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا
خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا
فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٨٦].

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:

١١].

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا
الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ
اللَّهُ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢].

١٧- حَسِبَ.

وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾

١٨- الإحسان.

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾.

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

٢٠- حَصَّحَصَ.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاودْتَنِي يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

٢١- التحصيل.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾.

٢٢- الإحصاء.

﴿وَاتَّأَكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

٢٣- الحفظ.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾
﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ رَسُولُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا﴾.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾.

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّردٌّ مِّن قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾.

﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيزٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ﴾

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾

٢٤- الحنفي.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ

إِلَّا بَعَثَ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾

٢٥- الحكمة.

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾

٢٦- الحليم.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَرْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تَوْصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ



يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنَ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ.

٢٧- الإحاطة.

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ يَقِينُ﴾.
﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَآذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

٢٨- الحَيُّ.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُهُ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي

بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾.

٢٩- الخبر.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

٣٠- خَرَجَ.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ خَرَجَ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾.

٣١- الخشية.

﴿وَأَمَّا الْعُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠].
﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ [فاطر: ٢٨]

وتكرر هذا التللفظ في القرآن الكريم أكثر من ٤٨ ثمانية وأربعين مرة يغلب عليها صيغة المضارع.

٣٢-التدبير.

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾
﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾

٣٣-الدراسة.

﴿وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلُبِّيْنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٠﴾
﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾

٣٤-الدِّرْك.

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِاهُمْ لَأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾

فَأَتَاهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾

٣٥-الدراية.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿١﴾
﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾
٣٦-الذكر.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾
﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَسْيًا لِلْمُتَّقِينَ﴾

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾

٣٧-الرُّؤْيَا.

٤٠- الرُّشد.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾.

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾.

٤١- الزُّبر.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِ الثَّقَاتِ فِتْنَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلِهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.

٣٨- الرِّبانيون.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾.

﴿وَكَانَ مِنْ نَّبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيبُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.

﴿سَاءَ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ﴾.

٣٩- الراسخ.

﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

٤٢- السُّؤَال.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.
﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾.
﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

٤٣- السَّحَر.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾.
﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾.
﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾.

٤٤- السِّفَر.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾.

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ﴾.

٤٥- السَّمْع.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيهَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ﴾.
﴿قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾.

٤٦- السَّيِّد.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِحَيِّى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيْدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٤٧- الشَّرْح.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ



ذَكَرَ اللَّهُ أَوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٨﴾

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَانَمَا كَانَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجَسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

٤٨- الشعور.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

٤٩- الشهادة.

﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾

مع ملاحظة أن لفظ الشهادة باشتقاقه ورد في القرآن الكريم في مائة وستين مورداً.

٥٠- الشورى.

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

٥١- الاطلاع.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾

﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾

﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُونَ﴾ فاطمعة فرأه في سِوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٢﴾

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُّسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمَتُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

٥٢- الظن.

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونُ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنْنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾

٥٣- الظهور.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾.

٥٤- العنار.

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَن وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾.

٥٥- المعرفة.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا

يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

وقياساً مع لفظ العلم نجد أن لفظ المعرفة ورد باشتقاقاته أقل من لفظ العلم.

٥٦- العزم.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

٥٧- العقل.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

ومن الملاحظ ان لفظ العقل لم يرد ببادة (عقل) وإنما ورد على نحو ما تصرف منه مثل (يعقلون، تعقلون) في حوالي تسعة



وأربعين مورداً من القرآن الكريم.

٥٨- العلم.

﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

ومن الجدير ذكره ان لفظة العلم مرتبطة في القرآن الكريم بمورد التأمل والتدبر والتعقل والمعرفة، لذا لو أحصينا اسم العلم-منكراً أو معرفاً ومشتقاً نجده قد ورد في القرآن الكريم في ما يقارب ثمانمائة وخمسين مورداً ومن اللطيف أن لفظة المعلم جاءت مرة واحدة في سورة الدخان آية ١٤ ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ أما ما ذهب له الإعلام من المفسرين في أن الألفاظ التي ^(٨) [يظن أنها مرادفة للعلم وهي ثلاثون:

أحدها: الإدراك وهو اللقاء والوصول يقال أدرك الغلام وأدركت الثمرة قال تعالى: ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١] فالقوة العاقلة إذا وصلت إلى ماهية المعقول وحصلتها كان ذلك إدراكاً من هذه الجهة.

(٨) التفسير الكبير-الفخر الرازي-جزء ١-ص ٢٠٣.

وثانيها: الشعور وهو إدراك بغير استنبات وهو أول مراتب وصول المعلوم إلى القوة العاقلة وكأنه إدراك متزلزل ولهذا يقال في الله تعالى إنه يشعر بكذا كما يقال إنه يعلم كذا.

وثالثها: التصور إذا حصل وقوف القوة العاقلة على المعنى وأدركه بتمامه فذلك هو التصور، واعلم أن التصور لفظ مشتق من الصورة ولفظ الصورة حيث وضع فإنما وضع للهيئة الجسمانية الحاصلة في الجسم المتشكل إلا أن الناس لما تخيلوا أن حقائق المعلومات تصير حالة في القوة العاقلة كما أن الشكل والهيئة يحلان في المادة الجسمانية أطلقوا لفظ التصور عليه بهذا التأويل.

ورابعها: الحفظ فإذا حصلت الصورة في العقل وتأكدت واستحكمت وصارت بحيث لو زالت لتمكنت القوة العاقلة من استرجاعها واستعادتها سميت تلك الحالة حفظاً.

وخامسها: التذكر وهو أن الصورة المحفوظة إذا زالت عن القوة العاقلة فإذا حاول الذهن استرجاعها فتلك المحاولة هي التذكر. واعلم أن للتذكر سراً لا يعلمه إلا الله تعالى وهو أن التذكر صار عبارة عن



الذكر ويوصف القول بأنه ذكر لأنه سبب حصول المعنى في النفس قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وههنا دقيقة تفسيرية وهي أنه سبحانه وتعالى قال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] فهذا الأمر هل يتوجه على العبد حال حصول النسيان أو بعد زواله فان كان الأول فهو حال النسيان غافل عن الأمر وكيف يوجه عليه التكليف مع النسيان وإن كان الثاني فهو ذاكر والذكر حاصل وتحصيل الحاصل محال فكيف كلفه به وهو أيضاً متوجه على قوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ إلا أن الجواب في قوله فاعلم أن المأمور به إنما هو معرفة للتوحيد وهذا من باب التصديقات فلا يقوى فيه ذلك الاشكال وأما الذكر فهو من باب التصورات فيقوى فيه ذلك الاشكال وجوابه على الاطلاق أنا نجد من أنفسنا أنه يمكننا التذكر وإذا كان ذلك ممكناً كان ما ذكرته تشكيكاً في الضروريات فلا يستحق الجواب.

بقي أن يقال فكيف يتذكر فنقول لا نعرف كيف يتذكر لكن علمك بتمكنك في علمك بأن في الجملة يكفيك في الاشتغال

طلب رجوع تلك الصورة المحمية الزائلة فتلك الصورة إن كانت مشعوراً بها فهي حاضرة حاصلة والحاصل لا يمكن تحصيله فلا يمكن حينئذ استرجاعها وإن لم تكن مشعوراً بها كان الذهن غافلاً عنها وإذا كان غافلاً عنها استحال أن يكون طالباً لاسترجاعها لأن طلب ما لا يكون متصور محال فعلى كلا التقديرين يكون التذكر المفسر بطلب الاسترجاع ممتنعاً مع أننا نجد من أنفسنا أننا قد نطلبها ونسترجعها وهذه الأسرار إذا توغل العاقل فيها وتأملها عرف أنه لا يعرف مع أنها من أظهر الأشياء عند الناس فكيف القول في الأشياء التي هي أخفى الأمور وأعضلها على العقول والأذهان.

وسادسها: الذكر فالصورة الزائلة إذا حاول استرجاعها فإذا عادت وحضرت بعد ذلك الطلب سمي ذلك الوجدان ذكراً فان لم يكن هذا الادراك مسبوقاً بالزوال لم يسم ذلك.

الادراك ذكراً ولهذا قال الشاعر:

الله يعلم أنى لست أذكره

وكيف أذكره إذ لست أنساه

فجعل حصول النسيان شرطاً لحصول



بالمجاهدة وعجزك عن إدراك تلك الكيفية
يكفيك من التذكر ذاك ليس منك بل ههنا
سر آخر وهو أنك لما عجزت عن إدراك
ماهية التذكر والذكر مع أنه صفتك فأنى
يمكنك الوقوف على كنه المذكور مع أنه
أبعد الأشياء مناسبة منك فسبحان من
جعل أظهر الأشياء أخفاها ليتوصل العبد
به إلى كنه عجزه ونهاية قصوره فحينئذ
يطالع شيئاً من مبادئ مقادير أسرار كونه
ظاهراً باطناً.

وسابعها: المعرفة وقد اختلفت الأقوال
في تفسير هذه اللفظة فمنهم من قال المعرفة
إدراك الجزئيات والعلم إدراك الكليات
وآخرون قالوا المعرفة التصور والعلم هو
التصديق وهؤلاء جعلوا العرفان أعظم
درجة من العلم قالوا لأن تصديقنا باستناد
هذه المحسوسات إلى موجود واجب
الوجود أمر معلوم بالضرورة فأما تصور
حقيقته فأمر فوق الطاقة البشرية ولأن الشيء
ما لم يعرف وجوده فلا تطلب ماهيته فعلى
هذا الطريق فكل عارف عالم وليس كل عالم
عارفاً ولذلك فإن الرجل لا يسمى بالعارف
إلا إذا توغل في ميادين العلم وترقى من
مطالعها إلى مغالقتها ومن مبادئها إلى غايتها

بحسب الطاقة البشرية وفي الحقيقة فإن أحداً
من البشر لا يعرف الله تعالى لأن الاطلاع
على كنه هويته وسر ألوهيته محال.

وآخرون قالوا من أدرك شيئاً وانحفظ
أثره في نفسه ثم أدرك ذلك الشيء ثانياً
وعرف أن هذا المدرك الذي أدركه ثانياً هو
الذي أدركه أولاً فهذا هو المعرفة فيقال:
عرفت هذا الرجل وهو فلان الذي كنت
رأيتَه وقت كذا. ثم في الناس من يقول
بقدم الأرواح ومنهم من يقول بتقدمها
على الأبدان ويقول إنها هي الذر المستخرج
من صلب آدم عليه السلام وإنها أقرت بالالهية
واعترفت بالربوبية إلا أنها لظلمة العلاقة
البدنية نسيت مولاهما فإذا عادت إلى نفسها
متخلصة من ظلمة البدن وهواية الجسم
عرفت ربها وعرفت أنها كانت عارفة به فلا
جرم سمي هذا الإدراك عرفاناً.

وثامنها: الفهم وهو تصور الشيء من
لفظ المخاطب والافهام هو اتصال المعنى
باللفظ إلى فهم السامع.

وتاسعها: الفقه وهو العلم بغرض
المخاطب من خطابه يقال فقهت كلامك
أي وقفت على غرضك من هذا الخطاب
ثم ان كفار قريش كما كانوا أرباب الشبهات



والمدرى يقال لما يصلح به الشعر وهذا لا يصح إطلاقه على الله تعالى لامتناع الفكر والحيل عليه تعالى.

الثاني عشر: الحكمة: وهي اسم لكل علم حسن، وعمل صالح وهو بالعلم العملي أخص منه بالعلم النظري وفي العمل أكثر استعمالاً منه في العلم، ومنها يقال أحكم العمل إحكاماً إذا أتقنه وحكم بكذا حكماً والحكمة من الله تعالى خلق ما فيه منفعة العباد ومصلحتهم في الحال وفي المال ومن العباد أيضاً كذلك ثم قد حدثت الحكمة بألفاظ مختلفة فقليل هي معرفة الأشياء بحقائقها، وهذا إشارة إلى أن ادراك الجزئيات لا كمال فيه لأنها ادراكات متغيرة. فأما إدراك الماهية، فانه باق مصون عن التغير والتبدل وقيل هي الأتيان بالفعل الذي عاقبته محمودة وقيل هي الاقتداء بالخالق سبحانه وتعالى في السياسة بقدر الطاقة البشرية وذلك بأن يجتهد بأن ينزه علمه عن الجهل وفعله عن الجور وجوده عن البخل وحلمه عن السفه.

الثالث عشر: علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين قالوا ان اليقين لا يحصل إلا إذا اعتقد أن الشيء كذا وأنه يمتنع كون الأمر

والشهوات فما كانوا يقفون على ما في تكاليف الله تعالى من المنافع العظيمة لا جرم قال تعالى: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي لا يقفون على المقصود الأصلي والغرض الحقيقي.

وعاشرها: العقل وهو العلم بصفات الأشياء من حسننها وقبحها وكمالها ونقصانها فانك متى علمت ما فيها من المضار والمنافع صار علمك بما في الشيء من النفع داعياً لك إلى الفعل وعلمك بما فيه من الضرر داعياً لك إلى الترك فصار ذلك العلم مانعاً من الفعل مرة ومن الترك أخرى فيجري ذلك العلم مجرى عقل الناقة، ولهذا لما سئل بعض الصالحين عن العقل، قال هو العلم بخير الخيرين وشر الشرين ولما سئل عن العاقل قال العاقل من عقل عن الله أمره ونهيه، فهذا هو القدر اللائق بهذا المكان والاستقصاء فيه يجيء في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

الحادي عشر: الدراية وهي المعرفة الحاصلة بضرب من الحيل وهو تقديم المقدمات واستعمال الروية وأصله من دريت الصيد والدرية لما يتعلم عليه الطعن



المستحضرة قال بعض المحققين إن الفكر يجري مجرى التضرع إلى الله تعالى في استنزال العلوم من عنده.

السادس عشر: الحدس ولا شك أن الفكر لا يتم عمله إلا بوجودان شيء يتوسط بين طرفي المجهول لتصير النسبة المجهولة معلومة فإن النفس حال كونها جاهلة كأنها واقفة في ظلمة ولا بد لها من قائد يقودها وسائق يسوقها وذلك هو المتوسط بين الطرفين وله إلى كل واحد منهما نسبة خاصة فيتولد من نسبته إليهما مقدمتان فكل مجهول لا يحصل العلم به إلا بواسطة مقدمتين معلومتين والمقدمتان هما كالشاهدين فكما أنه لا بد في الشرع من شاهدين فكذا لا بد في العقل من شاهدين وهما المقدمتان اللتان تتيجان المطلوب فاستعداد النفس لوجدان ذلك المتوسط هو الحدس.

السابع عشر: الذكاء وهو شدة الحس وكماله وبلوغه الغاية القصوى وذلك لأن الذكاء هو المضاء في الأمر وسرعة القطع بالحق وأصله من ذكت النار وذكت الريح وشاة مذكاة أي مدرك ذبحها بحدة السكين.

الثامن عشر: الفطنة وهي عبارة عن

بخلاف معتقده إذا كان لذلك الاعتقاد موجب هو أما بدينية الفطرة وإما نظر القول فيه أنه سبحانه وتعالى خلق الروح خالياً عن تحقيق الأشياء وعن العلم بها كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ لكنه سبحانه وتعالى إنما خلقها للطاعة على ما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ والطاعة مشروطة بالعلم وقال في موضع آخر ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ فبين أنه أمر بالطاعة لغرض العلم والعلم لا بد منه على كل حال فلا بد وأن تكون النفس متمكنة من تحصيل هذه المعارف والعلوم فأعطاه الحق سبحانه من الحواس ما أعان على تحصيل هذا الغرض فقال في السمع ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ وقال في البصر: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ وقال في الفكر:

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ فإذا تطابقت هذه القوى صار الروح الجاهل عالماً وهو معنى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ فالحاصل أن استعداد النفس لتحصيل هذه المعارف هو الذهن.

الخامس عشر: الفكر وهو انتقال الروح من التصديقات الحاضرة إلى التصديقات

أطلق لفظ الظن على العلم ههنا لوجهين:
أحدهما: التنبيه على أن علم أكثر الناس
 في الدنيا بالاضافة إلى علمه في الآخر كالظن
 في جنب العلم.

والثاني: أن العلم الحقيقي في الدنيا لا
 يكاد يحصل إلا للنبين والصديقين الذين
 ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ
 آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ واعلم
 أن الظن إن كان عن أمانة قوية قبل ومدح
 وعليه مدار أكثر أحوال هذا العلم. وإن كان
 عن أمانة ضعيفة ذم كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ
 لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾. وقوله: ﴿إِنَّ بَعْضَ
 الظَّنِّ إِثْمٌ﴾.

الثاني والعشرون: الخيال -وهو عبارة
 من الصورة الباقية عن المحسوس بعد
 غيبت-ومنه الطيف الوارد من صورة
 المحبوب خيالاً والخيال قد يقال لتلك
 الصورة في المنام وفي اليقظة والطيف لا
 يقال إلا فيما كان في حال النوم.

الثالث والعشرون: البديهة وهي المعرفة
 الحاصلة ابتداء في النفس لا بسبب الفكر
 كعلمك بأن الواحد نصف الاثنين.

الرابع والعشرون: الأوليات وهي
 البديهيات بعينها والسبب في هذه التسمية أن

التنبه لشيء قصد تعريضه ولذلك فإنه
 يستعمل في الأكثر في استنباط الأحاجي
 والرموز.

التاسع عشر: الخاطر وهو حركة النفس
 نحو تحصيل الدليل وفي الحقيقة ذلك
 المعلوم هو الخاطر بالبال والحاضر بالنفس
 ولذلك يقال: هذا خطر ببالي إلا أن النفس
 لما كانت محلاً لذلك المعنى الخاطر جعلت
 خاطراً إطلاقاً لاسم الحال على المحل.

العشرون: الوهم وهو الاعتقاد المرجوح
 وقد يقال إنه عبارة عن الحكم بأمور جزئية
 غير محسوسة لأشخاص جزئية جسمانية
 كحكم السخلة بصدقة الأم وعداوة
 المؤذي.

الحادي والعشرون: الظن وهو الاعتقاد
 الراجح ولما كان قبول الاعتقاد للقوة
 والضعف غير مضبوط فكذا مراتب الظن
 غير مضبوطة فلهذا قيل أنه عبارة عن
 ترجيح أحد طرفي المعتقد في القلب على
 الآخر مع تجويز الطرف الآخر ثم إن الظن
 المتناهي في القوة قد يطلق عليه اسم العلم
 فلا جرم قد يطلق أيضاً على العلم اسم
 الظن كما قال بعض المفسرين في قوله تعالى:
 ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ﴾ قالوا إنما



الذهن يخلق محمول القضية بموضوعها أولاً لا بتوسط شيء آخر فأما الذين يكون بتوسط شيء آخر. ذاك المتوسط هو المحمول أولاً.

الخامس والعشرون: الروية، وهي ما كان من المعرفة بعد فكر كثير، وهي من روى.

السادس والعشرون: الكياسة. وهي تمكن النفس من استنباط ما هو أنفع -ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت» - من حيث إنه لا خير يصل إليه الإنسان أفضل مما بعد الموت -.

السابع والعشرون: الخبرة، وهي معرفة يتوصل إليها بطريق التجربة، يقال خبرته قال أبو الدرداء: وجدت الناس أخبر نَقْلَةً وقيل هو من قولهم: ناقة خبرة -أي غزيرة اللبن، فكان الخبر هو غزارة المعرفة -ويجوز أن يكون قولهم ناقة خبرة: هي المخبر عنها بغزارتها.

الثامن والعشرون: الرأي، وهو إحاطة الخاطر في المقدمات التي يجرى منها إنتاج المطلوب، وقد يقال للقضية المستنتجة من الرأي رأي، والرأي للفكر كالألة للصانع، ولهذا قيل: إياك والرأي الفطير، وقيل: دع الرأي تصب.

التاسع والعشرون: الفراسة وهي الاستدلال بالحق الظاهر على الخلق

الباطن، وقد نبه الله تعالى على صدق هذا الطريق بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾، واشتقاقها من قولهم: فرس السبع الشاة، فكأن الفراسة اختلاس المعارف، **وذلك ضربان:** ضرب يحصل للإنسان عن خاطره ولا يعرف له سبب، وذلك ضرب من الالهام بل ضرب من الوحي، وإياه عن النبي ﷺ بقوله: «إن في أمي لمحدثين وإن عمر لمنهم» ويسمى ذلك أيضاً النفث في الروح، والضرب الثاني من الفراسة ما يكون بصناعة متعلمة وهي الاستدلال بالأشكال الظاهرة على الأخلاق الباطنة وقال أهل المعرفة في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ إن البينة هو القسم الأول وهو إشارة إلى صفاء جوهر الروح والشاهد هو القسم الثاني وهو الاستدلال بالأشكال على الأحوال^(٩).

أما علماء وجوه القرآن فنجد أنهم ذكروا

(٩) وحسب التبع ذكر مثل ذلك العلامة الطباطبائي في تفسيره القيم الميزان وهذا يشكل أهمية بالغة باعتبار أن العلامة محمد حسين الطباطبائي من فلاسفة المسلمين المعاصرين ومن محض التخصص ذكر ذلك.

العلم على ستة عشر وجهاً هي^(١٠):

أحدها: (ضدّ) الجهل، كقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وقوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقوله: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ وقوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

والثاني: الإلهام، كقوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ وقوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

والثالث: البيان، كقوله: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ وقوله: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ وقوله: ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ وفيها: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا﴾.

والرابع: التمييز، كقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ

مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ [سبأ: ٢١].

والخامس: التعليم، كقوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]، وقوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾، [النساء: ١١٣] وقوله: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥]، وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ٢-١].

والسادس: القبول، كقوله: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧].

والسابع: الرؤية، كقوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وقوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ﴾ [التوبة: ١٦].

والثامن: الاثبات، كقوله: ﴿وَلَوْ عِلْمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣].
والتاسع: الحفظ، كقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

والعاشر: الفهم، ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْأَنْبِيَاءَ﴾ [٧٩]، وقوله:

(١٠) للتوسع يمكن مراجعة مثل كتاب وجوه القرآن لأبي عبد الرحمن النيسابوري كتاب العين باب العلم.

والرابع عشر: الثبوت، كقوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ [النمل: ١٥].

والخامس عشر: العمل، كقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

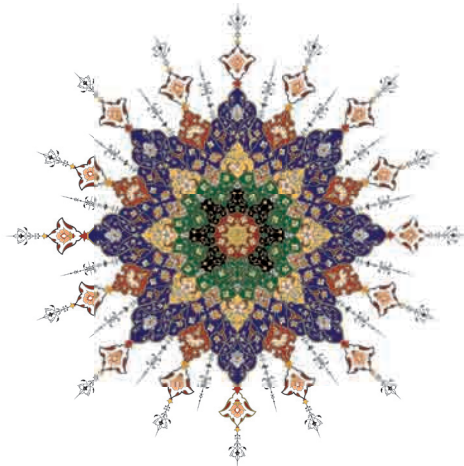
والحادي عشر: اسم الله: يا حي يا قيوم، كقوله: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ﴾ [النمل: ٤٠]، قال ابن عباس: (اسم الله الأعظم، يعني يا حي يا قيوم).

والسادس عشر: العلم شرط من أشراف الساعة، كقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١]، يعني أن عيسى عليه السلام شرط من أشراف الساعة.

والثاني عشر: الصدق، كقوله: ﴿لَقَوْمٌ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠] و ﴿لَقَوْمٌ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

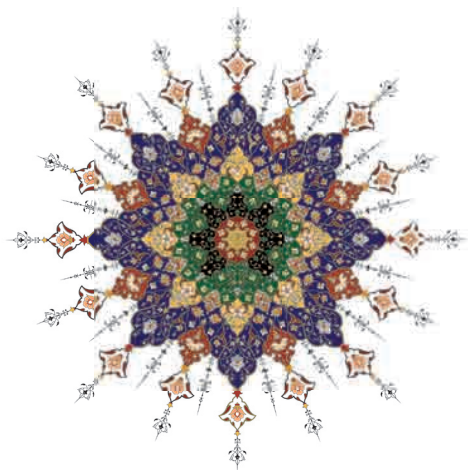
للبحث صلة في العدد القادم إن شاء الله.

والثالث عشر: الثواب، كقوله: ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١١].



اَفَحَسِبْنَا لِلّٰهِ اَنْفِيسًا
اَفَحَسِبْنَا مِنْهُ مَبْدُبًا

۱۳۴۶



الظواهر اللغوية

في قراءة الإمام علي (عليه السلام) للقرآن

أ.م.د. أنمار عبد الجبار
جامعة القادسية - العراق

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الصادق الأمين وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين..
قال عبد الله بن مسعود: قال لنا علي بن أبي طالب عليه السلام:

«إن رسول الله صلى الله عليه وآله يأمركم أن تقرأوا القرآن كما علمتم».

وروى عاصم بن أبي النجود عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: (ما رأيت أحداً كان أقرأ من علي عليه السلام)، وأفرد ابن مجاهد صاحب كتاب السبعة في القراءات كتاباً عن قراءة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

والقراءة في اللغة هي: (مصدر: قرأ،

يقرأ، قرأناً)، ومعناها الجمع والضم، وقرأت الكتاب قراءةً وقرأناً، أي جمعته وضممته بعضه إلى بعض، ومنه سمي القرآن لأنه يجمع السور ويضمها، وجاء قرأ بمعنى تلا فهو قارئ، وقرأت الكتاب قراءةً وقرأناً بمعنى تلوته.

والقراءة في الاصطلاح: (علمٌ يُعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في اللغة والإعراب، والحذف والإثبات، والتحريك والتسكين، والفصل والوصل، والتخفيف والتشديد، وغير ذلك من حيث السماع). أو هي: (مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراءة مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الرواية والطرق

عنه)، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف، أم في هيأتها.

والقراءة سنة يتبع فيها الخلف السلف بالسند الصحيح المتصل كما نطقها النبي صلى الله عليه وآله، أو كما نطقت أمامهم فأقرأها سواء كان النطق باللفظ المنقول فعلاً، أو تقريراً واحداً، أو متعدداً، وأن التغير الحاصل بالقراءات معظمه لا يعد وتنوع إداءً من الأمانة أو التريق لبعض الحروف أو التفخيم، أو ضبط المضارع الرباعي بالتاء، أو الياء، أو النون تخفيفاً أو تشديداً، أو تغاير لفظين مع وحدة المعنى، والقراءة في أنواعها منفردة أو مشتركة فيها مسندة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله منقولة عن أئمتنا الثقات.

وقد قرأ على الإمام علي عليه السلام خلق كثيراً من الصحابة والتابعين منهم:

أبو الأسود الدؤلي.

وزر بن حبيش.

وأبو عبد الرحمن السلمي، إذ كان يقول: (قرأت على أمير المؤمنين عليه السلام القرآن كثيراً وأمسكت عليه المصحف، فقرأ علي، وأقرأت الحسن والحسين عليهما السلام حتى قرأ علي القرآن، وكانا يدرسان على أمير المؤمنين علي عليه السلام فربما أخذ علي الحرف بعد

الحرف).

وكان ابن أبي ليلى يجود حرف علي عليه السلام، وما كان من قراءته فهو عنه، وقال أبو بكر بن عياش:

(قال لي عاصم ما أقرأني أحد حرفاً إلا أبو عبد الرحمن السلمي، وكان أبو عبد الرحمن قد قرأ على علي عليه السلام).

وما كان من قراءة حفص في روايته عن عاصم، فهي رواية عاصم، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب عن النبي صوات الله عليه، وقرأ حمزة الزيات على ابن أبي ليلى، وحران بن أعين، وجعفر الصادق عليه السلام، وهؤلاء جميعاً ترجع قراءتهم إلى الإمام علي عليه السلام.

وقد ظلت القراءة والتلاوة تعتمد السماع والمشافهة والأخذ بالخلف من السلف مع أن القرآن دَوَّن في المصحف، ولم يتحول الأساس في تلاوته على الاعتماد على المصحف المكتوب وظل الاعتماد منذ عهد رسول الله على الرواية بالسند الصحيح المتواتر عنه فالرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله هي الأساس، وقد تلقاها عنه صحابته حفظاً وسماعاً ومشافهة، وتلقى التابعون القرآن من صحابة رسول الله بالسند المتواتر جيلاً



بعد جيل، فالقراءة سنة يتبع فيها المتأخر المتقدم فحملة القرآن صحابة رسول الله يتقدمهم الإمام علي عليه السلام حامل لواء القرآن والدين المخصوص بدعوة الرسول والقائم بأمر الله سبحانه وتعالى، فهو الإمام المنتجب المرتضى، والهادي المنتخب، والقائم المرتجي، والمختار بعلمه تعالى، والحجة على أهل عالمه، والضياء لأهل دينه، والقيّم على عباده رضي الله به إماماً لأهله واستودعه سره، واستحفظه علمه وحكمه واسترعاه لدينه وانتدبه لعظيم أمره، وأحيا به مناهج سبيله، فقام بالعدل أن تحير أهل الجهل بالنور الساطع والشفاء النافع بالحق الأبلج الذي مضى عليه الصادقون، فهو الناصح لعباد الله الحافظ لدين الله وقرآنه.

لقد استحفظ الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام كتاب الله وسنة رسوله، كونه عليه السلام ترعرع في بيت النبوة، وتلقى العلم من فم الصادق الأمين عليه السلام، فكان من أحفظ من ضبط النص القرآني، ومن أشهر كتّاب الوحي لرسولنا الأكرم، وقد لازم هذا الواجب الملقى عليه طيلة أيام التنزيل الزمني المكّي والمدني، يكتب بين يدي

رسول الله ما ينزل من القرآن الكريم^(١)، وهذه مهمة تجعله على معرفة وثيقة في النص القرآني الموحى به، وعلى قدرة دقيقة على التمييز ومعرفة الدلالة والمعاني القرآنية في العرضة الأخيرة، ممّا أهله لأن يكون مرجعاً لغيره من الذين لم يحضروا قراءة النبي عليه السلام بعد العرضة الأخيرة، وأنه عليه السلام كان ممن جمع القرآن حفظاً على عهد رسول الله عليه وآله وقرّره على حفظه، وقد روي أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب وفاة النبي عليه السلام^(٢).

كان الإمام عليه السلام من حملة القرآن الكريم يقرأ طول أيامه بقراءة العامة، وهي القراءة التي يوافق نطقها قراءة رسول الله عليه وآله وبها كُتب المصحف الشريف بلسان قريش، وقد جند نفسه لإقراء القرآن، حتى كان من أشهر القراء والمقرئين للقرآن^(٣)، وأخذ عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين، وإليه انتهت قراءة أربعة من القراء السبعة^(٤)، وقارئان

(١) ينظر: الاستيعاب (بيروت) ٦٨/١، وفتح الباري ٢٢/٩، والاتقان ٢٠٢/١.

(٢) الاتقان ٢٠٠/١ - ٢٠٢.

(٣) معرفة القراء للذهبي ٤٦/١.

(٤) هم أبو عمرو بن العلاء وعاصم بن أبي النجود وحمة بن حبيب وعلي بن حمزة الكسائي، ينظر: السبعة: ٧٠، والبرهان ٣٣٨/١، وغاية النهاية ٢٧٦/١، والنشر في القراءات العشر ١٣٣/١.

ويبدو أن تحقيق الهمز خصيصة من الخصائص التي عُزيت إلى لهجة تميم، وإلى لهجات نجدية منها قيس وأسد^(٦)، وأن التسهيل ظاهرة انمازت بها لهجة القبائل شمال الجزيرة، والحجاز، فقد ذكر أبو زيد (ت ٢١٥هـ) أن أهل الحجاز وهذيلاً وأهل مكة والمدينة لا ينبرون^(٧)، والمعروف أن العرب والمسلمين توارثوا "الاختلاف في نطق الهمزة تحقيقاً وتسهيلاً حتى يومنا هذا، فهي ظاهرة طبيعية ضاربة في القدم كغيرها من الظواهر اللغوية والنحوية التي تفاوتت فيها القبائل العربية بسبب انتشارها على رقعة واسعة من الأرض تتقاسم جغرافيتها جبالاً وهضاباً وسهولاً وأودية وصحارى"^(٨).

وقد أرجح علماء العربية هذه الظاهرة من أنها لتقوم بأكثر من وظيفة منها تقليل السرعة في النطق، والهرب من تتابع الحركات، والمبالغة في إبراز بعض مقاطع الكلمة.

وقد وردت في قراءة الإمام علي عليه السلام

- (٦) ينظر: الكتاب ٥٤٢/٣؛ وشرح المفصل ١٠٧/٩؛ وفي اللهجات العربية: ٧٥.
(٧) لسان العرب مادة (برأ) ٢٢/١؛ والمزهر ٢٧٦/٢؛ واللهجات العربية في التراث ٣١٨/١.

(٨) القراءات القرآنية في المعجمات العربية حتى القرن السابع الهجري: ٥٤٨.

من الثلاثة تكملة العشرة، هما خلف بن هشام ويعقوب الحضرمي.

فكان الإمام عليه السلام بحق حامل لواء القرآن، جرد نفسه عن كل ما يشغله عنه، يدعو الناس إلى الإكثار من قراءة القرآن وحفظه ومدارسته وفهمه في تبليغ كتاب الله تعالى إلى الناس عامة.

المبحث الأول

الهمز والتسهيل

وردت طائفة من القراءات عوّض فيها بالهمزة المحققة عن بعض حروف المدّ واللين، وذلك لغرض أداء وظيفة صوتية في نبر مقاطع معينة في بناء الكلمة، والإسلام جرياً على عادته في التخفيف على القبائل العربية ومراعاة لهجاتها لم يلزم أحداً بتحقيق الهمزة، وإن ألزمه في الوحي، فمالت قراءات كثير منهم إلى التسهيل، غير أن الفصحاء فضلوا النبر آخذين بالقرآن متأثرين بصنيعه، وهؤلاء قد لقبوا بأهل التحقيق طموحاً إلى مستوى أرقى من الفصاحة^(٩).

١٦٦، ١٧٢، والاتقان ٢٠٤/١.

(٩) ينظر: المحتسب ٤٦/١؛ والخصائص ١٤٨/٣؛ والظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز: ٣٧.



وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في مواضع معلومة^(١١).

ذكر عن الإمام علي عليه السلام وابن عباس أيضاً أنهما قرءا «هَيْتُ لَكَ» من الفعل (هَيَّأ) واللام من صلته أيضاً^(١٢)، وهي فعل صريح مثل: «هَيْتُ لَكَ».

وحكى الكسائي «هَيْتَ لَكَ» بفتح الهاء والتاء، وقال: (هي لغة الأهل حوران وقعت إلى الحجاز معناها تعال)^(١٣).

والأرجح أنها بالقطيعة ومعناها: أنا ملك لك، وهذا مدلوله أن القصة قد جرت أحداثها بمصر القديمة، فجرت هذه اللفظة على لسان امرأة العزيز، واستعمل القرآن اللفظة على سبيل الاستئناس والتنويه بلغة البيئة التي تجري فيها أحداث القصة^(١٤).

ولعل غرابة الكلمة وعدم تداولها في العربية على نطاق واسع سبب الاختلاف في

بعض المفردات عوض فيها بالهمزة المحققة عن بعض حروف المد واللين، وفي بعضها الآخر مال إلى تسهيل الهمز فيها، من ذلك:

(هَيْتَ - هَيْتُ)

رويت عن الإمام علي عليه السلام: «هَيْتُ» بكسر الهاء وهمزة الياء وضَمَّ التاء من قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣]، من تهيأت^(٩)، على مثال: (جِئْتُ)، من (هَاء، يَمِيء، إِذَا تَهَيَّأَ)، بمعنى: (تَهَيَّأْتُ لَكَ). والتاء في: «هَيْتُ» ضمير الفاعل المسند إليه الفعل^(١٠)، يقال فيه: (هَيْتُ، أَهِيءُ، هَيْئَةً) ك: (جِئْتُ، أَجِيءُ، جِئْتُهُ، وَقَالُوا: (هَيْتُ، أَهَاءُ) ك: (خِفْتُ، أَخَافُ)، هذا بمعنى خذ، واللام في: (هَيْتُ لَكَ) متعلقة بالفعل نفسه، فمعنى: (هَيْتُ: تَهَيَّأْ لِي أَمْرِي، وَحَسَنْتَ هَيْئَتِي)، لأن امرأة العزيز لم تكن لتقدر على الخلوة به في كل وقت، ونظير «هَيْتُ»: (فِئْتُ، وَتَفِيَّاتُ)،

(٩) ينظر: لغات القبائل: ١٤٤؛ ومختصر ابن خالويه: ٦٣؛ والمحاسب ٣٣٨/١.
(١٠) ينظر: الطبري ١٠٦/١؛ والسبعة: ٣٤٧؛ ومختصر ابن خالويه: ٦٣؛ حجة الفارسي ٤٤٢/٢؛ إعراب النحاس ١٩٨/٢؛ ومعالي النحاس ٥٣٥/١؛ والنشر ٢٢١/٢؛ والإتحاف: ٢٦٣، وهي قراءة ابن عباس ويحيى وأبي رجاء ومجاهد وعكرمة وابن عامر برواية هشام.

(١١) النحل: ٤، الحجرات: ٩، البقرة: ٢٢٦.
(١٢) ينظر: لغات القبائل: ١٤٤؛ والمحاسب ٣٣٨/١؛ والحجة لابن خالويه: ١١١؛ والكشاف ٤٥٥/٢؛ والطبري ٢٢٢/٥؛ والبيضاوي ١٦٠/٣.
(١٣) معاني القرآن للكسائي: ١٦٨؛ وينظر: معاني الفراء ٤٠/٢؛ ومجاز القرآن ٣٠٦/١؛ ولغات القبائل: ١٤٤-١٤٥؛ والبحر المحيط ٣٨٢/٥-٣٨٣.
(١٤) الطبري ١٠٦/١.

نطقها والتلفظ بها على نحو موحد، وقد بلغت وجوه القراءة بها ما يزيد على ست قراءات.

(لَيْبَذَنَّ - لَيْبَذَنَّ)

ذكر العلماء أنَّ الإمام علي عليه السلام قرأ «لَيْبَذَنَّ» بالهمز قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة: ٤]، قال ابن خالويه: (لَيْبَذَنَّ: بالهمز علي عليه السلام، والحسن، وجماعة، لينبذنه عن أبي عمرو. لَيْبَذَنَّ في الحاطمة بعضهم) (١٥).

وعرض الفراء لقراءة الجمهور «لَيْبَذَنَّ» على التوحيد ولقراءة الحسن البصري «لَيْبَذَنَّ» يريد: الرجل وماله.

وبين الزجاج القراءات فيها وذكر قراءة الحسن على أنَّ المعنى «لَيْبَذَنَّ» هو وماله في الحطمة، وقرئت: «لَيْبَذَنَّ» في الحطمة فمعناه: أنه لينبذ هو وجمعه في الحطمة، وأشار ابوحيان إلى قراءة الإمام علي وإلى مَنْ قرأ بها من القراء (١٦).

(١٥) مختصر ابن خالويه: ١٧٩. وقرأ بقراءة الإمام مجموعة من القراء، منهم الحسن البصري وابن محيص وحيد وهارون عن أبي عمرو.

(١٦) ينظر: معاني الفراء ٢٩٠/٣؛ ومعاني القرآن وإعرابه ٢٧٦/٥؛ والبحر المحيط ٧٢٧/٨.

(خطوات - خُطُوات)

قرأ الإمام علي عليه السلام «خُطُوات» بضميتين وهمزة من التعويض عن حرف المد واللين من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨]، وأحدها «خُطَاة»، أو «خطيئة» بمعنى الخطأ، قال أبو الفتح:

(أما الهمز في هذا الموضع فمردود لأنه من خطوات لا من أخطأت، والذي يصرفُ هذا إليه أن يكون كما تهمزه العرب ولا حظَّ له في الهمز، نحو: حلات السوق ورثأت روعي بأبيات، والذئب يستنشي ريح الغنم، والحملُ على هذا فيه ضعف، إلا أن الذي فيه من طريق العذر أنه لما كان من فعل الشيطان غلب عليه معنى الخطأ، فلما تصوّر ذلك المعنى أطلعت الهمزة رأسها، وقيل: خُطُوات) (١٧).

ويقال خُطوة واحدة ويجمع خُطُوات وخُطُوات. وفسّرت «خُطُوات» الشيطان طُرُقُه وآثاره، وأصل الخطوة مسافة ما بين

(١٧) المحتسب ١١٧/١، وهي قراءة الأعرج وعمرو بن عبيد والأعمش وسلام أيضا.



فَعَلِمُوا أَنَّهُمْ ذُكُورٌ أَوْ إِنَاثٌ؟ وهذا استفهام
معناه النفي، أي: لم يَحْضُرُوا خَلْقَهُمْ. وفيه
تقريح لهم، ومن قرأ «أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ»:
أَحْضُرُوا خَلْقَهُمْ^(٢١).

(رِثَاءٌ-رِثَاءٌ)

قرأ الإمام عليّ عليه السلام: «رِثَاءٌ» بهمزة
واحدة من قوله تعالى: ﴿كَأَلَيْدِي يُنْفِقُ مَالَهُ
رِثَاءَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، على تسهيل
الهمزة الأولى منها بجعلها ياء^(٢٢).

المبحث الثاني

الضبط والتحريك

الحركات القصيرة في العربية ثلاث:
الضمة والفتحة والكسرة، وتفاوتت هذه
الحركات من حيث الثقل والخفة، فالضمة
أثقل الحركات والفتحة أخفها، وبينهما
الكسرة، وقد اختلفت القبائل العربية في
نطق هذه الحركات، فبعض القبائل تستعمل
الضمة وبعضها يستعمل الفتحة أو الكسرة،
وكل ذلك بسبب (اختلاف اللهجات
العربية في نطق الصوائت القصيرة اختلافاً
بيناً في بعض ألفاظها، فقد يحرك الحرف
في لفظة بالكسرة في لهجة، ويكون بالضم

(٢١) معاني القراءات: ٤٣٨.

(٢٢) المختصر لابن خالويه: ١٦.

(أَشْهَدُوا-أَشْهَدُوا)

ذكر علماء العربية أن الإمام عليّ عليه السلام
قرأ: «أَشْهَدُوا» بهمزتين من قوله تعالى:
﴿أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩]،
وذكروا له قراءة ثانية بتسهيل الثانية بلا
مد^(١٩)، قال الفراء:

(نصب الألف من «أَشْهَدُوا» عاصم
والأعمش، ورفعها أهل الحجاز على
تأويل: «أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ»، لأنه لم يُسَمَّ
فاعله والمعنى واحد وقرأوا بغير همز
يريدون الاستفهام)^(٢٠).

وقراءة الإمام الأولي بهمزة داخلية على
«أَشْهَدُوا» رباعياً مبنياً للمفعول بلا مد بين
الهمزتين، قال الأزهري:

(من قرأ «أَوَاشْهَدُوا» فمعناه:
أَحْضُرُوا خَلَقَ الملائكة حين خلقهن الله،

(١٨) ينظر: السبعة: ١٧٤؛ معاني الأزهري:
٦٨؛ والحجة لابن خالويه: ٤٠؛ وحجة
الفارسي ٤٠٦/١؛ والتذكرة ٣٢٧/٢؛
والبحر المحيط ٦٨١/١.

(١٩) ينظر: المختصر لابن خالويه: ١٣٥؛
والمحتسب ٢٥٤/٢؛ والبحر المحيط ١٦/٨،
وقرأ بقراءة الإمام الأولي المفضل عن عاصم.
وقرأ بقراءة الإمام الثانية ابن عباس ومجاهد
ونافع في رواية له.

(٢٠) معاني القرآن ٢٩/٣-٣٠.

فالرَبِّيُّون هم الرجال، والأكثر عند الزجاج القراءة بكسر الراء، قال أبو الفتح: (الضم في رَبِّيُّون تيمية، والكسر أيضاً لغة. قال يونس: الرُّبة: الجماعة. وكان الحسن يقول: الرَّبِّيُّون العلماء الصُّبر. قال قطرب: والجماعة أيضاً مع يونس، أي: فرق وجماعات) (٢٦).

وذكر البيضاوي «رَبِّيُّون» بالفتح على الأصل، وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر (٢٧)، فهم الفرق والاتباع المنسوبون الى التَّأله والعبادة ومعرفة الربوبية لله تعالى. (عَمَد - عُمَد)

قرأ الإمام علي عليه السلام «عُمَد» بضم العين والميم من قوله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٩]، وهما لغتان، فقلوه: «عُمَد» جمع عمود مثل رسول ورُسل، وقد يكون جمع «عماد» مثل جدار وجُدُر، ومَن فتح العين والميم فهو جمع عمود (٢٨)، قال الفراء:

السبعة: ٢١٧؛ والحجة لابن خالويه: ٥٥؛ ومعاني الأزهرى: ١١١؛ ولسان العرب مادة: "رب". (٢٦) المحتسب ١٧٣/١. (٢٧) تفسير البيضاوي ٤١/٢. (٢٨) قرأ بقراءة الإمام ابن مسعود وزيد بن ثابت ويحيى بن وثاب والأعمش وحمة والكسائي. ينظر: الطبري ١٩٠/٣٠؛

في لهجة ثانية، وقد يكون الحرف ساكناً في لهجة وهو متحرك في أخرى) (٢٣)، وفي قراءة الإمام علي عليه السلام طائفة من الأصوات قرأها بحركات في (فاء) الكلمة أوفي (عينها) تختلف عن الحركات القصيرة التي عليها القراء الآخرين، ومن ذلك:

(رَبِّيُّون - رَبِّيُّون)

قرأ الإمام علي عليه السلام: «رَبِّيُّون» بضم الراء من قوله تعالى: ﴿قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وهي بمعنى الفرق والجماعات، وبالفتح «رَبِّيُّون» يكون الواحد منها منسوباً الى الرَّب (٢٤)، قال الزجاج: (وقيل في تفسير ربِّيُّون كثير أنهم الجماعات الكثيرة، وقال بعضهم: الربوة عشرة آلاف. وقيل: الربِّيُّون العلماء الأتقياء الصُّبر على ما يصيبهم في الله جلَّ جلاله وكلا القولين حسن جميل) (٢٥).

(٢٣) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٢٠٩؛ وينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية: ١١٨. (٢٤) وقرأ بقراءة الإمام ابن مسعود وابن عباس وعكرمة وأبي رجاء والحسن البصري وعمرو بن عبيد وعطاء بن السائب. ينظر: المختصر لابن خالويه: ٢٢؛ ولغات القبائل: ٧٤؛ والبحر المحيط ١٠٦/٣. (٢٥) معاني القرآن وإعرابه ٤٠٠/١؛ وينظر:



أَنْ صَرْتُ: قَطَعْتُ وَصُرْتُ: جَمَعْتُ، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ:

(وَأَوَّلَى مَا قِيلَ فِي مَعْنَى «فَصْرَهْن» وَ«صُرَهْن» أَنَّهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ، بِمَعْنَى الْقَطْعِ عَلَى التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، أَيِ فَخَذَ إِلَيْكَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصْرَهْنٌ) (٣٢). وَمِنَ الْقُرَّاءِ مَنْ كَسَرَ الصَّادَ وَهِيَ لُغَةٌ فِي هَذِيلٍ وَسَلِيمٍ (حَدَّثَ الْكَسَائِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ بَعْضَ بَنِي سَلِيمٍ يَقُولُ: صِرْتَهُ فَأَنَا أَصْرَهُ) (٣٣).

وَبِالْكَسْرِ قَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَحَمْزَةً، وَأَبُو جَعْفَرٍ، وَيَعْقُوبُ عَلَى إِرَادَةِ الْقَطْعِ، قَالَ الطَّبْرِيُّ:

(إِنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: «فَصْرَهْن» غَيْرُ خَارِجٍ مِنْ أَحَدٍ مَعْنَيْنِ أَمَا قَطْعُهُنَّ وَأَمَا أَضْمَمُهُنَّ إِلَيْكَ بِالْكَسْرِ قَرِئَ ذَلِكَ أَوْ بِالضَّمِّ، فَفِي إِجْمَاعِ جَمِيعِهِمْ عَلَى ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ مَرَاعَاةٍ مِنْهُمْ كَسَرَ الصَّادَ وَضَمَّهَا وَلَا تَفْرِيقَ مِنْهُمْ بَيْنَ مَعْنِي الْقُرَّاءَتَيْنِ) (٣٤).

فَهِيَ لُغَتَانِ بِمَعْنَى الْمِيلِ وَالضَّمِّ، قَالَ

٢/٤٨٠-٤٨١؛ وَالْبِضَاوِيُّ ١/١٥٧.

(٣٢) مَعَانِي النَّحَّاسِ ١/١٠٠-١٠١.

(٣٣) مَعَانِي الْكَسَائِيِّ: ٩٤.

(٣٤) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ٣/٣٧؛ وَيَنْظُرُ: مَعَانِي

الْفَرَّاءِ ١/١٧٤؛ وَلُغَاتُ الْقِبَائِلِ: ٦٢؛

وَلِسَانُ الْعَرَبِ مَادَّةُ (صِير).

(وَالْعُمْدُ وَالْعَمْدُ جَمْعَانِ لِلْعُمُودِ، مِثْلُ الْأَدِيمِ وَالْأُدْمِ وَالْأَدْضَمِّ، وَالْأَهَابِ وَالْأَهْبِ وَالْأَهَبِ، وَالْقُضِيمِ وَالْقُضْمِ وَالْقَضْمِ. وَيُقَالُ أَنَّهَا عُمْدٌ مِنْ نَارٍ) (٢٩).

وَذَكَرَ ابْنُ خَالَوَيْهِ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى هَذَا الْوِزْنِ إِلَّا أَحْرَفُ أَرْبَعَةٌ: أَدِيمٌ وَأُدْمٌ وَعُمُودٌ وَعَمْدٌ وَأَفِيقٌ وَأَفَقٌ وَإِهَابٌ وَأَهْبٌ. وَزَادَ الْفَرَّاءُ حَرْفًا خَامِسًا قُضِيمٌ وَقُضْمٌ، يَعْنِي الصَّكَّاءَ وَالْجُلُودَ (٣٠).

(صِرَهْن - صُرَهْن)

قَرَأَ الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَصْرَهْن» بِضَمِّ الصَّادِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَخَذَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصْرَهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، عَلَى إِرَادَةِ الْمِيلِ وَالْعَطْفِ بِضَمِّ الصَّادِ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ صُرْتُ هَذَا الْأَمْرُ إِذَا مِلْتُ إِلَيْهِ أَصُورَ صَوْرًا (٣١)، وَذَكَرَ النَّحَّاسُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ

وَإِعْرَابُ النَّحَّاسِ ٥/١٨١؛ وَمَعَانِي الْأَزْهَرِيِّ: ٥٦١؛ وَالْحُجَّةُ لِابْنِ خَالَوَيْهِ: ٢٤٨؛ وَالْقُرْطُبِيُّ ٢٠/١٨٦؛ وَالْبِضَاوِيُّ ٥/٣٣٨.

(٢٩) مَعَانِي الْقُرْآنِ ٣/٢٩١.

(٣٠) إِعْرَابُ ثَلَاثِينَ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

٢٠١؛ وَالْكَشَفُ ٢/٤٨٥-٤٨٦.

(٣١) قَرَأَ بِقِرَاءَةِ الْإِمَامِ السَّلْمِيِّ وَمَجَاهِدٍ

وَعُكْرَمَةَ وَالْحُسَيْنِ وَالسَّبْعَةَ غَيْرَ حَمْزَةٍ.

يَنْظُرُ: السَّبْعَةُ: ١٨٩؛ وَالْحُجَّةُ لِابْنِ

خَالَوَيْهِ: ٤٦؛ وَالْكَشَفُ ١/٣٥٩؛

وَالْكَشَافُ ١/٣٠٩؛ وَالْبَحْرُ الْمَحِيطُ



●الظواهر اللغوية في قراءة الإمام علي عليه السلام

أبو منصور: (والذي عندي في معنى صرهن
وصُرهَن أنَّ معناهما واحد) (٣٥).

(لُغُوب - لَغُوب)

قرأ الإمام علي عليه السلام: «لَغُوب» بفتح
اللام على إرادة الوصف من قوله تعالى:
﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٥].
واللُغُوب الأعياء، واللغوب قال فيه الفراء:
(جعله ما يُلْغَب، مثل لَغُوب) (٣٦)، ومعناه
بالفتح شيء يُلْغَب منه. قال أبو الفتح:

(لك فيها وجهان: إن شئت حملته
على ما جاء من المصادر على الفَعُول نحو:
الْوَضوء والْوَلُوع والْوَقُود. وإن شئت حملته
على أنه صفة لمصدر محذوف، أي: لا يمسنا
فيها لُغُوب لَغُوب على قولهم: هذا شعرٌ
شاعر وموتٌ مائت، كأنه يصف اللُغُوب
بأنه قد لَغِب، أي: أعياد وتعب، وهذا
ضرب من المبالغة) (٣٧).

(٣٥) معاني القراءات: ٨٧.

(٣٦) معاني القرآن ٣٧٠/٢؛ وقرأ بقراءة
الإمام طلحة ويعقوب والسلمي وسعيد
بن جبير. ينظر: لغات القبائل: ٢٥٢؛
والمختصر لابن خالويه: ١٢٤؛ ومعاني
النحاس ١٠٠٢/٢؛ إعراب النحاس
٢٥٣/٣؛ والكشاف ٣١٠/٣؛ والبحر
المحيط ٤١٦/٧.

(٣٧) المحتسب ٢٠٠/٢ - ٢٠١.

وكذلك ما جاء من قوله تعالى: ﴿وَمَا
مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] بفتح اللام
«لَغُوب» إذ قال فيها ابن جني: (وحسن ذلك
عندي أنه من لفظه، فكأن أحدهما صاحبه
البتة) (٣٨).

فاللغوب جاز أن يكون صفة للمصدر
المحذوف، كأنه لغوب كما قالوا: موت
مائت، وجاز أن يكون مصدراً كالقبول،
وجاز أن يكون صفة لمضمر بمعنى أمرٌ
لَغُوب. قال الزجاج:

(اللُغُوب: التعب والإعياء. يقال:
لَغِب يُلْغَب لُغُوباً، وهذا فيما ذكر أن اليهود
لُعِنَتْ، قالت: خلق الله السموات والأرض
في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة
واستراح يوم السبت، فأعلم ﷺ أنه خلقها
في ستة أيام وسبحانه وتعالى أن يوصف
بتعب أو نصب) (٣٩).

(مُرِيَّة - مُرِيَّة)

قرأ الإمام علي عليه السلام: «مُرِيَّة» بضم الميم من
قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ [هود:
١٧]، والمرية في اللغة الشك والجدل بالكسر
والضم، والأمتراء في الشيء: الشك فيه،
(٣٨) المصدر نفسه ٢٨٥/٢.
(٣٩) معاني القرآن وإعرابه ٤١/٥.

وكذلك التماري، والمرء: الممارسة والجدل، والمرء أيضاً من الامتراء، والشك^(٤٠)، قال الزجاج: (يجوز كسر الميم في مرية وضَمَّها، وقد قرئ بهما جميعاً في مَرِيَّة ومُريَّة)^(٤١).

(إِذَا-أَدَا)

قرأ الإمام علي^(عليه السلام): «أَدَا» بفتح الألف من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ [مريم: ٨٩]، والأد بمعنى الشيء العظيم، وقد ذكر الفراء القراءة بالفتح والقراءة بالكسر وهما بمعنى واحد يراد منها الشيء العظيم من الكفر، قال الفراء:

(قرأت القراءة بكسر الألف، إلا أبا عبد الرحمن السُّلَمِيُّ فإنه قرأها بالفتح «أَدَا»، ومن العرب من يقول: لقد جئت بشيء أد مثل ماد، وهو في الوجوه كلها: بشيء عظيم)^(٤٢).

(٤٠) وقرأ بقراءة الإمام الحسن البصري والسلمي وأبورجاء والسدوسي. ينظر: لغات القبائل: ٢٢٢، ومعاني النحاس ٩٤٧/٢، ١١٢٢؛ والمختصر لابن خالويه: ٥٩؛ ولسان العرب، مادة (مرا)، البحر المحيط ٢٧٥/٥ - ٢٧٦.

(٤١) معاني القرآن وإعرابه ٣٦/٣.
(٤٢) معاني القرآن ١٧٣/٢؛ وينظر: الطبري ٩٨/١٦؛ ومعاني القرآن وإعرابه ٢٨٣/٣؛ والمختصر لابن خالويه: ٨٦؛ والمحاسب ٤٥/٢؛ والكشاف ٥٢٥/٢؛ والطبرسي ٥٢٩/٦.

وبين النحاس القراءتين وذكر أن الكسر فيها أعرف^(٤٣) وأشار أبو حيان إلى قراءة الإمام فقال: (وقرأ الجمهور «إِذَا» بكسر الهمزة، وعلي بن أبي طالب وأبو عبد الرحمن بفتحها، أي: شيئاً إذا، حذف المضاف وأقيم المصدر مقامه)^(٤٤).

(قَنَوَان-قُنَوَان)

قرأ الإمام علي^(عليه السلام): «قُنَوَان» بضم القاف من قوله تعالى: ﴿قُنَوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ [الأنعام: ٩٩]، والقِنَوُ: العِذْق بكسر العين. قال ابن خالويه: (قُنَوَان دانية بضم القاف عبد الوهاب عن أبي عمرو والأعمش والسُّلَمِيُّ عن علي^(عليه السلام))^(٤٥)، ونقل أبو حيان تخريج أبي الفتح (على أنه اسم جمع على فعْلان، لأن فعْلاناً ليس من ابنية جمع التكسير، وفي كتاب ابن عطية وروى عن الأعرج ضم القاف على أنه جمع قنوب بضم القاف، وقال الفراء: وهي لغة قيس وأهل الحجاز، والكسر أشهر في العرب وقنوعلى قنوان)^(٤٦).

(٤٣) معاني النحاس ٧٤٠/٢.

(٤٤) البحر المحيط ٢٧٠/٦.

(٤٥) المختصر لابن خالويه: ٣٩؛ وينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢٢٢/٢.

(٤٦) البحر ال مختصر لابن خالويه: ٣٩؛ وينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢٢٢/٢.

؟ البحر محيط ٢٤٤/٤.



(دُحُورًا-دَحُورًا)

قرأ الإمام علي عليه السلام: «دَحُورًا»
بفتح الدال من قوله تعالى: ﴿وَيُقَدِّفُونَ
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾
[الصفافات: ٨-٩]، بمعنى يُدَحِّرون
وَيُبَاعِدُونَ وَيُطْرِدُونَ ويدفعون^(٤٧)، وذكر
النحاس القراءتين وقال: (ويروى عن أبي
عبد الرحمن أنه قرأ «دَحُورًا» بفتح الدال،
والمصادر على «فَعُول» قليلة، وقال بعض
النحويين: ليس بمصدر، ولكنه بمعنى
بما يدحروهم، ولو كان على ما قال لكان
«بَدَحُور» أي بمباعِد^(٤٨)).

(كُسُوتَهْن-كُسُوتَهْن)

قرأ الإمام علي عليه السلام: «كُسُوتَهْن» بضم
الكاف من قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَلَدِ لَهُ رِزْقُهُنَّ
وَكُسُوتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] قال
ابن خالويه:

(كُسُوتَهْن بضم الكاف السلمي عن
علي عليه السلام)^(٤٩).

(مُدْخَل-مَدْخَل)

قرأ الإمام علي عليه السلام: «مَدْخَل» بفتح
الميم من قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِي
مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠]، وبالفتح
جاء المصدر «مَدْخَل» على المعنى دون
اللفظ، وأجاز علماء العربية أن يكون اسم
مكان منصوب على الظرف، قال أبو حيان:
(وقرأ الجمهور: «مُدْخَل» و«مُخْرَج» بضم
ميمها، وهو جار قياساً على «أَفْعَل» مصدر،
نحو: أكرمته مُكرماً أي إكراماً، وقرأ قتادة
وأبو حيوة وحيد وإبراهيم بن أبي عبلة
بفتحهما، وقال صاحب اللوامح: هما
مصدران من دخل وخرج، لكنه جاء من
معنى «أَدْخَلْنِي» و«أَخْرَجْنِي» المتقدمين
دون لفظهما ومثلها ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]، ويجوز أن يكونا اسم
المكان وانتصابهما على الظرف، وقال غيره:
منصوبان مصدرين على تقدير فعل، أي:
«أَدْخَلْنِي» فأدخل مدخل صدق وأخرجني
فأخرج مخرج صدق)^(٥٠).

(وَلَنَحْمَل-وَلَنَحْمَل)

قرأ الإمام علي عليه السلام: «لَنَحْمَل» بكسر
(٥٠) البحر المحيط ٩٢/٦؛ وينظر: مختصر
ابن خالويه: ٧٧؛ والكشف ٤٢٦/١؛
والقرطبي ٢٧٢/١٠.

(٤٧) ينظر: لغات القبائل: ٢٣٣؛ والطبري
٢٣/٢٧؛ ومعاني القرآن وإعرابه ٢٢٥/٤؛
مختصر ابن خالويه: ١٢٧؛ والقرطبي
٦٨/١٥.

(٤٨) معاني القرآن ١٠٢٦/٢.

(٤٩) مختصر ابن خالويه: ١٤.

الْجَمْلُ - الْجَمْلُ

قرأ الإمام علي عليه السلام: «الْجَمْلُ» بضم الجيم وتشديد الميم من قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمْلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، قال الفراء: (وقد ذكر عن ابن عباس الْجَمْلُ يعني الحبال المجموعة) (٥٤)، ويراد من الخياط والمخيطة الأبرة. والْجَمْلُ هو قلس السفينة وحبالها الغليظة.

(فُسْحَقًا - فُسْحَقًا)

قرأ الإمام علي عليه السلام: «فُسْحَقًا» بضم السين وضم الحاء من قوله تعالى: ﴿فُسْحَقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١]، وهما لغتان مثل السُّحُت والسُّحُت والرُّعْب والرُّعْب، ومن حذف الحركة في القراءة فهم سلوك لغوي يراد به التخفيف، وتميّزت به لهجة تميم، ومن جاء به بالضم مثقلاً فهو على لغة أهل الحجاز مضافاً كان أو غير مضاف. قال الفراء: (اجتمعوا على تخفيف السُّحُق، ولوقرئت: فُسْحَقًا كانت لغة حسنة) (٥٥).

(٥٤) معاني القرآن ٣٧٩/١؛ وينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢٧٣/٢؛ ومعاني النحاس ٣٨١/١؛ مختصر ابن خالويه: ٤٣؛ المحتسب ٢٤٩/١؛ والبحر المحيط ٣٨٥/٤.
(٥٥) معاني القرآن ١٧١/٣. وقرأ بقراءة الإمام أبو المديني والكسائي أيضاً، ينظر: معاني الأزهري: ٤٩٧؛ والتذكرة ٧٢٥/٢؛

لام الأمر مع حرف العطف، من قوله تعالى: ﴿وَلَنَحْمِلَ خَطَايَكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢]، كما قرأ بكسر لام الأمر في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، قال أبو حيان: (وقرأ الحسن وعيسى ونوح القارئ: ولنحمل بكسر لام الأمر، ورويت عن علي، وهي لغة الحسن في لام الأمر) (٥١).

وذكر أبو حيان أن الزهري والحسن وأبا حيوة وعيسى بن عمر قرأوا بكسر لام الأمر في «وليخش» وفي «فليتقوا»، «وليقولوا»، وقرأ الجمهور بالإسكان (٥٢).

(لَدَنه - لَدَنه)

قرأ الأمام علي عليه السلام: «لَدَنه» بفتح اللام وسكون الدال وكسر النون من قوله تعالى: ﴿لَيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ [الكهف: ٢] كما قرأ بفتح اللام من قوله تعالى: ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ [آل عمران: ٨]، وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، قال ابن خالويه: (من لَدَنه بفتح اللام علي عليه السلام) (٥٣).

(٥١) البحر المحيط ١٨٣/٧؛ وينظر: مختصر ابن خالويه: ١٢؛ والاتحاف: ٣٤٤.
(٥٢) البحر المحيط ٢٤٧/٣.
(٥٣) مختصر ابن خالويه: ٢٠؛ وينظر: البحر المحيط ١٢١/٦.



ذكره من الحجّة ليس بواجب لأنّه يقال: صَدَدْتُ من قوله أي لأجل قوله، وعلى هذا معنى الآية-والله جل وعزّ أعلم-إنّما هو «يَصُدُّون» من أجل ذلك القول، وقد يجوز أن يكون مع ذلك الصدود ضجيج فيقول المُفسِّر: معناه يَضِجُّون^(٥٨).

(تَنكِصُونَ-تَنكِصُونَ)

قرأ الإمام علي عليه السلام «تَنكِصُونَ» بضم الكاف من قوله تعالى: ﴿فَكَنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٦]، ونكص بمعنى رجع بلغة سليم^(٥٩) والنكوص: الأحجام والانقذاع عن الشيء، ولا يقال ذلك إلا في الرجوع عن الخير خاصة، ونكص الرجل ينكص بكسر الكاف وضمّها رجع الى خلفه^(٦٠).

(٥٨) إعراب القرآن ٧٦/٤-٧٧؛ وقرأ بقراءة الإمام علي نافع وابن عامر والكسائي وعاصم وأبوجعفر وخلف والحسن والأعمش وإبراهيم النخعي وشيبة ويحيى بن وثاب والسلمي وعبيد بن عمير والأعرج وأبورجاء والأعشى والبرجمي وشعبة. ينظر: معاني الفراء ٣/٣٦؛ والسبعة: ٥٨٧؛ والكشاف ٣/٤٩٣؛ والطبرسي ٩/٥٢؛ والقرطبي ١٦/١٠٣؛ والنشر ٢/٣٦٩. (٥٩) لغات القبائل: ١١٦. (٦٠) ينظر: الطبري ١٣/٥٧٨؛ والقرطبي ١٢/١٣٦؛ ولسان العرب مادة

ونصب «سُحْقًا» على الدعاء، أو على المصدر، ويراد به الأبعاد عن رحمة الله سبحانه. قال أبو علي: (نصب على المصدر وسُحِقَ وسُحِقَ كالعُنُق والعُنُق والطُنْب والطُنْب، وما أشبه ذلك، وكلّه حسن)^(٥٦).

(يَصِدُّون-يَصِدُّون)

قرأ الإمام علي عليه السلام: «يَصِدُّون» بضم الصاد من قوله تعالى: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧]^(٥٧)، وهما لغتان بمعنى واحد، ونقل النحاس عن الكسائي والفراء (أَنَّ يَصِدُّونَ وَيَصِدُّونَ لغتان بمعنى واحد، كما يقال: نَمَّ يَنْمُ وَيَنْمُ وَشَدَّ يَشُدُّ وَيَشُدُّ، وفرّق أبو عبيد القاسم بن سلام بينهما، فزعم أَنَّ معنى يَصِدُّ يَضِجُّ ومعنى يَصِدُّ من الصدود عن الحق، وزعم أنها لو كانت يَصِدُّ بالضم لكانت إذا قومك عنه يَصِدُّون. قال أبوجعفر: وفي هذا ردّ على الجماعة الذين قراءتهم حجة وقد خالف بقوله هذا الكسائي والفراء، والذي

والكشف ٢/٤٢٨؛ والقرطبي ١٨/٢١٣؛ والبيضاوي ٥/٢٢٩. (٥٦) حجة الفارسي ٤/٥٤؛ وينظر: الطبري ٢٩/٥؛ والسبعة: ٦٤٤؛ وحجة ابن خالويه: ٢٢٩. (٥٧) ينظر: السبعة: ٥٨٧.



(يُبَلِّسُ - يُبَلِّسُ)

قرأ الإمام علي عليه السلام: «يُبَلِّسُ» بفتح اللام من قوله تعالى: ﴿يُبَلِّسُ الْمَجْرُمُونَ﴾ [الروم: ١٢]، كما قرأ بالفتح والتشديد «يُبَلِّسُ». يقال: أبلِس الرجل: تحيّر وانقطعت حجّته، فلم يهتد لها ويئس من الخير. قال الفراء:

(يئأسون من كل خير، وينقطع كلامهم وحججهم، وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلَميّ «يُبَلِّسُ الْمَجْرُمُونَ» بفتح السّلام والأولى أجود) (٦١).

وذكر الزجاج معنى: «يُبَلِّسُ» بقوله: (اعلم الله تعالى أنهم في القيامة ينقطعون في الحجة انقطاع يئسين من رحمة الله، والمبلِس: الساكت المنقطع في حجته، اليائس من أن يهتدي إليها، تقول: ناظرت فلاناً فأبلِس، أي انقطع وأمسك ويئس من أن يحتج) (٦٢).

(بَعَدَتْ - بَعُدَتْ)

قرأ الإمام علي عليه السلام: «بَعُدَتْ» بضم العين من قوله تعالى: ﴿كَمَا بَعُدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٥]، والبعد هنا بمعنى الهلاك والموت

"نكص"؛ والبحر المحيط ٥٠٥/٦.

(٦١) معاني القرآن ٣٢٢/٢ - ٣٢٣؛ وينظر: معاني النحاس ٩٢٣/٢؛ والمختصر

لابن خالويه: ١١٦.

(٦٢) معاني القرآن وإعرابه ١٣٦/٤.

فيكون دعاء عليهم بالهلاك كما هلكت ثمود، قال ابن خالويه: (كما بَعُدَتْ بضم العين معاذ وعلي t وعيسى والسُّلَميّ) (٦٣).

(قَطْران - قَطْران)

قرأ الإمام علي عليه السلام: «قَطْران» بفتح القاف وإسكان الطاء من قوله تعالى: ﴿سَرَّايَهُمْ مِّن قَطْرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، وقرأ الإمام أيضاً: «قَطِر» بفتح القاف وكسر الطاء وتنوين الراء، قال أبو حيان: (وقرأ علي، وأبو هريرة، وإن عباس، وعكرمة، وابن جبير، وابن سيرين، والحسن بخلاف عنه، وسان بن سلمة بن المحقق، وزيد بن علي، وقتادة، وأبو صالح، والكلبي وعيسى الهمداني، وعمرو بن فائد، وعمرو بن عبيد: «من قَطِر» بفتح القاف وكسر الطاء وتنوين الراء) (٦٤).

(تَهَوَّى - تَهَوَّى)

قرأ الإمام علي عليه السلام: «تَهَوَّى» بفتح الواو بمعنى تحبّب من قوله تعالى: ﴿فَأَجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مِنَ النَّاسِ تَهَوَّى إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، ومعنى «تَهَوَّى» بكسر الواو تنزع إليهم تهواهم وتجلّثهم، وتهوى مضارع هوى

(٦٣) مختصر ابن خالويه: ٦١؛ وينظر: معاني القرآن وإعرابه ٦٢/٣.

(٦٤) البحر المحيط ٥٦٥/٥؛ وينظر: مختصر ابن خالويه: ٧٠؛ والقروطي ١٢٣/٧.

من حرقت أحرقه وأحرقه لغتان... حدثنا أبو العباس قال حدثنا محمد قال حدثنا الفراء قال حدثني حبان بن علي عن الكلبي عن أبي صالح أن علي بن أبي طالب قال: «لَنَحْرِقَنَّ» لنبردنه^(٦٧)، يقال حرق ويحرق بضم راء المضارع وكسرهما، والتشديد مبالغة في «حرق» إذا برد بالمبرد وذلك إذا كان جماداً، قال أبو الفتح: (حرقت الحديد: إذا بردته فتحات وتساقط، ومنه قولهم: إنه ليحرق علي الأرم، أي: يحك أسنانه بعضها ببعض غيظاً علي... فكأن «لَنَحْرِقَنَّ» على هذا: لنبردنه ولنحته حتاً، ثم لنسفته في اليمّ نسفاً)^(٦٨)، ومن قرأ بضم النون وفتح الحاء وتشديد الراء وكسرهما أراد الإحراق بالنار قطعة قطعة^(٦٩).

(٦٧) معاني القرآن ١٩١/٢، وقرأ بقراءة الإمام ابن عباس وحيد وأبو جعفر المدني والأعمش وعمرو بن فائد أيضاً. وينظر: المختصر لابن خالويه: ٨٩؛ ومعاني القرآن وإعرابه ٣٠٦/٣؛ والكشاف ٥٥٢/٢.
(٦٨) المحتسب ٥٨/٢.
(٦٩) ينظر: الطبري ٣٥١/٦١، البيضاوي ٧٣/٤، لسان العرب مادة (حرق)، البحر المحيط ٣٤١/٦؛ والنشر ٢٤٢/٢.

بمعنى أحب، ولما ضمّن معنى النزوع والميل عدّى بـ«إلى» وقرأ بقراءة الإمام زيد بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ومجاهد^(٦٥).

(يَطْعُمُهُ - يَطْعِمُهُ)

قرأ الإمام علي عليه السلام: «يَطْعُمُهُ» بكسر العين من قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، ونقل أبو حيان عن أبي بكر الرازي (في قوله «على طاعم يطعمه» دلالة على أن المحرم من الميتة ما يتأتى فيه الأكل منها)^(٦٦).

(لَنَحْرِقَنَّ - لَنَحْرِقَنَّه)

قرأ الإمام علي عليه السلام: «لَنَحْرِقَنَّ» بفتح النون وضم الراء من قوله تعالى: ﴿لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: ٩٧]، بمعنى لنبردنه بالمبارد برداً، من حرقه أحرقه وأحرقه. قال الفراء: (وقوله: «لَنَحْرِقَنَّ» بالنار و«لَنَحْرِقَنَّه» لنبردنه بالحديد كبرداً

(٦٥) ينظر: معاني الفراء ٧٨/٢؛ ومعاني النحاس ٥٨٩/١ - ٥٩٠؛ والمحتسب ٣٦٤/١؛ الكشاف ٣٨٠/٢؛ والطبرسي ٣١٧/٦؛ والقرطبي ٣٧٣/٩؛ والبحر المحيط ٥٥٦/٥.
(٦٦) البحر المحيط ٣١٤/٤؛ وينظر: القرطبي ١٢٣/٧.

المفهوم الحركي للقرآن الكريم

الباحث القرآني
مكي قاسم البغدادي
سورية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

وصلى الله على سيدنا وقدوتنا وقائدنا
وطبيب نفوسنا محمد المصطفى ﷺ المتأدب
بآداب ربه، المتخلق بأخلاق القرآن الكريم،
الصادق الوعد الأمين، الذي أرسله الله
تعالى رحمة للعالمين، فهو طب القلوب
وشفاؤها، وعافية الأبدان ودواؤها، وصلّى
الله على آله الطاهرين، واصحابه الذين معه
أشداء على الكفار رحماء بينهم، وبعد..

مقدمة:

القرآن الكريم منهج عالمي للناس
أجمعين، ولا يمكن أن يكون منهجاً عالمياً
يتناسب مع كل إنسان، في كل جيل،

مع حركة الليل والنهار، وتجدد الحياة
والأحياء، في كل مكان وزمان، وفي العالم
الكبير الفسيح... إلا أن يكون حركياً فاعلاً
مؤثراً، يألف الناس العقلاء، والناس
العقلاء الفضلاء تألفه، ولا خير فيمن لا
يألف القرآن، ولا القرآن الكريم يألفه!!

ولم تكن هناك علاقة ودية، وصداقة
حميمة علمية متبادلة ومتعادلة بينها!

والقرآن الكريم يضم بين دفتيه المنهج
الإلهي الحكيم، المملوء حكمة وعلماً
ومعرفة..

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ
مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى



وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿النحل: ٨٩﴾.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو كنز معلومات أساسية، ودائرة معارف رئيسية، وهو منهج حياة متكامل لصياغة الإنسان الكامل النموذجي، وهو النظام المميز عن كافة الأنظمة الوضعية المختلفة في العالم.

فهو كتاب عقيدة وتشريع ونظام عام، للنفس وللروح والجسد والعقل والفكر والسلوك... إلخ

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام/ ١٥٥].

وهو مصدر هداية ودراية ورعاية وحماية أساسي.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [سورة الإسراء/ ٩].

القرآن: كريم في عطايه، فلا بد أن

المفهوم الحركي للقرآن الكريم

يكون كريماً في هدايته، فجاء بالفعل (يهدي) بصيغة المضارع حتى يعطي معنى الاستمرار، فهو يهدي باستمرار وعلى الدوام وفي كل الحالات، ولكل إنسان وفي كل ظرف وزمان ومكان، وظيفته الهداية، ولكن يهدي للتي هي أقوم، وأقوم: صيغة أفعّل التفضيل، أي إلى أفضل درجات التقويم، وفي جميع الحالات، وفي جميع المجالات، بحيث لا يوجد بعدها درجة أفضل منها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فلم يقل القرآن أنه يهدي إلى السبل القيمة فحسب، وإنما يهدي إلى الأقوم، إلى الأرقى في كل شيء، وكل شيء عنده هو الأرقى، فهو الأقوم والأفضل والأحسن والأكمل والأجمل والأجل...

(والأقوم): الدرجة المثلى الأكثر اعتدالاً واستقامة وثباتاً وموضوعية وانسجاماً وحركية..

ويكون (أقوم) بشكل يتناسب مع قوامية الدين الإسلامي ﴿ذَلِكَ الدِّينُ

الْقِيمُ ﴿[التوبة/ ٣٦].

(ليس معنى القيم: ذلك الدين الحسن، ذوالقيمة العليا، الكبيرة في الحياة، فحسب وإنما يتسع المعنى: إلى معنى أوسع وأهم، فيعطي معنى: القيمومة والولاية والهيمنة والسيطرة والتمكين، أي أن هذا الدين القيم له القدرة الفائقة، والإرادة الذاتية الشاملة التي لها السيطرة المعنوية والروح الانسيابية، على جميع المبادئ الوضعية وجميع ما ينتجه البشر على مدى القرون المتوالية، وإلى أن تقوم الساعة)^(١).

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [المزمل/ ١٩].

إذن: القرآن الكريم هدى ورحمة واسعة للعالمين، وبشرى للمؤمنين الصالحين، وهو يحوي الخطوط الأساسية العريضة في مختلف المناهج الحياتية التي يحتاج إليها

(١) دراسة حول: (إشكالية الهداية بين حركة الفكر والسلوك)، وهي دراسة قرآنية معاصرة حول هداية القرآن لكل إنسان للتي هي أقوم، ولكن يميز المؤمنين في هداية نموذجية متألفة في الدنيا والآخرة، للباحث القرآني: مكي قاسم البغدادي، وهي دراسة مقدمة إلى مؤتمر العودة إلى القرآن، في دورته السابعة/ حوزة الإمام القائم العلمية في الشام/ السيدة زينب، مجلة البصائر العدد (٢٩) سنة ٢٠٠٣.

الإنسان في كل مكان وزمان وعلى تقادم الأجيال، سواء كانت المطالب العبادية أو الاجتماعية أو التربوية أو الروحية أو النفسية أو السياسية أو الاقتصادية أو الأخلاقية أو المصيرية. الخ.

قال تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية/ ٢٠].

الفصل الأول

طبيعة المنهج الحركي في القرآن الكريم، وردود الأفعال المتباعدة:

تعريف المنهج الحركي: هو مرحلة تحريك النص القرآني، من دائرة النظرية إلى آفاق التطبيق، وبصورة الطبع والتطبع لا التصنع. **بمعنى:** القرآن الكريم دستور نظري محترم عالي المضامين عند المسلمين كافة، المطلوب محاولة تحريكه من دائرة الفرد إلى آفاق الأمة الإسلامية، ومن حدود الأمة الإسلامية إلى آفاق الأمم الإنسانية جمعاء، وعلينا تحريكه في وجدان الناس ومشاعرهم وضمايرهم وأحاسيسهم، بحيث يكون حاجة ضرورية في حياتهم، وليس حاجة كمالية ترفيئة، فيصير جزء لا





● المفهوم الحركي للقرآن الكريم

أكان الإنسان الخليفة منذ التكوين أم خليفة منذ التشريع، سواء عرف الخلافة فقبلها، أو جهلها فرفضها!!!.

نلاحظ نزول القرآن الكريم كان عن طريق الواقع، من خلال أحداث حركة الواقع المتغيرة، لذلك لا يفهم القرآن الكريم (**حق الفهم**) إلا من خلال حركة الواقع المتغيرة!، والارتقاء الموضوعي بكل الواقع، والانفتاح الحركي مع متغيرات الواقع المتطور وتبدلاته.

فيكون القرآن الكريم: واقعياً بمنهجه، حركياً بأهدافه، عقائدياً بأحكامه، إنسانياً بتربيته، أخلاقياً بروحه، علمياً بأدائه، تنظيمياً بمخططاته... إلخ.

معنى القرآن الحركي، (الانفتاح على حركية الآيات القرآنية).

معنى القرآن الحركي: هو القرآن الواقعي، الذي يتناسب مع حياة كل إنسان مكرم، فمن عرف أنه مكرم قد كرمه الله تعالى، فعليه أن يكرم نفسه، ويعرف قدره ومن عرف قدره، لم يتعدى طوره، ومن عرف حدّه وقف عنده.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ

يتجزأ في حياتهم، وهذه النقلة من دائرة النظرية إلى أفق التطبيق الصحيح المتوازن والمتعادل والمتبادل، بحيث يكون الكلام من خلال الفعل، والفعل من خلال الكلام، ولا كلام من دون فعل، ويحذرون من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿[الصف اية ٣]

وتسمى هذه النقلة من دائرة النظرية إلى آفاق التطبيق السليم، بالمنهج الحركي في القرآن الكريم.

فالمنهج الحركي في القرآن الكريم أمر يحمله كثير من الناس، وهوفكر حضاري حديث ومستحدث وبدأت تتداوله النخبة الواعية الحركية من الناس، ولكنه فكر لا يزال في بداية الطريق، ولم تسلط عليه الأضواء الشافية بصورة كافية، وهوالفكر الحيوي الذي له المستقبل، وسوف يغلب كل المناهج الأخرى في المدى القريب، وكل آت قريب، وكل قريب كاد أن يقع..

ولكن ينبغي التركيز عليه، وبيان أهميته وفاعليته وتأثيره في حياة الإنسان الخليفة العاقل الموجود على هذه الأرض..سواء

وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرْ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ
الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا
تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ [الإسراء / ٧٠].

في الحديث الشريف: «رحم الله إمراً
عرف قدر نفسه».

ونحن نتساءل: لماذا ينال الإنسان رحمة الله
تعالى لمجرد أن يتوقف ويتفكر؟ كيف يعرف
قدر نفسه؟ (ومن عرف نفسه فقد عرف ربه،
ووصل إلى غاية كل علم معرفة).

لأن من يعرف قدر نفسه، سوف يعرف
حدوده وأصوله وفلسفة وجوده، والغاية
من خلقه... وهذا من أوليات المفهوم
الحركي في القرآن الكريم.

ومن يعرف قدر نفسه، سوف يعرف قدر
ربه وقدر دينه وقدر زوجته وقدر أولاده
وقدر أمته وقدر كل شيء، ولا يبخس حق
أي شيء. ولا يتجاوز على حق كل شيء.

قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ
أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾
[هود / ٨٥].

والذي لا يعرف قدر الناس، سوف
يبخس أشياءهم ومقاديرهم، ولا يضعهم

منازلهم المتناسبة معهم، وسلب الناس
أدوارهم المتناسبة معهم في الحياة، مما يؤدي
إلى الفساد الكبير في الأرض، لأنه يسبب
تخلخلاً في موازين الأشياء، ومقادير الناس
في الحياة، التي تساهم في إنشاء الحضارة
الإنسانية الجديد، وهذا دليل انه يجهل
النظام الحركي في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْنَا
فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر / ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ
تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان / ٢].

لذلك يكون معنى القرآن الحركي:
هو القرآن الواقعي المؤثر في الواقع، الذي
يعطي الأشياء مقاديرها المتناسبة معها،
فيكون الإنسان المناسب في مكانه المناسب،
ويكون التقييم بالكفاءات والنزاهات
والاختصاصات والشهادات، وبمقدار
الإخلاص يكون الخلاص، والإخلاص
قبل الاختصاص، و(قيمة كل امرئ ما
يحسنه)، وليس قيمة كل امرئ ما يملكه،
وما أكثر الناس الذين يملكون ولكن
القليل منهم الذين يحسنون!!.

النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦-١٥﴾
[المائدة ١٥-١٦].

المرسل والرسول والرسالة، عالمية:

المنهج القرآني النموذجي الفريد: عالمي
بمنطلقاته، واسع بأهدافه، سام بمقاصده،
إنساني بطرحه، متوازن بمنهجه، فهو مصدر
هداية ودراية ورعاية وحماية لكل إنسان في
العالم.

أما المنهج الرسالي: فمنطلقاته عالمية:

قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ
شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير ٢٧-٢٨].

أما الرسول: فهو رحمة مهداة للعالم، قال
تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
[الأنبياء / ١٠٧].

أما المرسل: فهو الله ﷻ الحكيم الخبير
فهو رب الخلائق أجمعين، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الحمد / ٢].

فصار عندنا المرسل والرسول والرسالة
كلها عالمية، وتحمل بشارة للعالم أجمع،
وتخاطب الإنسان العاقل المتدبر السليم
الفكر الباحث عن الحقيقة السليمة في العالم،
التي يرضاها الله تعالى. وتوصيل القرآن إلى
جميع أنحاء العالم، بشكل محب ومرغوب

قال تعالى: ﴿زَفَعْ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف / ٧٦].

وهذا معنى القرآن الهادي للتي هي أقوم،
الهادي إلى الاستقامة التي فيها السلامة
والكرامة بلا أية ملامة، وهذا هو المنهج
الحركي، المنهج الحيوي الفعال، الذي يحفز
فيك الحياة نحو الاستقامة، بحيث تحب
الحياة مع الاستقامة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ
اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا
تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾
[فصلت / ٣٠].

فالقرآن الهادي هو القرآن الحيوي،
ذو المنهج المؤثر في الإنسان المفكر، الإنسان
العاقل في جميع أنحاء العالم، لأنه منهج عالمي
كامل أمين، لكل إنسان على وجه الكرة
الأرضية يريد أن يعرف الحقيقة ويعرف ما
فلسفة الحياة وخلق الأحياء وقيمة الوجود،
وهل هو ضمن دائرة الوجود فحسب، أم
أنه أكبر من ظاهره المشهود!

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ
وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٠﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ
سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى



فيه، يحتاج إلى تعليم النظام الحركي في القرآن الكريم.

فالقرآن الكريم مصدر هداية لبناء الإنسان كل إنسان على وجه الأرض، ولو كان في الصين، وبناء الإنسان المهتدي المتكامل في العالم الكبير، على ضوء المنهج القرآني العالمي الحضاري المرن، فيخرجه من ظلمات الجهالة، ومن حيرة الضلالة، ومن تجاذبات الأنظمة الوضعية الكثيرة، ومن الشعور بالضياع القاتل، واجترار روتين الحياة ومعاناتها وبلاياها وفتنها الكثيرة...

فيخرجهم من هذا العناء والبلاء كله، إلى النور المطلق، والصراط المستقيم، وهداية رب العالمين حيث المنهج الحكيم السليم الأمين ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

منهج القرآن الكريم الحركي، أعتمد ذكر الأحداث المهمة، ولم يذكر أبطالها، لم ينزل القرآن الكريم في منهجه الحركي العام إلى معترك الصراعات والنزاعات المختلفة

السائدة، على مدى حركة نزوله، مهما كانت هذه الصراعات والنزاعات لها من أهمية وفاعلية في حركة التاريخ. وفي ذلك دلالات كثيرة!

مثال ١: لم يذكر القرآن الكريم ضربة الإمام علي عليه السلام في يوم الخندق، وكانت ضربته لعدوه واحدة وقاضية وتعادل عبادة الثقلين!

كما ورد عن رسول الله ﷺ بروز الإمام علي عليه السلام لقائد المشركين الذي يُعادل بألف فارس، وهو عمر بن عبد ود العامري، كان بروز الإيمان كله إلى الشرك كله!، وكان الموقف حاسماً وأساسياً ومصيرياً، ويحدد مستقبل الإسلام والمسلمين آنذاك...

ومع بالغ أهميته لم يذكره القرآن الكريم، ولم يُشر إليه!

وهنا تساؤل منطقي: لماذا لا يذكر القرآن الذوات الصانعة للإحداث المهمة، ولا يركز على بناء الأشخاص، مهما كانت قيمة الأشخاص وأهميتهم؟!

وأكد القرآن الكريم أن الله تعالى هو الذي كان يدير المعركة، بل هو يدير كل معركة، ويدير أمر كل شيء!.



ذكر الرسول محمد ﷺ باعتباره القائد المسدد والرسول المؤيد، وبعض الأنبياء الكرام ﷺ، وذكر زيد بن حارثة فقط، لأنه كان في حالة معالجة ظاهرة تبني الأولاد التي كانت منتشرة في الجاهلية، ويعتبره المتبني ولده، وهوليس من صلبه على مرور الأيام!

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [سورة الأحزاب / ٣٧].

والسبب في ذكر القرآن الكريم للحدث المهم ولم يذكر صانعه وبطله، لأن الذات الإنسانية المميزة النموذجية لا تستوعب جميع الذوات، ولا ترضي جميع الأشخاص، ويحصل معها الصراعات والمشاحنات، فتضيع الأحداث المهمة، وتنسى المواقف البطولية المؤثرة، بسبب هذه الصراعات واثبات الوجودات.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر / ٢٠].

وأن الذات الإنسانية البطلة النموذجية، يكون تأثيراتها مختلفة على أرض الواقع،

قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زُلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب / ١٠ - ١١].

وقد أنهى القرآن الكريم تصوير المعركة بأسلوب فني دقيق بقوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [سورة الأحزاب / ٢٥].

وبين القرآن الكريم أن الله تعالى هو الذي كان يوهن كيد الكافرين، وينصر المؤمنين. بقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * ذَلِكَمُ وَأَنَّ اللَّهَ مَوْهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة الأنفال / ١٧ - ١٨].

فلاحظ القرآن الكريم يركز على بناء المنهج، ويسلط الأضواء على المقصد من الموقف، ولكنه يتعد عن ذكر الأشخاص، ولم يمجّد بالذوات كافة، ولم يركز على صانعي المواقف وأبطال الأحداث، باستثناء



وهذا معنى قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير ٢٧-٢٨].

القرآن الكريم دعوة عالمية من أول مرحلته، وأول انطلاقتها، والدعوة الإسلامية في مكة محاصرة مطاردة، فهويثبت المنهج السامي العالمي، في هذه الدعوة الإلهية الشاملة، (لمن شاء منكم أن يستقيم) (إن طريق الهداية ميسر لمن يريد أن يستقيم في العالم، وأنهم إذن مسؤولون عن أنفسهم، ومسؤولون عن اختيارهم، وقد منحهم الله تعالى هذه التيسير وهذا الاختيار، فمن لم يستقم فهو مسؤول عن انحرافه ومحاسب عليه، فقد كانت أمامه فرصة ذهبية أن يستقيم) في ظلال القرآن ج ٢ ص ٣٨٤٣ / سيد قطب / دار الشروق / لبنان مع التصرف. ومن خلال التركيز على إحياء المنهج القرآني العالمي المقصود، قبل إحياء الذات الإنسانية النموذجية المميزة، هو المنهج الحركي الفاعل في القرآن الكريم،

ولها تأثيرات متغيرة على الناس، مع تغير الزمان والمكان والأشخاص، فهي تعيش في زمن، وتصنع أحداثه، وكل زمن حالته ورجاله، وتساهم في بناء حضارته، وتنقش عملها النموذجي في حركة التاريخ، ولكن هذه الشخصية المؤيدة والمسددة، لا تتمكن من حصول التأييد لها من جميع الأشخاص، وهذا ما يؤيده الواقع!

أما التركيز على المنهج والمقصد والموقف النموذجي،... هو التركيز على الهدف الأساسي الذي يريد أن يثبته الله تعالى في قرآنه المجيد، وهو المقصد المهم الذي ينشده الإنسان في العالم في كل زمان ومكان ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد/ ٤١].

وإحياء المنهج القرآني هو تطوير للهدف على مدى حركة التاريخ، لان المنهج القرآني باقٍ مع بقاء الحياة، بينما الذات الإنسانية البطلة الصانعة للموقف المهم تكون فانية ولها اجل محدود، فهي تبقى حية بمقدار ما تصنع هذا المنهج الحيوي، وتجسد هذا الموقف البطولي وتحیی به، والمنهج أيضاً كفل القرآن الكريم بقاءه حياً مؤثراً في حركة النفس المفكرة، في أي مكان في العالم:



● المفهوم الحركي للقرآن الكريم

للقرآن الكريم العالمي، الذي يعطي للمنهج حياته وتأثيره اللازم، وفاعليته وأهميته وهدفه ونوره ومقاصده وتألقه... إلخ في نفس القارئ للقرآن، أوالدارس له ويبنى شخصية قوية نموذجية على أسس قرآنية ربانية عالمية متألقة، لا تخضع للاجتهاد الإنساني المختلف، وإنما تكون منقادة إلى المنهج القرآني الحيوي المتسامي المؤثر في النفوس المفتوحة.

فالمنهج الحيوي (الحركي) في القرآن الكريم، بحاجة إلى ثقافة التغيير والتبديل، لا تغيير الثقافة الأساسية والتحويل.

فالمنهج الحيوي المؤثر، مقدمة أولية داعمة للمنهج الحركي في القرآن الكريم.

فإذا تعرفنا على الدراسة القرآنية الحيوية للقرآن الكريم، ولا يقتصر ذلك على آيات الأحكام فقط، وإنما يعتمد النص القرآني جميعه، فسوف نعرف مقدمات المنهج الحركي العالمي المؤثر في القرآن الكريم... والقرآن الكريم يفيض بالمفاهيم الحركية التي يحتاجها الدعاة المبلغون لرسالات الله تعالى، في صراعهم الحضاري المستمر مع معسكر الجاهلية الحديثة الخطيرة باشكالها المتنوعة.

لأنه يتمكن من أن يتفاعل مع كل نفس حية في العالم أجمع، تواقه لمعرفة الهدى، وتريد أن تبتعد عن الهوى، وتجسيد الأنا.

حركية المنهج القرآني، تعتمد على قوة الأصالة، وقدرة الحداثة:

المنهج الحركي في القرآن الكريم، جاء حجة على الناس كافة من أجل أن يبقى مؤثراً في الناس وحجة كافية شافية على الخلق (كل الخلق)، فهو يعتمد الأصالة مع قوتها، الممزوجة مع الحداثة وقدرتها، والأصالة هي الثوابت في المنهج القرآني، غير القابلة للتغيير ولا التبديل ولا الاجتهاد، (فلا اجتهاد مقابل النص).

فيأتي أصحاب المنهج الحركي في القرآن الكريم يعتمدون الأصالة، كقاعدة عقائدية أساسية ويحملوها بعنصر الحداثة وأساليب المعاصرة، الذي فيه جانب الحيوية والتأثير والديمومة والعطاء والبقاء...

وعنصر الحداثة: حالة تجديد الأسلوب، والاعتماد على قاعدة حيوية الطرح، وفاعلية العرض، ومحاولة القدرة على التأثير والتحريك في المشاعر والضمائر والأحاسيس، وتبني المنهج الحيوي المؤثر

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت/ ٣٣].

حيث تضافر الكفر كله في كل مكان من العالم، وتلاحمت إمكاناته الشريرة، لحصار منهج الله تعالى والدعاة إلى الله تعالى، بأساليب جهنمية خبيثة، وضمن مخططات على المدى القريب، ومخططات على المدى البعيد!!.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة التوبة/ ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج / ٨].

القرآن الحركي يؤسس الأمة الداعية الواعية:

ومن منهجية العمل الحركي في القرآن الكريم، هو تأسيس جماعة حركية مؤمنة، مؤهلة متكافلة ومتعاونة ومتواصية بالحق ومتواصية بالصبر، لتفعيل المنهج القرآني في الأمة الإسلامية، والناس كافة، بقدر المستطاع.

بقوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ

إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يعتمد المنهج القرآني الحركي على تكوين الأمة (الوسط)،

الداعية الواعية المؤثرة، التي تعرف دورها الإنساني ومسؤوليتها الشرعية، في تبليغ الرسالة قبل السعي لتكوين الدولة الحاكمة.

فالأمة الحركية النخبة المعدة سابقاً على ضوء القرآن الكريم، هي التي تقود الدولة الكريمة الحاكمة بما أنزل الله، وكلما أحكمت الأمة النخبة خطتها، وأتقنت حركيتها، وسارت على بصيرة عن أمرها ورشد من وعيها، ودقة في أسلوبها، كلما قويت الدولة وظهر أمرها وقدرها وأزداد تقديرها وهيبتها في العالم، بزيادة قوتها ووحدتها وتوحيد صفوفها.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف/ ١٠٨].

فلا دولة اسلامية حاكمة بما أنزل الله تعالى، من دون إعداد أمة قرآنية حركية داعية واعية فاعلة، لذلك جاء الاستخلاف بعد الاستضعاف في القرآن الكريم، وهذا من معاني المنهج الحركي في القرآن الكريم



ومعنى الدعاة إلى طاعتك: الدعوة الرشيدة إلى الله تعالى وحده، الدعوة إلى منهجه وقرآنه وطاعته بأسلوبه العالمي الحركي الحيوي السديد، دعوة قرآنية خالصة إلى الله تعالى، لا دعوة إلى المذاهب والأحزاب والقناعات والذوات والقيادات، دعوة حيوية قادرة على مخاطبة الإنسان العاقل في العالم أجمع والتأثير به، وليست دعوة خاصة موجهة إلى الإنسان في المذاهب، دعوة كفوءة ونزيهة وذات أفق واسع، وقادرة على تحريك قلوب الناس جميعاً، بأساليب علمية واعية مدروسة، وتلبية حاجاتهم العقائدية وغيرها.

ومعنى القادة إلى سبيلك: فإذا استطعنا أن نؤثر في خطابنا للجماهير في العالم، وتأثرت الجماهير بنا، فسوف تحصل الحاجة إلى قيادتهم، قيادة رشيدة سديدة، قادرة على استثمار طاقات الأمة المتأثرة المتفاعلة، وحسن توجيهها إلى سبيل الله تعالى، سبيل النجاة.

قيادة قرآنية حركية علمية عملية، تقول وتفعل، ولا تقول ما لا تفعل، قيادة نموذجية لها طموح كبير لإنجاح مشروع قرآني نهضوي

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

القرآن الكريم: ومنهج الدعاة والقادة الحركيون:

في دعاء الأفتتاح المروي عن الإمام المهدي المنتظر ﷺ فقرة ملفتة للنظر، فيها صفتان مهمتان مشتركتان مندجتان، يحتاجها في أصحابه، المقربين، لإنجاح مشروعه الإلهي النهضوي العالمي الجديد العادل بقوله: (اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله، وأن تجعلنا من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة).

يطلب الإمام المهدي ﷺ من الله تعالى هذا الهدف الكبير دولة كريمة بمعناها الواسع، لم يقل دولة إسلامية بمعناها المخصص، لأنه لم يعد الأمة النخبة الحاكمة فيها، ولكن هذه الدولة الكريمة يعز فيها الإسلام ويذل فيها النفاق، ومن مقومات هذا الهدف الكبير، أن تجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك، (وبعدها يحصل)، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة.



قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ [الأنعام / ٩٠].
قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب / ٧٠].

وبهذا المنهج الحركي النموذجي يندمج القول مع العمل، والطموح مع الاستعداد، والنظرية مع التطبيق، وبهذا يكون القول سديداً والعمل رشيداً، والأمل جديداً.
وعن الإمام علي عليه السلام: «قولوا الخير تعرفوا به، واعملوا الخير تكونوا من أهله»^(٢) (٣).

القرآن الكريم ومنهج الهداية الحركية، والاستقامة الواقعية:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [سورة البقرة / ٢٥٧].

طرق الضلال متنوعة، وسبل (الظلام) مختلفة، وأهله كثيرون، لذلك جاء كلمة (الظلمات) بصيغة الجمع في الآية، ونلاحظ كلمة (النور) جاءت بصيغة المفرد، لأنه طريق واحد، وكذلك الاستقامة والحق

حركي عالمي، وليس قيادة مطلوبة لتجسيد ذاتها ولذاتها الشخصية، وأخسر الناس من عاش لذاته ولذاته. ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ﴾ [القمر / ١٥].

والفرق بين الصفتين:

أن للدعاة إلى طاعتك: قدرة مقدرة ومديرة، وإمكانية فائقة على مخاطبة الجماهير الكبيرة، والتأثير بها، لأن الكلام الضروري المستقيم الحيوي الواعي النابع من القلب، تتفاعل معه القلوب بسرعة، فيكون كالماء للظمان... فتتوجه هذه الجماهير وتتعباً وتتأثر بخطاب الدعاة النموذجي، لأنه خطاب قرآني حركي هادي وهدى وشفاف.

أما القادة إلى سبيلك: إذا تعبأت الجماهير وتأثرت، فهي بعد ذلك بحاجة إلى من يقودها إلى سبيل النجاة وشاطئ الأمان... ﴿وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية / ٢٢].

فينبغي أن تكون للدعاة إلى طاعتك، قدرة مؤثرة خاصة مميزة على مخاطبة الجماهير الكبيرة في كل مكان، وعلى الهواء مباشرة، والقدرة الكافية على توجيهها وقيادتها واستثمار إمكانياتها التي هي أحسن، فتكون لها قدرة حسنة. وقيادة رشيدة صالحة.

(٢) بحار الأنوار ج ٧ / ص ٣١١.

(٣) أهداف القرآن في أم الكتاب/ للمؤلف مكي قاسم البغدادي ص ٥٥٣، دراسة سورة الحمد.



● المفهوم الحركي للقرآن الكريم

تعارض مع حرية الآخرين، ولا تصطدم مع مصالحهم، ويرفعون عنه كافة الشبهات والمعاناة، ويهذبون عنده الشهوات والملذات وحب الذات، ويدعون إلى التقدم والتحضر والتطور والتوازن والاعتدال، ويعترضون على التأخر والتخلف والتراجع، ويحثون على التوافق والترافق والانسجام والتعاون على البر والتقوى، ويحذرون من التفرق والتنازع والتكراه والتباغض، فيوجهون الإنسان إلى الله تعالى على بصيرة من أمرهم، مقتدين بالصالحين ومتبعين للنبيين.

قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف/ ١٢٨].

الأسس الرئيسة للمنهج الحركي في القرآن الكريم:

تعتبر البنية الفكرية والعقائدية، والدوافع الحركية الهادية، والأساليب الحيوية المؤثرة، هي الأساس الذي تقوم عليه الخصائص الحركية بأسسها العامة.

فإذا صح الفكر صح السلوك، وإذا صحت المقدمات صحت النتائج.

والعدل طريق واحد يمثله طريق النور، وأهله قليلون، وسبيل الحق والباطل لا يقاسان بالكمية وإنما بالكيفية، ولا يقاسان بالكثرة وإنما بالتنوعية والمصدقية العملية، ويقاسان بالحجة والبرهان والعلم الواضح والبيان، والعمل ومعرفة حقيقة الحق وحقيقة الباطل، على قاعدة: (اعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف أهله).

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف/ ٧٨].

في غرر الحكم: «اصبر على مرارة الحق، وإياك أن تنخدع لحلاوة الباطل».

وهنا تتجلى الحاجة الماسة إلى ضرورة الهداية الحركية، والدراية الحيوية، والعلوم الإنسانية، والاستقامة الواقعية، والحاجة إلى القادة القدوة والأسوة والمبلغين منهج الله القيم إلى الإنسان في العالم، بأساليب حيوية قيمة، فهم عامل مساعد لهداية الإنسان إلى الصراط المستقيم الأصيل الواحد، ويضعون له الأنظمة الهادية التي تتعدد أدوارها وتختلف سبلها واختصاصاتها وتتوحد أهدافها وغايتها المقدسة.

ويحددون حرية الإنسان التي لا

أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿[الحاقة / ١٢].

إذن: لا قيمة لأية ممارسة حركية أو دعوتية أو حزبية أو تنظيمية لم توزن بميزان الله تعالى.

٢. ومن خصائص المنهج الحركي في القرآن الكريم، تحمل المسؤولية الرسالية، لتطبيق المنهج بشكل سليم، ودعوة الناس إليه عن طريق العمل قبل القول ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سورة سبأ / ١٣].

أو القول من خلال العمل، ولا قول من دون عمل، لأن القول من دون عمل يغضب الله تعالى.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الصف / ٢-٣].

وذكر الآيات والبيانات في وجوب التبليغ للمنهج القرآني الحركي للناس.

كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران / ١٨٧] ومسؤولية الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة، يجب القيام بها كل إنسان مسؤول ضمن القدرة والكفاءة

فالمنهج الحركي عند الماديين، مبني على اللون المادي في مختلف اتجاهاتهم المعيشية والحياتية.

أما المنهج القرآني الحركي فيجعل الأسس الرئيسة التالية:

١. الله تعالى المدبر والمقدر والمقتدر، هو الحاكم وحده والمشرع للمنهج القرآني كله بكل أبعاده، وكذلك الأمر في التوجيه والتربية والعلوم المختلفة...

فمنهج الله تعالى ليس مجرد عقيدة عبادية تجعل الاطمئنان في القلوب، ولا مجرد شعائر عبادية مختلفة تقام... بل منهج يشمل جميع النشاطات المتنوعة، ويربط بين مطالب الإنسان المختلفة السياسية والاقتصادية والعبادية والاجتماعية والأخلاقية... إلخ.

ويوجهها جميعاً إلى هدف واحد أصيل ومقدس وهو الله تعالى، بحيث تتعدد الأدوار بين الناس، ولكن تتوحد الأهداف المشتركة، وهي رضا الله تعالى ومنافع الناس ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن / ٧٨].

قال تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا



والنزاهة ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾

[الصافات / ٢٤]. وكلما تحددت

اختصاصاته، ازدادت مسؤولياته.

٣. ومن خصائص المنهج الحركي في

القرآن الكريم، حسن الخلق،

فإن (الإسلام حُسن الخلق)

والتعامل بالمعروف، وإشاعة

العدل والإحسان والإنصاف بين

الناس، بحيث تكون عادة وعبادة،

وعدم بخس الناس أشياءهم

وقدراتهم، واستثمار الطاقات

واعداد الكفاءات، فإن استثمار

كافة الطاقات بين الناس، من

عوامل النهضة الحركية الحضارية

للأمة الإسلامية، بشكل يفوق

بقية الحضارات، ان انتشار مكارم

الأخلاق بين الناس، يؤدي إلى

الرقى في الفكر والسلوك الإنساني

بسرعة فائقة، ويتحسن العامل

النفسى على صعيد الفرد والمجتمع

بشكل ملحوظ.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

ولم يقل: إنك لعلى عبادة عظيمة! لان الخلق

العظيم عبادة عظيمة جامعة بين رضا الله

تعالى ورضا الناس ورضا النفس.

وفي الحديث الشريف: «إنما بعثت لأتمم

مكارم الأخلاق».

٤. اعتمد المنهج الحركي في القرآن الكريم

على قاعدة التغير نحو الأحسن

والتطلع نحو الأفضل، والإيمان

بحياة أكمل.

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى

وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك / ٢٢].

إن قاعدة التغير نحو الأحسن، حس

إنساني، وقانون رسالي أساسي عام، وسنة

حركية حيوية كبرى تخضع لنظام وتدير

وتقدير معين، فإن حركة الأنبياء ﷺ قد

رافقت التغير في مختلف الأشياء والأحياء،

ووضعوا منهجاً حضارياً مستقيماً جديداً في

المسيرة الإنسانية العامة، لتقودها نحو الكمال

الإنساني، والتكريم الرباني للإنسان (التزموا

الحق تلزمكم النجاة).

وعملية التغير الحركي نحو الأحسن،

تبدأ من المراحل الأولى للفرد ثم المجتمع،

ثم تتدرج خطوة خطوة مدروسة حتى

تصل إلى قمة الهدف، وهي تحقيق الاستقامة

الإنسانية المنشودة العامة، والرضا الإلهي



المقصود على الأرض.

٥. اعتمد المنهج الحركي في القرآن الكريم على قاعدة الواقعية، وهي انسجام المنهج القرآني، الحركي العالمي الراقي مع متطلبات الفطرة الإنسانية، ومع نظام الكون الفسيح، ومع حركة الحياة وتدفق الأحياء.

وهذا المنهج الحركي الواقعي الشمولي الإنساني العقلاني، بعيداً عن المثالية وانحرافات الخيالية فهي كما تعطي الجسد حقه من الحاجات، كذلك تعطي الروح حقه من المتطلبات، بحيث لا يكون شيء على حساب شيء آخر.

يبدأ المنهج الحركي الواقعي بفرض سلطانه وهيبته وقناعاته على الضمير والمشاعر والأحاسيس على أسس عقائدية، يربط القلوب بخالقها، ثم يهذبها بالإخلاص والصدق والتقوى، ويغذيها بالحيوية والجدية والفاعلية، ويروضها على الصبر وتحمل المشاق، وينظمها بالتواصي، والتعاون والتواصل والاستعداد للعطاء والفداء ونيل مراتب الشهداء السعداء^(٤).

(٤) المنهج الحركي في القرآن، مع التصرف والاختصار/ عبد اللطيف الرازي/ دار التعارف بيروت/ الطبعة (١) تموز ١٩٩٠.

٦. اعتمد المنهج الحركي في القرآن الكريم على قاعدة التحرك الهادي الهادئ المدروس، والأساليب المؤثرة على حركة المشاعر، والمنسابة مع نظام دقات القلب، وراحة الضمير، التي تبدأ من قاعدة أساسية تقول:

(أبدأ معه من حيث يحب (هو) حتى تنتهي معه من حيث تحب (أنت)!

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل/ ١٢٥]. ادعوا إلى الله تعالى، وحبب الناس إلى الله تعالى، وقرب الناس إلى الله تعالى، وعلم الناس منهج القيم، بأحسن ما عندك من الحجج البالغة والأساليب الخلقية المرنة، والأدلة القاطعة، والحوار الموضوعي الشفاف، وبالرفق واللين والانفتاح على الآخر، الكلام الجذاب المقرون بالعمل، الذي يرضاه الله ويقبله عقلاء الناس، فإن الرفق ما دخل في شيء إلا زانه، ولا خرج عنه إلا شأنه! قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر/ ٨٨]. إقبل الآخر





على ما هو عليه، حتى يقبلك على ما أنت عليه، وأعرف حدودك معه، حتى يحافظ على حدوده معك. فإن رسالة الإسلام رحمة للعالمين وللناس أجمعين، فعلينا مخاطبة الإنسان العاقل المفكر المميز في كل مكان، قبل مخاطبته بلغة مذهبية محدودة، فإن قبل الإنسان العاقل المفكر الإسلام الذي فيه السلام والأمان، فسوف يقبله المسلم بكافة مذاهبه، ويقبله الإنسان العاقل في كل مكان وزمان، وبذلك ينطلق الإسلام من الحدود المذهبية المتصارعة، إلى انطلاقة رسالته العالمية للناس كافة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء / ١٧٤].

ثم قال تعالى: ﴿وَجَادِثُهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

جاء الجدل بالتّي هي (أحسن)، بصيغة المبالغة، لم يقل: (الجدال الحسن) وإنما قال (الأحسن) والأفضل والأكمل والأجل والأجل، بحيث يكون قمة الجمال، وهو يعطي معنى الأصلح والأنجح والأنفع، لأنه الجدل المستقيم السليم الفاعل، الذي يفتح القلوب المغلقة، ويشرح الصدور المنقبضة، ويزيل الحواجز النفسية

● المفهوم الحركي للقرآن الكريم

المتراكمة، جدال إنساني وجداني رباني موضوعي عادل وشفاف، يقرب ولا يبعد، ويشّر ولا ينفر، ويوحّد ولا يشتت، وهذا المستوى الأحسن لا بد أن يعتمد على الطرفان، ويتبناه المتحاوران ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠] (وحسن الخلق): شعار الإسلام، وصفات الكرام، وأفضل مقام، ويفرض حالة الاحترام المتبادل^(٥).

اسلوب البحث يتقدم على مادة البحث، من عوامل المنهج الحركي في القرآن الكريم:

الأهمية البالغة في الأسلوب المرن الجذاب الواضح الحكيم، في توصيل الأفكار إلى الآخرين، أو المدرس إلى الطلاب، أو الخطيب إلى السامعين، بحيث يكون اسلوب البحث يتقدم على مادة البحث، وطريقة الطرح أهم من موضوع الطرح، ورب حق مؤكد قد يضع عندنا يساء طرحه، ويضعف بيانه، ويضطرب برهانه. ومن الحكمة النافذة، والقدرة على التأثير، عندما يكون الكلام خارجاً من القلب فينفذ في القلب

(٥) أهداف القرآن في أم الكتاب / ص ٧٢٣ مع التعرف / المؤلف مكي قاسم البغدادى.

بسرعة!، لأنه مبني على الصدق والإقناع، بعيداً عن الكذب والكبر، ويكون التعامل مرناً بعيداً عن الغرور والعجب وموارد الإثارة والتحدي..

ولم يحدد المنهج القرآني الحركي اسلوباً خاصاً ومعيناً وثابتاً في الدعوة إلى الله تعالى، فهو مائدة مفتوحة، حسب القدرات الإنسانية المتاحة. وإنما صفة الأساليب القرآنية الحركية، إنها تعتمد على الإبداع والتطور والتعدد في جانبها الفني الدقيق المصيب، فهي تلتزم الأصالة كقاعدة ثابتة التي تعتمد القيم والمبادئ والشرائع المزوجة بالحدثة والمعاصرة والشفافية في الطرح، فربما كان يصلح اسلوباً معيناً في زمن، لم يعد منسجماً مع حاجات الأمة والجيل الصاعد في زمن آخر.

وما هونافع اليوم قد لا يصلح في المستقبل.

يعرض القرآن الكريم أساليب متعددة، من أجل تحقيق هدفه الأساسي النبيل والجليل.

وهكذا أستخدم القرآن الكريم أساليب حركية متعددة، من أجل تحقيق الهدف

المرسوم، وتثبيت الحجة القطعية الواضحة على الناس، بلا أية شكوك وملايسات.

قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء/ ١٦٥].

فجاء بأساليب الحوار الموضوعي، والمناقشة الهادئة، والجدال بالتي هي أحسن، وبأساليب مختلفة منها أسلوب القصة والموعظة والتذكرة والترغيب والترهيب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحذير والإنذار والتهديد والوعيد..

ولتوضيح هذه الأساليب، نأتي بمثال واقعي حركي نأخذه من القرآن الكريم، يبين أساليب الدعوة إلى الله تعالى بطرق مختلفة، مرنة ولينة، ومباشرة وغير مباشرة...

كقوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ۖ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [يس/ ١٣-١٤].

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾: كان الاثنان لهما أسلوب واحد وطريقة واحدة ومباشرة ومواجهة وصریحة وفيها إثارة وردود أفعال، وعادة ردود الأفعال تأتي بإنفعال!، وتسرع



برسول ثالث، له اسلوب آخر، لنجاح الدعوة ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤].

لذلك عزز الله تعالى الموقف المتوتر، وشد أزر الاثنين، بإرسال رسول ثالث عليم وحليم، وهومن قيادات الدعوة، ومن عناصر التأثير، وله القدرة والكفاءة على التحريك، وعنده خبرة وتجربة في الحوار، (ورأي الرجل على قدر تجربته) ومقدار خبرته ومستوى كفاءته، وكمال نزاهته، وجمال أسلوب، وجلال محبته...

وكان الرسول الثالث اسمه (شمعون) وهومن حوارى عيسى عليه السلام:

فجاءهم باسلوب حركي حيوي جديد، رقيق ودقيق ومؤثر على المشاعر، وتركّن له النفوس، وتصغى له العقول، ويختلف عن اسلوب الذين سبقوه، ولكن بقي الهدف النبيل الواحد متحقق، وجاء اختلاف الاسلوب بشكل لطيف مناسب، وفي مكانه المناسب، وفي وقته المناسب، مع الحجة العقلية والعلمية والوجدانية المناسبة... فتغيرت النتيجة، وسمعوه واصغوا له

وبلا مقدمات ولا تمهيد ولا تهيئة أرضية نفسية لقبول الكلام، وكان أحد الدعاة المرسلين يقف بجانب الآخر ويدعمه ويؤيده في دعوته... لأنهما يعملان ضمن هدف واحد مقدس، وباسلوب واحد محدد، هو اسلوب الصدمة أمام العقلية الإلحادية المتكلسة اتجاه سبيل التوحيد!.

وعندما سمع القوم الكافرون كلامهما الصريح والفصيح: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾: فلم يتحملوه ولم يفهموه، لأنه غريب وعجيب وغير مألوف عندهم، وقامت قيامة قوى السلطة الحاكمة المستكبرة، وصار عندهم نفير عام، وكأنها دق ناقوس الخطر عليهم!، لأن الرسولان جاءا بتغيير الثوابت والقناعات المنحرفة السائدة والمعروفة والمألوفة، عند زعماء القوم وجماهيرهم وعامتهم، فقالا عند مرور الملك الجبار المغرور!.

(لا إله إلا الله والله أكبر) وأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر. وأعتقلها الملك وجلدهما وحبسهما للحساب والعقاب، ولم يسمع الناس كلامهما، وفشلا في تبليغ الرسالة الإلهية للناس، فكان مبرر لدعمهم



وحاوروه، وألقى الحجة الربانية عليهم جميعاً بشكل واضح ومصيب، ونجحت الدعوة، وألقيت الحجة، وقضيت الحاجة!

فكان جوابهم:

﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [يس ١٥-١٧].

وهكذا انفتحت دائرة الحوار المطلوب، والجدال المرغوب، وتحقيق قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل / ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت / ٤٦].

وذكر القرآن الكريم بأن الله عز وجل دعم الموقف السديد والحوار الرشيد، بدخول شخصية حركية داعية وخبيرة وداعمة، وتكون الرابعة والحاسمة، ودخل عليهم بأسلوب حركي آخر، ساهم في تلطيف الأجواء، وكان له الأثر الملحوظ، على الموقف المشهود، مع الاحتفاظ بالهدف النبيل الواحد المرسوم.

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس / ٢٠].

وجاءهم الرسول الحركي الرابع واسمه (حبيب النجار) وكان يهدف كيف ينجح في مهمته، (والهمة على قدر المهمة!)، جاء لدعم الرسل الثلاثة، وحمائيتهم من أي اعتداء، وبأسلوب حركي حيوي أخلاقي مميز ولطيف ومؤثر، المتمثل بالحوار العقلاني الهادئ مع بعض الشخصيات الوثنية المتنفذة المفتحة والقريبة من الملك المستكبر، الذي يحرك فيهم الفطرة والعاطفة والعقل والإيمان.

والقرآن الكريم يصف هذا المشهد الحركي الأخير، بأسلوبه البلاغي الناعم التقدير: بقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ مَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ..﴾ [الخ [يس ٢٠-٢٢].

واستطاع أن يحقق هدفه بقوة حجته، وينفذ إرادته، بالاستعانة بربه الرحيم.

قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي



إطار طاعة الله عز وجل، وضمن شريعته السهلة السمحة، ربا ينفع الناس.

الفصل الثاني

(نقد الأفكار والمناهج المعاصرة في فهم

النص القرآني)

المنهج المعاصر في تفسير القرآن الكريم
الجامع بين الأصالة والحداثة:

هو المنهج الحديث في طرح المباحث المتنوعة في القرآن الكريم، بما يتناسب مع متطلبات العصر، بحيث ينسجم مع تطلعات الجيل الجديد، في جميع أنحاء العالم فهو يرد الشبهات والإشكالات المختلفة بأسلوب حديث، هذا من جهة.

وهو أيضاً: تجديد بيان المفاهيم القرآنية الكثيرة، بطريقة حيوية جديدة ومؤثرة وفاعلة في النفوس، وتحويل النظرية القرآنية إلى روح تتحرك، وإلى واقع يتجسد.

باعتبار القرآن الكريم دستور المسلمين النظري، كيف نحوله من مرحلة النظرية إلى مرحلة التطبيق والممارسة العملية؟!

الحلقة المفقودة بين واقع المسلمين، ودستورهم القرآن الكريم القيم

وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٩﴾ [طه / ٣٩].

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران / ١٥٩].

وقال تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٥١﴾ وَمَا يُلْقَاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [فصلت / ٣٣-٣٥].

إذن: فلا أسلوب واحد، ولا جهود في الأداء، ولا ضعف في العطاء، ولا تكلس في الوسائل الحركية، ولا تحجر في الممارسات الإنسانية، ولا مراوحة في طريقة العرض، ولا يأس من عملية التغيير، ولا توقف عن الإبداع والابتكار في كل ما يخدم الهدف النبيل، وكل ما يدفع لتحقيق الغاية المقدسة، بحيث تكون جميع تلك الوسائل الجديدة المختلفة، والأساليب الحديثة المتنوعة، والمرونة الدقيقة في التصرف في



لا بد لنا أن نبحث بجد عن هذه الحلقة المفقودة، وينبغي أن نجدها ونتعامل معها بالاهتمام المطلوب، في فتح قنوات علمية وحركية مؤثرة بين المسلمين ودستورهم الغني الرضي المرضي.

ونبحث عن أساليب الفاعلية، وطرق التأثير بين القرآن الكريم وأهله ومريديه.

ومن هنا نجد أن العديد من الباحثين المعاصرين، والنخبة الهادفة المفكرة على اختلاف ثقافتهم وتباين مستوياتهم العلمية وقدراتهم الذاتية، يتوجهون بإخلاص، محاولين جاهدين ملء هذا الفراغ المتروك في ثقافة الأمة، وإنهاء قلقها النفسي، ومعاناتها المستمرة، وتحقيق أملها المنشود، وعيشها المرفّه المقصود، محاولين سد تلك الحلقة المفقودة، من خلال طرح دراساتهم ومباحثهم القرآنية والإنسانية المتنوعة، وبطرق وأساليب حديثة مؤثرة في مشاعر الناس، ولفت الأنظار إلى أهميتها وفعاليتها، سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين.

تعدد مناهج المفسرين للقرآن الكريم:

مظاهر التجديد في الفكر القرآني قد تتخذ منحى خاصاً يتناسب مع الزمان

والمكان ووعي الإنسان. فهناك تفسير يهتم أولاً بالجانب اللغوي والنحوي والأعراب، وهناك من يهتم بالجانب الفلسفي، وآخر يهتم بالجانب العلمي، وآخر يهتم بالجانب الحركي الاجتماعي، وآخر يهتم بالجانب الفقهي، والتركيز على آيات الأحكام، وآخر يهتم بالجانب الأصولي، وآخر بالجانب الأخلاقي، وآخر بالجانب العرفاني، وآخر بالجانب الشبكي للقرآن الكريم، بمعنى: إن القرآن جميعه وحدة واحدة، وشبكة متصلة غير منفصلة، متعاضدة غير مختلفة، بين جميع آياته وسوره شبكة معلومات أساسية تدعم بعضه بعضاً، وتفسر بعضه بعضاً، بحيث كل آية مرتبطة بالآيات التي قبلها، وبالآيات التي بعدها، فيكون أحسن تفسير هو التفسير القرآني للقرآن الكريم، مع الاهتمام بالجانب الموضوعي الذي يعتمد الأسلوب الحيوي المؤثر للقرآن، في كل موضوع بشكل مستقل، والاسلوب الحيوي جاء من مضاعفة الحياة، الذي يبعث الرغبة في المتابعة والقراءة والمعرفة.

ويأتي الحديث الصحيح عن النبي محمد ﷺ، داعم لهذا المنهج، ومؤيد لهذا الاسلوب الحديث.



واحدة، ولا من كاتب واحد، في مكان واحد، وزمان واحد.

وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنه:
(القرآن يفسره الزمان!).

وإنما القرآن الكريم بحاجة إلى مجموع الكفاءات، وتلاقح الخبرات، وامتزاج القدرات، وتعاون المؤسسات القرآنية، من جميع الأقلام والأزمان والأماكن والمذاهب والأفكار... إلخ.

والقرآن الكريم كان نزوله على ضوء أحداث الواقع المتغيرة، ولا يفهم حق الفهم إلا من خلال حركة الواقع، فهو كتاب حقيقي يعالج أمراض كل واقع على ضوء قواعده الحقيقية النموذجية، وكلما كان المفسر يفهم حركة الواقع بجميع ومداخلاته وتعقيداته، كلما كان أقدر على فهم حركية النص، وإعطاؤه حقه وروحه المناسبة معه، بحيث يؤثر في النفوس، ويحرك الواقع تجاهه. والمفسر المعزول عن حركة الواقع، ولا يعرف متطلبات الواقع ومعالجاته وتعقيداته، لا يستطيع فهم النص بكل أبعاده، بحيث يعطيه حقه وقدره وروحه وتأثيره، بطريقة عصرية مؤثرة، ولا

وكل واحد من هؤلاء المفسرين ينحى بطريقة خاصة، حسب ما يراه مناسباً في زمانه وظروفه ووعي أمته... وأحدهم يرى عرض جميع الوجوه لكل آية، الوجوه القوية والضعيفة، ولا يبين رايه في ذلك!!، ويبقى القارئ العام لا يعرف ماذا يختار، وأي الوجوه يفضل، ويبقى في دوامة محيرة لا يعرف الخروج منها!، وهذا مما يفقد النص حيويته المؤثرة!! ورجاحته المقدرة والمدبرة.

بينما المطلوب:

أن يكون القرآن الكريم منهج حياة للإنسان الخليفة العام على الأرض، ويكون تفسيره نموذجياً على أنه منهج حياة أيضاً له. والقرآن الكريم لا يعتمد فكره على منهج واحد محدد، وإنما يعتمد جميع مناهج الحياة، في جميع الاختصاصات والكفاءات والقدرات والنزاهات، في جميع المذاهب والملل والأزمان والأماكن، ومن جميع الأقلام.

والقرآن الكريم لا يفهم من عقل واحد، ولا من علم واحد، ولا من عالم ولا باحث ولا مفكر واحد، ولا من مذهب واحد، ولا من اختصاص واحد، ولا من رؤية



القرآن الكريم في أقلام الأساتذة والعلماء
والفضلاء والباحثين:

- كتب الأستاذ المرحوم عباس محمود العقاد، أنتقاد التفسير العلمي في كتابه: (الفلسفة القرآنية) قوله: (إن المسلم مأمور في القرآن بالتفكير والتأمل والتدبر الواعي الدقيق، والبحث عن الحقيقة، ومعرفة العقيدة الصحيحة، حتى لو كان بذلك الاستقلال عن تفكير الآباء، وعادت الأجداد)^(٧).

وفي محاولة أقناع المخاطب في كل مكان
بالتفسير العصري المتجدد.

- قال المرحوم محمد جواد مغنية: (إن التفسير للقرآن الكريم نظير الفن تماماً، كل واحد يعرضه حسب قدرته من الفن، وأن أي مفسر لا يأتي بجديد ومفيد وأصيل ولم يسبق إليه ولوفكرة واحدة، يكون هذا المفسر لا يملك عقلاً حركياً واعياً، وإنما يملك عقلاً قارئاً يرتسم فيه

يأتي بجديد ومفيد ومرغوب، ولا يعطي للنص حيويته وفاعليته، وبذلك يبخل حقه من حيث لا يعلم!.

وهذا ما قاله الإمام الخميني رحمته الله:

(رُب مفسر يقوم بحجب النص القرآني المطلوب، عن القارئ المتعلم!) ولا سيما عندما يستطرد المفسر بالأفكار الثانوية، والمعاني الظاهرية، والمواضيع الهامشية، أو يزداد اهتمامه بالجانب اللغوي والنحوي والاصطلاحي أو المعاني والإشتقاقات الشكلية أو المقاصد والوجوه المختلفة البعيدة عن المعنى والمبنى والمغزى والدلالة.

وهناك مقولة لطيفة تحت عنوان (الهيبة الخاطئة) فيقول:

لقد لعبت الهيبة الخاطئة في التعامل مع القرآن الكريم، دوراً كبيراً في إعاقه الفكر القرآني، من الانطلاق نحو الآفاق المختلفة، وشلت حركة الإبداع في التفسير، والحدثة في التفكير، والمعاصرة في الأسلوب، وحرمت الكثير من المفسرين والمؤمنين نعمة التدبر الواعي في آيات القرآن الكريم^(٦).

(٦) هجر القرآن الكريم/ المظاهر والأسباب/ د.رياض رضا/ مع التصرف/ دار ضحى دمشق ط (١) سنة ٢٠٠٨.

(٧) الفلسفة القرآنية ص ٢٠٢-٢٠٣ مع التصرف.



انه: (لا تغنى غرائب، ولا تنقضي عجائبه، ظاهره أنيق رقيق جذاب وباطنه عميق دقيق مناسب، ودلائله كثيرة تشمل جميع الآفاق، لم يجعله الله تعالى لزمان دون زمان، ولا لمكان دون مكان، ولا للجماعة من الناس دون غيرهم، فهو هدى للعالمين، ورحمة للناس أجمعين، لذلك فهو جديد ومفيد ودائرة معارف، وبنك معلومات غنية، في كل زمان ومكان وإنسان)^(١٠).

ومن الذي يكشف عن هذه المعارف والمعلومات في القرآن الكريم؟ لا ريب فيه هي الدراسات القرآنية الحديثة المتنوعة المستقيمة الأصيلة، لذلك يجب التعامل مع القرآن.

الكريم بقدسية عالية تختلف عن أي كتاب سماوي آخر، لأنه المصدر التشريعي الوحيد في الإسلام، فهو مصدر الهداية والغذاء الروحي لكل إنسان يريد أن يستقيم.

ما يقرأه لغيره، كما يرسم صورة الشيء في المرأة^(٨). ويقول أيضاً:

• (على المفسر أن يعتمد أسلوب الحجة المقنعة للقارئ، بأن الدين الإسلامي القيم يستهدف خير الإنسان وكرامته وسعادته، ولا حياة كريمة للإنسان من دون الالتزام بالدين القيم)^(٩).

• ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

• كان النبي ﷺ يصف القرآن الكريم

(١٠) مشابه لمثله مروي عن الإمام الرضا عليه السلام / عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق ج ٢ ص ٨٧.

(٨) التفسير الكاشف / محمد جواد مغنية ج ١ ص ١٠ مع التصرف.
(٩) المصدر السابق ج ١ ص ١٣ مع التصرف.



لها، لأنها مقفلة بالهوى والشهوات، وإلفة المنكر، (والاتباع الأعمى) والتعايش مع العادات المنحرفة، والتقاليد المتطرفة، والتي تعتمد حب الذات والمصالح الشخصية، والتعصب المذهبي، والانغلاق على حب الأنأ، والإعراض عن منهج الدين الحنيف وتلاحق الآراء... التي تقود إلى الضلال المبين بأية نسبة من نسبة^(١٢).

النظرة العصرية للقرآن الكريم:

تفسير القرآن الكريم لا بد أن يتطور منهجه، ويكون متناسباً مع التطور العلمي الدقيق، والتكامل البشري المنشود، من أجل مواكبة متطلبات العصر، ولا بد أن يتناسب النص الحركي للقرآن، مع تطور الذهنية الحركية الفاعلة، للمفسر الجديد، ولهذا السبب تطورت التفاسير الحديثة، وصدرت دراسات قرآنية معاصرة رائعة في منهجيتها واسلوبها وقوة حجيتها وطريقة أدائها، وجمالية عباراتها وانسيابية جملها، واعتدال منظورها، وسعة آفاقها.

لذلك جعل القرآن الكريم التدبر والتفكر والتأمل والتعقل في آياته الكثيرة، ضرورة ملحة.

قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾، [ص: ٢٩].

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

وعن الإمام علي عليه السلام: «ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه»^(١١).

ومن أعرض عن القرآن، أوتعامل معه بسطحية ولا مبالاة ولم يتفاعل معه بعلم وفهم وصدق...

فهو من المغلقة قلوبهم، والمقفلة نفوسهم، والمحجوبة عقولهم عن معرفة فلسفة الحياة القرآنية الحقيقية، لذلك قابل النص القرآني بقوله: (أفلا يتدبرون القرآن) وقال بعدها: (أم على قلوب أقفالها)!!

فهم عطلوا أجهزة الاستقبال عندهم، وانغلقت قلوبهم القاسية، فلا تسمح لدخول نور الهداية والدراية والعلوم الربانية (١١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٤٩.

(١٢) أهداف القرآن في أم الكتاب/ دراسة سورة الحمد/ للمؤلف مكي قاسم البغدادي/ مع التصرف والاختصار ص ٣٧-٣٨..

التدبر الحيوي المنفتح للقرآن الكريم:

لو كان الفضلاء يتدبرون القرآن بموضوعية وحيوية وانفتاح موزون، ويتفكرون في آثار معجزته، وأنوار هداياته، ونظم آياته، وكمال فصاحته، وجمال بلاغته، ورزانة معانيه، ومتانة مبانيه، ويتدبرون في أسرارهِ وحقائقهِ، ودقة إشاراته ورقة لطائفهِ، وأنواع معالجاتهِ لأمراض القلوب والعقول والنفوس والأبدان لوجدوا فيه لكل داء دواءً، ولكل مرض شفاءً، ولكل حالة علاجاً، ولكل اتجاه علماً، ولكل عين قرة، ولكل وجه غرة، فهو حجة الله البالغة على خلقه كافة.

قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام/ ١٤٩].

والقرآن الكريم بحر هائل لا ساحل له، وعمق دقيق لا يدرك غوره وعمقه، ولا تفذ درره وحكمه، وروح صافية نقية لا تباغض فيها، ولا خلاف في علومه وآياته، فمن حق الإنسان أن يقضي عمره فيه بالبحث والدراسة، والاشتغال فيه بالتعلم والتعليم بحيث يجذب الناس إليه، وتتعلق

به، وخيركم من تعلم القرآن وعلمه، أو كان في سبيل تعلمه. ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

فمن معجزة القرآن الكريم أن كثرة قراءته بتدبر لا تولد الملل، بل كثرة قراءته بعلم تولد الشوق والتوق والحب له، والتعلق به، والتفكير فيه، والتعلم منه، والتأدب بانضباط معه!!

فإذا كان للمنهج القرآني هذه الجاذبية، فجب التعاطي معه بخطاب فني يعتمد هذه الجاذبية والموضوعية الشفافة.

وفي الختام نقول: اللهم اسلك بنا الطريقة المثلى، واجعلنا على ملتك نموت ونحيا.

اللهم لا نجاة لنا إلا بهدایتك، ولا عصمة لنا من كل سوء بغير عنايتك، ولا سعادة لنا إلا برحمتك وطاعتك، ولا استقامة ولا سلامة ولا كرامة إلا من أشرق واستنار، وعرف فلسفة الأسرار، وتفاعل مع معادلات الأقدار وموازين المقدرات.



عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا
أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿[سورة يوسف / ١٠٨].

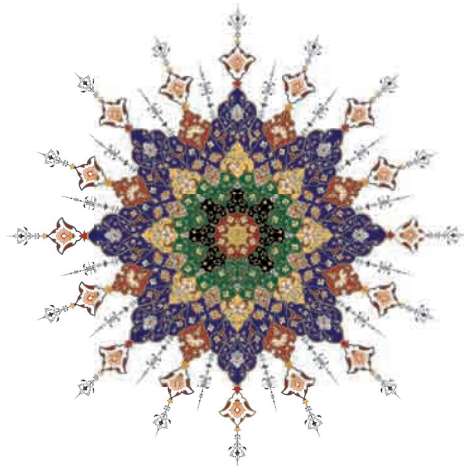
وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا
وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [سورة
الأعراف / ٤٣].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

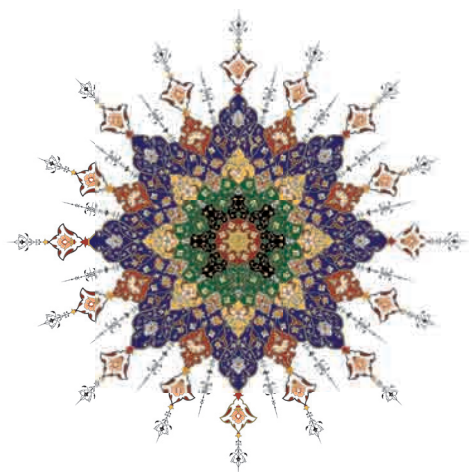
اللهم أجعل يومنا خيراً من أمسنا، وغدنا
خيراً من يومنا، وطموحنا خيراً من واقعنا،
ومستقبلنا خيراً من حاضرنا، ولا تجعلنا ممن
يتساوى يوماه، فنكون من المغبونين.

قال تعالى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ
يَتَأَخَّرَ﴾ [سورة المدثر / ٣٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ



وَلَا يَرْفَعُ رُفْقًا مِّنَ اللَّهِ



ملاح الرؤية التفسيرية للقرآن الكريم في فكر السيد كمال الحيدري (تفسير الباب أنموذجا)

د. حميد مجيد هذو
كلية صدر العراق الجامعة
الكاظمية المقدسة - العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

التفسير، ربما جاء متأخرا عما كان يجب، ذلك إن ساحة البحث في علوم العقائد والفلسفة الروحية، وعلم النفس الفلسفي وغيرها من المباحث (العلمائية) ألصقته، قد لا تجد مندوحة من التعلق (الجدي) بمباحث القرآن الكريم، بل حتى صبح تلك العلوم بها بإزاء انحسار الفهم العام عنها بدون فهم مرامي القرآن ورسم العلاقة الحميمة بين آياته وكل العلوم المتعلقة باقامه صرح الإيمان الذي أراد له السيد الحيدري أن يصل إلى (حق اليقين).

والسؤال الذي تصعب الاجابه عنه هو: لماذا خاض في مباحث (تأويل القرآن) قبل أن يخوض في مباحث (تفسير القرآن)؟

كان للقرآن الكريم وتفسيره، ومناهج الخوض في هذين الميدانين الشائكين، حظ وافر في فكر العلامة السيد كمال الحيدري وكتاباته وتقريراته ومحاضراته، وتعليقاته، بشكل جاء متوازنا مع الميدان الأصعب في المباحث العقيدية، تلك التي تتصل بشكل مباشر بالعرفان والفلسفة وعلم الكلام وأصول الفقه وما نحا نحوهما مما قد يشكل فهمه على غير المتخصصين بها واذا كانت هذه المباحث قد سبقت من البحث العميق لدى العلامة الحيدري، فلا مناص الى القول بأن سماحته قد فطن الى أن بحثه في ميادين

ولكي نعطي تبريرا منطقيا لهذا السؤال (أو لنقل التساؤل) نرى إن ذلك يرجع الى محاولة استكمال مباحثه العقائدية والتي تتعلق-أكثر ما تتعلق- بالتأويل وليس بالتفسير. ذلك إن التأويل يمثل مدخل المداخل الى تفرعات العقائد الروحية، فهو يمثل العلة الاعمق لما يطفو على سطح علم العقائد من الامثلة التي يجب أن تكون- بكليتها- مستوحاة من القرآن الكريم مثل مسألة (الامامة) و(العصمة) و(التوبة) و(الأخلاق) وهلم جرا إن سماحته بذلك قد بدأ من حيث ينتهي التفسير ثم التأويل، وليس العكس. وهو تبرير ينجح بالصحة إلى واقع الحال الذي يجمع شتات ما تناثرت أجزاءه في آراء الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء. ودليلنا على صحة ما أوردنا هو قول سماحته في مقدمه كتابه القيم (تأويل القرآن- النظرية والمعطيات) والذي تأثر فيه برأي العلامة (محمد حسين الطباطبائي) ومنهم من يرى إن التأويل هو: وجود معان مترتبة بعضها على بعض ترتب الباطن على ظاهره، وبذلك أقتضى (الترتب) دراسة تلك المعاني بمثابة المقدمات (التحصيلية) للوصول الى المعنى المراد من الاية الكريمة

أوبعبارة أوضح: إن سماحته قد قلب المعادلة فجعل التفسير (غاية) والتأويل (واسطة) وهو رأي لا يخلو من بعد نظر برغم ما ينتابه من صعوبات في رسم الطريق، واعتماد المنهج كما انه منهج تفرد به سماحته إذ لم يسبقه إليه احد ممن تصدى للكلام في المباحث القرآنية الموعلة في العمق: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف- ١٠٩].

وجامع القول في هذا، إن السيد الحيدري قد اخذ بمبدأ (الترتب) كما اصطلاح عليه (علماء الأصول) والذي يقضي بالتكليف بالمهم بشرط عدم امتثال التكليف بالأهم مطلقا من جهة امتثال التكليف بالمهم أو عدم امتثاله. وعلى ذلك، فقد ساغ لسماحته الشروع بالمهم وهي العلوم التي دأب على خوض غمارها عقودا من الزمن واجل الأهم وهو (التفسير) لكي ينشئ عليه مبنياته العلمية والتي افرغ منها جعبته أو كاد، فنسأل الله له التوفيق

وربما كان أول خوض علمي منهج له في (علم التفسير) وأصوله عام ٢٠٠٦ في بحث



تضمنه كتابه: (أصول التفسير والتأويل) والذي أقام فيه سماحته مقارنه منهجية بين آراء الطباطبائي وآراء ابرز المفسرين، وكأنه ومن خلال هذه المقارنه يريد أن يعطي أستاذه (الروحي) حقه من فضل السبق الى هذا الميدان. فسماحته يقران البداية لا تتحقق إلا من خلال مجموعه من المرتكزات العقائدية التي هي -حسب رأيه -، بمنزله الارضيه التي تهيم في الإنسان الاستعداد على أن يقال له: ينبغي أن تفعل كذا ولا ينبغي أن تفعل كذا. فالسيد الحيدري بهذه المقدمة قد اخذ بما اخذ به العلامة الطباطبائي نفسه في تعيين الباب الذي يلج منه الى علم التفسير وبشكل يجعل الغاية وسيله كما أسلفنا

(٢)

لقد نوه السيد الحيدري بأهم المناهج التفسيريه التي توزعت في نوازع المفسرين القدامى والمحدثين والمعاصرين وأبدى رأيه في كل منهج بما يتوافق ومشاربه البحثية. وهي تجد سبيلا للمفاضلة أوالمقارنة فإنه يميل الى منهج العلامة الطباطبائي على أن رأيه هوالفصل الأسمى في ميدان المنهج والعرض.

وربما كان سبب ذلك يعود الى ذلك

الإبداع منقطع النظير الذي امتاز به السيد الحيدري في ميدان العقائد والفلسفة الروحيه فضلا عن علوم الأصول والمنطق والأخلاق. واكبر الظن إن مباحث هذه الميادين كانت قد التصقت في فكره وأتت أكلها عنده قبل أن يفكر في إن ذلك سوف يقوده الى التطلع الى مناهج التفسير المتشعبة والمشبكة بمسمياتها ومناهجها ومراميها عند المعنيين بها والذين عززوا تلك المناهج بما يعضدها من الادله والبراهين العقلية والمأثورة أوما اصطلح عليه أهل الفن (بعلم الدراية وعلم الرواية).

لقد كان تأثره بالعلامة الطباطبائي مبكرا بالرغم من إن الطباطبائي لم يلتزم منهجا واحدا في (الميزان) بل حاول أن يوفق بين عدد من المناهج الحية التي يحتاج إليها العالم والمتعلم على حد سواء، وبالرغم -أيضا- من إن السيد الحيدري يوم مد نظره الى العلامة الطباطبائي، لم يكن ليدور في خلده -على ما اعتقد -انه سيأتي اليوم الذي يرى نفسه فيه مضطرا، بعد إن عبر كل القنوات المتعلقة بفهم القرآن على طريقه العارفين، الى أن يتصدى لتفسير القرآن وبمنهج ولا أقول عنه انه جديد على الفكر الإسلامي بعامة والقرآن



كلامية تاريخية، عالج فيها سياحته كل تلك
الميادين من خلال القرآن الكريم وكان
الجانب الأبرز فيها، علم العقائد وتشخيص
الخلل الذي يؤدي الى انتقاص عظمة القرآن
الكريم أو شخص الرسول الأعظم محمد ﷺ
أوصلب العقيدة الإسلامية

أقول: بالرغم من هذا التحفظ فإننا
نستطيع إن نصرّف قول السيد الحيدري الى
إن المراد منه إن اهتمام السيد الطباطبائي بهذا
الجانب كان ينبع من (مركز شعوره) على حد
تعبير علم النفس النظري وانه (الطباطبائي)
كان مهتما بربط كل المباحث التي طرقها الى
دعامة تعد الأكثر أهمية لمن يريد إن يدرك
مرامي القرآن الكريم بصفته كتاب هداية
ودستور عمل لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه... وربما كانت هي الحقيقة
الماثلة في الساحة. فالسيد الحيدري نفسه
جعل خوض مباحث التفسير والتأويل
خاتمة مطافه العلمي الذي نشره بين مريديه
خلال العقود الماضية كما أسلفنا. فقد جعل
مبدأ الأيمان بالتوحيد مركزا تحيط به كل
مبادئ الفكر العقيدي الأخرى سواء منها
الأصول أم الفروع متأثرا في ذلك بأستاذه
العلامة الطباطبائي ومعتمدا منهجه

بخاصة، بل هو جديد على فهم ذلك الفكر
من خلال القرآن العظيم وهو عكس توجه
القديم الذي كان يريد إن يرسم معالم القرآن
الكريم من خلال القيم الفلسفية، أو يفهموا
الوقائع التاريخية من خلال الرواية، وهلم
جرا. إن هذه الفكرة ربما استهوت العلامة
الحيدري لما فيها من تساوق مع طبيعة الفهم
البشري للقرآن، فوجدها مجسدة في منهج
العلامة الطباطبائي فانبهر بها وحدد منهجه
في الكتابة على وفقه. وهو يصرح بهذا الانبهار
في مقدمة كتابه (أصول التفسير والتأويل)
حيث يقول: (من هنا حاول العلامة
الطباطبائي في تفسير (الميزان) إن يبرز هذا
الملح في ملامح القرآن الكريم (وهو البعد
العقائدي)، مخططاً لدراسة العقيدة عن
قصد مسبق خلال تفسيره، ولم يأتِ البحث
العقدي عفويا، ولذا يمكن عدّ هذا التفسير،
كتابا عقائديا في الدرجة الأولى، بيد انه كتاب
عقائدي منطلق من القرآن، وهذا ما أراده
الطباطبائي في هذه الموسوعة القيمة).

وبالرغم من تحفظي على عبارة (وهذا
ما اراده الطباطبائي في هذه الموسوعة
القيمة) ذلك إن تفسير (الميزان) لا يقل عن
موسوعة فكرية (عقائدية فقهية فلسفية



العلمي في البحث التفسيري. انه يعلن عن إيمانه الراسخ بجدوى هذا المنهج في مقدمة كتابه (أصول التفسير والتأويل) حيث يقول:- (ينطلق السيد الطباطبائي من فكرة كثيرا ما يكررها في (الميزان) ويعرضها بصيغ مختلفة. فإذا ما أردنا أن نستثني الآيات التي تحدثت عن التوحيد مباشرة بأبعاده المختلفة من الذات والصفات والأفعال، فإن السيد الطباطبائي يعتقد أن الأصل الذي تعود إليه جميع تفاصيل المعاني القرآنية من معارف وشرائع وأخلاق، يرجع إلى جذر واحد وهو التوحيد. فالتوحيد (على حد رأي العلامة الطباطبائي) يختزل جميع التفاصيل والفروع وهي تعود إليه بالتركيب.

(٣)

ولنا، بعد هذا الإيضاح أن نتعرض لرأي السيد الحيدري في (مناهج التفسير) لدى علماء هذا الفن قديما وحديثا، ويمكن أن يتلخص في رأي سماحته في أن تقسيم المناهج المتداولة في جملة من المصنفات إنما هي قسمة (استقرائية)، وليست عقلية حصرية. أي إننا قد توصلنا إليها بطريقة دراسة كل التفاصيل التي وضعها العلماء المختصون وحكمنا على مشتركاتها وقارنا بين مبنياتها لنخرج بمسمى

معين لهذا المنهج أو ذاك. فالتقسيم لم يكن عقليا حصريا. مما يعني إن تأسيس الضابطة العامة للتفسير ومنهجه هذا التفسير لا يختص بمنهج من دون آخر، ولا بما هو موجود أنا دون ما يمكن تأسيسه أو اكتشافه من مناهج تفسيرية أخرى (انظر: المنهج التفسيري عند العلامة الحيدري - طلال الحسن - ص ٢٣ وما بعدها) وربما يكون قد استقر في تصنيف السيد الحيدري لمناهج التفسير ما لا يمكن أن يعترض عليه معترض، المناهج التالي ذكرها:

١. منهج التفسير الروائي.

٢. منهج التفسير العقلي.

٣. منهج التفسير العلمي التجريبي.

٤. منهج تفسير القرآن بالقرآن.

٥. المنهج التفسيري الجامع.

ولكي لا يدع مجالا للرد أو الاستدراك فقد جعل عنوان هذا التقسيم مصدرا بكلمة (أهم) والذي يشير الى أن هناك أقساما أخرى من المناهج ليست بذات بال أو هي فروع لأحد هذه الفروع الخمسة.

ومن خلال مراجعة مناهج التفسير كما قسمها الذين وثقوا تقسيماتها فإننا نقف أمام الحوظتين لاسبيل لتجاوزهما، وهما:



١. إن مسمى (التفسير الجامع)

هو عنوان لم أقرأه في بحث، لا قديم ولا جديد ولا أظن إلا أنه من مكتشفات السيد الحيدري بفضل دقة توزيعه أسماء ميادين أبحاثه. فهو عنده: المنهج الذي يعتمد جميع المناهج المعتبرة. فإذا أمكن تفسير الآية بآية أخرى، كان من نوع (تفسير القرآن بالقرآن)، وإذا أمكن تفسيرها بالرواية، كان تفسيراً بالرواية (المأثور) وهكذا... فالعمدة فيه هو اعتبار المنهج والدليل فهو لا يقتصر على منهج دون آخر، فبأي منهج معتبر وصحيح، أمكن الوصول إلى المراد من النص، تحرك المفسر باتجاهه... هذا المنهج الجامع للمناهج الصحيحة، يرفع المؤونة كثيراً عن كاهل المفسر ويجعله يتحرك بمرونة عالية جداً (انظر: الباب-ج ١ ص ٤٤ وما بعدها)...

إن السيد الحيدري يشير بهذا التصنيف لمناهج التفسير، وبإشارة واضحة لا لبس فيها إلى تفسير (الميزان) الذي كان قد

أخذ بمجامع إعجابه، وساحته يريد إن يرد بشكل غير مباشر على من نفى صبغة (التفسير) عن الميزان بل هو تخليق في سماء المباحث القرآنية، وحصر لدواعي عظمتها الفكرية. ذلك أن كلمة (التفسير) بمعناها اللغوي (دون الاصطلاح) قد يبدو تطبيقها ضعيفاً عليه. كما إن السيد الحيدري يرى إن هذا المنهج (الذي وصفه بالمنهج الجامع) ليس حديث الولادة، بل هو منهج أفرزته التجربة التفسيرية التي مرت بمراحل عديدة. فهو إذن من المناهج القديمة -على حد رأيه- بل والمنتشرة أيضاً. يقول سماحته: (تكفينا في تحقيق ذلك مطالعة يسيرة للمصادر التفسيرية في ضوء هذا المنهج، وإن كنا نعتقد إن هذا الأمر قد وقع من باب الاتفاق لا القصد. فبلوره المناهج وتسمياتها واصطلاحاتها، جاءت متأخرة عن بدء العملية التفسيرية بقرون كثيرة. (انظر: الباب-١ / ٤٥)).

نقول: إذا كان الباحثون في هذا الميدان قد سوَّغوا لأنفسهم وضع تقسيم منهجي لتفسير القدماء والمحدثين، والزموا من يليهم من الباحثين الأخذ بها على أنها من المسلّمات، فلماذا نستكثر على باحث عالم



متبحر كالسيد الحيدري إن يدلي بدلوه في هذا الميدان، خصوصاً انه ممن اخذوا أنفسهم بسبر أغوار القرآن العظيم وإبانة معطياته الفكرية في كتب وأبحاث وتقريرات وأحاديث ومحاضرات فاقت حد العد والحصر..!

٢. يبدو إن السيد الحيدري يرى إن تعداده لمناهج التفسير منحصر في هذه الخمسة التي ذكرها، وان كل ما أضيف إليها إنما هو تبع لها أو جزء منها أو حشواً لحدها. وقد أسلفنا القول بان سماحته قد استنبط القسم الخامس من المناهج التي ذكرها، إذ لم يسبقه إليه احد من الباحثين في هذا الميدان أمثال محمد حسين الذهبي أو عبد العظيم الزراني أو الشيخ محمد هادي معرفة أو محسن عبد الحميد ومن نهج نهجهم. ولا ندري هل قدم سماحته هذا التقسيم اختصاراً للميادين جميعها أم من باب ضم بعضها الى البعض الآخر؟ وربما كانت هذه الميادين هي المعتمدة عنده حين سيتصدى للخوض في تفسير القرآن الكريم. ربما كان من المفيد

هنا إن نذكر بعض تلك المناهج التي تجاوز ذكرها الحيدري:

فمن تلك المناهج: التفسير البياني للقران الكريم وهو أنموذج حي لبسط آيات القران اعتماداً على ما توحىه ألكلمه والعبارة من معنى جسيم في ألفاظ قليلة والبيان عند أهل ألبلاغه هو (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) وقد دعا الى هذا المنهج من المحدثين: أمين الخولي (في كتابه -مناهج تجديد-) و(عائشة عبد الرحمن- بنت الشاطيء- في كتابها (التفسير البياني للقران الكريم)). وهو منهج لا يتوغل في اللفظة الى حد (التأويل) بل يظل يساقها ويقف بها عند (المجاز العقلي) أو (المجاز المرسل).

ومن تلك المناهج: التفسير الصوفي الاشاري وبجانبه (التفسير الروحي ألعرفاني) وأمثلته أكثر من أن يحصرها عد. ومنها: التفسير الفقهي الذي يؤمن أصحابه بان القران إنما نزل على الناس ليأمرهم وينهاهم وينظم علاقتهم بالله ربهم وبيعضهم البعض. وخير مثل على هذا النوع: (الجامع لأحكام القران) للقرطبي و(أحكام القران) للجصاص و(تفسير آيات الأحكام) للسيوري وغيرها



ونستطيع تلخيص ما ذهب إليه معرفه
بأمور أهمها:

١. التفسير على وفق فهم المفسر الذي
ربما كان لا يمتلك أدوات الفهم
التي تمكنه من ذلك.

٢. ترجيح رأي يتناغم ونوازه
الفكرية أو العقيدية.

٣. تطبيق النص القرآني على ظاهرة
اجتماعية أو علمية أو فقهية أو مذهبية
بقريته موجهة توجيهها متكلفا.

٤. عدم التقيد بأقوال الأئمة والعلماء
وعدم الوقوف عند مذهب
مخصوص وعدم القول برأي معين
إلا إذا اقتنع به، والا فلا وعليه أن
يتركه إلى ما هو صواب في نظره.

أما ما شاع في عصرنا الراهن من منهج
جديد في تفسير القرآن، هو الذي أطلق عليه
بـ (التفسير **التدبري**)، فلا يمكن عزوه إلا
إلى الدعوة إلى فهم القرآن فهما يحقق المطلوب
من قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ
قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة محمد- آية ٢٤].
واغلب الظن إن هذا اللون من التفسير
قد شاع بعد نفاد الجدة من المناهج القديمة

ومنها: التفسير اللغوي الذي يقوم على
الدلالة النحوية والتصرفية للمعنى

ولعل أجلى صورة لهذا اللون من التفسير
(البحر المحيط) لأبي حيان الاندلسي الذي
تأثر بمنهج شيخه (ابن عطية)...

أما في عصرنا الحاضر، فقد غلب اللون
الأدبي الاجتماعي على التفسير، ووجدت
بعض محاولات علمية، في كثير منها تكلف
ظاهر وغلو كبير

أما اللون المذهبي، فقد بقي منه إلى يومنا
هذا بمقدار ما بقي من المذاهب الإسلامية:
! (محمد حسين الذهبي- التفسير والمفسرون
- ١ / ١٤٩). ولانرى ضرورة للإفاضة
أكثر في هذا المجال فالحديث فيه ساكن في
بطون كتب من كتب وآراء من رأى.

(٤)

التفسير بالرأي:

لم أقف على تعريف متفق عليه بين
المفسرين أو علماء القرآن الكريم للتفسير
بالرأي. ومعظم الذين تطرقوا إلى هذه
المسألة، اكتفوا بإيراد الأحاديث التي تمنع
من هذا اللون من التفسير ولم يرسموا
صورة واضحة الأبعاد له ولا المقصود منه.



واستنفادها من قبل هذا الجمع الهائل من التفاسير والمفسرين. فوجدنا من قصد هذا اللون متخذاً من القرآن الكريم كتاب هداية اعجز الناس بقوة حجته ونفاذ مواعظه الى القلوب واستعداد النفس لقبوله والأنس به والعيش في أجوائه بلا كلل أو ملل. وربما كان (سيد قطب) من أوائل من ادخلوا التفسير في هذا المدخل في كتابه (في ظلال القرآن) ونهج سبيله مؤلفون لا حصر لهم كلهم عن نطاق إخضاع التفسير للرواية المحضنة (كما فعل الطبري) و(الطبرسي) أولعلم الكلام كما فعل (الرازي) وهلم جرا.

وتقييدوا برسم الجو العام للآيه وجعلوها منطلقاً لدرس في الفقه أو الفلسفة أو الأخلاق أو العقائد أو المواعظ والعبر وهكذا وربما كان آخر ما اطلعنا عليه من هذا اللون من التفسير هو (من هدى القرآن) للعلامة السيد محمد تقى المدرسي، بأجزائه الثلاثة عشر. والذي دافع عن منهجه الذي يتهم بتصنيفه ضمن (التفسير بالرأي) تحت مسمى (تدبر القرآن).

أما العلامة الحيدري فانه إذ لم يفضل ذكر هذا النمط من تفسير القرآن نعى على أولئك الذين قد طبقوا بحقه الأحاديث المروية عن

النبي الأكرم ﷺ والأئمة الأطهار والتي تمنع بل وتحذر من تفسير القرآن بغير الوتيرة التي ألفناها. وقد رأى السيد الحيدري إن هذا التوجه عامل مهم من عوامل إعاقه حركة التفسير عند علماء المسلمين وتحويلها في كثير من الأحيان إلى مانع يصدر عن التعاطي مع كتاب الله وعقبه تردع المفسرين من ارتياد معانيه والغوص في أعماقه وذلك بإيراد نصوص عن المعصومين ﷺ من قبيل قوله ﷺ: «من فسر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب» وقد وصل السعي بعلماء (السلفية) التقليديين الى جعل (التأويل) ضرباً من ضروب التفسير بالرأي المنهي عنه في تلکم النصوص. وقد استعمل القائلون بوجود التأويل وصحة القول به (العقل) في توجيه روايات النهي والنفي. وقد لخص السيد الحيدري تلك الآراء تلخيصاً غاية في الدقة والأهمية، لذا أراني ملزماً بنقل ذلك نصاً كما ورد في (اللباب- ج ١ ص ١٥ وما بعدها) يقول سماحته: (إن المراد من مقولة (التفسير بالرأي) هو واحد أمرين على سبيل (ما نعة الخلو) لا (مانعة الجمع)^(١).

(١) هما مصطلحان بلاغيان يعني الأول منهما (مانعة الخلو): اجتماع طرفي قضية منفصلة واستحالة انفصالهما مثل: الجسم أما أن



أي متكلم، اذا ورد علينا لم نلبث دون أن نُعمل فيه القواعد المتبعة في كشف المراد منه، ونحكم بذلك انه أراد كذا.

كما هو الحال في جميع المحاورات -عموماً- في المجتمعات العقلانية، لان بياننا مبني على مانعلمه من اللغة ونعمده من مصاديق الكلمات حقيقة أم مجازا.

والبيان القرآني الذي هو كلام الله غير جار على هذه الطريقة. بل هو كلام موصول بعضه ببعض وينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض فلا يكفي ما يتحصل من أية واحدة بإعمال القواعد المقررة في العلوم المربوطة في انكشاف المعنى المراد منها من دون إن نقف على جميع الآيات المناسبة لها ونجتهد في التدبر فيها.

الثاني: أن يكون للمفسر اتجاه ومذهب معين، فيتأول القرآن على رأيه، ويصرفه عن المراد ويرغمه على تحمل ما لا يساعد عليه المعنى المتعارف: فلو أمكن لهذا المفسر، تجريد نظره التفسيري عن مذهبه واقتصر نظره على النص وحده لما انتهى الى ما انتهى إليه. وقد يسوق (المفسر برأيه) دليلا لإثبات مدعاة، وقد يكون الدليل صحيحا في أصله، إلا انه غير منطبق على مدعاه، وإنما سيق في المقام

الأول: إن المراد من التفسير بالرأي المنهي عنه، أمر راجع إلى طريق الكشف دون المكشوف. بمعنى إن التفسير بالرأي، مقوله في المنهج وفي طبيعة الطريق الذي يسلك في تفسير القرآن. فإذا ما سلك المفسر الطريق الخاطئ، وقع في محذور التفسير بالرأي، وترتب على ذلك منطقيا وطبيعيا خطأ النتائج، وإن كان يمكن إن تصيب الواقع أحيانا.

بعبارة أخرى، إنما نهى -عليه السلام- عن تفهم كلام الله -تعالى- واقتناص المراد منه، على نحو ما يتفهم به كلام غيره، وإن كان هذا النحو من التفهم والطريق ربما صادف الواقع، وذلك بان يقيس كلامه -تعالى- بكلام الناس. فان قطعة من الكلام، من

يكون غير ابيض أو غير اسود أي عدم خلوه من إحدى الصفتين وإن اجتماعا. أما (مانعة الجمع) فهي القضية المنفصلة التي يحكم فيها باستحالة اجتماع طرفيها وبامكان ارتفاعها مثل: أما أن يكون الجسم ابيض أو اسود فالأبيض والأسود يستحيل اجتماعهما في جسم واحد ويمكن أن يرتفعا بمعنى إن الجسم قد لا يكون ابيض ولا اسود بل قد يكون بلون آخر ومانعة الجمع منها ماهو موجب ومنها ماهو سالب (راجع معاني المصطلحات العلمية والبلاغية في المصادر القديمة والمراجع الحديثة).



لتصحيح ما طابق مذهبه فلم يكن النص مقصودا له، ولا اصل الدليل المساق في المقام، وإنما ما انطلق منه ابتداء واصطاحبه معه بغية إثباته بنصوص القرآن).

وتلطيفا بالجو البحثي وإزالة للتشنج الحاصل من إنكار أهل التفسير بالرأي، يردف السيد الحيدري قوله الى ما سبق: (ولا ينبغي توهم بطلان سوق المفسر لمعتقداته عند قراءة النص ألقراني. فالتنصل - كما يرى سماحته - السوق أمر عسير جدا. وإنما الباطل وغير الصحيح، هو تحكيم تلك المعتقدات، والمقبولات في مورد تفسير النص وهذا ما اصطلحنا عليه بالاتجاه) ويعرض - سماحته - نماذج للمناهج التي تتخذها فئات من المفسرين: أما على أساس منهج كلامي معين، إذا حاولوا تفسير الآيات بما يوافق مذاهبهم واتجاهاتهم الكلامية، بأخذ ما وافق وتأويل ما خالف على وفق ما يجيزه ويرتضيه منزعههم الفكري، أو على أساس منهج فلسفي معين، فإنه عرض لهم ما عرض للمتكلمين من الوقوع في مزلق تأويل الآيات المخالفه بظاهرها للمسلمات في فنون الفلسفة بالمعنى الأعم، أي الرياضيات والطبيعات والإلهيات

والحكمة العملية (وخاصة المدرسة المشائية فقد تأولوا الآيات ألوارده في حقائق ما وراء الطبيعة وآيات خلق البشر وحدوث السماوات والأرض وآيات المعاد... الخ، بالرغم من أن أصحاب هذا المنهج قد صرحوا بأن هذه النظريات مبنية على أصول موضوعه وفرضيات لم يقم عليها أي دليل. ويضيف السيد - الحيدري - الى هذين المنهجين، ما نجده في التفاسير ألقائمة على منهج المتصوفة. فانهم (المتصوفة)، وبسبب اشتغالهم بالسير في باطن الخلقه واعتنائهم بشأن الآيات (الأنفسية) كما يسميها سماحته، دون عالم الظاهر وآياته الآفاقية، اقتصروا في بحثهم على التأويل ورفضوا التنزيل، فأستلزم ذلك اجترأ الناس على التأويل، وتلفيق جمل شعرية والاستدلال من كل شئ على كل شئ، حتى آل الأمر إلى تفسير القرآن بحساب الجمّل، ورد الكلمات الى الحروف النورانية والظلمائية، الى غير ذلك ويختتم السيد الحيدري رأيه في تلك المناهج فيقول: (ومن الواضح أن القرآن لم ينزل هدى للمتصوفة خاصة ولم يكن المخاطبون به هم أصحاب علم الأعداد والافاق والحروف، ولا أن معارفه مبنية





على حساب الجُمْل الذي وضعه أهل التنجيم بعد نقل علم النجوم من اليونانية وغيرها الى العربية). (راجع الباب ١ / ١٧ بتصرف)

نفهم مما تقدم أن التأويل يعد أكثر تحملاً لخوضه بالرأي الذي يخدم النوازع والمآرب البشرية من التفسير الذي قد لا يجد الرأي فيه مكاناً اللهم إلا من باب الترجيح بين المعاني المروية على وفق ما أوتي المفسر من ثقافة لغوية أو بلاغية أو روائية، مع إعطاء المسوغ العلمي لهذا الترجيح أوزاك، مع إبقاء باب حرية القبول أو الرفض مفتوحاً أمام القارئ بحسب ثقافته هو الآخر وقناعاته الشخصية...

تلك هي مجمل آراء السيد الحيدري في التفسير بالرأي. والذي نستفيدة من تلك الآراء أنه قد ميز التفسير بالرأي عن تأويل القرآن مرة، وجمع بينهما مرة أخرى كما أنه من جهة أخرى لم يوضح العلاقة بين التفسير الباطني وتأويل القرآن الذي لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم. كما أن سماحته قد أهمل الحديث عن تفسير القرآن على وفق منهج جديد على المناهج القديمة وطارئ عليها وهو (التفسير **التدبري**) للقرآن والذي اخذ بالشيوع في مناهج المفسرين المحدثين الذين

كان آخرهم وأجلاهم منهجاً هو السيد محمد تقي المدرسي الذي فسر القرآن على هذا النهج واسماه: (من **هدى القرآن**) في ثلاثة عشر مجلداً وقد حمل فيه على أولئك الذين أنكروا هذا المنهج وعدوه من نوع التفسير بالرأي المنهي عنه على لسان النبي الأكرم ﷺ وان المتصدي له مخطئ وان أصاب..!

وإذا أردنا أن نفترض (**جدلاً**) أن التفسير بالرأي (عند السيد الحيدري) يتجلى في توجيه القرآن الوجهة التي توافق مذهب المفسر أو نزعه أو اعتقاده أو هواه، فماذا يعني قول الإمام الكاظم عليه السلام: «إن القرآن له ظهر وبطن»، وقول الرسول ﷺ: «لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع». وكيف يتسنى للمفسر أن يميز بين الباطن الصحيح والباطن الخطأ في آرائه. إذا كان هذا التمييز إنما يأتي بطريق تطبيق الأقيسة الفلسفية فهو (**الفلسفي**) وإذا... وإذا... إلى آخر القائمة، فأين مكان الرأي المنهي عنه هنا؟! وماذا تعني النصوص التي تنهى عنه؟ يقول السيد الحيدري في معرض حديثه عن اتجاهي فهم بطون القرآن: (لقد وقع الكلام بين الأعلام في المراد من هذه النصوص وقد وجد في مقام فهمها اتجاهان

فيكون مما يحتمله اللفظ القرآني ويكون
احد مدلولاته. وتخضع عملية نيلها ووضع
اليدها عليها الى بذل الجهد العقلي والنشاط
الذهني التأويلي، والاتصاف بحدة الذكاء
وعمق التفكير وما الى ذلك...) (الباب
١١٦-١١٧)

وربما اصطف السيد الحيدري الى جانب
من تصور وجود ظاهر وباطن في كل القرآن
وفي كل سورة وفي كل آية بل وفي كل جزء
من الآية متأثراً في ذلك برأي السيد (حيدر
الاملي) الذي أطل به في (نص النصوص)
(جامع الأسرار) والذي يذهب بعيداً
وبعيداً جداً في تقريره إن للقرآن بطناً
وللبطن بطن الى سبعة أبطن، بل الى سبعين
بطناً بل الى سبعين ألف بطن..!

إن هذا الرأي المغالى فيه يقود الى جملة
تصورات تحتاج الى وقفة وتأمل فإذا لم تجد
تلك التصورات من يفتح عليها باب الإقناع،
وقع المحذور منه وهولاً يخلو من: إما الشك
في حقيقة تلك التصورات أو إحباط جهود
من يصبوا الى فهم القرآن وتدبره إنفاذاً لأمره
-جل وعلا- بلزوم حصول ذلك، ذلك
الأمر الذي ورد في جملة من الآيات البينات
وفي مقدمتها قوله -تعالى- في سورة محمد:

(سبق له إن شرهما)، وبيان ذلك إن
هذه النصوص جميعاً اشتركت في وصف
القرآن بأن له باطناً بل بطوناً متعددة. ومن
الواضح إن لذلك دلالة قاطعة على عمق
القرآن.. بيد إن السؤال الذي يطرح نفسه
على الساحة: هل هذا العمق من سنخ المعاني
الذهنية والمفاهيم النظرية والفكرية المستمدة
من اللفظ، أم هي حقائق وراء اللفظ لها
استقلالها عن الألفاظ؟ وهل بالامكان
إيجاد علاقة تركيبية من نوع ما بين الاثنين
ويوضح السيد الحيدري هذا التساؤل
فيقول: (بتعبير آخر، ماهو منشأ هذا العمق
؟ وما هو سر اختصاص القرآن بالبطون
وتوافره على شمولية المعنى؟ أيعود ذلك إلى
كينونة القرآن وأنه يتألف من حقائق ذات
مرات متعددة تكمن وراء اللفظ ولا يكون
اللفظ إلا التعبير، الأخير عن تلك الحقائق،
أوقشرة ذلك اللب... أم أن الذي ينشأ منه
عمق القرآن وغور معانيه وثراء مفاهيمه
وتعدددها، هو اللفظ وكيفية استعماله
وتركيبه... ومن ثم فإن البطون والمعاني
المرتبة بعضها على البعض الآخر هي من
مقولة المفاهيم والتأويلات الذهنية التي
تنشق عن دلالة اللفظ وطبيعة التركيب،

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ هذا الى جانب أمور نجم لها في الآتي:

١. إن هذه الدعوى تشير الى إن القرآن قد نزل على قوم لم يفهموه بالرغم من انه وفي كثير من المواضع، قد وصف القوم أولئك بأنهم (يعلمون) و(يفقهون) و(أولو الألباب) أي العقول... الخ.

٢. إن طاقة تحمل العقل البشري قد لا تتعدى فهم (بطن) واحد الى جانب ظاهر واحد. إما إن تتحمل فهم سبعين ألف بطن (على حد رأي السيد الاملي) لكي يصل التفهم الى مرحلة (التدبر) و(الفهم) و(العمل بمقتضاه) فهذا تعجيز يخرج القرآن الكريم من صفة (بيان للناس) وانه (بلاغ للناس) وانه (فصلت آياته قرانا عربيا لقوم يعلمون) وعشرات الإشارات إلى مثل هذه الصفات.

٣. إن ترويج مثل هذه الادعاءات من قبل أهل التصوف والعرفان اللاهوتين، جاء ليخدم مشاربهم الباطنية لكي يقولوا مايشاؤون

وبما يشاؤون من دون إن يجعلوا الباب مفتوحا لمن يريد إن يرد عليهم دعواهم، وبطريقة أن (يقال مالا يفهم) لأنهم إذا قالوا مايفهم، كسدت بضاعتهم. ولا سبيل الى ترويج تلك البضاعة اذا لم يدخلوا الى القرآن الكريم من الأبواب الخلفية الموصدة..

والذي ارجوه، ان لا يحمل هذا الرأي على محمل الخط من منزلة أمثال السيد حيدر الاملي وقبلة (ابن عربي) العلمية، فهذا الحمل جهل ممن تصوره واجحاف بالكم الهائل من العرفان الذي ترسخ في قلوبهم والذي طفح به فكرهم ذلك الفكر الذي يجدر بنا فهمه إن لم يكن تطبيقه على الصعيد العملي، ذلك أنهم قد أغنموا العواطف المؤمنة بما يجعلها تمد بصرها إلى ساحة (الوصول) بيد أن مسالة إشاعة فكرة إن لكل كلمة في القرآن سبعين ألف بطن إنما هي من شطحات الفكر وابتعاد بالخيال الصوفي إلى ما وراء الطبيعة انه خيال يغالي في الابتعاد بتأويل القرآن إلى حد حصر العلم بهذا التأويل عند فئة دون أخرى إلى جانب زرع الشك في نفوس من



يحاولون فهم القرآن بأنهم سيصلون إلى مبتغاهم مادام الأمر يسمو على فهم الكلمة القرآنية على ماهي عليه لان لها (سبعين ألف بطن)!!..

يحاول السيد الحيدري-عند عرضه لهذا المبحث في (اللباب-١/ ١٢٠) إن يجلو الصورة ويطرحها على الساحة متكاملة الأبعاد حين يرى إن هذا الترقى في زيادة عدد البطون، يستشف منه اختلاف المستويات المعرفية للسائلين أو المخاطبين بذلك، لان (المعصومين) عليه السلام، أمروا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم. وطبقا لذلك فانه لاغضاضة في إطلاق البطون عددا. فلو قدر إن يكون السائل أو المخاطب مستودعا لإطلاق العدد لقليل له: لا عدّ لبطونه... واستدل السيد الحيدري على هذا التخريج بان مرجعية القرآن الكريم إلى أسماء الله الحسنى، والسير في الأسماء الإلهية الذي هو مقتضى (السفر الثاني) والذي هو (من الحق إلى الحق) لا حدّ له ولا نهاية.

وخلاصة المطاف في هذا الرواق نقول: إن الله تعالى قد نعى على المسلمين استدبارهم للقرآن واتخاذهم إياه (ظهِرِيًّا) وأمرهم بتدبره وفهمه وهو سائلهم عن ذلك يوم القيامة

ومحاسنهم عليه ومعاقبهم على تركه. وإذا كان الأمر على هذه الصفة فمتى نفهم سبعين ألف بطن من كل كلمة في القرآن-على رأي الأمل- وكم من العمر نحتاج لنصرفه على الوصول إلى بعض ذلك؟ وهل سوف ننزه القرآن الكريم من احتمالات التفسير بالرأي المنهي عنه في تلك النصوص المستفيضة التي حذرت وانذرت وتوعدت من يفسر القرآن برأيه؟!

وفي زحمة هذه التساؤلات، يحيب السيد الحيدري عنها بالمحجة التي أويتها بفضل فطنته إلى استقراء الحقائق، وهذا ما عرف به في كل أحاديثه المنطوقة والمزبورة وعلى امتداد حياته العلمية والبحثية. انه هنا يقول الكلام الفصل الذي يطفىء نيران الشك في مواقف ذوي العقول القاصرة. يقول سماحته: (إذا كان النشاط الذهني والفعالية العقلية قاصرين عن التعاطي مع بطون القرآن بواقعها الوجودي الكامل، فان ذلك لا يعني انسداد الطريق مطلقا بقدر مايملئ على الإنسان الارتقاء من طور المعرفة أداته (العقل) إلى طور آخر أداته القلب...) (اللباب ١/ ١٢٣) انه مخرج ذكي من أزمة تدخلت عوامل كثيرة في إثارتها





واستنزاف تفكير ضعاف التعليم بها. لقد تحدث سماحته بلسان المؤمنين بان للقران أكثر من ظاهر وأكثر من باطن وبلهجة لا سبيل إلى ردها... لقد أوجب سماحته البدء بمعرفه الظاهر (برغم وصفه له بالناقص) ومنه يكمل فهمه يقول: (المرحلة تبدأ من الظاهر، وبالمعرفة العقلية التي توفر إدراكا ناقصا وتتحول إلى معد وحسب... إما إذا رام الإنسان استكمال الشوط فذلك لا يكون إلا بقدّم الولاية، حيث يبلغ ذلك الوضع الذي يقع فيه تجلي الحق (الله تعالى) في قلبه بجميع إيعاده). (المصدر السابق) انه بذلك يعبر عن رأي الاشرافيين وعلى رأسهم (ابن عربي) الذي لا يخفي السيد الحيدري إعجابه به وتمثله لتوجهاته.

(٥)

النص اللفظي والمعنى المفهوم في القرآن:

وهو من المباحث المهمة والدقيقة التي تطرق لها السيد الحيدري بكل إمعان ضمن ملاحظات قيمة لخصها -سماحته- في الآتي:

١. إن جميع ما يتزود به المفسر من

علوم ومعارف ينبغي أن يقع -

ما يصح منها- في خدمة النص

القراني، لا أن يقع النص القراني

في خدمتها اثباتا وتوكيدا. بمعنى عدم حمل النتائج المعرفية للمعارف والعلوم المتنوعة على النص القراني ومعطياته الخاصة به والتي ينبغي إن تكون حاکمة لا محكمة وهذا يعني عدم تمكين النص القراني في ضوء النتائج المعرفية المستقاة من معارف وعلوم أخرى في رتبة سابقة، فأن هذا يعني: تقعيد النص القراني في قوالب أعدت سلفا، ومصادرة معطياته وهذا بدوره يفضي إلى نتائج فرضتها طبيعة تلك المعارف والعلوم فالمختلف هوليس النص القراني نفسه، مما يعينان أنّ العملية التفسيرية سوف تكون عملية تطوعية للنص القراني وليست عملية تشخيصية لمرادات ومقاصد النص، فيكون الأداء التفسيري مجرد عمل تطبيقي لنتائج المعارف الأخرى. وبذلك تتحول العملية التفسيرية المنهجية إلى مجرد أداء اتجاهي، بل هي اخطر أنواع الاتجاهات...

٢. إن المعاني التي تقف وراء النص

القراني المراد تفسيره وكشف معانيه

لا تمثل مرتبة واحدة وإنما هي-في حدها الأدنى- على أربع مراتب رأسية وهي: الإشارة، والعبارة، واللطائف، والحقائق. وتقع تحتها مراتب كثيرة. فكل مرتبة رأسية تمثل دائرة تنضوي تحتها مراتب تمثل مستويات العرض التفسيري الذي يحدده-عادة-السقف المعرفي للمفسر(اللباب ١ / ١٦٥).

وللتوضيح، يقرر -سماحته- وبشكل يفوق حد التصور من الإقناع إن تلك المراتب الرأسية (الأربع)، تختلف في العمق والشمول. فالمرتبة الحقائقية، برغم وجودها البساطي، هي اشد المراتب قاطبة واشملها وأهمها على الإطلاق ثم تليها المرتبة اللطائفية ثم الاشارية ثم العبارة...

٣. إن جميع النتائج المعرفية التي تفضي إليها العملية التفسيرية-ضمن أي منهج كان وبأي أسلوب تبلورت- لا يمكن القول بمطابقتها للمعاني الواقعية التي عليها النص القرآني- لما عرفت من إن المعاني الواقعية التي عليها النص القرآني ليست على مرتبة واحدة-وان العرض

التفسيري هو عرض للسقف المعرفي الذي عليه المفسر، وليس النص المفسر... وهذا واضح.

٤. لا ينبغي للمفسر ان يقتحم بعملية التفسيرية مرتبة من مراتب القران الأربع (وهي: الإشارة والعبارة واللطائف والحقائق)، إلا بعد التوفر على ضوابطها وشروطها فليس لمن لم يدرك المعنى الاشاري في النص القرآني ان يلج في هذه المرتبة، وألا فسوف ينتهي به المطاف إلى الوقوع في دائرة التفسير بالرأي المحرم شرعا وهكذا الحال في المراتب الثلاث الأخرى (اللباب/ بتصرف ١ / ١٦٦).

هذا التقرير البارع من لدن السيد الحيدري يتناغم تماما مع ما يشترطه كل المفسرين القدامى والمحدثين الذين منعوا من التصدي لتفسير القران الكريم من دون ان يمتلكوا الأداة التي تؤهلهم لمثل هذه المهمة الشاقة. فسماحته هنا لا يختلف في تحديد تلك المؤهلات مع احد منهم بالرغم من ان سماحته لم يحدد تلك الأدوات لعلمه القاطع بان لكل لون من ألوان التفسير،





منهجه الذي يجب ألا يتخطاه. وإذا أردنا ان نضرب مثلاً توضيحياً لذلك، فإن أمامنا (التفسير الروائي) أو الذي يسميه البعض من باب الاعمال (التفسير بالمأثور). هذا المنهج يحتاج من المفسر ان يكون عالماً بجملته من المعارف تؤهله لخوض مسعاه مثل: علم الدراية وتحليل الروايات وأحوال الرجال وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ... الخ. وليس عليه ان يتناول أوفيلسوف أويصرف الآية عن ظاهرها أو ان يتفقه.

إن الذي نراه من خلال تقرير سماحته انه يريد ان ينحوب التفسير صوب المفهوم ألعرفاني للقران الكريم الذي يعتمد - أكثر ما يعتمد - الرؤية الروحية للآية وكأن القارئ - عنده - قد فرغ من فهم مبادئ المعنى فهو بهذا كالذي يخطط لعبور نهر عريض بعض الشيء. عليه أولاً أن يسبر عمق هذا النهر ثم يقيس عرضه ومدى إمكانية العبور بسلام وما هي متطلبات ذلك، وأخيراً هل ان جدوى عبور تتناسب طردياً مع ما يهيء من المتطلبات... وهلم جرا.

وهنا تكمن أهمية وضع السيد الحيدري لتفسيره للقران الكريم والذي لم يسبقه إليه احد (على حد علمي بذلك) انه تفسير عالم

لعلماء خرج عن طوق التقليد الممل الذي استنزف أقدام المفسرين منذ زمان (الطبري) في القرن الرابع الهجري إلى يوم الناس هذا ولا يستطيع احد ان ينكر جدته ونضارته أو ان يقارن به منهجاً آخر من مناهج المفسرين على اختلاف مشاربهم. وإذا كان (صدر الدين القنوني) في تفسيره لسورة الحمد، (حيدر الآملي) في (أنوار الحقيقة وأطوار الطريقة) وقبلهم (ابن عربي) في (الفتوحات الملكية) أو (فصوص الحكم) قد المحوا إلى إمكان وضع تفسير على هذا المنهج من خلال مارسموا من إشارات صوفية أو لنقل عرفانية على طريقة أهل (التحصيل) فإنهم لم يغنوا الفكر الإسلامي بما يصح معه ان يكون تفسيراً شاملاً كاملاً يدخل بالقران إلى عالم هوله أهل بما حمل إلى البشرية من علم وفكر وتشريع ولغة وموعظة وأسرار كونية وما إلى ذلك لا عد له ولا حصر... وربما كانت لنا وقفة أخرى مع السيد الحيدري في تفسيره الذي اسماه (اللباب) لتتعرف على جميع مبتنيات منهجه المتميز عن كتب... والله المسدد للصواب.

إعجاز الخطاب الإعلامي في القرآن الكريم

سورة نوح أنموذجاً

أ.م.د. طالب عبد الحسين فرحان
الجامعة الإسلامية - بغداد - العراق

المستخلص

لودققنا وتأملنا في قضاء أوقاتنا اليومية، لوجدنا أنفسنا منهمكين في الأهتمام بمتابعة خطاب وسائل الإعلام والاتصال المختلفة، بأشكالها ووظائفها كافة، نعيش في وسطها، نتأثر بخطاباتها الإعلامية ونتعلم منها، وتنسلي بوساطتها بطرق مباشرة وغير مباشرة، وبأساليب مختلفة في جميع مجالات الحياة اليومية كافة.

تميز العصر الذي نعيش فيه اليوم بالتقدم (الحضاري والتقني)، بتقنية طوره وأساليه وأشكاله، بوصفه عصر العلم والتكنولوجيا، والأختراعات وغزو الفضاء وسباق التسليح النووي وغيرها، ومن

أبرزها عصر خطاب وسائل الإعلام والاتصال الإلكترونية (السمعية والمرئية) المختلفة، التي أثرت على حياة الإنسان. قد يجبر الإنسان في أنتقاء غاياته وأهدافه في متابعة ما تبثه خطابات وسائل الإعلام بطرق واساليب متعددة، قد يستوعب ويتفهم ويرتاح لأحد هذه الطرق والأساليب، التي قد أوصلت إليه ما كان يصبو ويطمح إليه، من خطابات البرامج والمسلسلات الدينية والثقافية والعلمية والمنوعات، لتعمل في نفسه عملاً معيناً، أو تؤثر فيه بطريقة معينة فتحدث تغييراً في تفكيره أو تصرفاته، كالحالات السلبية أو الإيجابية أو الأثنين معاً، بعد أن ميز بين الخطاب الإعلامي الضار

المعروفة لديهم، والغاية هي الوصول إلى هدفه في ترسيخ الإيمان لديهم، وبأسلوب الإلقاء الخطابي الهادئ والعذب المقبول، والذي قد لا يخلو من القسوة والتهديد والوعيد في بعض الأحيان، والتي أراد بها الله ﷻ أن يصلحهم ويرشدهم إلى الإيمان به وبروح صادقة ومخلصة لهم، وكما أمره الله عز وجل في إيصالها، هذا ما تبحث فيه دراستنا هذه، وكما جاء في قصة نوح ﷺ في القرآن الكريم.

قسم البحث إلى مفردات الإطار المنهجي للبحث، الذي ضم مشكلة البحث والحاجة إليه، ومن ثم أهمية البحث وهدف البحث، وفرضياته وحدوده ومصطلحاته.

أما المبحث الأول فقد تطرق إلى تاريخ الخطاب الإعلامي التمثيلي، وتناول المبحث الثاني أساليب الخطاب الإعلامي التمثيلي، الذي ركز على محورين أساسيين: الأول تضمن الخطاب الإعلامي الإيماني والثاني الخطاب الإعلامي الدنيوي، وصولاً إلى التعريف الإجرائي للإطار النظري.

وجاء المبحث الثالث لمعرفة طريقة وأسلوب الخطاب الإعلامي التمثيلي في

والنافع حسب عقيدته وإيمانه وحاجاته الروحية والدينيوية، ومفاهيمه وأحتياجاته وتطلعاته.

كان مفهوم تأثير الخطاب الإعلامي قديماً محصوراً ضمن نطاق ضيق ومحدود، وبوسائل إعلامية بدائية بسيطة، قد توصل المعلومة المطلوبة والحاجة المفقودة، وما رسالة النبي نوح ﷺ الإيمانية إلى قومه، والتي أثرت وانتشرت تعاليمها الربانية، وطريقة تعاملها وتخطبها مع أبناء قومه، ندرك أنه كان رجلاً إعلامياً مهنيًا، يستخدم خطابه الإعلامي بطرق وأساليب إعلامية فاعلة ومؤثرة، رغم أن مفهوم الخطاب الإعلامي لم يكن معروفاً بوصفه إعلاماً في ذلك الوقت.

فقد لجأ الإنسان إلى استعمال أساليب وطرق تتناسب مع خطاباته الإعلامية، والتي تتراوح بين الأسلوب الإعلامي التمثيلي، والأسلوب الأقناعي الهادف عند ضرب بعض الأمثلة الحياتية المألوفة والمعروفة، عند أبناء قومه عند تناول قصص حياتهم اليومية لينقلهم إلى ما يعرفونه وإلى ما لا يعرفونه، من الأمثلة المأخوذة من الحياة



وأساليب الخطاب الإعلامي التمثيلي، التي تتناسب مع المستوى الإعلامي والثقافي للشريحة الاجتماعية المستهدفة من أبناء قوم نوح عليه السلام، لكسبها إلى الإيمان بالله جل جلاله.

ثالثاً: هدف البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن أفضل الطرق والأساليب لنجاح الخطاب الإعلامي التمثيلي، والتي يمكن استخدامها في أستثمار السيطرة على الجانب الروحي والإيماني لدى النبي نوح عليه السلام على النزاعات البشرية لأفراد عائلته ولابناء قومه، الراضة للإيمان بالله جل جلاله.

رابعاً: فرضيات البحث:

١. تعتمد على قدرة وطريقة وأسلوب الخطاب الإعلامي، للداعية الإيماني بقدرة الله جل جلاله، في فرض سيطرته على الإقناع والكسب بالإيمان بالله جل جلاله.
٢. أستخدام لغة الخطاب الإعلامي، وطريقة إلقاء الحوار التمثيلي الإيماني الذي يمتاز بالهدوء والروية والإنسيابية.

خامساً: حدود البحث:

سورة نوح عليه السلام في القرآن الكريم، وصولاً إلى الإجراءات التطبيقية التي أعتمدها البحث، من منهجية ومجتمع وعينة البحث.

توصل البحث إلى نتائج تنسجم مع الأهداف المرسومة له، وبعض الاستنتاجات والتوصيات التي يمكن أن تشجع منتجي ومخرجي الأفلام الروائية ونصوص المسرحيات، على إنتاج العروض المسرحية والأفلام الروائية والمسلسلات والبرامج الدينية التي تتناول قصص الأنبياء والرسل.

المفردات البحثية

أولاً: مشكلة البحث والحاجة إليه:

تتولى المشكلة معالجة طريقة الخطاب الإعلامي والأسلوب التمثيلي، لدى النبي نوح عليه السلام في إقناع أبناء قومه بوجود الله جل جلاله والإيمان به، بطرق مختلفة وأساليب متعددة، بما يعرف بمفهوم الخطاب الإعلامي، التي أهتمت دراستنا الحالية به، بعد تسليط الضوء على مراحل مشكلة البحث.

ثانياً: أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث بمعرفة إتقان طرق

٢. الأسلوب التمثيلي:

يساهم مفهوم الأسلوب التمثيلي في تحقيق بناء مراحل الفعل الدرامي، الذي يعتمد على محاكاة الواقع، حسب مفهوم نظام المسرح الأرسطي اليوناني، على شكل مشاهد تمثيلية يجسد حوادثها مجموعة ممثلين، بواسطة مجموعة حركات جسدية وإشارات وإيماءات، تشخص الأفعال والحوادث، بمفردات وتراكيب لغوية ثرية كانت أم شعرية.

يعرفه الكاتب (فردب ميليت) على أنه أسلوب لتمثيل الحياة...والجوهر الحقيقي لكشف حوادث الحياة الحقيقية أو المتخيلة، التي تعتمد الموهبة والإبداع في صدق تلقائيتها التي تستجيب للفعل ورد الفعل^(٣)، ويقسم الدكتور (زكي نجيب محمود) المحاكاة على أنواع ثلاثة هي^(٤):

١. خلق العمل التمثيلي بمحاكاة مرجع خارجي موجود بالطبيعة.

(٣) فردب، ميليت: فن المسرحية، ترجمة: صدقي خطاب (بيروت: مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، ١٩٦٦): ص ١٣.

(٤) مهاد عبد الحميد السكاني: محاكاة التقاليد في عمارة ما بعد الحداثة (بغداد: الجامعة التكنولوجية، ١٩٩٦) ص ٥٩-٦١.

تقتصر حدود البحث على نوعية لغة الخطاب الإعلامي الحوارية في النص القرآني لسورة نوح عليه السلام عندما يخاطب ربه (تعالى) مباشرة، وكذلك يخاطب أبناء قومه بصورة مباشرة أيضاً.

سادساً: تحديد المصطلحات:

١. الخطاب الإعلامي:

أ. اصطلاحاً: حدد مفهوم الخطاب الإعلامي من قبل المحلل الإعلامي (ميشيل فوكو) على أنه نظام تعبير متقن ومضبوط^(١)، يتألف من مجموعة من العبارات الحوارية، على شكل جمل مفيدة توصل المعنى المطلوب بطريقة مباشرة.

ب مفهومماً: يتناول مفردات وتعبيرات الواقع المعاش لابناء قوم النبي نوح عليه السلام: تمثله المفاهيم والإشارات والحركات والإيماءات، والتي غايتها الإقناع والاستجابة السلوكية والفكرية، لما يطرحه من الأعراف والموضوعات^(٢).

(١) ميشيل فوكو: مرفيات المعرفة، ترجمة: سالم يفوت، (الدار البيضاء: المركز الثقافي، ط ٢، ١٩٨٧ ص ٣٤.

(٢) ينظر: حميدة سميسم: الخطاب الإعلامي بين النظرية والتطبيق، (بغداد: جامعة بغداد - كلية الإعلام، ٢٠٠١) ص ٧.



٢. خلق العمل التمثيلي بمحاكاة مرجع داخلي خاص بذات الفنان.

٣. خلق العمل التمثيلي بمحاكاة نفسه (تكوينه الذاتي) لكونه كياناً مستقلاً بحد ذاته.

وفي نهاية القرن الثاني عشر وأوائل الثالث عشر، بدأ تجسيد الخطاب الإعلامي التمثيلي لمشاهد الروايات الدينية، التي تمثل (المعجزات) الدينية في سور القرآن الكريم، وكتاب الإنجيل والتي تمثل في باحة الكنائس، ثم صار الناس يقتبسوا الخطب الإعلامية لهذه التمثيلات الدينية، ليمثلوها خارج الكنيسة في أيام عيد الميلاد أو في عيد الفصح، أو غيرها من الأعياد الدينية، ثم أدخل على موضوع هذه المسرحيات الدينية شيء من الأخلاق كـ (العدل والسلام والصدق والكذب)^(٥).

أساليب الخطاب الإعلامي التمثيلي

أولاً: الخطاب الإعلامي الإيماني:

يكون الخطاب الإعلامي الإيماني خطاباً

(٥) سامي عبد الحميد وبدر حسون فريد: فن الإلقاء، الجزء الثاني، مصدر سابق: ص ٤٣.

متساحاً دائماً، بكلماته وعباراته لأعتاده سور وآيات القرآن الكريم والسنة النبوية، ولحمل رسالة حضارية متجددة لآبناء البشرية كافة، وليس للشعوب الإسلامية المؤمنة فقط، وبصفاته الطبيعية التي يتصف بها: (التسامح العفو الصفح)، وكما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة التغابن/ آية ١٤]، ما دام الله ﷻ يأمر الناس بالعفو والرحمة مع الآخرين، لا بد أن يكون الخطاب الإعلامي الإيماني، يمتاز بالهدوء والروية والصبر، وبذات الطبقات الصوتية الهادئة، التي لا تحمل النبرات القوية والحادة التي تدل على العصبية والتهور في الكلام، بأعتبارها وسيلة من وسائل الدعوة إلى الإيمان بالله ﷻ ولونا من ألوان أسلوب الخطاب الإعلامي التمثيلي الذي له أصوله الفنية والمهنية ليحقق هدفه في طريقة الإقناع والإستمالة للناس.

يمتاز الخطاب الإعلامي الإيماني بالفعالية الإيجابية والموضوعية الصادقة، التي يارسها دعاة الإيمان بالله ﷻ، بعد إتقان أسلوب فن الإلقاء المؤثر والفعال، عند إلقاء تلاوة كلمات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية،

مع المعرفة بالقدرات المعرفية والصوتية، التي يجب أن يتمتع بها الملقى، والتي حددها الدكتور سامي عبد الحميد بثلاث حالات ضرورية هي^(٩):

١. الوضعية الجسدية الصحيحة والإشارات والإيماءات التي يستخدمها الخطيب.
٢. جمال الصوت وقوته.
٣. حسن الأداء بتطبيق مبادئ فن الإلقاء، ومنها تحديد أماكن الوقف للأغراض المختلفة، ومن بينها محطة أخذ الشهيق.

قد يجد الرجل المسلم نفسه مشاركاً بصورة معتادة في الخطاب الإعلامي الإيماني الجماعي، مع سواه من المسلمين عند ممارسة الشعائر الدينية اليومية، التي تتخذ أحياناً معنى دينياً وتتخذ أحياناً أخرى قيمة العادة المتبعة^(١٠).

(٩) سامي عبد الحميد: فن الإلقاء في الإذاعة والتلفزة (بغداد: مؤسسة مصر، مرتضى للكتاب العراقي، ٢٠٠٩) ص ٧٦.

(١٠) محمد عزيزة: الإسلام والمسرح، ترجمة د. رفيق الصبان (القاهرة: كتاب الهلال، سلسلة ثقافية شهرية العدد ٢٤٣، ١٩٧١) ص ١٥٥.

والتي يصفها الشيخ عبد الستار عبد الجبار خطيب أحد المساجد العراقية بأنها تتميز: بروح شفافة وذكاء وقاد يرصد الكون بعين بصيرة وباصرة كاشفة، لينقل ما أبعد بما يملك من قدرة على التصوير إلى غيره، كما فهمه وبتعبير مؤثر^(٦)، كما يؤكد الشيخ عبد الستار على: اشتراك الأداء المعبر مع اللفظ المصور والنبرة المناسبة في تجسيم المعنى والافعال^(٧)، مع طرح موضوع الخطاب الإعلامي بدلائل وبراهين وشواهد لتجعله أكثر صدقاً وحقيقة لعامل الإقناع والإيحاء به، ويضيف الدكتور سامي عبد الحميد عاملاً آخر لنجاح إيصال المضمون هو: عامل الإثارة وذلك عن طريق إيصال المشاعر وتأجيحها^(٨)، لمعرفة الأجواء المناسبة المخصصة للشريحة المعينة لتلقي الخطاب الإعلامي، الذي يحدد الأسلوب المناسب لعملية إلقاء الخطاب الإعلامي،

(٦) أوديت أصلان: فن المسرحية، الجزء الثاني (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠) ص ٤٥٥.

(٧) عبد الستار عبد الجبار: أصول الإلقاء الخطابي (بغداد: ديوان الوقف السني، مطبعة هيئة إدارة وأستثمار أموال الوقف السني، ٢٠٠٨) ص ١٦.

(٨) المصدر نفسه: ص ١٧.



ذلك، وله غايات وأهداف دنيوية، تحقق الرسالة والأفكار المقصودة، التي لا تقترب من العمل الإيماني الروحي، الذي يشذب الهمم ويدعو إلى الإصلاح، ويستهدف بعض الشرائح الاجتماعية المقصودة.

يحمل أسلوب إلقاء الخطاب الإعلامي الديني، خصائص أدبية تنقل المشاعر والمعاني، بالأسلوب الموجه إلى الجمهور مباشرة، أو عن طريق أجهزة اتصال سمعية أو مرئية، تعتمد القوة الصوتية ودرجتها، والسرعة في تدفق المشاعر الإنسانية، التي تخلق الأجواء المتنوعة المناسبة في تجسيد الأحداث، على شكل جمل قصيرة أو طويلة، وخاصة عند إلقاء الحوار الخطابي الإعلامي، في سرد أحداث ومواقع الرواية أو الملحمة أو القصة، بعد إتقان التحكم في بناء التسلسل الدرامي، وخلق عوامل الترقب والتشويق^(١١)، والتي تميزت فيها المدرسة التعبيرية التي أنبثقت من مدارس التمثيل المختلفة في الجموع العاطفي، والأنفلات من كل قيد أو سلطة أو شكل، والإيمان بعبقريّة الخلق وحرية والتي

الخطاب الحوارية الإعلامي في سورة نوح عليه السلام يميل إلى أسلوب الخطاب التمثيلي في (القصة) لأن السورة تتحدث عن سرد أحداث القصة بين النبي نوح عليه السلام وابناء قومه، والتي يخاطب بهاربه الحق عليه السلام بالشكوى من عدم إيمانهم به، على شكل خطاب اعلامي حوارى إيماني مباشر، وفق تسلسل زمني، وتتابع مكاني، لتبادل النصائح والتحذيرات على وفق مبدأ (الفعل ورد الفعل)، وعلى شكل سؤال وجواب، ويتجسد الحوار الإعلامي الخطابي بين نوح عليه السلام وابناء قومه، بخطاب تفاعلي صادق من كل عقله وقلبه ومشاعره، لفهمهم وتفهمهم بما سيؤول إليهم من عقاب الله جل جلاله.

ثانياً: الخطاب الإعلامي الديني:

يتميز الخطاب الإعلامي الديني، بأعتماده على إنتاج وإخراج البرامج التلفزيونية والإذاعية، وعرض المسرحيات ومهرجانات الشعر والسرد الملحمي لأحداث تاريخية واقعية أو متخيلة في بعض الأحيان، وبعيدة عن تناول مواضيع إيمانية، تناول سور وآيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وإنما تعتمد خطاباً ثقافياً أو سياسياً أو علمياً أو رياضياً...وما إلى

(١١) د. عبد الغفار مكاوي: التعبيرية في الشعر والقصة والمسرح (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١) ص ٨٦-٨٧.

بأستطاعة وسائل الإعلام السمعية والمرئية أن تخاطب الجمهور المتابع لها، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وحسب حاجة ومقتضيات الحالة المستهدفة والحاجة الضرورية المراد تغطيتها، سواء كان الأستهداف تجسيدا للحوادث مباشرة من قبل ممثلي العروض المسرحية داخل قاعة العروض مثلاً، أو بصورة غير مباشرة عندما تصور وتجسد الحالات الدرامية، وتعرض من خلال الشاشة المرئية والإذاعة السمعية على الجمهور، وقد تغني حركات وإشارات وإيحاءات التعبير الجسدي والروحي للممثل، بدلاً عن الألفاظ والكلمات الاعتيادية.

إن الله ﷻ له القدرة على التعامل مع الأنبياء والرسل والملائكة والبشر وجميع مكونات ما في السموات والأرض، من شمس وقمر ونجوم ورياح، وبطرق مختلفة وأساليب متعددة لا مجال لحصرها، وعلى سبيل المثال لا الحصر، قصة النبي نوح ﷺ مع قومه، وشكواه منهم إلى ربه ﷻ في الآيات المباركة في سورة نوح ﷻ من القرآن الكريم.

كلم الله ﷻ في بداية السورة، جميع أبناء البشر وبصورة مباشرة: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [سورة نوح/ آية: ١]،

تأثرت بمدرسة شكسبير بوجه خاص^(١٢). يبدأ الحوار الخطاب الإعلامي بين شخصين، وقد يقترب بين مجموعة أشخاص، ليضمن خصائص الحوار ومفرداته، ونجاح الأجواء المرافقة لتجسيده، من متطلبات توفر مؤثرات الإيقاع الصوتي والحركي، الذي يضمن أستيعاب معاني موضوع الجمل والكلمات، ويشخص المواقع المكانية والفقرات الزمنية، بحيث تصل واضحة وسليمة إلى أذهان الجمهور المتابع، فمثلاً الحوار الخطابي الإعلامي الموجه إلى شريحة الأطفال أو العمال أو الفلاحين، يتطلب التأكيد فيه على أسلوب إلقاء جمل وكلمات الخطاب الإعلامي، ذات أيقاع صوتي وحركي يعتمد التمهّل والتروي، وبعيداً عن المبالغة في الأداء والمؤثر الصوتي، إلا في حالات معينة تتطلبها الحالات النفسية والاجتماعية، وصدق الموقف الدرامي في واقعيته وتنوعه: وخصوصاً عند أداء إلقاء قصص الأطفال.

الخطاب الإعلامي التعبيري في سورة نوح ﷻ في نص القرآن الكريم.

أولاً: الطرق والأساليب الحوارية:

(١٢) المصدر نفسه: ص ٨٠.



يخاطب بها عباده الصالحين، ليخبرهم أن نوحاً عليه السلام مرسل من رسالة المؤمنين، بعثه إلى قومه ليعترفوا بوجوده وبأسلوب خطابي إعلامي هادئ موزون وبصورة النبيلة، ومن جهة أخرى عليه السلام يخاطب نبيه نوحاً عليه السلام: ﴿أَنْ أُنْذِرَ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة نوح / آية: ١]، خطاب إعلامي شديد اللهجة في التعبير والتصوير، وعبارات ينذر فيها بالعقاب والويل والشبور: شديد الألم وهو عذاب النار، أوهوما نزل بهم من الطوفان^(١٣).

تحول الخطاب الإعلامي من النبي نوح عليه السلام إلى قومه مباشرة، ويخبرهم بكلام الله عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [سورة نوح / آية: ٢]، بخطاب ذي نبرة قوية شديدة البأس، وبلهجة مؤثرة، مع الاستمرار في تغير شيء من الأسلوب الخطابي وطريقة إلقاءه التي تدل على أداء إلقاءها الذي يحمل النصيحة والوعظ، حينما قال: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا يُغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة

(١٣) محمد سليمان عبد الله الأشقر: زبدة التفسير من فتح القدير (الكويت: الطبعة الثانية، ١٩٨٨) ص ٧٦٧.

نوح / الآيات: ٣-٤].

ثم أتمه النبي نوح عليه السلام فخاطب ربه عليه السلام مباشرة، فيناشده بخطاب إعلامي تمثيلي، يحمل الحسرة والمشقة والندم على تصرفات ابناء قومه معه، لأنهم لم يجيبوا دعوته، ولا أنقادوا لأمره، فقال شاكياً لربه^(١٤): ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [سورة نوح /

الآيات: ٥-٦-٧] ثم يؤكد لربه عليه السلام بخطاب إعلامي آخر فيه حيرة وحسرة وآلم بقوله: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [سورة نوح / الآيات: ٨-٩-١٠]، أي لأجل أن يستجيبوا، فإذا استجابوا، غفرت لهم، وهذا محض مصلحتهم، ولكن أبوا إلا تمادياً على باطلهم ونفروا من الحق^(١٥).

(١٤) عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن (بيروت: مؤسسة فؤاد بعين للتجليد، جمعية إحياء التراث الإسلامي، د.

ت) ص ١٢٥٢.

(١٥) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مصدر سابق: ص ١٢٥٣.

يضطر النبي ﷺ أحياناً إلى تغيير خطاب موضوع النصيح والتحذير، من حيث شدة الطبقة الصوتية وإيقاع المؤثر الصوتي، ليدكرهم بما هم بحاجة إليه من هطول المطر لسقي زروعهم التي تدر عليهم بالرزق والبنين: ويروي الشعاب والوهاد، ويحيي البلاد والعباد^(١٦) قال تعالى:

﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [سورة نوح/ الآيتان: ١١-١٢]

ثم يعاتبهم النبي ﷺ بخطاب إعلامي آخر محذراً لهم بمكانة الله ﷻ في خلق السموات والأرض والبشر بمختلف أجناسهم: أي لا تخافون الله عظمة، وليس الله عندكم قدر^(١٧). قال تعالى:

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [سورة نوح/ الآيتان: ١٣ -

١٤]، ويستمر الخطاب الإعلامي المباشر بين النبي ﷺ وربه ﷻ ليذكروا له، من عناد واصرار قومه على عدم الاعتراف بالله ﷻ، وبتعدد الخطابات الإعلامية المختلفة في

(١٦) عبد الرحمن السعدي بن ناصر، مصدر سابق: ص ١٢٥٢.
(١٧) [سورة نوح/ الآيتان: ٣-٤].

الطرق والاساليب مع ابناء قومه، المحذرة والمتوعة لهم: وإن هذا الكلام والوعظ والتذكير ما نجع فيهم ولا أفاد^(١٨). ويواصل النبي ﷺ خطابه الإعلامي المتكرر، الذي يتناول فيه الوعظ والإرشاد والتبصير لابناء قومه، بعظمة الله ﷻ وباسلوب أداء الإلقاء، الذي تبرز فيه ملامح الروية والصبر على عنادهم الشديد: والأستدلال لهم بخلق السموات التي هي أكبر من خلق الناس^(١٩)، فقال: ﴿رَبِّ إِنْهُمْ عَصَوْنِي﴾ [سورة نوح: الآية ١٥]، فيه العجب والمقدرة لله (سبحانه وتعالى).

أستفاد النبي ﷺ من أستخدم وسيلة الخطاب الإعلامي، في توظيف جهاده النبيل المتواصل مع الكفار، بعد الحوارات والنقاشات الطويلة المضنية، والذي عقب عليها الداعية الاسلامي (سيد قطب) بقوله: الجهد الدائب الملح الثابت المصر^(٢٠).

(١٨) عبد الرحمن السعدي بن ناصر، مصدر سابق: ص ١٢٥٤.
(١٩) عبد الرحمن السعدي بن ناصر، مصدر سابق: ص ١٢٥٣.
(٢٠) سيد قطب: في ظلال القرآن، المجلد السادس، الأجزاء: ٢٦-٣٠ (بيروت: دار الشروق، ١٩٨٢) ص ٣٧٠٦.



أستمر سلوك النبي نوح عليه السلام يناجي ربه جل جلاله بالخطاب الإعلامي، مستغيثاً ومشتكياً إليه بقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ [سورة نوح/ الآية: ٢١] فيما أمرتهم به وبما طلبته مني: ﴿وَاتَّبِعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [سورة نوح/ الآية: ٢١] فقد لجأ إلى ذلك بعد أن أستنفذ شتى الوسائل والطرق الخطابية الحوارية معهم، بحيث وصل فيه الأمر إلى الدعاء عليهم من ربه جل جلاله دعوة الحق أمام الباطل بقوله: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا، رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا، إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلْدُوا إِلَّا فَاِجْرًا كَفَّارًا﴾ [سورة نوح/ الآيات: ٢٤، ٢٦، ٢٧] ليتجلى في هذا الخطاب، التفرغ إلى الله جل جلاله مع: حقيقة وحدة العقيدة وثبات أصولها، وتأصل جذورها، كما يتجلى ارتباطها بالكون وبإرادة الله جل جلاله وقدره ^(٢١) بعد تحمل صبر وسخرية الاتهامات المختلفة من قبل أفراد عائلته وابناء قومه بالجنون، فأنحصرت في قلب واحد ينطوي على قبس من نور الله جل جلاله ويتصل بروح الله جل جلاله طيلة مدة ألف سنة إلا خمسين عاماً.

ويختتم النبي نوح عليه السلام جهاده الطويل في نهاية السورة، بخطاب إعلامي إيماني، يغلب عليه: الأدب النبوي الكريم في حضرة الله جل جلاله (العلي العظيم) ^(٢٢) يصور حالة الخشوع الودود المتذل، ليدعوا بر النبوة بالوالدين المؤمنين، ولمن دخل بيتي مؤمناً: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾ [سورة نوح/ الآية: ٢٨] في خطاب إعلامي تمثلت فيه قمة الإيقاعات الكلامية التعبيرية الصادقة واللقطات التصويرية المرئية المبدعة أمام عظمة الله جل جلاله ليستجيب دعاءه.

ثانياً: الإجراءات التطبيقية: مناقشة الإجراءات والخطوات التي أتبعها الباحث في الوصول إلى أهداف البحث:

١. **منهجية البحث:** أعتمد البحث على الاستفادة من أنواع طرق إلقاء الخطاب الإعلامي، والأسلوب التمثيلي (المحاكاة) للوصول إلى النتائج المتوخاة منه.

٢. **مجتمع البحث:** أستند إلى آيات سورة نوح في القرآن الكريم التي يخاطب فيها النبي نوح عليه السلام ربه مرة، وابناء قومه ثانية.

(٢٢) المصدر نفسه: ص ٣٧١٧.

(٢١) سيد قطب، مصدر سابق: ص ٣٧٠٧.



٣. عينة البحث: (قصدية) شملت

آيات سورة نوح في القرآن الكريم، والتي روعي فيها أنتقاء الآيات الخطابية الحوارية، التي يكثر فيها النقاش والجدل بين نوح عليه السلام وربه ﷻ وبين أبناء قومه.

٤. التعريف الإجرائي: من خلال

استعراض الطرق والأساليب الخطابية التمثيلية الإعلامية المتعددة، التي لجأ إليها النبي نوح عليه السلام، لم ينجح في إقناع وكسب أبناء قومه للإيمان بالله ﷻ رغم تأكيده المتكرر إليهم والتي يمكن الخروج ببعض المؤشرات التالية:

أ- تجاهل وإصرار أبناء قوم نوح عليه السلام لمعرفة (فائدة وأهمية) طرق وأساليب الخطاب الإعلامي، الذي لم تكن معروفة في ذلك الوقت، مثل ما هو عليه الآن، جعلهم لم يستجيبوا ويستوعبوا دعوة النبي عليه السلام. عاطفة وطيبة النبي نوح عليه السلام في فرض سيطرته الإيمانية، على إجبار زوجته وأبنائه على الإيمان بالله ﷻ وتعاليمه أولاً، وثم أبناء قومه ثانياً.

٥. النتائج: يمكن الاستفادة من سور

الآيات القرآنية التي تسرد قصص الأنبياء والرسل، من قبل المخرجين والمتجيين للمسرحيات الإسلامية، والمسلسلات والبرامج السمعية والمرئية، لمحطات الإذاعة والقنوات التلفزيونية، دون أن تظهر ملامح وشكل أجساد الأنبياء والرسل.

٦. الاستنتاجات: تتضمن قصص

الأنبياء والرسل في سور القرآن الكريم، التوجيهات والتعليمات الإيمانية والأخلاقية، لمختلف شرائح المجتمع، على شكل نصائح (دينية تربوية ثقافية اجتماعية).

٧. المقترحات:

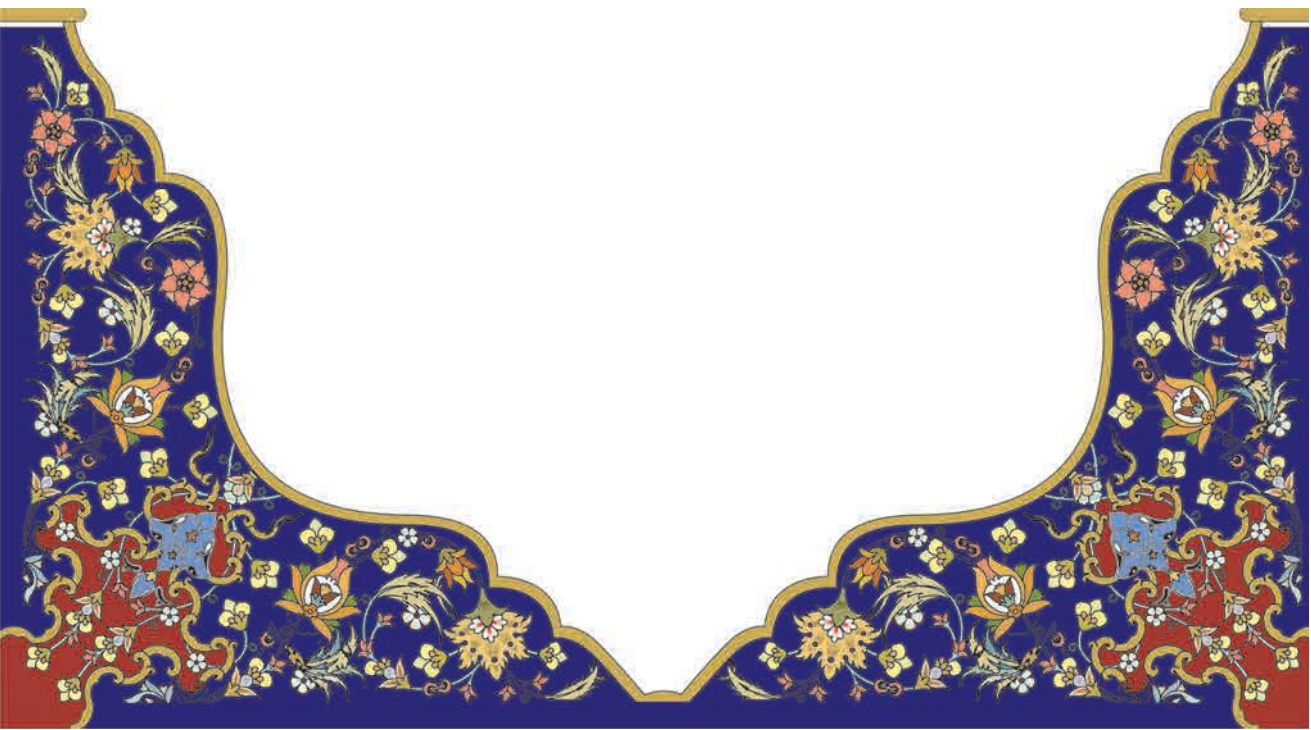
أ- إقامة مهرجانات إعلامية (مسرحية سينمائية تلفزيونية) للعروض الإنتاجية الفنية، الخاصة بتناول ومعالجة قصص القرآن الكريم.

ب- إجراء دراسات وبحوث علمية على مستوى رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه لتناول قصص الأنبياء والرسل في سور القرآن الكريم.

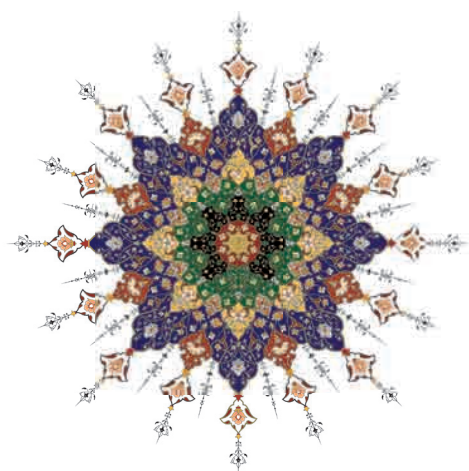


ملخصات البحوث

تنفيذ عبد الحسين مجيد المعموري



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
أَنقَضَ رَحْمَتُهُ

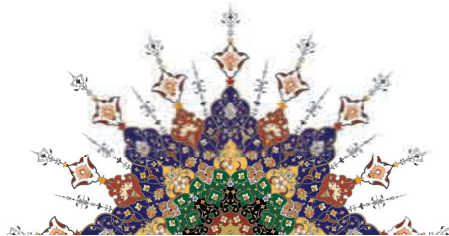


علل القراءة القرآنية في مرسوم مصاحف الأمصار

أ. د. صالح مهدي عباس

بمقدمة سلطت الضوء على مجمل البحث تناولتُ أختلاف أهل الأمصار في قراءة القرآن الكريم حيث كان أهل كل إقليم يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة، ينقل السيد الباحث إلى أصل منهجه في البحث والذي اقتصر على أختلاف مرسوم مصاحف الأمصار بالزيادة والنقصان دون غيره من الاختلافات.

ويوسع الباحث دائرة بحثه قائلاً: أثبتُ أختلاف مصاحف الأمصار الإسلامية كما هو وارد في الكتب المعنية بمرسوم المصاحف مستشهداً بأبيات قصيدة للإمام القاسم بن قيرة بن خلف الشاطبي التي نظم فيها كتاب القراءات القرآنية المعتمدة واصلتُ على جملة مختارة منها في كل قراءة معتمداً في تحليل القراءات على الكتب المختصة بعلل القراءات والاحتجاج لها مجملاً أقوال أصحابها في الغالب، ومنها ما أثبتته الباحث حرفياً ذاكراً مصادره.



بينات من فقه القرآن (تفسير سورة لقمان)

سماحة العلامة السيد محمد تقي المدرسي

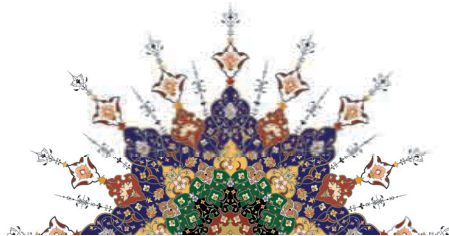
"أليس الناس سواء في مدى أستيعابهم لما في القرآن الكريم من نعم عظيمة، بل هم درجات، أنهم يتمايزون بمستوى عقولهم ومدى فهمهم لسر الحياة"

من هذا التمهيد ينطلق سماحة السيد المدرس لدعوة ربانية تدعو إلى قراءة القرآن الكريم مقرونة بتدبر معناه مبصراً بالقول أن في القرآن الكريم آيات تسمو فوق مستوى فهم الإنسان وهذه الظاهرة تدلنا على أمرين.

الاول: الرجوع إلى كلمات النبي وأهل بيته ع طلباً لمعرفة حقائق الآيات.

الثاني: السعي من أجل التسامي إلى مستوى القرآن الكريم بالتدبر والتفقه وبالتقوى والعرفان. ويدعو سماحته المسلمين كافة إلى أن يعرضوا أنفسهم على القرآن الكريم لتقييمها على أساسه فليست ممارسة الشعائر وحدها كافية بل يجب أن تكون لوجه الرب ومؤثرة في سائر جوانب السلوك.

ثم تناول سماحته فلسفة الحروف المقطعة، ثم ما هي حقيقة العبادة، ثم فسر سماحته سورة لقمان على وفق المنهج الذي وضعه للمسلم والداعي إلى تدبر القرآن الكريم وفهم معانيه ومراميها السامية.



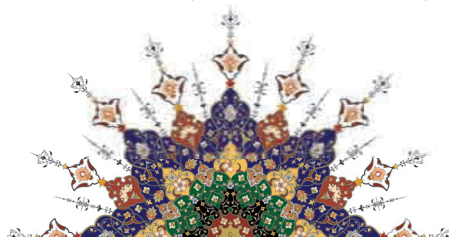
بصائر سورة العصر

سماحة الشيخ محمد مهدي الأصفي

يستعرض سماحة الشيخ الأصفي سورة العصر ويصفها بأنها من غرر قصار السور في القرآن الكريم وقد ضمنها على اختصارها ثلاثة محاور..

المحور الأول: يتألف من قسم وجواب القسم والاستثناء من جواب القسم، ثم يمضي فضيلة الشيخ في تفصيل تلك المحاور مدعماً بالأمثلة التي تتناغم مع سياق السورة المباركة. ثم ينتقل سماحته إلى موضوع البصيرة والبصائر بأعتبار أن القرآن بصائر من عند الله.. ثم يسأل عن البصيرة والبصائر ما هي؟ فيجيب بأقتضاب عن سؤاله؟ ويشير الشيخ الباحث إلى أن في الكون والتاريخ والمجتمع وحياة الآخرة حقائق كبيرة وهامة وواضحة ولكنها برغم وضوحها تخفى على الكثيرين، كما أن هناك حقائق رقيقة لا يدركها إلا من آتاه الله نوراً من بصائر كتابه لا يمكن الوصول إليها، إلا من طريق الوحي. فمن الحقائق الواضحة التي تغيب عن الكثيرين برغم وضوحها هو قوله تعالى في سورة العصر: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)، فهي تغيب عن أكثر الناس. بعد ذلك يغوص فضيلة الشيخ الأصفي في بحثه مبتدئاً بالبصيرة الأولى وهي (القسم)، ثم بقية البصائر (جواب القسم والاستثناء من جواب القسم)

واختتم الشيخ الأصفي بحثه بالربط اليقيني بين معرفة الحق والصبر عليه، وهذا ما اتفقت الأمة عليه.



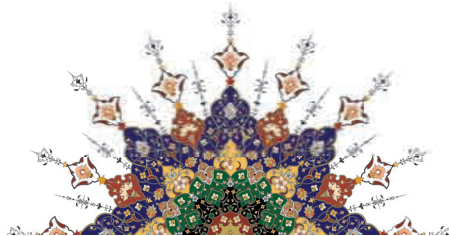
دور المستشرقين في ترجمة القرآن الكريم

أ. د. عبد الجبار ناجي

قبل أن يلج الدكتور الباحث في موضوع بحثه أطره بمقدمة عن الدواعي والاسباب التي ادت بالغرب المسيحي والكنيسة الكاثوليكية منذ لحظات هزيمة الجيوش البيزنطية والرومانية المسيطرة على بلاد الشام وغيرها مما حدا بالغرب المسيحي إلى العودة ثانية لاسترداد مناطق نفوذهم أما بواسطة السلاح والحرب وأما وهو الأهم بواسطة توجيه هذا الحقد اعتماداً على سلاح الفكر (القلم) لتشويه الدين الجديد والتسفيه بالرسالة الإسلامية، وبالطعن بشخصية الرسول ﷺ وسيرته ويسترسل الدكتور الباحث بالقول (عن كتاب الله ﷻ وسيرة سيد الأنام ﷺ هما الميدانان الرئيسيان للذان صوبت الاقلام الغربية نحوهما) ثم يؤكد السيد الباحث القول بأن الدراسات الاستشراقية المتعلقة بالقرآن الكريم كانت وما تزال شاملة ومتنوعة وكثيرة، أن بحثه هذا سيقف على محور واحد من هذه الاسهامات، ذلك المهتم بتاريخية المحاولات المسيحية الغربية لترجمة النص القرآني وهي دراسة أنما تهدف إلى تشخيص التطور التاريخي اللغوي والعلمي في ترجمة كتاب الله تعالى.

ويرى الباحث أن ثمة ترجمات بعينها ظلت مؤثرة في الكتابات التاريخية الاستشراقية نظير ترجمة المستشرق البريطاني ثم الامريكي رود ويل...

وأستعرض الباحث ترجمات الكثير من المستشرقين، وأسهاماتهم في ترجمة القرآن الكريم وتفاصيل أخرى.



الفاصلة القرآنية طبيعتها الايقاعية وأنواعها ووظيفتها

أ. د. زهير غازي زاهد

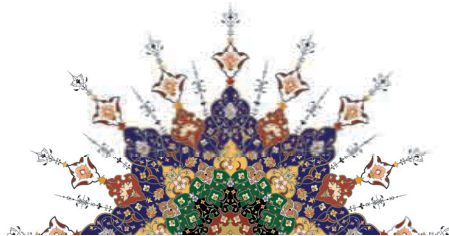
يتناول الدكتور الباحث مسألة الفاصلة القرآنية وطبيعتها الايقاعية ثم أنواعها ثم وظيفتها مبيناً آلية عمل الفاصلة ووظيفتها وبما تختلف عن السمع في النثر والقافية في الشعر.

ثم يورد الباحث تعريفات بعض النحاة للفاصلة القرآنية مثل الرماني وبدر الدين الزركشي.

وينبه الباحث إلى أن التعريفات متقاربة إلا أن المفهوم مختلف بين أصحاب أعجاز القرآن وبين البلاغيين وأن أصحاب الأعجاز ميزوا مصطلح الفاصلة في القرآن الكريم عن السجع في النثر ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعاً رغبة في تنزيه القرآن الكريم عن الوصف اللاحق بغيره من كلام الكهنة وغيرهم.

ثم يتناول الباحث أنواع الفواصل ثم يدعم كل نوع بآية من القرآن الكريم وصولاً إلى وظيفة الفواصل.

ويختتم الباحث القول (ينبغي أن لا نقرأ القرآن الكريم من خلال علم النحو مهما اتسعت أفاقه وأنها ينبغي أن نقرأ النحو من خلال النص القرآني فتبارك الله أحسن الخالقين).



التفسير البنائي للقرآن الكريم

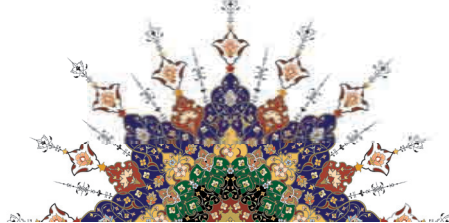
أ. د. محمود البستاني

يتناول الباحث موضوع (مصطلح التفسير البنائي والمسوغات الفكرية لهذا النمط من التفسير، معرّفًا آياه بأنه دراسة النص القرآني الكريم من خلال السورة) بصفتها (وحدة) لغوية لها بناؤها الخاص المتمثل في نص تتربط آياته وموضوعاته وعناصره وأدواته بعضها مع الآخر.

ثم يتحول الباحث إلى المسوغات الفكرية لهذا النمط من التفسير ويقوم بتلخيصه في الحقيقة المتمثلة بأن الدراسات التفسيرية قديماً وحديثاً إنما أن تناول السورة الكريمة من خلال الدراسات (التجزئية) للآيات بحسب تسلسلها في السورة أو تناول الدراسة للظواهر المطروحة فيها.

ثم يتساءل السيد الباحث لماذا انتظم القرآن الكريم في ١١٤ سورة؟ ولماذا في كل سورة يطرح موضوعات محددة قد تتكرر وقد لا تتكرر؟ لماذا ترد في سياق يختلف عن السياق الذي وردت من خلاله في هذه السورة أو تلك؟ ولماذا كان النبي ﷺ يأمر كتاب الوحي بأن يضعوا الآية الفلانية في السورة الفلانية إلى جانب الآية الفلانية؟.

وهكذا يستطرد الدكتور البستاني بطرح الكثير من الاسئلة يمكن للقارئ أن يستزيد منها إذا ما تواصل مع قراءة هذا البحث مضافاً إليها ايراد نماذج متنوعة لبناء النص من خلال التمهيد وأنعكاساته أو صلاته العضوية بالنص.



ظواهر استعمال آيات القرآن الكريم في رسائل القرن السادس الهجري المشرقية

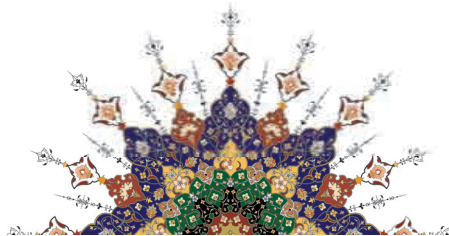
أ. د. محمد عبد الحسين الخطيب

يتناول السيد الباحث ظاهرة استعمال آيات القرآن الكريم في رسائل القرن السادس الهجري المشرقية، حيث بلغ الاهتمام بالنشر عموماً وبالرسائل خصوصاً شأواً بعيداً ولا سيما في المشرق العربي الإسلامي.

ثم ينتقل الباحث إلى الحديث عن مقدرة عدد من الكتاب المشاركة على تخير الالفاظ وأبراز المعاني وسبل الاساليب الانشائية والخبرية بما يوائمها من الصور والأخيلة والعواطف وفنون البيان.

ويشير الباحث إلى أن موضوع تضمين الكاتب المشرقي نصوصاً من القرآن الكريم إنما كانت لغايات سياسية أو اجتماعية أو أدبية مستعرضاً ظواهر عدة تمخضت عن إفادة الكتاب المشاركة من القرآن الكريم اقتباساً أو تضميناً.

ولخص السيد الباحث ما خرجت من صفحات بحثه موضوع استعمال آيات القرآن الكريم في نقاط عدة منها ظاهرة الدليل، وظاهرة التاكيد، وظاهرة المعنى الخاص التام، وظاهرة تنمة المعنى الخاص، وظاهرة التفسير.



نظرية التكليف في التصور القرآني

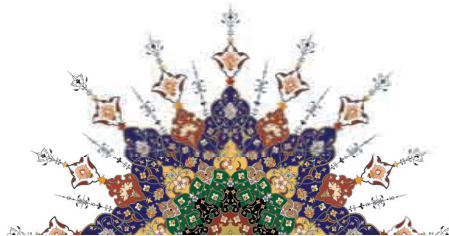
أ. د. عبد الأمير كاظم زاهد

تناول الاستاذ الدكتور عبد الامير كاظم زاهد قضية التكليف الرباني للإنسان على أنه (فلسفة الاستخلاف الإسلامية) وأن التصور الفلسفي القرآني قدم مشروعا حضارياً للإنسانية كان أبرز ما فيه قضية التكليف التي أعتبرت الإنسان قوة هائلة ومحركة للمعطيات الكونية، وطاقة قادرة على صنع التقدم والسعادة.

ويسمو الباحث بالراي إلى أن نظرية التكليف يُعد التوحيد الركن الأول فيها ثم أعطى الإنسان دوراً أساسياً في بناء الحياة وعمارة الأرض، بأن استخلفه في الارض وجعله المتصرف في معطياتها على لائحة الاهداف الالهية.

وأوضح السيد الباحث في معرض حديثه عن الانابة الربانية للإنسان على أنها انابه على الكون الذي طوعه تعالى لخدمة أغراضه وأهدافه أنطلاقاً من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾.

وأجل الباحث معادلة التقدم في الارض في عناصر ثلاثة: اولها: التكليف الالهي للإنسان بالنص المنزل. وثانيها: القوة العاقلة والقوة الجسدية للإنسان. وثالثها: وضع المثوبة والجزاءات الحسنة على الفعل الحسن.



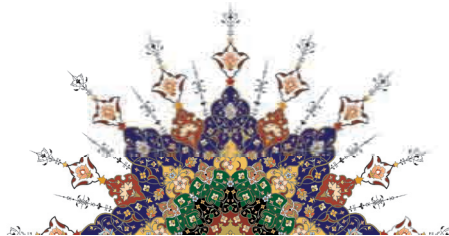
الإمامة والعصمة في كتاب (التبيان في تفسير القرآن) للشيخ الطوسي.

أ. د. حسن عيسى الحكيم

تناول الاستاذ الدكتور حسن الحكيم قضية الإمامة والعصمة في كتاب الشيخ الطوسي (التبيان في تفسير القرآن) كونه أي (التبيان) عديم النضير في التفاسير وأورد الباحث رأي كبار علماء الطائفة بخصوص علو كعب هذا التفسير منهم العلامة الشيخ الطبرسي.

بعد مقدمة موجزة عن أهمية الكتاب تحدث السيد الباحث عن مسألة الإمامة والعصمة في كتاب (التبيان) الذي ناقش آراء الفرق الإسلامية في هاتين المسألتين فالإمامة منصب الهي سنّه الله تعالى للبشر كما سنّ النبوة وأختار من عباده أصلحهم واتقاهم سوى إن الإمام لا يوحى إليه كالنبي ثم يعرف الباحث (العصمة) قائلاً هي الامتناع بالاختيار عن فعل الذنوب والقبائح عند اللطف الذي يحصل من الله تعالى في حقه.

واختتم الباحث بالقول: إن الدارس المتفحص لآراء الشيخ الطوسي في كتابه (التبيان) في موضوع الإمامة والعصمة، قد ناقش الآراء بحياد تام وبموضوعية بعيدة عن التعصب والانحياز وهذا مما يعطي لكتاب التبيان الأصالة والأبداع.



آيات الأحكام بحث في تعريفها لغة واصطلاحاً

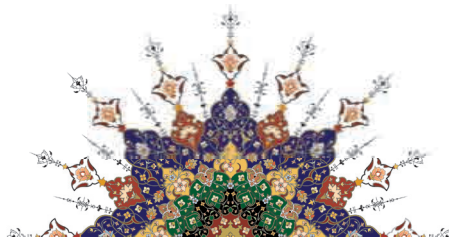
الشيخ خالد الغفوري

وهو دراسة لبيان تعريف (آيات الاحكام) من الناحية اللغوية والاصطلاحية، وقد لفت فضيلة الشيخ إلى مدى أهمية هذا البحث ودرجة ضرورته؛ وذلك من خلال لحاظ أمرين:

الأمر الأول الضرورة المنهاجية.

والأمر الثاني أهمية ذات البحث في آيات الأحكام وفقه القرآن.

ويختتم فضيلة الشيخ بحثه بعد أن يعرف القارئ الكريم بالآية لغة واصطلاحاً ثم تعريف الاحكام لغة واصطلاحاً ثم تعريف آيات الأحكام بشيء من التفصيل قائلاً، أن آيات الأحكام هي الآيات التي يمكن للفقيه أن يستنبط منها في الجملة حكماً أو جعلاً شرعياً سواء أكان تكليفاً أم وضعياً.



العلم والمعرفة في القرآن الكريم

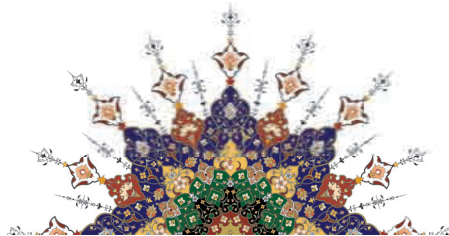
أ. د. علي العلي

يتناول الباحث العلم والمعرفة في القرآن الكريم مذكراً بأن المصادر التي تتناول مناسبة النزول تنكر أن أول ما نزل من القرآن الكريم كان مرتبطاً بالعلم والمعرفة.

ويذهب الباحث إلى أن كلمة (اقرأ) إنما هي دعوة إلهية صريحة للعلم والمعرفة.

ويرى الدكتور العلي إن دراسة الالفاظ القرآنية المتعلقة بالعلم والمعرفة تشكل لنا هيكلاً أساسياً لبناء منهج في المعرفة والعلم عبر الالفاظ الواردة في القرآن الكريم وأن الاطار العام للدلالة في القرآن الكريم يتمحور عبر عدة معطيات تعد اصولاً أساسية في البحث في النص القرآني منها: أولاً: القرآن الكريم قطعي الصدور. ثانياً: النص القرآني قطعي الصدور ظني الدلالة. ثالثاً: بناء النص القرآني. رابعاً: المعنى الانفرادي والتركيبى للكلمة القرآنية.

واستطاع الباحث ان يرصد تحت هذه الدلالة (١٠٢) لفظاً يستعرضها تباعاً من خلال الآيات التي ترد فيها ابتداءً بـ (الآثر) وأنتهى بـ (العلم) الذي هو شرط من اشراط الساعة.



الظواهر اللغوية في قراءة الإمام علي عليه السلام.

أ.م. د. أنهار عبد الجبار

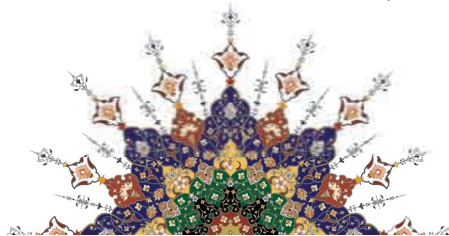
يتناول الاستاذ الباحث موضوعه بعد تعريف لغوي وأصطلاحي لمادة (القراءة)، ويؤكد أن القراءة والتلاوة ظلت تعتمد على السماع والمشافهة وأخذ الخلف من السلف مع أن القرآن دَوّن في المصحف.

ويرى الباحث إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام استحفظ كتاب الله وسُنة نبيه كونه عليه السلام ترعرع في بيت النبوة وتلقى العلم من فم الصادق الأمين عليه السلام، وكان من أحفظ من ضبط النص القرآني وكان يقرأ طول أيامه بقراءة العامة.

وقد بَوَّب الاستاذ الباحث بحثه بمبحثين أثنين: المبحث الأول: الهمز والتسهيل، حيث أورد عليه طائفة من القراءات عَوَّض فيها بالهمزة المحققة عن بعض حروف المد واللين، وذلك لغرض أداء وظيفة صوتية في نبر مقاطع معينة في بناء الكلمة.

ولم يغفل السيد الباحث إيراد الكثير من الأمثلة من القرآن الكريم تجعل القارئ يغيب بين ثنايا البحث لأهميتها.

المبحث الثاني: الضبط والتحريك حيث أهتم به عليه السلام بسبب اختلاف القبائل العربية في نطق الحركات الثلاث ورغبته في وضع قواعد واسس ثابتة في ضبط الحركات، وقد أعتمد الباحث العشرات من المصادر التي وثق بها بحثه.



المفهوم الحركي في القرآن الكريم مكي قاسم البغدادي

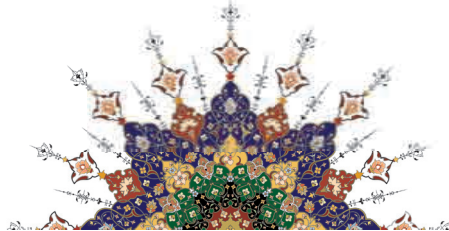
في هذا البحث تناول الاستاذ مكي قاسم البغدادي موضوع (المفهوم الحركي في القرآن الكريم).

وبعد مقدمة مستفيضة عن منهجية القرآن الكريم وأنه دستورٌ عالمي للناس أجمعين وفي كل مكان وزمان وفي العالم الكبير الفسيح ويتناسب مع كل إنسان في كل جيل مع حركة الليل والنهار وتجدد الحياة والأحياء ينتقل في فصله الأول إلى طبيعة المنهج الحركي في القرآن الكريم وردود الأفعال المتباينة.

ثم ينتقل السيد الباحث إلى تعريف المنهج الحركي حيث يعرفه بأنه مرحلة تحريك النص القرآني، من دائرة النظرية إلى آفاق التطبيق وبصورة الطبع والتطبع لا التصنع.

ويلفت الباحث إلى أن المنهج الحركي في القرآن الكريم أمر يجمله كثير من الناس وهو فكر حضاري حديث ومستحدث قد بدأت تتداوله النخبة الواعية الحركية من الناس ولكنه فكر ما زال في بداية الطريق ولم تتسلط عليه الاضواء الشافية بصورة كافية.

ويختتم الباحث بحثه بالقول أن أسلوب البحث يتقدم مادة البحث من عوامل المنهج الحركي في القرآن الكريم ويدعم رأيه بأمثلة عديدة من القرآن الكريم يبين أساليب الدعوة إلى الله تعالى بطرق مختلفة مرنة ولينة ومباشرة وغير مباشرة.

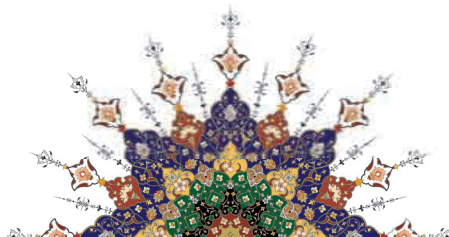


المنهج التفسيري عند السيد كمال الحيدري

د. حميد مجيد هدو

يؤكد الدكتور هدو أنه ومن خلال مراجعة مناهج التفسير كما قسمها الذين وثقوا تفسيحاتها أنه يقف أمام الحوظتين لا سبيل لتجاوزهما، وهما:
أولاً: أن مسمى (التفسير الجامع) هو عنوان لم يقرأه في بحث لا قديم ولا جديد، وأنه من مكتشفات السيد الحيدري.
ثانياً: أن السيد الحيدري يرى أن تعداده لمناهج التفسير منحصر في هذه الخمسة المذكورة في مقدمة البحث.

ويسترسل الاستاذ الباحث في الاشارة إلى أن السيد الحيدري ربما يكون قد استقرأ في تصنيفه لمناهج التفسير ما لا يمكن ان يعترض عليه معترض والمناهج التالي ذكرها:
١. منهج التفسير الروائي. ٢. منهج التفسير العقلي. ٣. منهج التفسير العلمي التجريبي.
٤. منهج تفسير القرآن بالقرآن. ٥. المنهج التفسيري الجامع.
وهكذا يقف الدكتور هدو في مجمل بحثه قريباً من العلامة الحيدري.
مبرزاً فطنته في استقراء الحقائق وميله إلى منهج العلامة الطباطبائي، وإنه قد ميّز التفسير بالرأي عن تأويل القرآن مرة وجمع بينهما مرة أخرى.



إعجاز الخطاب الإعلامي التمثيلي في آيات سورة نوح

أ. م. د. طالب عبد الحسين فرحان

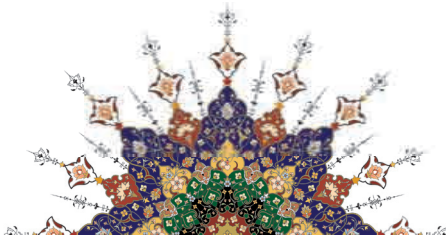
"لو دققنا وتأملنا في قضاء أوقاتنا اليومية لوجدنا أنفسنا منهمكين في الاهتمام بمتابعة خطاب وسائل الإعلام والاتصال المختلفة بأشكالها ووظائفها كافة".

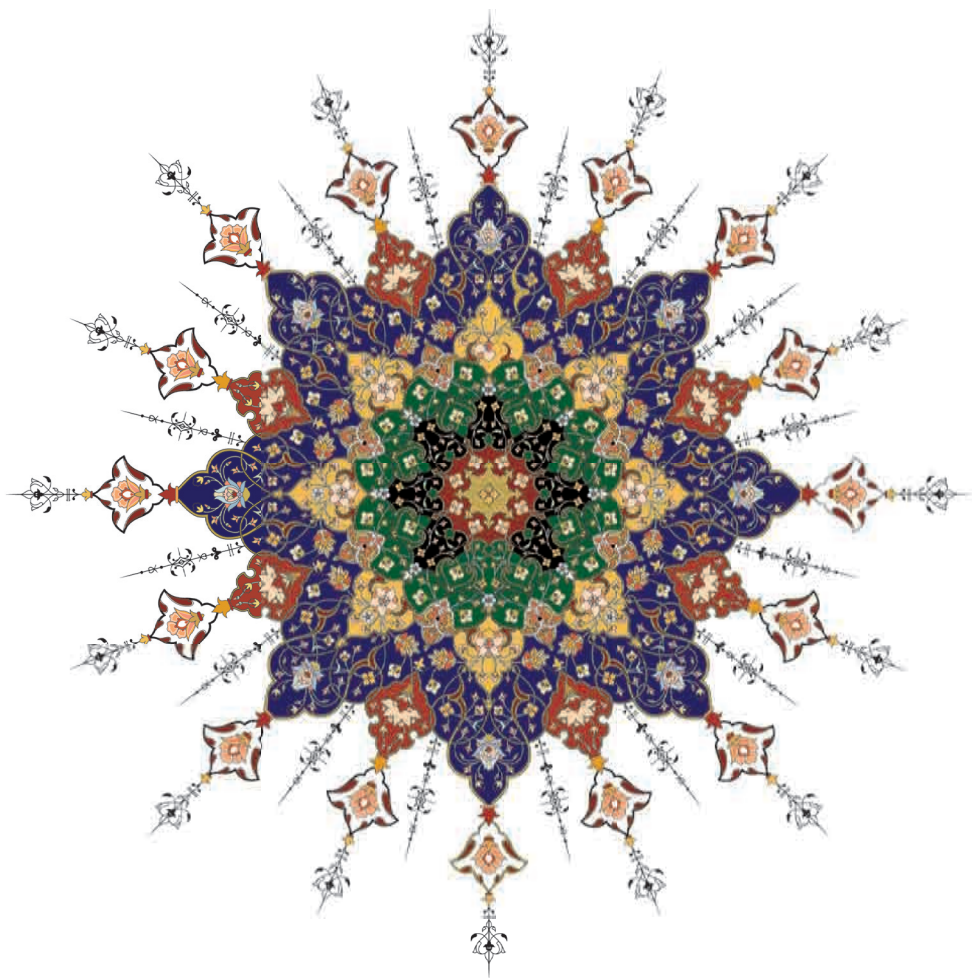
بهذه العبارة المستخلصة من البحث يمضي السيد الباحث في تقسيم مفردات الاطار المنهجي للبحث الذي ضم مشكلة البحث والحاجة إليه، ومن ثم أهمية البحث وهدف البحث وفرضياته وحدوده ومصطلحاته.

ويتناول الباحث بعد هذا الموضوع أساليب الخطاب الإعلامي التمثيلي حيث ركّز على محورين أساسيين: الأول: تضمن الخطاب الإعلامي الإيماني. الثاني: الخطاب الإعلامي الدنيوي وصولاً إلى التعريف الاجرائي للاطار النظري.

ثم أطر الباحث موضوعه وهي طريقة الخطاب الإعلامي التمثيلي لدى النبي نوح (عليه السلام) في اقناع ابناء قومه بوجود الله جل جلاله والإيمان به بطرق مختلفة واساليب متعددة.

وأوضح الباحث أن هدف بحثه هو الكشف عن أفضل الطرق والأساليب لنجاح الخطاب الإعلامي التمثيلي والتي يمكن استخدامها في استثمار السيطرة على الجانب الروحي والإيماني لدى النبي نوح (عليه السلام) على النزاعات البشرية لأفراد عائلته ولأبناء قومه الرافضة للإيمان بالله (جل جلاله).





إقرأ في العدد القابل

- موقف مجتهد الشيعة من سلامة النص القرآني.
د. محمد حبش
- مصاحف الإمام علي (عليه السلام).
أ.د. عبد الله السوداني
- الألفاظ المثلثة القراءة في القرآن.
أ.د. صالح مهدي عباس
- الخطاب القرآني في نظر الإخباريين.
الشيخ نعيم الساعدي
- الأثر القرآني في سلامة اللغة العربية من خلال التشريع.
أ.د. صاحب محمد حسين نصار

